











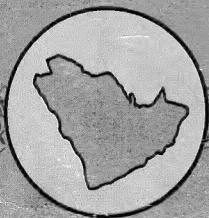


# الحجارة

مجلة ربع سنوية تصدر عن دائرة الملك عبد العزيز  
العدد الأول السنة السادسة شوال ١٤٠٠ هـ - سبتمبر ١٩٨٠ م

## من محتويات العدد

- في ذكرى اليوم الوطني.
- مشاكل تكوين النظرية العلمية.
- الأمثال العربية القديمة.
- الموشحات الأندلسية.





# الدائرة

مجلة ربع سنوية تصدر عن دائرة الملك عبد العزيز  
تفنى بتراث وفكر المملكة والجزيرة العربية  
والعالم العربي والاسلامي معالة صلة بالجزيرة العربية

رئيس التحرير  
محمد حسين زيدان

هيئة التحرير  
عبد الله بن خميس  
الدكتور منصور المحازمي  
عبد الله بن إدريس  
عبد الله المأجد

العدد الأول - السنة السادسة  
شوال ١٤٠٠ هـ - سبتمبر ١٩٨٠ م

٢٩٤٥ ص ٣  
٤٠٣٨٦٤٦ تلفون

الرياض  
المملكة العربية السعودية

الاصراج العتيق : محمد أبو الفتوح الخياط

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### فهرس المحتويات

رقم الصفحة

٤	افتتاحية العدد . . . .	لرئيس التحرير
	آثار الشيخ عبدالرحمن بن حسن	
٦	« الحلقة الثانية » . . . .	للأستاذ أحمد بن حافظ الحكمي
٢٢	البدوي : علمه - خصائص حياته	للأستاذ محمد حسين زيدان
٣٤	مشاكل تكوين النظرية العلمية .	د. عبد العزيز آل الشيخ
٤٧	أحاديث عن أحاديث السمر .	د. محمد السليمان السديس
٨٢	بناة أسس علوم الميكانيكا . . .	د. علي عبد الله الدفوع
٩١	في ذكرى اليوم الوطني . . .	للأستاذ محمد أبو الفتوح الخياط

لعمد في الداخل ريالان والاشترائه الصلوى خمسة عشر ريالاً وفي البلاد العربية  
 خمسة قرشاً سعودياً للعمدة أو مايعادل خمسة عشر ريالاً للسنة - في جمهورية  
 العربية خمسة وعشرون قرشاً - في خارج البلاد العربية دولار للعمدة الواحد  
 دولارات للسنة .

● جوانب من كفاح السعوديين

- الأوائل . . . . . د. أحمد فؤاد متولي ١٠٥
- الأمثال العربية القديمة . . . للأستاذ عبد الرحمن شلش ١٤٤
- الموشحات الأندلسية . . . عرض الأستاذ مصطفى كمال منصور ١٤٩
- كتاب وآراء . . . . . عرض الدكتور محمد بن سعد بن حسين ١٦٥
- الحوار ذي والمصطلح العلمي . . . للأستاذ سعيد زايد ١٨٢
- ما وراء اللغة . . . . . د. يحيى عبد الرؤوف جبر ٢٠٠
- رسائل علمية . . . . . عرض الأستاذ عصام ضياء الدين ٢٣٩
- تعليق على رد . . . . . د. محمد السليمان السديس ٢٤٢
- خلاصة الأبحاث بالانجليزية . . . ٢٤٥

ترسل الاشتراكات باسم أمين عام الدائرة أما المقالات والبحوث فتُرسل باسم رئيس التحرير - الرياض ص ٢٩٤٥ ترتيب المواضيع داخل المجلد يفتح لأسباب فنية لا علاقة لها بمكانة الكاتب - أراد الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

# افتتاحية



وعلى بركة الله تبدأ مجلة الدارة عامها السادس  
لتؤكد من جديد نهجها التخصصي الذي دأبت عليه  
منذ صدورها عام ١٣٩٥ هـ .

فقد أمكنها بفضل الله وعونه أن تصدر عشرين  
عدداً من بينها أربعة أعداد خاصة واكبت بهم  
المجلة مناسبات علمية وتاريخية تهم العرب

والمسلمين وحين تبدأ عامها السادس ليسرها كل  
السُرور أن توضح لقرائنا وعشاقها من المتخصصين  
أنها بصدد إصدار عديدين خاصين الأول عن  
« الأهمية التاريخية للبحر الأحمر » وسيكون هذا

# العدد

## لرئيس التحرير

العدد وفي هذا الوقت بالذات اضافة علمية جديدة  
لمكتبتنا العربية ، أما العدد الثاني فسيكون عن  
« العمارة الاسلامية » بالتعاون مع ندوة جامعة  
الملك فيصل عن العمارة الاسلامية وسوف يكون  
التركيز في هذا العدد على العمارة الاسلامية في  
الجزيرة العربية .

وارجو أن تكون هذه المقسمة دعوة للأساتذة  
والباحثين المتخصصين للمساهمة المستمرة في دعم  
مجلتهم « الدارة » شاكرين للجميع عونهم وتأييدهم  
والله الموفق ؟

رئيس التحرير  
محمد حسين زيدان

• الأستاذ أحمد بن حنبل - أحد كبارنا الوثنية وقد خص الدعوة ببحث عميق قام بإعداده ، وعنوانه : آثار الشيخ عبد الرحمن بن حسن - مجلد الدعوة الإصلاحية في عهد ١١٩٣ هـ / ١٧٧٩ م - ١٢٨٥ هـ / ١٨٦٩ م - وسر القلوة أن تشر أولى حلقات هذا البحث ، باعتباره جهفا علميا طيبا حرص فيه الباحث على إلقاء الضوء لأكثر علم جليل من أعلام الدعوة الإصلاحية السلفية في عهد ، وهو الإمام عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب محمد الدعوة السلفية ورحم الله الجميع .

# آثار الشيخ عبد الرحمن بن حسن مجلة الدعوة الإصلاحية في نجد

الطبعة الثانية

للمؤلف :  
أحمد بن حنبل  
المحاضر بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد سعود الإسلامية



## الأجر والثواب أمين

تقع النسخة في ٢٩ ورقة ، فيها ترقيم حديث بقلم ( رصاص ) عادي ،  
أكل التجليد الحديث أكثره .

أوله : قال شيخنا عبدالرحمن بن حسن ابن الشيخ الاسام محمد بن  
عبدالوهاب ... الخ .

وأخره : صفحة ب بن الورقة ٢٩ ما نصه :

« ... تم نسخ ذلك في ٥ رمضان سنة ١٣٤٦ هـ بقلم الفقير الى الله  
عبدالله بن ابراهيم الربيعي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين خصوصا  
أهل هذه الدعوة النجدية والطريقة المحمدية أئمتنا ومشايخنا عليهم الرضوان  
والرحمة ما تعاقبت الملوان وتطقت شفة بلسان أمين » .

وفي الجانب الأيمن من الصفحة بالخط نفسه ، لكن بمداد مختلف ، هو  
أكثر بنوادي : « بلغ مقابلة وتصحيحا على حسن الطاقة » .

وتحته بتقليد كتب بنفس المداد المعلق به التعليق السابق .

« ولد الشيخ الأجل الحير المفضل عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين في  
سنة ١١٩٤ استبلاخ القعدة حتى هو ( كذا ) ( ١ ) بذلك في رحلتي اليه في سنة  
١٢٧٩ قاله بعض تلاميذه » .

— مقياس النسخة :  $17 \frac{1}{2} \times 23$  سم

— المكتوب من الصفحة :  $15 \times 21$  سم تقريبا ، والباقي حواش بيضاء  
غالية من الكتابة ، اللهم الا تصحيحات قليلة جدا .

— في كل صفحة بين ٢١ - ٢٤ سطرا .

٨ - « الأيمان والرد على أهل البدع » :

طبع ضمن ( مجموعة الرسائل والمسائل ) بأرقام صفحات مستقلة :

٢ - ١٣١ - ١٣٨ من ، الطبعة الأولى سنة ١٣٤٤ هـ ، بمنظومة المنار بمصر .

وسياقي بتفضيل كامل له عند حديثي عن رسائل ابن حسن في ( مجموعة  
الرسائل والمسائل النجدية ) - ينظر - .

٩ - رسالة في بيان فرائسته وشيوخه وبرواياه عنهم :

وردت في ( مجموعة الرسائل والمسائل ) : ٢٠/٢ - ٢٤ ، ضمن كتاب  
( الأيمان والرد على أهل البدع ) - ينظر - .

وفي عقد الدرر فيما وقع نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر .

لابراهيم بن صالح بن عيسى : ص ٧١ - ٧٦ .

١٠ - ردة على البردة : ( أي قصيدة البردة للشاعر البوصيري )

طبع ضمن ( الدرر السنية ) : ٧٩/٩ - ٨٤ .

وقد أطلعت على نسخة خطية من هذا الرد بعنوان : « رد الشيخ عبد الرحمن على البردة » ، رقمه ٨٦/٦١٠ مكتبة الرياض السعودية ، وهي تقع في ٧ صفحات مرقمة ترقيما حديثا ، يبدأ الكتاب من ص (ب) من الورقة الأولى ، وليس على ص ( ١ ) منها أي تعليق ولا تسجيل لاسم النسخة ، والجانب الأيسر من النسخة متآكل .

أولها : قال شيخنا شيخ الاسلام عبد الرحمن بن حسن : اعلم أن البردة التي تسبب للبوصيري قد ضمنها أبياتا شركية تنافي ما بعث الله به رسوله - صلى الله عليه وسلم - في توحيده ، وقد افقتن بها كثير من الناس . . .  
الشيخ .

وفي آخر صفحة منها (ص) التي كتبت الى منتصفها فقط ، ما نصه :  
« . . . . . دعوة الى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة جعلها الله غالبا لوجهه ( كذا ) ، نافعا لمن يلقه أو ينظر فيه أو سمعه ، وصلى الله على محمد  
١٢٨٣

وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ————— ( كذا ) » . ولم يسجل  
٣٠٥

الكاتب اسمه في نهايتها .

وفي الجانب الأيمن من الصفحة الأخيرة ما نصه : « بلغ مقابلة على نسخة قرأت ( كذا ) على المصنف على حسب الطاقة والامكان ١٢٨٣ هـ » .  
- مقياس الصفحة :  $16\frac{1}{2} \times 22\frac{1}{2}$  سم تقريبا .

- مقياس المكتوب :  $12 \times 18 - 19$  سم تقريبا ، ما عدا الصفحة الأخيرة المكتوبة الى منتصفها ، والباقي حواش ، كثرت الكتابة في ص ٦ فقط .

- في كل صفحة ما بين ٢٤ - ٢٦ سطرا ، أما الصفحة الأخيرة فلا تحتوي الا على ١١ سطرا فقط .

١١ - رسالة في الرد على رجل من أهل فارس :

طبعت في ( الدرر السنية ) : ١٢٨/٩ - ١٣٥ .

وقد وقعت على نسخة خطية منها ، ضمن مجموع مخطوط بقلم واحد ، متناثر الاوراق غير مجلدها ، في مكتبة الرياض السعودية ، رقم ٨٦/٦٥٨ .  
ولكل نسخة في هذا المجموع ترقيم حديث مستقل ، بقلم أحمر المداد ، عبادي .

وهذه الرسالة أول المجموع ، مطلعها بحد البسطة والحمد له : ( وبعد ،

فقد وقفت على ورقة لرجل من أهل فارس تضمنت من الجهل والشقاق لاهل التوحيد ما يتبين للصير أنها لم تخرج الا من رجل أجهل من حمارة ... ، وهذا لفظه : من عبد الرحمن بن محمد الى مغدومنا الحاج ادريس ، أما بعد ، فلا يخفى على جنابك من طرف هذا الرجل ... الخ ) .  
تقع الرسالة في ١٢ صفحة بترقيم حديث ، ليس لها عنوان ، وإنما بدأ الترقيم بالصفحة الأولى الحاوية للبسملة وما بعدها .

أخراها في آخر ( ص ١٢ ) قوله : « ... وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وإمام المتقين ، وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليمًا ، آخر ما ذكره شيخنا الشيخ عبدالرحمن بن حسن أيده الله تعالى آمين ، حرر في جمادى ٢ سنة ١٢٧٦ هـ ، نقله من قلم الشيخ محمد بن عمر آل سليم رحمه الله كاتبه عبدالله الرشيد الفرع ٦ ص سنة ١٣٥٣ هـ » .  
- بمقاس النسخة :  $17\frac{1}{2} \times 26\frac{1}{4}$  سم .  
- المساحة المكتوبة :  $13 \times 19$  سم تقريبًا ، والباقي حواش بيضاء .  
- في كل صفحة ما بين ٢١ الى ٢٥ سطرا .

١٢ - المقامات : ألفها في الرد على عثمان بن عبد العزيز بن منصور ، قال مؤلف ( مشاهير علماء نجد وغيرهم ) حنة : « ورد على عثمان بن عبدالعزيز بن منصور الناصري برد سماء ( المقامات ) ، وقد استطرده فيه فأتى على جميع الحروب التي وقعت بين أهل هذه الدعوة السلفية والدولة العثمانية المصرية ، فهو بحق رد وقاريخ » ( ٢ ) - ومثل هذا القول قاله في كتابه ( علماء الدعوة ) إلا أنه زاد عليه قوله : « ولكنه مع الأسف لا يزال حبيس مكاتب بعض أحفاده من أهل الرياض » ( ٣ ) .  
وقد طبعت هذه المقامات ضمن مجموعة ( الدرر السنية ) : ٢١٤/٩ - ٢٣٠ .

وقد اطلمت قبل ذلك على نسخة خطية في المكتبة السودية بالرياض لهذه المقامات برقم ٨٦/٦٥٨ ، وهي في المجموع المشار إليه آنفا عند ذكر الرسالة التي رد بها على رجل من أهل فارس ، وفي هذا المجموع عدة رسائل مسطوطة للشيخ عبدالرحمن .  
وقد كتب في أول هذه الرسالة التي تلي الرسالة السابقة في هذا المجموع ، هكذا :

و المقامات للشيخ الجليل الفاضل النيسابوري  
عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الاسلام  
رحمهم الله تعالى  
وعفى عنهم  
امين

يبدأ البحث من الصفحة نفسها التي فيها العنوان ، اذ لا صفحة للعنوان  
مستقلة به .

يقع في ٢٧ صفحة وسطرين في ( ص ٢٨ ) أو ص ١ ، اذ فيها بعد انتهاء  
السطرين الكتاب التالي لهذا الكتاب في الصفحة نفسها .

وقد كتب في أول ( المقامات ) بعد البسملة والحمد له : « أما بعد ،  
فلينعلم أن هذا الذي علقته في هذه الورقات قد اقتصدت منه واقتصرت على  
ما تحصل به الفائدة ويحصل به الثواب من الرب الكريم الوهاب » ، فأقول  
قبل الشروع في تحرير الجواب : أن عثمان بن منصور اعترض على شيخنا  
رحمه الله تعالى فيما دعا إليه من توحيد الله تعالى من العنيفة مله ابراهيم  
وما بحث به محمدا النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليهما وعلى جميع  
المرسلين . الخ » .

ونقرأ في السطرين الأخيرين في ( ص ٢٨ ) أو ( ص ١ ) وهما آخر هذه  
الصفحة :

« ..... وغفر لنا ولهم الذنوب ، اللهم اغفر لنا ولهم لتوب ، وعلى  
الله جل محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ، حرر في ٦ و م ( كذا )  
مضت من شهر سنة ١٠٣٥ هـ » .

و المقامات السابقة نفسها في الكتاب الأول من هذا المجموع ( الرسالة  
السابقة ) من حيث الصفحة والمكتوب فيها تقريرا ، وكذلك الامر بالنسبة  
لجند الأسطر على وجه التقريب ، ونوعية الخط اذ الكاتب واحد .

وفي ص ١٦ من هذا الكتاب بعد انتهاء ( المقام الثامن ) قال : « وصلى الله  
على سيد المرسلين وامام المتقين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما  
كثيرا » سنة ١٢٨٣ هـ .

ثم قال بعده : « وهذا هو المقام التاسع » الخ . وقد كتب بجانب هذا  
القول بخط آخر بقلم مغاير : « لعله تهجر المؤلف عفى الله عنه » .

وهذا يدل على ان المؤلف قد ختم كتابه بعد المقام الثامن ، ثم انقطع من  
الكتابة ورأى بعد ذلك أن يضيف بعض المسلمات فجعلها في مقام تاسع  
أخير طويلا .

١٣ - الجواب المنتور ، في الرد على ابن منصور :

( تنتظر الدرر السنية ) .

ومنه نسخة خطية في المكتبة السعودية - تابع المجموع السابق - رقم  
٨/٦٥٨ ، أولها بعد أول الصفحة بقليل

« الجواب المنتور في الرد على ابن منصور »

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمته بعد الحمدلة قوله : « أما بعد ، فاعلم أيها الناظر الى ما حلقته  
في هذه في كتف حال أهل الشقاق والنفاق أن عثمان بن منصور بعد مجيئه من  
البصرة والزبير وطول اقامته عند مشايخه ابن سند وابن جديث وابن سلوم  
القبيل الى نجد فكرهه من كرهه من المسلمين واختر به من اختر من المقدسين  
: الخ » .

يقع ( الجواب ) في ( ٣٥ صفحة ) ، مرقمة ترقيما حديثا ، الصفحة  
الأخيرة مكتوب فيها نحو الربع فقط .

المقاسات السابقة نفسها ، وكذلك الأمر بالنسبة لعدد الأسطر في  
الرسالتين قبله .

آخرها : « وصلى الله على نبيتنا محمد وعلى اله وسلم تسليما كثيرا الى  
يوم البعث والنشور » .

— الحواشي تغلو من التعليقات .

١٤ - وفي المجموع المخطوط نفسه ، المشار اليه في الرسائل الثلاث  
السابقة : رسالة في ( ٦ صفحات ) ، الاولى هي في الثلثين الآخرين من  
ص (ب) من الورقة الاخيرة في الرسالة قبلها ، وآخرها ص (أ) من الورقة  
الاخيرة في المجموع ، بكتوبة الى نحو منتصفها تقريبا .

وقبل هذه الرسالة في المجموع مباشرة رسالة من الامام فيصل بن تركي الى  
من يصل اليه ... من اشراف اليمن وعلماهم ووجوه القبايل الخ في  
( ٦ صفحات ) الاخيرة منها غير كاملة ، اذ في ثلثيها الآخرين أول رسالة  
الشيخ عبدالرحمن المشار اليها .

— المقاسات نفسها وعدد الأسطر السابقة نفسها ، وفي الصفحة الأخيرة  
( ٨ أسطر ) وفي الأولى من هذه الرسالة ( ١٣ سطرا ) ، والباقي هوامش  
بيضاء .

— أولها بعد البسملة : « قال شيخنا عبدالرحمن بن حسن - عفى الله

عنه بمنه أمين .. الحد انه الذي هدانا لتوحيد العبادة الذي هو أساس الملة  
والدين ومفتتح دعوة المرسلين ، وقد غلط في مسمى التوحيد الالاهي من  
المتأخرين والفقهاء والصوفية والمتكلمين .. الخ » .

— وأخرها في ( ص ٦ ) : « وما توفيتي الا بالله عليه توكلت واليه  
أنيب ، وصلى الله على محمد ... حرر سنة ١٢٥٣ هـ » .  
١٥ — رسالة منه الى الامام فيصل بن تركي :

طبعت ضمن ( مجموعة الرسائل والمسائل ) : ٣٢١/١ - ٣٢٥ .  
وضمن مجموعة ( الدرر السنية ) : ٣٢/١١ - ٣٤ .  
وضمن ( المجموع المفيد من رسائل أهل التوحيد ) : ٣٣/٢٧/١ ( الطبعة  
الأولى ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م — منشورات المكتب الاسلامي ، بيروت ) .  
وقرات نسخة خطية منها ، في المكتبة السعودية بالرياض ، هي فيها برقم  
٨٦/٦٦٨ ، عنوانها كذا :

« رسالة من الشيخ عبدالرحمن بن حسن الى  
الامام فيصل بن تركي »

تقع في ( ٥ صفحات ) ، الأخيرة منها ليس فيها الا ( ٥ أسطر ) هي خاتمة  
الرسالة ، أي أنها تقع في ٣ ورقات .

ص (أ) من ورقة (١) ليس في كتابتها ، ولا تحمل عنوانا ، وتبدأ الرسالة  
من ص (ب) ورقة (١) ، أولها بعد البسملة :

« من عبدالرحمن بن حسن ، الى الأخ المحب الامام المكرم فيصل بن تركي  
ألهمة الله رشده ووقاه شر نفسه .. الخ » .

وأخرها ص (٥) : « .. وأنت سالم والسلام ، ولا حول ولا قسوة الا  
بالله العلي العظيم ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم ، غفر الله  
للشيخ الامام وجميع المسلمين آمين » .

— ليس عليها اسم الكاتب لها ، أهني الناسخ .  
— مقاس الصفحة : ١٧ × ٢٤ سم .  
— المكتوب منها : ١١ × ١٢ - ١٨ × ١٩ سم ، والباقي هوامش  
بيضاض .

— في كل صفحة ( ٢٣ سطرا ) ، ما عدا ص (٣) ففيها ( ٢٢ سطرا ) .  
و ص (٥) ليس فيها الا ( ٥ أسطر ) فقط .

١٦ — بيان كلمة التوحيد ، والرد على الكشميرني عبدالحميد ( ٤ ) :  
طبع ضمن ( مجموعة الرسائل والمسائل ) : ٣١٩/٤ - ٣٦٢ ، وعليه

- ذيل للشيخ أبي بطين : ٣٦٣/٤ - ٣٦٤
- وضمن ( الدرر السنية ) : ٨٥/٩ - ١٠٩
- ألفه في الرد على عبد الحميد الكشميري
- ١٧ - تفسير سورة الفاتحة :

ذكره ابن قاسم في ترجمته للشيخ عبدالرحمن في (الدرر السنية : ١٢/٦٣)  
وأورد نصه في ( الدرر السنية - مطبوعا - : ١٠/٣٥ - ٣٩ ) مع تفسير  
الاستمادة والبسلة •

١٨ - رسالة في تحريم صيام يوم الشك :  
ذكر صاحب ( مشاهير علماء نجد وغيرهم ) ( ٥ ) أنها طبعت في المكتب  
الاسلامي •

ولعله يريد تلك الرسالة والفتوى التي كتبها الشيخ عبدالرحمن في حكم  
صيام يوم الشك وفطر المسافر ، ويبحث بها الى عبيد بن رشيد ، وقد نشرت  
في ( المجموع المفيد من رسائل أهل التوحيد - الطبعة الاولى ، المكتب الاسلامي  
- بيروت ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م ، الجزء الاول : ص ٧ - ١٤ ) •

وقد تكون هذه الرسالة وردت في ( مجموعة الرسائل والمسائل ) ، او في  
( الدرر السنية ) مجزأة •  
ب ) - رسائل لم أطلع عليها :  
١ - الفرق بين الاسلام والايمان :

رسالة موجودة برقم ٨٦/١٨٧ في فهرس مخطوطات مكتبة الرياض  
السعودية ، ولكنني لم أشر عليها في رفوف المكتبة ، ولعلها فقدت لقلة  
العناية •

وقد تكون وردت في الجزء الأول من مجموعة ( الدرر السنية ) كاملة أو مجزأة  
فهناك شيء مما يدخل تحت هذا الموضوع •

٢ - رسالة في معنى الطاعات ، وأنواع العبادات :  
موجودة أيضا في فهرس مخطوطات المكتبة السعودية بالرقم السابق نفسه  
ولم أشر عليها •

٣ - مختصر تفسير ( قل هو الله أحد ) :  
ذكره الشيخ ابن قاسم في ترجمة المؤلف في ( الدرر السنية : ١٢/٦٣ ) ،  
ولم يورده في الجزء الخاص بتفسير القرآن من المجموعة •

٤ - الرد والردع على داود بن جرجيس : ( ٦ )  
ولعله ورد في ( مجموعة الرسائل والمسائل ) ، او ( الدرر السنية ) بغير

هذا العنوان -

٥ - خمس رسائل :

طبعت في القاهرة - المطبعة السلفية ، مع كتاب ( الكلمات النافسة في

المكفرات - للشيخ محمد بن عبد الوهاب ) ( ٧ ) .

لم أتمكن من الاطلاع عليها ، ولعلها هي الرسائل الخمس الموجودة  
في ( مجموعة التوحيد التجديدية ) ، و ( الجامع الفريد ) نفسها والتي فصلنا  
القول فيها .

٦ - اختصر قطعة من المقل والمقل ( ٨ ) .

٧ - شارك عمه الشيخ عبدالله في رده على الزيدية ( ٩ ) .

ج - ( آثاره في ) مجموعة الرسائل والمسائل التجديدية ( :

طبعت هذه المجموعة في مطبعة المنار بالقاهرة على فترات تتراوح بين  
١٣٤٤ - ١٣٤٦ م ( ١٩٢٨ م ) ، في أربعة أجزاء كبيرة .

ج ١ - ١ - ل فهارس وتصويبات ، ٧٦٣ صفحة .

ج ٢ - يحتوي على كتب ورسائل متعددة ، كل قسم فيه مستقل بتقييم  
مفحاته .

ج ٣ - خاص بكتب ورسائل ابن الشيخ عبدالرحمن ( الشيخ عبداللطيف  
ابن عبدالرحمن ) .

ج ٤ - ٢ - ١٤ فهارس ، ٨٧٦ صفحة بما فيه من كتب .

- في مجموعة ( الرسائل والمسائل ) للشيخ عبدالرحمن بن حسن ، ما  
يلي مفصلاً :

( ١ ) الجزء الأول « القسم الثاني » ( ص ٣٢١ - ٥٢٥ ) ، وهو بعنوان  
« رسائل وفتاوى للشيخ عبدالرحمن بن حسن » : ( ص ٣٢١ - ٤٠٧ ) ( ١٠ )  
وهذه الرسائل والفتاوى مع أرقام الصفحات التي تحددها كما يلي : -

١ - رسالة في « النصيحة لله ولرسوله ، وما يجب على من ولاه الله أمر  
الدين والدنيا » ، موجهة الى الامام فيصل بن تركي : « ص ٣٢١-٣٢٥ ) .

٢ - رسالة في « توبيخ الجاهل بأمر التوحيد » موجهة الى الشيخ عثمان  
ابن منصور كتوبيخ له على جهله بالتوحيد وسوء عمله : ( ص ٣٢٥-٣٢٧ ) .

٣ - رسالة في « حكم صوم الثلاثين من شعبان » وغير ذلك من الموضوعات  
موجهة الى عبيد بن رشيد : ( ص ٣٢٧ - ٣٣١ ) .

٤ - رسالة ضافية في « الربا وحكم نقود الجدد الزيوف فيه » :



- ( ص ٣٣١ - ٣٤٢ ) •
- ٥ - رسالة في « بطلان تصرف المرم يمال غيره » موجهة الى أهل العلم والفهم : ( ص ٣٤٢ - ٣٤٣ ) •
- ٦ - رسالة في « أصول فرق المبتدعة والرافضة والزيدية » موجهة الى راشد بن مطر : ( ص ٣٤٤ - ٣٤٧ ) •
- ٧ - رسالة في « شان دجال يأخذ العهد على منح الحيات » الى علي بن حمد الجريوي وأخوانه : ( ص ٣٤٧ - ٣٥٠ ) •
- ٨ - سؤال وجواب « فيمن جعل ميزانين ، أحدهما للقبض ، والثاني للبيع » : ( ص ٣٥٠ - ٣٥١ ) •
- ٩ - مسائل وأجوبة في « قبض دين السلم وغير ذلك » جواب سؤال لعبدالرحمن بن عدوان : ( ص ٣٥١ - ٣٥٣ ) •
- ١٠ - مسائل وأجوبة في « العمرة والحج » : ( ص ٣٥٣ - ٣٥٤ ) •
- ١١ - رسالة في « أركان الحج » موجهة الى صالح بن محمد المشتري : ( ص ٣٥٤ - ٣٥٥ ) •
- ١٢ - رسالة في « اعطاء المرأة حليها لبنتها تحمل به لزوجها ، فلما ماتت الأم ادعت البنت استحقاقها له » موجهة الى الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن : ( ص ٣٥٥ - ٣٥٦ ) •
- ١٣ - جواب « عما ذكر أحدهم من أمر مواريث كانت في الأصل فصارت اليوم في غير يد أهلها يتصرفون فيها تصرف الملاك » : ( ص ٣٥٦ - ٣٥٧ ) •
- ١٤ - أسئلة « بما تخص به بعض الأيام من الصوم والنحر وغير ذلك وجوابها » : ( ص ٣٥٧ - ٣٥٨ ) •
- ١٥ - رسالة في « الطلاق الفاسد والباطل » موجهة للشيخ جهمان بن ناصر : ( ص ٣٥٨ - ٣٦٠ ) •
- ١٦ - رسالة في « الانابة في الحج » موجهة الى حمد بن عبدالله بن عمران : ( ص ٣٦٠ - ٣٦١ ) •
- ١٧ - سؤال وجواب في « حكم تصنيف المهر والطلاق قبل الدخول » : ( ص ٣٦١ - ٣٦٢ ) •
- ١٨ - رسالة هي « نصيحة للمسلمين في مسألة الرهن » : ( ص ٣٦٢ - ٣٦٣ ) •
- ١٩ - مسألة وجواب في « مراعاة شرط الواقف » : ( ص ٣٦٣ ) •
- ٢٠ - مسائل وأجوبة في « النفقة على الأولاد وغير ذلك » ، وفيها أربع

- مسائل ، موجهة الى الشيخ رجب : ( ص ٣٦٤ - ٣٦٥ ) .
- ٢١ - حديث عن « شراء المصوب ، وغير ذلك » : ( ص ٣٦٥ - ٣٦٨ ) .
- ٢٢ - رسالة في « اجارة الشجر مقردا بأصع معلومة ، وبيع الثمر بالستين » موجهة الى الشيخ عبد بن حمد : ( ص ٣٦٨ - ٣٧٠ ) .
- ٢٣ - رسالة « فيما تفضله الحائض في الحج ، وكون السعى لا يصح الا بعد الطواف » موجهة الى فائز بن علي واخوانه : ( ص ٣٧٠ - ٣٧٢ ) .
- ٢٤ - سؤال وجواب « فيمن يقول لمن شرب هنيئا » : ( ص ٣٧٣ ) .
- ٢٥ - رسالة في « الوقف على الذرية » الى سليمان بن عبد الله : ( ص ٣٧٣ - ٣٧٤ ) ، وفيها مسألة ثانية « فيمن غرس أرضا مستأجرة للغراس ومضت مدة الاجازة وجوابها » .
- ٢٦ - سؤال وجواب في « قسمة النخل المشترك الذي طلبه أهله القسمة » : ( ص ٣٧٥ ) .
- ٢٧ - رسالة في « صيام يوم الشك » الى سليمان بن عبد الرحمن بن عثمان : ( ص ٣٧٥ - ٣٧٦ ) .
- ٢٨ - رسالة في « حكم الاستنجاء في البرك ونحوها » : ( ص ٣٧٦ - ٣٧٧ ) .
- ٢٩ - رسالة في « الوقف على الذرية والورثة » الى الشيخ حمد بن مانع : ( ص ٣٧٧ - ٣٧٩ ) .
- ٣٠ - رسالة في « حكم خروج النساء من البيوت بالزينة ، وفروع فقهية أخرى مختلفة » الى علي بن فواز : ( ص ٣٧٩ - ٣٨١ ) .
- ٣١ - رسالة في « قلب الدين على المدين ، وغير ذلك » الى من تصله من الاخوان : ( ص ٣٨١ - ٣٨٣ ) .
- ٣٢ - رسالة في « الجواب عن مسائل أربع : مسألة الاتفاق على زوجة المنقود ، ومسألة المظاهر ، ومسألة الشفعة ، ومسألة هيب الجرب » الى جهمان ابن ناصر : ( ص ٣٨٣ - ٣٨٤ ) .
- ٣٣ - رسالة في « دية المرأة » الى جهمان أيضا : ( ص ٣٨٤ - ٣٨٥ ) .
- ٣٤ - رسالة في « النشوز والتحكيم بين الزوجين » مرسله الى سعيد بن عيسى : ( ص ٣٨٥ - ٣٨٦ ) .
- ٣٥ - رسالة في « مسألة مد عجرة ودرهم » الى صالح بن محمد وأحمد بن عتيق : ( ص ٣٨٦ - ٣٨٧ ) .
- ٣٦ - رسالة في « حكم تعريم الزوجة ، ظهار أم يمين ؟ ومسائل أخرى كثيرة في الدين والرهن والاستتجار والمضاربة والباطل والفاسد عند أهل

- الأصول وغيرها ، مرسله الى جثمان : ( ص ٣٨٧ - ٤٠٣ ) .
- ٣٧ - رسالة في « من نفر من الحج ولم يطف طواف الزيارة والسعى ، موجهة الى عثمان بن عيسى : ( ص ٤٠٣ - ٤٠٤ ) .
- ٣٨ - رسالة في « انكار كون القدرة لا تتعلق الا بما تتعلق به المشيئة » مرسله الى عثمان بن بشر : ( ص ٤٠٤ - ٤٠٥ ) ، وقد أثبتتها ابن بشر في كتابه ( عنوان المجيد : ٢/ ٢٢ ) .
- ٣٩ - مسألة وجواب : « علي طلاق » صريح أم كناية ؟ ومسألة أخرى من رجل أسلم الى آخر في طعام معلوم الى أجل معلوم ثم طلب المستحق من المستحق عليه أن يبيع عليه أرضاً ... الخ : ( ص ٤٠٦ ) .
- ٤٠ - فتوى في « بطلان الوقف على الذكور دون الاناث » : ( ص ٤٠٦ - ٤٠٧ ) ، وأظنها ليست له ، فقد كتب : رأيت في فتاوى الامام عبد الكريم بن زهباد الشافعي - رحمه الله - ما لفظه : ... ( الفتوى ) .
- ثم في ( ص ٤٠٧ ) قول له سجله تحت فتاوى أعماله من مسائل الرضا والعيل المعرمة ، يقرر فيه ما قالوه من عدم التفصيل ، حيث حسموها المادة .
- (ب) الجزء الثاني ، من ( مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ) - الفهرس في أوله مرقم بحروف ، ثم كل كتاب أو قسم منه مستقل بترقيم خاص .
- في هذا الجزء مما يختص بالشيخ عبدالرحمن بن حسن من مؤلفات ما يأتي :
- ١ - كتاب « الايمان ، والرد على أهل البسدة » : ( ص ٢ - ١٣١ - ١٣٨ ص ) ، وهذا الكتاب عبارة عن « مجموعة فوائد تشتمل على شيء من تقريراته - رحمه الله - ، وقد طبع طبعته الأولى سنة ١٣٤٤ هـ ، بمطبعة النار بمصر ، ويقع في ( ١٣٨ صفحة ) .
- وباطلاحي على الكتاب استطعت أن أقسمه الى أربعة أقسام رئيسية تندرج تحتها كثير من الفوائد والمسائل والاجوبة والردود والفتاوى والمعاني والحكم والمواضيع الأخرى المختلفة والمتفرقة .
- ١ - فالقسم الأول ( ص ٢ - ٤١ ) : تحدث فيه عن ست فوائد :
- الاولى : في الاسلام والايمان : ( ص ٢ - ٥ ) .
- الثانية : في كلمة الاخلاص ونفسها : ( ص ٥ - ٧ ) .
- الثالثة : في الذى من مفارقة الجماعة ، كتبها الى من تصل اليه من الاخوان : ( ص ٧ - ٩ ) .
- الرابعة : تتضمن أجوبة من أسئلة متعددة وجهها اليه جثمان بن ناصر عن الفساد الواقع في بعض العقود ، وظهار المملوك ، وبيان أكثر مدة الحمل ،

وحكم الدم المحتقن في جوف الذبيحة ، وحكم ذبيحة الكافر والمرد ، ومن زوجة الكافر اذا مات هل عليها عدة ، وغيرها : ( ص ٩ - ٢٠ ) ثم تأتي اجابته .

الخامسة : في أحكام الحج : ( ص ٢٥ - ٢٦ ) .  
السادسة : في أحكام تحريم الرجل امراته على نفسه ، ومسائل أخرى كثيرة : ( ص ٢٧ - ٤١ ) .

ب - والقسم الثاني ( ص ٤٢ - ٦٣ ) : يتضمن عدة أجوبة حول بعض المسائل ، هي :

- جواب مسألة في الاستدانة الى أجل : ( ص ٤٢ ) .  
- جواب مسألة في تحريم الربا وما يفعل من المعاملات ... الخ : ( ص ٤٣ ) .

- جواب مسألة فيمن اشترى الفلوس أربعة عشر قرطاسا بدرهم ويصرفها ثلاثة عشر بدرهم هل يجوز ؟ : ( ص ٤٤ ) - الجواب في أقل من خمسة أسطر - .

- جواب مسألة في بيع الأكاديس الافرنجية بالدراهم الاسلامية - الخ : ( ص ٤٤ - ٤٧ ) .

- ثم أجوبة على عدة مسائل مختلفة قصيرة ، وفتاوى متعددة مختصرة في أمور كثيرة : ( ص ٤٧ - ٦٢ ) ، وتنتهي هذه المسائل بجواب مسألة فيمن يقول : الخير من الله والشر من أنفسنا : ( ص ٦٢ - ٦٣ ) .

ملحوظة : على هذا القسم من الكتاب نصوص كتب في أولها : « بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين » هذه مسائل نقلها الشيخ حمد ابن ناصر بن عثمان من أجوبة لابن حجر الهيتمي : ( ص ٦٤ - ٩١ ) وهي أسئلة وأجوبة كثيرة في مواضيع متعددة ومختلفة ، لا أعتقد أن للشيخ عبدالرحمن بن حسن صلة بها إلا أن يكون كاتبها وجامعها بين أوراقه والله أعلم ، فقد جاء في آخرها قوله : « والله أعلم ، آخر مسائل ابن حجر - وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم - » .

ج - القسم الثالث ( ص ٩٢ - ١١١ ) : فيه مسائل كثيرة وأجوبتها :  
المسألة الاولى : من قال لمن اشترى بمقبرة : أنا أعطيك مثلها بتسعة ، أو قال لمن باع سلمة بتسعة : عندي فيها عشرة ليفسخ البيع ويعقد معه : ( ص ٩٢ ) .

المسألة الثانية : افتراط المفتري على البائع شرطين كتميل العطب وتكسيه  
( ص ٩٢ - ٩٣ ) •

المسألة الثالثة : اذا اشترى سلعة فوجدها معيبة ولا يعلم زمن عيبها ولا  
بيئته : ( ص ٩٣ - ٩٤ ) •

المسألة الرابعة : معنى بيع الدين بالدين : ( ص ٩٤ ) •

المسألة الخامسة : اذا باع نخلا قد تضيق طلعها ، ولم يشتط المفتري  
الثمرة ، ثم تنازعا بعد ذلك في الثمرة : ( ص ٩٤ - ٩٥ ) •

المسألة السادسة : من أسلم في ثمرة نخل بعينه ست سنين أصبح ذلك أم  
لا ؟ ( ص ٩٥ ) •

المسألة السابعة : اذا سبل في أرض نقدا معلوما ، ثم امتنعت المعاملة به  
ما الحكم في ذلك ؟ ( ص ٩٥ - ٩٦ ) •

المسألة الثامنة : اذا اختلف الراهن والمرتهن في قدر الدين ... :  
( ص ٩٦ - ٩٧ ) •

المسألة التاسعة : في ضمان المجهول ، كمن ضمن على انسان دينا لا يعلم  
قدره ثم علم ذلك : ( ص ٩٧ ) •

المسألة العاشرة : من وكل رجلا في بيع سلعة بمشرة فباعها بثمانية ، ووكله  
في شراء سلعة بثمانية فاشتراها بمشرة ما الحكم في ذلك : ( ص ٩٧ - ٩٨ ) •  
المسألة الحادية عشر : اذا دفع الى انسان مالا مضاربة فاضطرر لأحدهما  
ثلث الربع ، وللآخر الثلثين ، ثم اختلف العامل ورب المال فيمن له الثلث  
ولا بيئة لهما : ( ص ٩٨ - ٩٩ ) •

المسألة الثانية عشر : اذا أعطى ثوبه خياطة بلا عقد ، ثم اختلفا في قدر  
الاجرة : ( ص ٩٩ ) •

المسألة الثالثة عشر : اذا اختلف المير والمستعير في الدابة بعد مضي المدة  
فقال المالك : أجزتك ، وقال الآخر : أجزتني ، ولا بيئة لهما : ( ص ٩٩ -  
١٠٠ ) •

المسألة الرابعة عشر : اذا استولى على أرض فصنبت وبني فيها وهرس ،  
ثم نازع المصوب منه الفاصب بالقلع وأرض نقصها والتسوية والأجرة :  
( ص ١٠٠ - ١٠١ ) •

المسألة الخامسة عشر : اذا فضل بعض أولاده بمطية مال فمات قبل الواساة  
فالكلام في هذه المسألة في مقامين : ( الأول : ص ١٠١ - ١٠٣ ، والثاني :  
ص ١٠٣ - ١٠٤ ) •

المسائل ١٦ . ١٧ . ١٨ . ١٩ : مسائل في الرضاعة ( كلهن حلال ) :  
ص ( ١٠٤ ) .

المسألة العشرون : شهادة الأخ لأخيه ( هي جائزة ) : ( ص ١٠٤ - ١٠٥ ) .  
المسألة الحادية والعشرون : شهادة الوالد على ابنه وابن ابنه ( هي  
مقبولة ) : ( ص ١٠٥ ) .

المسألة الثانية والعشرون : الشهادة بالاستفاضة والشبهة : ( ص ١٠٥ -  
١٠٦ ) .

— ثم تأتي في الصفحات التالية فائدتان : —

١ — فائدة في قضاء رمضان وغيره : ( ص ١٠٦ - ١٠٨ ) .

٢ — فائدة في الإقامة أثناء السفر ، وقصر الصلاة ، وغير ذلك : ( ص ١٠٨ -  
١١١ ) .

ملحوظة : يلي ذلك ما أوله : « بسم الله الرحمن الرحيم ، أجوبة من حسن  
ابن حسين الى الاخ عبدالله وفقه الله تعالى » : ( ص ١١٢ - ١١٧ ) .

ثم فائدة : قال الامام القرطبي في شرح مسلم : ( ص ١١٧ ) .

ثم جواب من الشيخ عبدالله بن محمد على مسألتين : ( ص ١١٨ ) .

ثم أقوال أخرى ، كتب في نهايتها : « من كلام الشيخ عبدالرحمن بن حسن  
بقلم الفقير ... عبدالله بن عبدالرحمن بن عبداللطيف ... » : ( ص ١١٩ )  
د — القسم الرابع : ( ص ١٢٠ - ١٣١ ) يحتوي على أسئلة وأجوبتها  
على النحو التالي :

١ — سؤال أول : ما قول العلماء الأعلام أئمة الاسلام فيمن يقول ( لا اله  
الا الله ) ويدعو غير الله هل يحرم ماله ودمه بمجرد قولها أم لا ؟ : ( الجواب  
في ص ٢٠ - ١٢٢ ) .

٢ — سؤال ثاني : من تقبيل يد السادة المنسوبين لأهل البيت هل يجوز  
أم لا ؟ : ( الجواب في ص ١٢٢ - ١٢٣ ) .

٣ — سؤال ثالث : من يصلي على النبي - صلى الله عليه وسلم - ويترضى  
عن الصحابة ( رضى الله عنهم ) جهرا والامام يخطب يوم الجمعة : ( الجواب  
في ص ١٢٣ - ١٢٤ ) .

— وقد كتب في آخر ذلك ( ص ١٢٤ ) : « أملاء الشيخ عبدالرحمن بن  
حسن بن محمد بن عبدالوهاب » .

وقد فرغ من تصحيح هذه النسخة يوم الاربعاء في ١٦ / شهر ربيع الثاني /  
سنة ١٣٣٣ هـ .

٤ - ثم في ( ص ١٢٥ - ١٣١ ) : أجوبة من عبدالرحمن بن حسن لما سأل عنه عبدالرحمن بن محمد القاضي ، وهي أسئلة مختلفة في أمور وقضايا متعددة .

ملحوظة : يلي ذلك وفي نهاية هذا الكتاب رسالة لحفيد المؤلف الشيخ محمد ابن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن : ( ص ١٣٢ - ١٣٨ ) .

- ( ١ ) لعله : حديثي هو .
- ( ٢ ) مشاهير علماء نجد وغيرهم - للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ : ص ٦٧
- ( ٣ ) علماء الدعوة : للشيخ عبد الرحمن آل الشيخ : ص ٤٤ .
- ( ٤ ) في مجموعة الرسائل والمسائل ( ٣١٩/٤ ) : عبد الحمود .
- ( ٥ ) مشاهير علماء نجد وغيرهم للشيخ عبد الرحمن آل الشيخ : ص ٦٧ .
- ( ٦ ) انظر الدور الستية : ٦٣/١٢ ، ومشاهير علماء نجد : ص ٦٢ .
- ( ٧ ) مجلة العرب : ٤٥١/٧ .
- ( ٨ ) انظر الدور الستية : ٦٣/١٢ .
- ( ٩ ) انظر السابق - الصفحة نفسها ) .
- ( ١٠ ) هذا الترتيب بالنسبة لصفحات المجلد يكامله .



عِلْمَهُ  
وخصائصه  
وحياته

البحر

أَهْلُ الْبَادِيَةِ  
نَارُهُمْ لَا تَمُوتُ

بقلم الأستاذ

محمد حسين زيدان



الكلمة من البدو ، عن البادية والعلم لا أريدها ان تقتصر على ما هو واقع الآن من انتشار التعليم فيهم ، ولا أريدها آمنيات أو اقتراحات عما نريده جميعا لهم .

أريد أن أتوسع في شرح نعرف منه هذا « القبيل » من الأمة العربية ، عمر جزيرة العرب في حجازها ، ونجدها ، وتهائمها . فمن هم العرب ؟ هل نختصر الكلام فنقول التعريف السائد : هم البائدة ، العاربة ، المستعربة ؟ ان هذا التعريف لا يكفى لأنه يعرب عن نهاية التكوين للأمة العربية ، أما البداية التي تثبت عراقة هؤلاء البدو ورسخت اقدامهم في أغوار التاريخ البعيد ، فينبغي أن نستعيرها مقتبسين من عباس محمود العقاد ومن كتابه « اثر العرب في الحضارة الأوروبية » . ننقل فاتحة الكتاب بعنوانه ونصه - من هم العرب ؟ « هم أمة اقدم من اسمها الذي تعرف به اليوم ، لأنها على أرجح الأقوال أرومة الجنس السامي الذي تفرع منه الكلدانيون والآشوريون والكنعانيون والعبرانيون وسائر الأمم السامية التي سكنت بين النهرين وفلسطين وما يحيط بفلسطين من بادية وحاضرة ، وقد تتصل بها الأمة الحبشية بصلة النسب القديم مع اختلاط بين الساميين والحاميين .



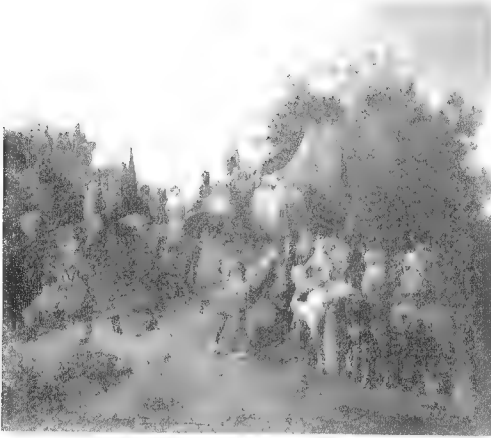
فهذه الأمم كلها تتكلم بفرع من فروع لغة واحدة هي أصل اللغات السامية ، ويدل على تلك اللغة اشتراك فروعها في بنية الفعل الثلاثي الذي انفردت به بين لغات العالم بأسره . وتشابه الضمائر والمفردات في ملامح الوجوه ، وخصائص الأجسام قبل أن يكثر التزاوج بينها وبين جيرانها من الأمم الآسيوية أو الأفريقية .

وإذا كان لهذه الأمم جميعا أصل واحد . فأرجح الأقوال وأدناها الى التصور أن يرجع هذا الأصل الى الجزيرة العربية لأسباب كثيرة منها :

١ - ان التحول من معيشة الرعاة الى معيشة الحرث والزرع والاقامة في المدن طور من أطوار التاريخ ، وليس من أطواره الممهودة أن يتحول الناس الى معيشة الرعاة الرحل في بوادي الصحراء بعد الاقامة في الحواضر والبقاع المزروعة .

٢ - ومنها أن الجزيرة العربية - في عزلتها المعروفة - أشبه المواقع بالمحافظة على أصل قديم ، وهي كذلك أشبه المواقع أن تضيق فيها موارد الغذاء على سكانها فيهجرونها الى أودية الأنهار القريبة .

٣ - ومنها أن اتجاه الهجرة من ناحية البحرين وناحية الحجاز متواتر في الأزمنة التاريخية القريبة والبعيدة ، وأقربها ما حدث بعد الاسلام في وقت واحد ، في زحف العرب على العراق ، وزحفهم على الشام ، في عهد الخليفة الصديق ، وليس لدينا ما يمنع أن يكون التاريخ الحديث دليلا على التاريخ القديم . ولا سيما اذا خلا التاريخ كل الخلو من رواية يقينية أو ظنية توميء الى هجرة النهرين وسكان الأودية الى الجزيرة العربية في زمن بعيد ، أو قريب ، فان السومريين ، سكان ما بين النهرين الأقدمين ، كانوا هناك قبل عشر آلاف سنة ، ولم يصل إلينا قط خبر عن هجرتهم الى مكان في الجزيرة العربية ، كائن ما كان موقعه من تلك البلاد . بل ثبت على التحقيق أن الساميين هم الذين هجروا مواطنهم الى ما بين النهرين حيث قامت العواصم التي تسمى بالاسماء السامية كمدينة بابل ( باب الله ) أو ( باب ايل ) . أما الرأي الآخر الذي يرجح أن الأمم السامية نشأت في بقعة من الأرض غير الجزيرة العربية ، فاشهر القائلين به هو الاستاذ جويدي الكبير العالم الإيطالي المعروف في القاهرة ، وأقوى الحجج التي يستند اليها مستمدة من مضاهاة اللغات السامية وكثرة أسسماء النبات والامواء في لهجاتها الأولى ، وعنده أن اشتراك اللغات السامية في هذه المفردات يدل على أرومة نشأت في بلاد مخصبة كثيرة الزرع والأنهار ولم تنشأ في صحراء



العرب ، وما شابهها من البقاع •

وهذا الرأي ضعيف لا يقوم بالمجعة النامضة ، ولا تؤيده حالة الجزيرة العربية قبل الكشف الحديثة بزمن طويل ، فضلا عن حالة الجزيرة التي تدل عليها تلك الكشوف في طبقات الأرض وعوارض الجو وعلم الأجناس •

فالمرج الفخام ، والبقاع الخصبة ، لم تكن مجهولة قط في جنوب الجزيرة ، ولا في جوانبها الشرقية الشمالية عند البحرين ووادي اليمامة ، وهي البقاع التي مر بها المهاجرون من قديم الزمن ، تارة من اليمن الى البحرين ، بداءة الى ما وراءها من مشارف الشمالية ولم تزل بقاع اليمامة الى ما بعد الاملاط مشهورة بالمرامي الواسعة والعيون الثرارة والأمطار الغزيرة والمرج المشبية التي تغلفت مما هو أخصب منها وأمرس بالانسان والحيوان في أقدم الأزمان . وقد لاحظ الرحالة الألماني شوينفرت أن القمح والقمير والجاموس والمز والضأن والماشية وجدت في حالتها الأبدية في اليمن وبلاد العرب القديمة قبل أن تستأنس في مصر والعراق .

وتبين من الكشف العلمية في المهبط الأخير أن الجزيرة العربية تعرضت لأدوار الجفاف وطوارئ الزلازل ، منذ حصول موجة في القدم ، فكان القفر فيها يجور على الخصب في أدوار طويلة بعد أدوار أخرى على التدريج ، قبل أن تجور الصحراء على معظمها في عصور التاريخ .

فحالة الجزيرة العربية كافية لتفسير التشابه بين لغات الساميين في الفاظ الخصب والثمرات والأمواء . ولكن الرأي الآخر - رأي الاستاذ جويدي - لا يفسر لنا الفرض القائل بهجرة العرب مثلاً مما بين النهرين ، أو من الشام ، الى قفار الصحراء ، وهو فرض لا دليل عليه من الروايات القديمة ولا من الأحوال المرجحة على حسب التقدير المقبول ، ولا من السوابق المألوفة كما رأينا الأمثلة جليها من التاريخ الحديث .

وعلى هذا يصح أن نعتبر أن سلالة العرب الناشئين في جزيرتهم الأولى قد سكنت أواسط العالم الممور منذ خمسة آلاف سنة على أقل تقدير ، وإن كل ما استفاده الأوروبيون من هذه البقاع في هذه العصور ، هو تراث عربي ، أو تراث انتشر في العالم بعد امتزاج العرب بأبناس تلك البلاد .

وليس هذا التراث بقليل ، لأنه يشتمل على كل أصل عريق ، عند الأوروبيين في شؤون العقل والروح وأسباب المماراة والحضارة هي :

- ١ - العقائد السماوية .
  - ٢ - آداب الحياة والسلوك .
  - ٣ - فنون التدوين والتعليم .
  - ٤ - صناعات السلم والحرب وتبادل الخبرات والثمرات ، .
- انتهى كلام العقاد ، وليس هذا حشواً مني أن أنقله ، وإنما هو

التعريف بهذا البدوي أريد له العلم . فلتن كان العرق العربي قد انتشر في المصور السحيقة من هذه الجزيرة ، من جنوبها ووسطها ، ومن يمنها عن طريق بحرينها ، ومن تهامتها عن طريق البحر يتجه شرق الى شمال ، ويتجه غربا الى شمال ، فان هذا البدوي بإسلامه ، بلغته ، قد انتشر فاتحا في أول الأمر ، ناشرا للإسلام ، وقد انتشر ثانيا بـهجرة عربية عريت شمال افريقيا كله ، ورسخت المروبة في مصر ، ليرجع دعاة الفرعونية الى أصل عربي حتى بفرعونيتهم .



هذا البدوي هو العربي في أحراقه حضارة ، في دماثة علم ، في قلبه عقيدة ، لم يمش يوما واحدا دون عقيدة . صابئيا ، عابد كوكب ، ابراهيميا حنيفيا ، مشركا عابد صنم ، مسلما موحدنا يالله ، لم يتقبل هذا كله الضال والهادي الا بقلب حضاري رغم هذه البداوة فيه ، تكلموا معه الآن ، لتتعلموا منه اللغة . ليست المقررات فحسب ، وانما الأسلوب ، الأسلوب

النصييح ، الراقص ، المهندس •

الجزيرة العربية ، مهد العرب ، لم تكن في الماضي السحيق كما لمع اليه  
المقاد صحراء جديدها ، فهم كنسل سام عاشوا في الجزيرة العصر المطير ،  
فلا يعني وجود النهر في العراق أو النهر في الشام انهم نشأوا هناك ، لأن  
في لغتهم الزراع ، لقد نشأوا في أرض مرعة ، مزهرة ، فيها حيوان الغاب  
وصفوه الوصف الدقيق ، سموه الأسماء المائة ، لو لم يعرفوه ، لو لم  
يماشروه ، لما سموه ولما وصفوه •

ليزر واحد منكم « عشة » في جيزان ، فانه سيجفل حينما يدخل  
الحوش ، فيه البقرة ، فيه رائحة الروث ، ولكنه حينما يدخل « العشة »  
يجدها النظيفة • يجدها « مدوكة » فيها حلية ، أخذت تشكل ديكورا •  
طار معلق ، عود ، صحن ، صورة ، هذه الميزات التي تمنى « العشة »  
تضع فيها الزينة لا شك أنها وان تبدت اليوم فان في قلبها حضارة •  
لو شاهدتم ما يصنعون من زهر « الفل » لمحبتم من الذوق الحضاري ،  
أساور ، تيجان ، عقود ، وري • أنها لجمعية تنبئ عن حضارة ! •

## ● ● البدوي هنا وهناك

البداوة لديكم ظاهرة ، تشعرون بها من عدم الامتزاج بين المدينة  
والقرية ، بين من يزعم أنه حضري وبين من هو بدوي ، ولكنها في لبنان  
مثلا متدمجة ، فالقيمة للبناني انه متحضر الى حد بعيد ، وفي الوقت نفسه  
بدوي الى حد بعيد ، ومثله السوري تقريبا • ومثله الجزائري والمغربي •  
كل هؤلاء من أصل بدوي ، من هنا لا يشعر بدوي في غربة من حضري هناك  
أما لدينا ، فالبدوي لا يزال يشمر ببعض الغربة ان غفت حدتها الآن  
بوحدة الكيان الكبير ، بالرعاية الكاملة بالمواصلات السريعة ، فانها كانت  
من قبل حادة الى درجة الانفصال •

ليس هؤلاء البدو الذين ترون جماعة من الناس يحسبون في البدائيين ،  
ليست البداوة لدينا تمثل البدائية • البدو لدينا متدمج حضارة يمثلون  
جزءا من شعب ، جزءا من أمة ، الأمة العربية ، ذات الحضارة العريقة •

فلنتفق أولا على الحضارة • هل هي استعمال أم طبيعة ؟ ان كانت هي  
الاستعمال فهذا البهرج من أدوات المدينة • أو هذا الانتاج له ، والتعامل  
معه صناعة وبيعا وشراء واستهلاكنا فكلنا من حضري في المدينة ، أو بدوي  
في الصحراء كلنا شعب بدوي • وان كانت الحضارة استعدادا وطبيعة وفكرا

وثقافة فليس هذا البدوي بالإنسان البدائي ، وإنما هو إنسان متحضر لديه الاستعداد لأن يتعلم . لقد نجسوا في المدارس ، وفي الجامعات بصورة راثمة ، فأكثرت العشرة الأوائل منهم ، لقد نجح من نزع منهم إلى المدينة : مهندس تلفونات ، سائق دكتور ، مهندس كهرباء ، مهندس سيارات ، وما إلى ذلك ، أما الطبيعة طبيعته فليس المظهر الذي ترون من خشونة اللبس والمأكول ، إلا شيئاً عارضاً لموايل أخرى كالجذب ، كالبعد ، كعدم الرعاية ، أما وقد بدأ يزول كل ذلك حيث يجد البدوي ما يفتنيه من الكلا ، وما يقربه إلى المدينة ، وما يحوطه بالرعاية ، فإنكم ترون الرقة وحسن السلوك والفهم والرفاه . ويفسر ذلك موقف علي بن المهجم .

والفكر ما دليله ؟ ما انتاجه ؟ ليس في هذا الشعر ، في الكلمة الشاعرة ، في اللغة الشاعرة ؟ والثقافة ؟ أنا معكم أن البدوي غير متعلم ، وأرجو أن تكونوا معي تعترفون بأنه المثقف - البدوي والبدوية - كل منهما مثقف ، يعرف ما حواله ، ينسج بيته في الشعر ، من الغزل ، من خدمة الصوف ينسج العبايات « البتية » . والبدوي ينسج المصانيف ، يدبغ الجلد ، يصنع منه السمن ، القرية ، النرب ، القلص ، الحوض ، الأحذية ، وقد لا يعرف أن يطيب نفسه ، ولكنه طيب ماهر لماشيته ، ثقف الخيل ، ذلل الجمال ، حسف الحمير ، رعي الشياه . وأكثر من ذلك ، لديه ثقافة زراعية ممتازة . يعرف أوان ما يزرع ، وكيف يزرع ، وماذا يزرع سواء كان ما يزرعه حثريا أو مسبقويا ، مارس الطب بالكفي ، الملمام ، كل الفرق أنه بعد عن المدينة ، وتباعدت المدينة عنه .

### ● ● مصدر علم

لقد كان هذا البدوي مصدر العلم ، علم اللغة ، كل أئمتنا الرواد جمعوا اللغة ألفاظاً تلتقونها عن البادية . كان الامام أبو عمرو بن العلاء ، أحد الأئمة القراء السبعة ، شيخ الأئمة في البصرة ، جالسا وبين يديه طلاب العلم فسأله أحدهم : مم اشتق اسم الخيل ؟ فقال : لا أدري ، انتظروا قليلا . وبينما هم ينتظرون طلع عليهم اعرابي من هؤلاء الذين يزحفون إلى العراق من نجد فاستوقفه الامام يسأله : مم اشتق اسم الخيل ؟ ولم يقف الاعرابي ، شخض بأنفه ، وقال لهم وهو يسير : من السر . ولم يفهم الطلاب ، فقال لهم أبو عمرو بن العلاء : أهتمم ؟ قالوا : ما فهمنا شيئا . قال الامام : لقد اشتق اسم الخيل من سرها ، من الخيلاء . إلا ترونها تمشي العرضة تيهيا وخيلاء ؟ هم بكل ذلك ، بكل زحف ، حملوا مشاعر العلم والمعرفة حينما

وجدوا من يلتقط العلم والمعرفة ، وليست الثقافة أو المعلم أو المعرفة  
أمنالا واكداسا .

لم يكن هذا مقصورا على العصر الأول - أنه في هذه الأيام ، ولكن  
الذاهبين الى البادية ليتعلموا اللغة لا يجدون - أنا المائل أمامكم ما كنت  
أعرف ذلك قبل أن أصطدم به .

خذوا ألفاظا تعلمتها من بعض البادية . كنت بعد ظاهرة أجلس في  
« مقعد » في « القراءة » فإذا بيدوي هزلي يقف علينا ويقول - مسترفدا  
لنا - فالبيدوي من كبر نفسه لا يسمي هذا الاستعطاء تسولا وإنما يسميه  
« رفدا » - رقت مشاهره ، فرقت ألفاظه ، قال هذا البيدوي وهو يسترشد ،  
أو على حد تعبيركم « يتسول » : « ثوبي تهتر يا ولد » - وسرقتني كلمة  
« تهتر » فأنا المتعلم ، الاستاذ كما تسموني ، لا أعرف إلا أن المهاترة هي  
ترديد الكلام ، تشقيقه ، ورجعت الى « اللسان » فإذا بي أجد « تهتر » في  
الأصل تعني « تمزق » - كان هذا البيدوي أستاذي في هذه الكلمة ، هو  
مثقف بطبيعته ، وأنا متعلم منه !

وبيدوي من حضرموت ، كان سائق سيارة عتدي وصف شارع علي بن  
أبي طالب كرم الله وجهه فقال : « هذا شارع نفيس » وقلت أي نفاسة في هذا  
الشارع ؟ فقد تبادل الى فهمي أن النفيس بمعنى الفالي الثمن ، النادر  
وسألته : ماذا تعني بكلمة نفيس ؟ فقال : الواسع - وعرفتها في الحال -  
كانما هي الأصل النفيس يعني الواسع ، حيث جاء منه النفس ، المتنفس ،  
النفاس ، النفس ، وبيدوي آخر من بدو حضرموت قلت له - وهو سائق  
سيارتي أيضا : لماذا لم تأكل البيض ؟ قال ان البيض رث لا أستطيع أن  
أكله ، وسألته : ماذا يعني بالرث ، نحن المتعلمين نعرف أن الرث هو  
البالي ، القديم ، أما أنه الفاسد المتفنن ، فهذا شيء جديد علي أحسب أنه  
الأصل في الكلمة « رث » .

## ● ● صبر البيدوي

من عجيب أمر هؤلاء أنهم قد أودع الله فيهم قوة صبروا فيها على كل  
المهلكات ، ليمدوا الأمة العربية بمدد زاهر يمتد ويمتد ، أي قدرة في هذا  
البيت الضمر على أن يصبر هذا الصبر ، المرض ، بجميع أنواعه ، القحط ،  
الفقر ، القتل ، الإهمال ، كل هذه عوامل مبيدة عاش رغمها هذا البيدوي  
بمد الأمة العربية في جميع أقطارها ، بما ملأ هذه الأقطار .



ان الفتح الأول لم يرسخ العروبة في مصر ، وفي ليبيا ، وفي تونس  
وفي الجزائر ، انما الذي رستها وقضى على ماعداها هو زحف هذا البدو .  
« جهنيا يشكل دولة في جنوب مصر وشمال السودان . هلاليا ، حامريا ،  
سلييميا ، يتسلع صعيد مصر ، ليكون هربيا ، يهضم ليبيا لتكون

العربية ، يطعن الأعاجم والأعجمية في تونس والجزائر ليجد الرديف قبله في  
المغرب وموريتانيا ، يتصافح معه ، بيد عربية - بسماحة عربية ، بلسان  
عربي مبين ، يتوج بالاسلام .

ولقد أنصفنا هذا البربري الصنهاجي صاحب اللسان العربي زهير  
الاسلام في الجزائر عبد الحميد بن باديس يرحمه الله ، قالها كلمة وهو سليل  
الملوك الذين سلب ملكهم بنو هلال ، قال بانصاف يصف بني هلال : لئن قيل  
أنهم خربوا ، فقولوا لهم أنهم هربوا . وكان عمر بن الخطاب ينظر بعين  
الغيب . كانه ينظر الى انتشار أمته هذا الانتشار . قالها وهو المحدث ،  
قالها عبقرى هذه الأمة ، قالها في عام الرمادة وقد أجدهت الأرض ، وأمسكت  
السمام فجاء هؤلاء البدو الى المدينة يلجأون اليه ، لم يتركهم . حاشمهم  
عاش معهم ، لم يطعم في بيته طعام ، ما أكل سمنا ولا زبدا ، ما دس في قمر  
داره عيشا ناعما ، بل كان يأكل معهم زيتا وخبز شعير ، صبر عليهم وصبر  
من أجلهم ، كتب الى ولاته يطلبهم المدد عيشا لهؤلاء ، كتب الى عمرو  
ابن العاص وهو في مصر يقول له : من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الى  
عمرو بن العاص يا لكع بن لكع ، لا تبالي أن تعيش أنت ومن معك لأهلك  
أنا ومن معي . فكتب اليه عمرو بن العاص : لبيك ثم لبيك ، هذه العير  
أولها عندك وآخرها عندي ، واكل هؤلاء اكل قوم عمر ، أمة محمد ، قالها  
عمر وهو يستفيث الله ، كتب على نفسه الرحمة ، قال وهو يستفيث : اللهم  
لا تجعل هلاك أمة محمد على يدي .

## ● ● ورثة حضارة

البدو سكان الجزيرة ، ورثوا تراث حضارة من قديم القديم ، انظروا  
الى آثارها الآن ان لم تتضح ، فستحمل لكم الكشوف الأثرية هذا العجيب  
العجيب وكما هم ورثة حضارة ، رواد حضارة ، مؤسسو عمران ، منظمو  
دول ، أفلا ينبغي لنا أن نلتفت اليهم ؟ ان هذه الوحدة في الكيان الكبير كله  
لا أحسبها الا ارماسا لعمل كبير تأتي به هذه الأمة من بدوها وحاضرتها ،  
اذا ما تم الاعداد توجيهها وإرشادها وتعليمها .

ان الدولة في شخص كل وزارة : المعارف والصحة والزراعة والمواصلات والشؤون الاجتماعية ، تسير سيرا حثيثا في تعليم الشعب ، في تعليم البادية ، ولكن رغم انتشار هذه المدارس وتحديد المناهج فاني أرجو من وزارة الشؤون الاجتماعية ووزارة الصحة ووزارة المعارف أن تتفق على تنسيق العمل بينها .

ان بعض هؤلاء يحتاج الى كساء ، ثوبين في الصيف ، وجاكته أو بالطو في الشتاء تصرف لكل تلميذ ، رعاية لصحته ، اغراء له ولأمثاله بالدوام على الدراسة ، ان هذا لا يكلف كثيرا ، وشيء من التمر أو العسل ، في الصباح يعطي لهذا الطالب ، يشتره ليتفدى به ، عشر تمرات أو قطعة من العجوة ، ان لم يكن العسل ، يأكلها ، هذا الطالب يتفدى به . ان كوبا من العسل أو عشر تمرات صناديق مقاومة ضيف الغداء ، وضحه حافظ عفيفي يرحمه الله في كتابه « على هامش السياسة » كمخطط لتغذية أبناء الريف لمقاومة السبل ، كوب العسل ، بضع تمرات ، حفنة فول سوداني . الفول السوداني لا لزوم له عندنا فالتمر متوفر وهو يفني عنه ا

وشيء آخر ألفت اليه نظر وزارة المعارف ، فاني أرجو التقليل من ضخامة بنام المدارس في القرى . ان أبناء مدرسة فاخرة في قرية كل بيوتها من اللبن ، أو بيوت الشعر ، أمر يضر بالتلميذ ، أقل اضراره كراهيته لبيته . حتى اذا كبر ترك قريته وطلب المدينة التي فيها هذا البيت الكبير . ان مدارس في « رابغ » بنيت حديثا أحسن بكثير من بعض المدارس التي بنيت في مدن كبيرة . وحبذا أن يكون البناء قويا ونظيفا لا بهرج فيه ولا زينة ولا غير ذلك . القصد منه عدم وجسود الفوارق بين بيت الطالب وبدرسته . وأعني بالفوارق : الفوارق الكبيرة .

هناك نوع من التصرف الحضاري سبقت به الأمة العربية كل الأمم ، وأعني به عملية الهضم ، هضم كل من عايشهم وساكنهم ، هضمت القبطانية المدنانية ، وهضم العرب الموالي والخلفاء . كل من ساكن قبيلة وعاشها صار منها . هذه العملية لا تتأتى الا لفكر حضاري ونفس متحضرة . والأمثلة على ذلك كثيرة ، فالعرب سبقوا فيها الولايات المتحدة تهضم كل المهاجرين ، والعرب هضموا كل المتعاشين معهم والمساكنين لهم . ومن الأمثلة على ذلك : لا ينبغي أن ننسى السكان في السودان يتبعون تقاليد عربية ليست غريبة علينا حتى في هذا « الجمل » اتخذته قبيلة الجعليين . تدخل كل عربي فيها ( قد جملناكم منا ) .

فليس هذا بعدما جاءت به قبيلة في السودان ، بل هو الأصل في الأمة العربية : هضم قطعانها عدنانيتها • فابتلع عدنانيتها جرمها ، حتى صار السيد فيها لغة وقيمة وقيادة وتحقيق هذا في جامعية جهلاء •

وبعد اسلام وبالإسلام ( الولاء لمن اعتق ) و ( مولى القوم منهم ) والدم الدم • والهدم الهدم • يشمل المولى والحليف والأصيل •

ولقد كان بلال جميعا قبل أن يعتقه أبو بكر فصار تيميا بعدما أعتقه ( سلمان منا أهل البيت ) تفعل هذا العربية في كل حين • جعلت من أبي حنيفة والحسن البصري والبخاري • • الأئمة في اسلامها كالأئمة في أعرافها ، وجعلت من سيبويه مهندس نعرها وقانون لفتها ، وجعلت من الجرجاني والزمخشري والتفتازاني المهندسين لبنائها • ومن الجاحظ وابن المقفع المقاييس للكاتب المبين ، وجعلت من أبي نواس وبشار ومهيار وابن الرومي المزخرفين لشعرها ، والزينة الحلوة في لفتها الشاهرة ، وجعلت وجعلت • • جعلت من شوقي أمير شعرائها ، وستجمل وستجمل ، مادام هذا القول قائم فيها : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له حافظون » • وستجمل مادام هذا الأثر الكريم يروى عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم « ليست العربية بأم أحدكم ولا بأبيه • • كل من تكلم العربية فهو عربي » •

اتنا ، حينما معني بالبادية انما نمر أرضنا ، نصور أنفسنا ، فهم الأكثرية فينا ، والممول عليهم في بناء مائتنا • وللملك تعرفون أكثر مني أن وحدة المشاعر كوحدة القبيلة ، كوحدة الأرض ، فيهم صنع لنا الشيء الكثير ، وقد يشعر أي حضري أنه غريب في مدينة أخرى يذهب إليها • أما هذا البدوي فإنه لا يشعر بغربة حيث رحل في هذه الجزيرة • فلا الدوسري يشعر بغربة عند الجهني ، ولا المعجمي يشعر بغربة عند الحربي ، ولا الفاندي يشعر بغربة عند الدوسري •



هذا البحث يعرض لنقاش ودراسة أمور ثلاثة : مشاكل تعريف النظرية كوسيلة من وسائل التفسير العلمي ، مسلكا التفسير العلمي المسلك الاستقرائي والمسلك الاستنتاجي ودور كل منهما في الوصول إلى الحقيقة وتفسيرها ، وأخيرا دراسة مقارنة لبعض الطرق النظرية التي تستخدم لتفسير وشرح الوقائع . وهذا العرض لا يجب أن ينظر إليه على أساس أنه تخطيط مفصل للطرق العلمية . لأن أي نظري theorist التي يتبعها لفرض تكوين فرضية ، ثم الطريقة التي يستخدمها لتجميع وسائل التأييد لما يتوصل إليه ، وأخيرا الطريقة التي بواسطتها يقدم ما توصل إليه من نتائج .

# مشاكل تكوين النظرية العلمية

بقلم : الدكتور عبد العزيز عبد اللطيف آل الشيخ  
مسم الجغرافيا - جامعة الرياض

تستعمل كلمة « نظرية » في المادة لتعني أشياء جديدة . فمن الممكن أنها تعني : أفكار غامضة ، أو افتراضات عن ما يرغب بالنسبة للسلوك الاجتماعي مثلاً ، أو أية فرضية غير مختبرة . أو كما يذكر Harvey « أي تخيل تأملي قد يعتبر لذلك نظرية من نوع ما » (١) ولكن ما يهمنا هو النظرية العلمية والتي من الممكن أن تعتبر كمجموعة من الجمل المؤلفة من مفردات vocabulary وعبارات sentences وقواعد rules ونص أو متن text .

هناك تعريفات كثيرة للنظرية . ونستعرض هذه التعريفات لغرض المقارنة : تعني النظرية عند البعض مجموعة من الافتراضات (٢) . النظرية بالنسبة لـ Blalock هي عبارة عن فرضيات لها الطابع القانوني . وهذه الفرضيات لا بد أن تربط بالأفكار مجردة concepts أو متغيرات . أو بمعنى آخر حسب رأي Blalock هي عبارة عن نظام معقد أو ترتيب يشبه بيت المنكبوت (٣) . أما النظرية بالنسبة لكل من Reynolds و Stinchcombe فهي

ببساطة عبارة عن جملة نظرية theoretical statement (٤) . وقد تعتبر النظرية العلمية ممثلة لبناء ذي مقياس أو وحدة قائمة بذاتها . ومن أجل أن تأخذ نظرية ما الصبغة العلمية ، يجب من ناحية مبدئية أن يتم تقديمها على هذا الأساس من البناء . لا بد وأن يخضع النظرية العلمية لشروط معينة لكي تسمى بهذا الاسم . هنالك على الأقل أربع أسس يجب وضعها في الذهن : لا بد وأن تكون النظرية متطورة لكي يكون لها فائدة ، كذلك لا بد وأن يخضع النظرية العلمية للتجربة الواقعية ، كذلك لا بد وأن تحتوي على منطق داخلي وأن تكون غير متناقضة ، وأخيراً يجب ألا تكون النظرية فكرة متطرفة في التجرد ولا ملاقة لها بالواقع (٥) . ومن ضمن الشروط الأخرى للنظرية العلمية أن تكون قابلة للنقض

أو الدحض falsifiability . ولكي تكون نظرية ما قابلة للنقض لا بد وأن يمين نوع العلاقات - الموجودة بين سوابقها antecedents ولواحقها Consequent clauses مثلاً جملة مثل « أ تنتج ب » ، « أ تسبب ب » ، « أ مربوطة ب » ، « أ لها علاقة ب » ، « وما إلى ذلك » . مثل هذه الجمل من الصعب دحضها لعدم وجود ذكر في هذه الجمل هل أ هي شرط ضروري لـ ب أو هل أ هي شرط كافٍ لـ ب أو هل أ و ب شرط ازدهاري ؟

وفيما يتعلق بالنظرية وصلتها بالتفسير العلمي يذكر Zetterberg أن « البحث عن التفسير أو الفرح هو بحث عن نظرية » (٦) . وكما ذكر سابقا أن أي خيال تأملي قد يعتبر نظرية من نوع ما . ولكن يجب أن نستدرك وبسرعة أن نظرية من هذا النوع لا يمكن أن تصل إلى مستوى النظرية العلمية بأي حال . والتفسيرات العلمية ( كما سوف نناقشها ) لها علاقة كبيرة بتكوين النظرية . ويعتمد نجاح النظرية إلى درجة كبيرة على الطريقة التي أعدت بها هذه الجمل التاميلية وحولت إلى أنظمة من الجمل على درجة من الوضوح الجيد وذات جمل على درجة من التفسير الكبير . وعلى هذا الأساس من الممكن تعريف نظرية ما بأنها عبارة عن نظام واضح ذي جمل لها طاقاة على القدرة التفسيرية articulate system of statements

وتريف Hempel للنظرية يلخص ما ذكر سابقا من أن النظرية العلمية « من الممكن أن تعتبر كمجموعة من الجمل المعبر عنها بواسطة مفردات محددة » (٧) . ومن محتوى النظرية ( المبين أدناه ) ، يتبين لنا المقصود منها . تتكون النظرية العلمية من الأمور التالية :

١ - المفردات the vocabulary وتفعل على :

(أ) مصطلحات بدائية primitive terms والتي لا يمكن تعريفها .

(ب) مصطلحات محددة defined terms والتي من الممكن تكوينها من المصطلحات البدائية .

٢ - الجمل sentences وتفعل على :

(أ) جمل بدائية primitive sentences أو ما تسمى الجمل البديهية .

(ب) جمل مستخلصة derivative sentences أو فرضيات theorems

٣ - القواعد rules والتي تحكم تكوين الجمل المستخلصة . وهذه القواعد هي المتمثلة في الاستنتاج . المصطلحات البدائية والجمل البدائية والقواعد التكوينية تكون في نهاية ما يسمى بـ calculus

٤ - النص text أو الشرح ، ويقوم بوظيفتين هامتين :

(أ) يعطي ترجمة اللغة النظرية المعظمة في التجرد إلى لغة التجربة والتطبيق . وبدون مثل تلك الترجمة لن يكون بالإمكان تأييد النظرية أو دحضها .

(ب) يحدد النص ميدان النظرية ويبين ذلك الجزء أو الأجزاء ،  
 الواقع والتي تنطوي النظرية .  
 وكمثال لما ذكر أعلاه نجد الهندسة الإقليدية نسبة الى إقليدس  
 Euclidean Geometry . تكون بعضا من مصطلحات هذه النظر  
 ( مثل : نقطة ، خط و مستوى ) ، المصطلحات البدائية  
 primitive terms وإذا وضعت تلك المصطلحات في جمل تصبح الجم  
 primitive sentences والتي منها يستخلص التكوين الكل  
 للفرضية الهندسية الإقليدية Euclidean theorem

### التفسير العلمي

يعرف Nagel التفسيرات العلمية بأنها الأجوبة على السؤال « لماذا »  
 وتبعا لنوع السؤال هنالك تفسير مطابق . ويذكر أن هنالك أربعة أنواع  
 من التفسيرات (أ) :

١ - النموذج الاستنتاجي deducting model ، وهذا النوع .  
 التفسير كثير ما يتبع في العلوم الطبيعية على الرغم من أنه ليس مقصور  
 على هذه العلوم . ويمثل فرضيات هذا النوع من التفسير شر  
 كافيا .

٢ - التفسير الاحتمالي probabilistic explanation وهنا الفرضيات  
 كافية منطقيا لتقرر الحقيقة للشيء المراد تحليله أو تفسيره . ولك  
 يكفي أن يقال أن تجعل هذا الأخير محتملا .  
 ويمتبر التفسير الاحتمالي أحيانا نصف الطريق الى التفس  
 الاستنتاجي .

٣ - التفسير الوظيفي functional explanation : أو الغرض  
 teleological ، وهذا النوع غالبا ما يستعمل في البيولوجي  
 وفي دراسة شؤون الإنسان ولو أنه ليس مقصورا على هذا الاستعمال  
 هذا النوع من التفسير يبين وظيفة أو أكثر من وظائف وحدة ما والد  
 لها دور ابقاء النظام أو تقوم بدور معين في هذا النظام .

٤ - التفسير التكويني genetic explanation ، وهذا المنهج غال  
 ما ينام المؤرخون لتفسير ظاهرة ما أو لوصف أن شيئا ما تطور  
 زمنيا .

ينظر بعض الباحثين الى التفسير في صفة الاستنتاجية ولهذا يفرقون بين العلوم الطبيعية والانسانية . يذكر Dilthey مثلا أن الفكر الإنساني يختلف فيما يخص هذين الفرعين الرئيسيين من المعرفة من ناحيتي التكوين والطريقة . تمنى العلوم الطبيعية بالمقائيق ، بينما تمنى العلوم الانسانية بالماني . تهتم العلوم الطبيعية بالناحية التعليلية explanation أو التفسيرية للظواهر ، بينما تأخذ العلوم الانسانية بالطابع التأملي أو التفهم understanding

يخالف Rickert من ناحية أخرى Dilthey في هذا الشأن . يرى Rickert أن المجال العلمي هو التحليل للظواهر وهو لا يفرق في ذلك بين العلوم الطبيعية والعلوم البشرية أو الانسانية إلا أنه يعتقد بأن الفرق الحقيقي في الطريقة العلمية هو بين التاريخ والعلوم الأخرى . والفرق هو في كون المسلم هو تحليل الطبيعة من ناحية القوانين السببية causal laws بينما التاريخ هو تحليل الطبيعة كنسب حوادث فريدة unique events . (٩)

وبشكل عام هنالك مسلكان أو طريقتان من الممكن اتباع احدهما لتكوين قانون علمي .

١ - الطريقة الاستنتاجية ابتداء من مبادئ عامة الى شرح لمجموعة من الحوادث الخاصة .

٢ - الطريقة الاستقرائية ابتداء من حالات معينة كثيرة الى تسميات .

التفسير الاستنتاجي :

تتطلب البديهيات axioms والقوانين والتفسيرات العلمية طريقة منطقية معينة من الاستنتاج deduction للاستدلال inference

لأن تكون مفيدة . يذكر معظم الكتاب بأن النطق المناسب هو النطق الاستنتاجي . ويذكر Nagel أن « الفكرة القائلة بأن التفسيرات العلمية لابد وأن تأخذ دائما الشكل الاستنتاجي هي فكرة مؤيدة من الكثيرين » (١٠) ومن مميزات الاستنتاج بالشكل الاستدلالي هو أنه اذا كانت الأسس premises صحيحة فإن النتائج conclusions ستكون صحيحة

بالضرورة . ولهذا يرى Hempel أن التفسير العلمي يجب أن يكون بالأسلوب التالي : س١ ، س٢ ، ... ، س ( كمجموعة من الشروط



المبدئية ) ، ١ل ، ٢ل ، لن ( كمجموعة من القوانين ) ولذلك فإن ١ هي الشيء المراد تفسيره . (١١) وهذا التفسير ، والذي يدعوه Hempel بالاستنتاج القانوني deductive nomological يشمل ذكر مجموعة من الشروط المبدئية ومجموعة من القوانين وهذه الأشياء مجتمعة تبين أن حادثة ما ( ١ ) لابد وانها وقعت بالضرورة .  
التفسير الاستقرائي :

الطريقة الأخرى تتمثل في التفسير الاستقرائي . هذا النوع من التفسير العلمي يعتمد على الاحتمالات . يذكر Hempel بأن هذا النوع مهم بدرجة خاصة بالنسبة للتاريخ حيث العلاقات معقدة وخاصة أن هذه العلاقات بالنسبة للتاريخ غير خاضعة للتجربة العملية . يقوم المؤرخون حسب رأي Hempel بما يمكن أن يطلق عليه التفسير التقريبي sketch explanation وليس التفسير المركز vigorous explanation ولهذا لا يعني المؤرخون بتكوين القوانين العامة . وبدلاً من ذلك يمتنعون بتفسير الحوادث explanation of events والضعف الأساسي في الطريقة الاستقرائية هو أنه من الممكن أن نتوصل إلى خواتم ( نتائج ) خاطئة من أسس صحيحة (١٢) . وللمقارنة بين خطوات المسلك الاستنتاجي والمسلك الاستقرائي أنظر شكل (١) .

### طرق تكوين النظرية : مقارنة

١ - استراتيجية البحث - ثم - النظرية  
Grounded Approach يرى المؤيدون لهذه الطريقة أن الباحث يجب ألا يقدم أفكاراً مجردة بل ليدع البيانات data تتكلم بنفسها . وهذه الاستراتيجية من البحث يطلق عليها Reynolds استراتيجية « البحث - ثم - النظرية » . وهذه الطريقة من الممكن مقارنتها بالاستراتيجية الأخرى وهي « النظرية - ثم - البحث » . الاستراتيجية أو المنهج الأول مبني على الافتراض القائل بأن هناك أنماطاً حقيقية موجودة في الطبيعة ومهمة العلماء هو اكتشاف هذه الأنماط . ولكن هذه المهمة ليست سهلة لا سيما إذا كان بناء النظرية في ميدان العلوم الاجتماعية ، وذلك لسببين : الأول هناك كثير من المتغيرات والتي من الممكن أن تسهم في تفسير ظاهرة من الظواهر ، الثاني وجود عدد كبير من العلاقات السببية والتي تحتاج إلى تصنيف (١٣) .  
طريقة تحليل الحقائق Factor Analysis أو في الواقع جميع

الحقائق هي طريقة تسمح للباحث بأن يقرر ما هي المتغيرات التي من الممكن أن تصنف تحت مجموعة من المجموعات . ولكن من المشاكل المتعلقة بهذه الطريقة هي مشكلة الجزء النظري لمعرفة هذه المتغيرات وما تنتمي إليه من مجموعات . صحيح أن تلك الطريقة تجعل في مقدور الباحث تجميع عدد كبير من الدلائل والتي لها بعض الفائدة النظرية وتحويلها إلى عدد صغير من المتغيرات . ولكن من الممكن أن ينتهي الأمر بالباحث إلى تكوين مجموعة من الحقائق *factors* والتي لها أهمية نظرية قليلة جدا (١٤) .

ولتفادي مثل هذه المشكلة لا بد وأن يكون هناك افتراض ضمني فيما يخص عدد الحقائق المتعلقة بمجموعة من المتغيرات . يبين *Armstrong* المخطورات الموجودة في طريقة تحليل الحقائق *factor analysis* عندما لا يوجد فرضية أو نظرية (١٥) .

#### Axiomatic Approach

#### ٢ - الطريقة البديهية

على خلاف الطريقة الأولى هذه الطريقة تؤكد على استراتيجية « النظرية - ثم - البحث » . ومن شأن هذه الطريقة التي تشتمل على اختصار عدد التعريفات إلى أدنى حد وعلى ترتيب الافتراضات أن تجبر الباحث على توضيح افتراضاته وسوف تذكره بأي تجاوز لأية ضمنيات . وباستعمال جدول الطريقة البديهية يستطيع الباحث أن يدرك أي من الافتراضات له علاقة بافتراض ما وليس له الصفة القانونية . فلو أن أحد الافتراضات مثلا استخلص من افتراضين آخرين ثم اكتشف أنه غير صحيح هذا يعني أن الافتراضين الآخرين غير صحيحين ولهذا من الممكن استبعادهما من الجدول *matrix* .

ومشكلة تلك الطريقة تنحصر في كيفية اختيار البديهيات *axioms* . يقترح بعض الباحثين أنه من الممكن اختيار تلك الجمل التي لها مرتبة القانون فقط . ولكن المشكلة هنا أن القانون لا بد وأن يؤيد تأييدا كاملا من الواقع قبل أن يصبح قانونا (١٦) . بينما يقترح *Blalock* بأن الجملة التي لها علاقات سببية من الممكن أن تؤخذ كبديهيات *axiomatic* (١٧) . على الرغم من بعض الصعوبات المتعلقة بالشكل البديهي *axiomatic form* لهذه الطريقة عدة مزايها منها :

- ١ - تتوفر فيها أعلى امكانية بالنسبة لكمية البيانات الميدانية .
- ٢ - من الممكن إدراك مصدر فشل الفرضية عند تعريضها للفحص الواقعي .

٣ - يسمح هذا النموذج بالتفريق الواضح بين الافتراضات propositions أي منها تعريفات وأي منها فرضيات .

٤ - تمثل الأفكار والافتراضات أعظم اختصار لنتائج البحث .

٥ - ليس من الضروري لجميع الأفكار أن تكون قابلة للقياس .

٦ - الشكل الأكسيوماتيكي يمكن الباحث من فحص جميع مراحل افتراضاته .

٧ - الشكل الأكسيوماتيكي من النظرية يعادل الشكل السببي causal process (١٨) .

٣ - الطريقة المثالية Ideal Typical Approach

تعتبر هذه الطريقة مركبا فكريا . هذا النوع يسمى مثاليا لأنه يوجد كفكرة . يقول Weber أنه من النادر جدا أن توجد في الحياة نفسها (١٩) . والنوع المثالي ليس فرضية وإنما هو وسيلة ( أداة ) تحليل لمواد تاريخية ثابتة . وهذا النوع من التحليل يتطلب أفكارا محددة وبطريقة دقيقة (٢٠) .

ففي ميدان النظرية الاجتماعية يجادل في حديثه عن الاقتصاد والمجتمع ويقول من أجل التحليل العلمي النموذجي typological scientific analysis من الممكن مثلا معالجة السلوك غير المعقول irrational كحالات شاذة من النوع المثالي المعقول rational ideal type . ولهذا فالعالم الاجتماعي مثلا يستطيع دراسة الطرق التي بواسطتها يتأثر السلوك البشري بمبادئ غير المعقول non-rational .

إلا أن هذه الطريقة لها مصاعبها . تلك الصعوبات يبينها Weber في نموذجه الرباعي لتفسير الحركة الاجتماعية والمبني في كل حالة على أسلوب التوجيه السلوكي . هناك صنفان للحركة الاجتماعية يعتبرهما منطقيين rational : أحدهما الوسائل للغايات means to ends

والثاني الوسائل للقيم means to values . أما الصنفان الآخران فهما التقليدي traditional وال عاطفي affectional .

ولكن هنا تبرز الصعوبة التالية : إذا كان النوع المثالي ( وفي هذه الحالة يفترض أن هذا النوع مبني على أساس التصرف المعقول ) كيف يكون من الممكن تكوين أنواع مثالية من التصرف غير المعقول ؟ لم تستطع تفسيرات Weber أن تحل عدم الانسجام هذا .

الفائدة الرئيسية للنوع المثالي **ideal type** هو أنه يكون نموذجاً مجرداً **abstract model** . ومن الممكن بعد ذلك أن يدرك أي اختلاف أو شذوذ عن النوع المثالي ومن الممكن أن تكون النظرية لتفسير مثل تلك الاختلافات وهذه الطريقة من باب تفسير الأشياء بأعدادها .  
 ٤ - الطريقة النموذجية **Analogical Approach**

يعني المصطلح " **analogy** " أو النموذج **analogue** تحويل نوع من النموذج أو النظرية إلى نوع آخر من النموذج أو النظرية . قد يعني النموذج لبعض الناس نظرية ، أو قانوناً ، أو علاقة ، أو فرضية ، أو معادلة . وتستعمل النماذج للكشف عن الحقيقة وتستخدم كوسائل للشرح أو لتساعد على التوقعات المطلوبة (٢١) .

وأبرز المشكلات المتعلقة بالنماذج هي علاقة النماذج بالنظرية . لقد أكد **Nagel** بأن أي نموذج يجب أن يعتبر متميزاً عن النظرية . كما أن النموذج يجب أن يشتمل على نفس التكوين كما في النظرية التي يمثلها . وإذا أخذنا بوجهة النظر تلك ، فوظيفة النموذج هي إعطاء تفسير للنظرية (٢٢) .

ولذلك من الأهمية بمكان أن نفرق بين النماذج والنظريات . النماذج غالباً ما تكون مصدراً مفيداً لاقتراح فرضيات ، ولكن لا تستطيع النماذج وحدها أن تبرهن شيئاً . يصبح النموذج نظرية عن العالم الحقيقي عندما يوضح جزء من ذلك العالم ضمنه .

أما فيما يتعلق بأنواع النماذج نجد أنها أربعة أنواع حسب رأي **Kaplan** (٢٣) :

- ١ - النماذج الطبيعية والتي تشمل نماذج المقاييس .
- ٢ - النماذج المتماثلة **Symmetrical** والتي تشمل النماذج النفسية ونماذج اللعب **game models** .
- ٣ - النماذج الشكلية .
- ٤ - النماذج التفسيرية .

أما **Chorley** فيعطي تصنيفاً آخر للنماذج فيقسمها إلى ثلاثة أنواع (٢٤) :-

- ١ - النماذج الرياضية بعضها مبني على مسببات حتمية ولهذا تسمى نماذج حتمية *deterministic models* وبعضها مبني على مسببات احتمالية وهي لهذا تسمى نماذج احتمالية *stochastic models*
- ٢ - النماذج التجريبية ، وتشمل نماذج القياسية .
- ٣ - النماذج الطبيعية ، وتلك نماذج مبسطة والتي من الممكن أن تستخدم كأساس لدراسة أخرى .

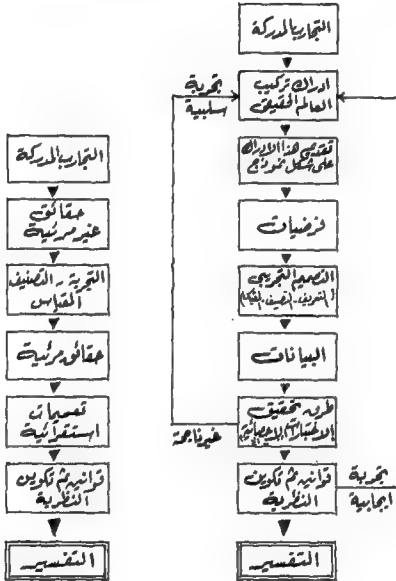
واستخدام النماذج معترف به منذ وقت طويل كأداة قوية لكل مرحلة من مراحل التحليل ولإلقاء ضوء على الواقع - إلا أن هناك مشاكل تتعلق باستعمال النماذج ناتجة من عدم الاتفاق حول الطرق الصحيحة التي تتبع لاستخدام النماذج في التحريات العلمية .

هناك طريقتان فيما يتعلق باستخدام النماذج : الطريقة الأولى النظرية ثم النموذج . وهنا تقدم النظرية بواسطة نوع من التكوين النموذجي . وفي هذه الحالة يطور النموذج ليمثل النظرية . والطريقة الثانية هي تكوين نموذج يسبق تكوين النظرية نفسها ، وتلك الطريقة هي الأكثر اتباعا في العلوم الاجتماعية .

هناك طرق أخرى من الممكن استعمالها لتكوين النظرية العلمية وتشمل على سبيل المثال الطرق التحليلية *analytic* ، وطريقة الأنظمة *Systems* ، وطريقة اللعب *game* ، ثم الطريقة الرياضية *mathematical* (٢٥) . وليس هناك طريقة من الممكن أن تفضل على أخرى ، فمن الاستعراض السابق اتضح أن لكل طريقة مزاياها ومساوئها وكذلك مشاكلها . ويعتمد اختيار طريقة ما أو امحال أخرى على عدة أمور منها غرض البحث ، وطبيعته ، واستراتيجيته ، وإطلاع الباحث وتمكنه من استيعاب الطرق العلمية المكونة للنظرية العلمية .

شكل ( ١ )

# مقارنة بين الطريقة الاستنتاجية والطريقة الاستقرائية لفرض تكوين نظرية علمية



ب - الطريقة الاستقرائية

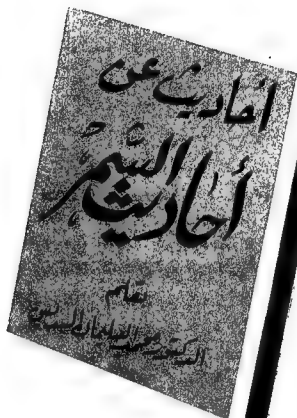
١ - الطريقة الاستنتاجية

## الهوامش

1. D. Harvey, *Explanation in Geography*, (New York : St. Marin's Press, 1969), 87.
2. N. S. Timasheff, *Sociological Theory, Its Nature and Growth*, New York : Random House, 1961.
3. H. M. Blalock, Jr., *Theory Construction : From Verbal To mathematical Formulations*, Englewood Cliffs, N. J. : Prentice-Hall, Inc., 1969.
4. P. D. Reynolds, *A Primer in Theory Construction*, Indianapolis, Ind. : The Bobbs-Merrill Co., Inc., 1971; A. L. Stinchcombe, *Constructing Social Theories*, New York : Harcourt Brace & World, Inc., 1968.
5. F. S. Chapin, " Selected Theories of Urban Growth, " in *Internal Structure of the City*, (Ed.), L. S. Bourne, New York : Oxford University Press, 1971), 141.
6. H. Zetterberg, *On Theory and Verification in Sociology*. (Totawa, N. J., 1965), 11.
7. C. G. Hempel, *Aspects of Scientific Explanation*, (New York, 1965), 182.
8. E. Nagel, *The Structure of Science : The Problems in the Logic of Scientific Explanation*, London : Routledge & Kegan Paul, 1916.
9. D. Martindale, *The Nature and Types of Sociological Theory*, Cambridge, Mass. : The Reversid Press, 1960. Sss also : R. Hartshorne, *Perspective on the Nature of Geography*, (Washington, D. C. : The Assoc. of Am. Geogr., 1959), 98-107.
10. E. Nagel, (1961), 29.
1. G. G. Hempel, (1965).
2. D. Harvey, (1969), 37.
3. P. D. Reynolds, (1971), 140-142.
4. H. M. Blalock, Jr., *Socal Statistics*, (New York: Mc Graw-Hill, 1960), 384.

15. J. S. Armstrong, " Derivation of Theory by Means of Factor Analysis or Tom Swift and His Electric Factor Analysis Machine, " *The Amer. Statistician*, 21 (1967), 17-21.
16. P. D. Reyanlds, (1971), 96.
17. H. M. Blalock, (1969), 18.
18. P. D. Reyonlds, (1971), 96.
19. M. Weber, *The Theory of Social and Economic Organization*, Trans. by A. M. Henderson and T. Parsons, Glenco, Ill. : The Free Press and the Falcon's Wing Press, 1947. See also : M. Weber, *The Methodology of Social Scinces*, (English edition, Glenco, Ill. : The Free Press, 1949), Chap. 2.
20. M. Weber, (1947), 90.
21. R. L. Ackoff, *Scientific Method*, New York : John Wiley & Sons, Inc., 1962.
22. E. Nagel, (1961), 96.
23. A. Kaplan, *The Conduct of Inquiry*, San Francisco, 1964.
24. R. J. Chorley, " Geography and Analogue Theory, " *Annals of the Associ. of Am. Geogr.*, 54 (1964), 127-137.
25. For analytic approach, see : T. Parsons, *The System of Modern Societies*, Englewood Cliffs, N. J. : Prentice-Hall, Inc., 1971. For systems approach, see : Von Bertaleuffy, " General System Theory, " in *System, Change, and Conflict*, (Eds.), N. J. Demorath and R. A. Peterson, (New York : The Free Press, 1967), 115-129. For game approach, see : A. Rapoport, *Two-Person Game Theory Essential Ideas*, Ann Arbor : The University of Michigan press, 1966.





مرت على داخل شبه الجزيرة العربية قرون عدة أرخت سدولها عليها دياج كثيفة الظلمة ، وتراجعت ألتساعها ألوان المعرفة من ميادين الحياة ، وتوقفت حتى كُرِّيت أن تُقبر في جدٍ نبي جسوف عميق .

فلنذ وقع اختيار الأمويين لدمشق عاصمة للدولة العربية ، وبني العباس - من بعدهم لبغداد نأت مراكز الإشعاع الحضاري والمد الثقافي من بلاد العرب ما خلا الديار الحجازية التي ضمن لها الركن الخامس صلة لا تنقطع بتلك المراكز وبغيرها ، وأثمرت تلك الصلة الدائمة حركة فكرية لم تتسن للأنحاء الداخلية .

وكان من ثمرة تلك العزلة التي تمطت بصلبها ، وأودعت أجزاها ونادت بكلكل ، وضربت أطنابها قرنا يائز قرن إلى أن أزاحتها النهضة الحديثة ، أن تبددت معظم الموروثات الثقافية التي صنعتها الأجيال خلال ما يندرف على ألف عام .

إن الأحداث التي يروي لنا آباؤنا أخبارها - حتى تلك التي وقعت في بداية القرن الهجري الماضي على قربه - كثيرًا ما تصل إلينا معرفة أو ناقصة ، ناهيك بالذي ضل الطريق إلينا وخانت الذاكرة الشعب فلم يمه ! فما بالك بأحداث جرت في القرن السابع أو الثامن ؟ أو حتى القرون الثلاثة التالية لهما ؟ .

لا شك أن هذه الثغرات ، وما في بطونها من أماكن استقرار ، كانت ميداننا لما لا يعد ولا يحصى من الأحداث التي لو وصلتنا أخبارها لألفينا في بعضها عبرا وعظات ، وفي بعضها الآخر متعة وسلوى . ولكن في بعضها ما يحفزنا على مكارم الأخلاق ، وفي بعضها ما يشبطنا عن ردىء السلوك . . وفيها كلها ملم ثغرات تكاد تكون خالية في أذهاننا عن تلك الحقب ، وعن النمط الحياتي الذي سار عليه الأجداد في معيشتهم اليومية ، وتمايل بعضهم مع بعض ، وتمايلهم مع الأشياء ، وتكيفهم مع محيطهم المتكشف .

وفيها إلقاء ضوم على جذورنا وتذكير لنا بأصولنا ، ونحن الآن في هذه الحياة الصاخبة المضطربة الشاغلة الملتهبة المتعبة أحوج ما نكون إلى مثل ذلك التذكير ، ليكون زماما يكبح جماحنا عن الاغترار ببريق الحضارة وقشورها المتلألئة .

إن تلك الأخبار لبنة لا غنى عنها في تاريخنا ، مهما كانت مضامينها . .  
فالجبر ذو المضمون السيئ ، هو الآخر ، لا يخلو من درس ومغزى . .

والحياة مزيج من الخير والشر ، والعسوبة والمرارة .. ولولا ذلك لكانت  
جنة .

وقد أدرك المرحوم الأستاذ فهد المارك في وقت مبكر نسبيا قيمة تلك  
الأخبار ، فانتخب منها القصص ذات المعنى الكريم المشرف ، وأمضى زمنا  
طويلا يجمعها ويثبت من صحتها ، ويدونها عن رجال ثقات ان أمكنه  
ذلك ، وألف منها كتابه ذا الأجزاء الأربعة ( من شيم العرب ) فكان رائدا  
في هذا المضمار سجل قصصا رائعة كاد يطويها النسيان . فرحمه الله رحمة  
واسعة وأثابه على عمله الجليل .

وحذا حذوه المرحوم الأستاذ محمد الأحمد السديري فالف و أبطل  
من الصحراء « وصدر الجزء الأول منه ، وخص به بعض أبطال قبيلة هنزة  
وحدها ، ولم تصدر الأجزاء الأخرى ، وقد اغترمت يد المتن المؤلف قبل  
أن يتم كتابه . » يا حيدا لو طلبت الأجزاء الباقية ان كان قد أم تأليفها !  
ثم سلك مسلكهما الطيب الأستاذ العلامة الشيخ عبد الله بن خميس فلم  
شحات عدد من القصص في كتاب أسماه ( من أحاديث السر ) وصدر الجزء  
الأول منه منذ وقت غير بعيد .. وقد اهتم بالقصص التي كانت المناطق  
الداخلية من بلادنا مسرحا لها .

وعمل الشيخ ابن خميس إدراك منه حاجتنا الى تدوين القصص  
والأخبار الحقيقية التي تصور لنا بعض جوانب حياة أجدادنا الأديين ..  
وتعرفنا على كثير من عاداتهم ومواقفهم ونظرتهم للأمور .. وهي جزء مهم  
جدا من ماثورنا الثقافي الذي ينبغي أن نبادر الى التثبيت به وتسجيله قبل  
أن نلتصمه فلا نجده لأن النسيان يكون قد حال بيننا وبينه .

لقد أسدى الأستاذ ابن خميس خدمة جلي لبني وطنه عامة ، وللمهتمين  
منهم بهذا اللون القصصي وبالتراث الشعبي الشفوي خاصة .

وصياغة القصص بأسلوب عربي فصيح بمد سماعها تحكى بكلام حامي  
تتطلب رسوخ قدم في اللغة ، وغزارة في المادة العلمية والأدبية ، وبراعة  
في بناء الجمل ، وفي تحويل المبررات العامة إلى قصيدة أو استبدالها بجمل  
يستفيها القاري المثقف الحديث .. ولست أقوي أن أزهمني أنني أجود على  
المؤلف الفاضل فأعلن توفر هذه الأمور فيه ، فقد حازها بنفسه ..  
و ( حليها بالسامع الأشد ) ، وشهدت له تلك المقالات الرائعة التي كانت  
تدبجها يراغته في السبعينات والثمانينات الهجرية على صفحات مجلته  
- المتحفة الآن - ( الجزيرة ) .. ثم إسهاماته الكثيرة في الحياة الأدبية

والثقافية لهذه البلاد والتي استرعت اهتمام القاصي والداني حتى رشحه  
المجمعان لمضويتهما \*

إن القصص السبع والثمانين التي حوتها دفئا ذلك الكتاب ثروة لأبنام  
الجزيرة الذين أن الألوان أن ينشقوا التراب من جذورهم .. وأن يقرأوا  
متنائين متباينين أعمال سلفهم المكافح الصابر المثابر ، بما فيها من حسن  
وسيم ، فالشجرة المجتناة هي العبرة في الحالين كليهما \*

لقد أحسن المؤلف الكريم يتدوين تلك القصص قبل أن يأتي الوقت  
الذي تغرق فيه الذاكرة الشعبية في الإلغام بها ، وبأحداثها ، وبأسما  
شخصياتها ، ومسارح وقائمه .. فتندثر كما اندثر سواها من تراث هذه  
الأمة النفيس .. فاستحق بما حمل الثناء العاظم والشكر الجهم والتسامح  
الكثير .. على أن التسامح لا يعني أن يكف القاري عن التنبيه على ما قد  
يصادفه في الكتاب من هنات وهفوات لا تخدش وجه العمل ، ولا تسلبه  
ما يستحقه من قيمة ، فالكمال الذي العزة والجلال وحده \*

ولذلك فقد أحببت أن أتصفح الكتاب تصفح المتريث ، فأأمل بعض  
الأساليب التي تستوقف القاري لحسنها ، أو لخلاف ذلك ، وأدلي ببعض  
الملاحظات حوله ، وألفت النظر إلى أخطاء نحوية ولفوية وغيرها . ولم أعمد  
الاستقصاء . وما لي من غاية سوى سد الخلل في الكتاب لتكتمل فائدته .  
وأنا على ثقة أن المؤلف الكريم سيسعد بملاحظاتى ويتقبلها بصدر رحب ،  
وروح راضية . حتى أن يكون فيها ما أمله من نفع أرجو أن يظهر أثره على  
الكتاب في طبعة له لاحقة .  
ملاحظات عامة :

١ - يعلق المؤلف الفاضل على كثير من قصصه .. وقد دماه  
الدكتور عبد الستار الحلوجي إلى الاستغناء عن تلك التعليقات لأن القاري  
« يجب من المؤلف أن يثق به ، وأن يطمئن إلى قدرته على فهم مغزى القصة ،  
أما أن تأخذ بيده لتدله على موطن المظة والعبرة فيها ، فذلك أمر يتنافى  
مع طبيعة القصص ، فما ينبغي لقاص أن يوقف الأحداث لينخطب فيها بما  
يراه ، بل عليه أن يحرك الأحداث في الاتجاه الذي يوصلنا إلى ما يريد أن  
يقوله دون أن يسمعا صوته » (١) . وأضم صوتي إلى صسوت الدكتور  
الحلوجي فأحث المؤلف الكريم على تحرير الكتاب من معظم تلك التعليقات ،  
وإبقاء القليل الضروري منها ، أو أن تفصل عن المتن وتسرده مرقمة في آخر  
الكتاب \*

أنها حقاً ثقيلة على النفس ٠٠ فقاريهم القصص الحقيقية يتطلع لما فيها من طرافة أو غرابة أو ندرة أو إثارة ٠٠ والتعليق يمسوقه من هدفه ، ويهزجه ، مما قد يحدو به إلى الكف من القراءة ٠ ويلاحظ أن المؤلف الفاضل يخص بالتعليق الأعمال المجيدة ، أما غيرها فتندرا ما سمعنا صوته عاليا واضحا ، حتى وإن كانت انتهاكات صارخة للقيم الدينية والإنسانية مثل مقتل بندر السعدون وقومه ( ص ١٤٥ ) ٠

وفي الصفحات ٦٨ و ٩٣ و ٩٦ و ١٤٩ و ١٥٥ تكرر ذكر تقليد سائد من أسوأ تقاليدنا وأضرها وأكثرها تمارضا مع التماثيل الإسلامية وحقوق الإنسان ، لما فيه من تسلط وإجفاف ، وسلب الحرية للإنسان في أن يسلك السبيل الذي يختاره في أهم شأن من شئون حياته ، وهو الزواج ، ذلك هو ( الحجر ) ٠٠ وهو أن يكون لابن عم الفتاة في البداية الحق في أن يتزوج بها راضية أو ساخطة ٠٠ ويمنع غيرها من خطبتها ٠٠ وإذا لم تقبل زواجا لها حال بينها وبين إتمام دينها قسرا ( أي حجر عليها ) فلم يقبل أن تتزوج ٠ هذه العادة الذميمة كانت بحاجة إلى تعليق مسهب ( وليس مختصر ) كما فعل المؤلف ( في الحاشية يبين مضارها ومجانتها للحق ، ومجافاتها للصواب ، ومخالفتها لتعاليم الدين ، وآثارها الضارة لا على المرأة البدوية فحسب ، ولكن على علاقات الناس في ذلك القطاع الهام من هيئتنا الاجتماعية وأهني به أبناء البادية ٠

٢ - يغفل المؤلف الكريم شرح معاني الأسماء والقصائد العامية وكلماتها ، وكثير من المفردات العامية التي ترد في ثنايا الكتاب ٠٠ مما ضيق دائرة الاستفادة منه ، وجعله وقفا على فئة من القراء ٠٠ إذ أنني لن لا يتحدث بلهجة تلك الأبيات أن يفهمها ؟ ومعظم القراء كذلك ٠ ثم إن علينا أن نشرك خبرنا في الاستمتاع بهذه القصص والانتفاع بها ، فلا بد أن نحل لهم ممس الفاعلها ومستمس معانيها ، وما يمكن في بعض التعابير والاصطلاحات من دلالات وإشارات لا يلم بها إلا الناطقون بلحنها ٠

ولست أقصد أن المؤلف يهمل دائما تفسير الألفاظ ذات الدلوات المحلية ٠٠ فقد فسر عددا منها ( مثل النحل ص ١٣٥ والقطي ص ١٣٧ ) لكنه يهمل الكثير ( مثل الفهك ص ١٥ - المغربية ص ٤٨ ، رخله ص ٤٩ - غيبه ص ٢٦ - حيافه ص ٢٥ ) ٠

٣ - ذكرت في الكتاب أصلام كثيرة لأماكن ، وقبائل ، وأشخاص مشهورين ، يعرف المؤلف ببعضها ترفيقات كافية على الرغم من إجازها ،

ويغفل بعضا . ومن أمثلة هذه الأخيرة المغفلة : الفغم ( لعله الغرم ) ، وجويدي الماصمي ، وابن منسديل الخالدي . . . وقد جاء ذكرهم كلهم في ص ٨٢ ، ومنها ( حقيرة الشقيق ) ، و ( بيضا نثيل ) وذكرنا في ص ١٣٧ ، و ( عريق المظهر ) و ( نواظر ) وذكرنا في ص ١١٦ ، و ( الحثيفة ) وذكرنا في ص ١٤٠ :

وحديثنا من الأعلام في الكتاب يجرنا الى تمنى أن يحتوي الكتاب على مسرد لما ذكر منها فيه .

٤ - قصيدة ( عدوان الهرييد الشمري ) في ص ١١ ، تنتهي كلمة الروي فيها بالهام ، وكان الأدق أن تنتهي بالياء طبقا للهجة شمر وسكان منطقة حائل الذين يميلون الى قلب تام التانيث - مفتوحة كانت أو مبرعلة - ياء ، أو ياء بعدها هام كما في ( غايبي ) أو ( غايبيه ) أي ( غابت ) . و ( تغلي ) أو ( تغليه ) أي ( تغلة ) .

وكان من المفيد إيضاح ما ائثرى الروي والتحدث عن هذه الظاهرة في الحاشية .

٥ - ص ٧٣ شطح يراح المؤلف لما تحدث عن قصيدة أبي تمام في فتح عمورية ، ولم يقتصد في وصفها بل غلا كثيرا فوصفها بأنها « لم يقتبس شاعر في فتح بمثلها ولا قريب منها ، لأنها صورت حقيقة ووصفت واقعا » . هذا قول نام عن الدقة . . لا قيمة له مالم يقرأ قائله شعر شعراء المسالم من بكرة أبيهم . . ويمعن في تفهم الاللياذة والأودسا والمهابهاراتا والراماياتا والزندافستنا . . وإذا ذاك له أن يوازن بين قصيدة حبيب بن أوس والأشعار الموقولة في الحروب ، ويقول ما قال .

ومما يلاحظ على المؤلف الفاضل عدم اقتصاده أحيانا في الوصف ، وعدم اختيار الألفاظ ذات المعاني الدقيقة المحددة ، الخالية من المبالغة التي وإن استعذبت في الضمر القديم لا تروق لقارئ النثر الحديث . . فنجدته في حديثه عن ( القرى ) في قلب الجزيرة - على سبيل المثال - ص ١٢٢ يثني على كل الناس فيقول :

« وكل قرى قلب الجزيرة يتسابقون على الجود ، ويتنافسون في الخير ، يأبون إلا عاداتهم العربية الأصيلة ، وسلوكهم الخلقي المعروف » . .

هذا الثناء عاطفي شبيه بمدح أم العروس وما شطتها إياها . . لا يصمد للفحص العقلي المجرد . . ففي القرى تجد كثير من الأدوار الاجتماعية كالمسد والتشاجر والأثرة لها أرضا خصبة . . ومن أهل القرى من لا شغل له

سوى التدخل فيما لا يعنيه ، والتطفل الصاذق ، والغيبية ، وانتقاص الآخرين .

ويقول في ص ١٨١ : « كل هذه الصفات وغيرها تجدها في الأعرابي ، ولكن صفات الخير ودوامي الفضيلة تنقلب دائما فيه الصفات الأخرى .. »  
كان الأدق والأحوط أن يقول : « .. غالبا ما تنقلب فيه الصفات الأخرى .. » لا « دائما » .

ويقول في ص ٣٩ : « وهكذا يقضي على الجريمة في وسط لا تسوده غير عاطفة الخير ، ولا يحكمه الا تعالي النفوس من الرذيلة ، وحبها لشيوخ الفضيلة » . فما رأيك - بورك فيك - فيما ذكرته نفسك في قصة ( طريق الجمودية ) - ص ٨٧ - مما صنمه ( العصلب الظفيري ) من دفن للمتأمل التي بين نجد والمراق ؟ ألم يكن ذلك عملا اجراميا شنيعا ؟ وما صنمه عبد العزيز بن متمب بجنديه البر المطيع ( فهد الهثيمي ) حيث دبر له مكيمة كانت تهلكت ( قصة حوادث الدهر ص ٢١٧ ) و ( فلاح ابن زبدية الرشيد ) من اختطاف لفتاة بريئة ( قصة « ما كنت أول عاشق » ص ١٤٩ ) ، والأفصح من ذلك استسهال قتل النفس التي حرم الله .. كما فعل ( على سبيل المثال فقط ) صفوق الجربا وقومه بيندر السمدون وتمزيقه شر ممزق ( قصة « الجواب ما ترى لا ما تسمع » ص ١٤٣ - ١٤٦ ) . وفي هذه الأمثلة ، وأضباها لا تحصى ، شاهد على أننا ، كغيرنا تماما ، فينا البر والفاجر والخير والشرير .. ولا يليق بنا أن نضفي على أنفسنا من الإطرام ما يشبع غرورنا .. ويكون هذام ضارا لناشتتنا الذين ما أن يشبوا عن الطلوق ويمعمروا العالم حتى يتبين لهم أن ما اهتمادوا سماعه ما هو الا الفاظ جوفاء لا طائل تحتها .. وحينذاك يواجهون صدمة نفسية تهز عقولهم ، وتضمف قناعاتهم حتى في الحق مما يسمعون من أسلافهم .

٦ - أورد المؤلف الكريم في ص ١١٤ ص ١٦ في سياق قصة ( الشريف جبارة ) معنى التمييز المألوف : « هذا الفال ويتبعه العقال » على هذا النحو « هذا الفال ويتبعه ما بعده » ولعل الأحسن في مثل هذه الحالة ذكر التمييز الشائع بنصه ، ثم إعادة معناه بالفاظ فصيحة .

٧ - استعمل المؤلف الكريم تمييز ( الرجل المريض ) في حديثه عن ( السلطنة الثمانية ) ص ٢٢٤ ص ٩ ، وهو تمييز صنمه الغرب المسيحي ، ويحتج معه قدرا غير قليل من الزرابة بل والشمسات بدولة بني عثمان وبتركيا .. فمن اللباقة واللياقة أن لا نحاكبه في استعماله .

٨ - ص ١٢ من ٨ ورد البيت :

تَيْسٌ يُحِطُهُ وَالْأَقْدَارُ بِيَدَيْكَ  
أَحْلَى مِنْ الشَّرَفِ عِنْدَ الرَّفَاقَةِ

ولمجزءه رواية أخرى هي ( أَخِيذْ مَنْ الشَّمْسُ بِيَدِ الرَّفَاقَةِ ) .

الأسلوب :

لا يخفى الكتاب في أن يمتنع قارئه بأسلوب الشيخ ابن خميس الأدبي الأخاذ .. لنقرأ مثلاً هذا الوصف الدقيق لهيئة ( قاطع الطرق ) ووسائله التي تضمن له البقاء طويلاً في البراري لممارسة مهنته .. « هذا أحد لصوص الخيل يقطع الديار ماشياً على قدميه ، ويشتر في الليل ، ويمكن في النهار لثلاً يصبر به أحد ، ويتخذ حذاءه سبتاً واحداً يحزمه على قدميه ، ويجعل ماءه في سقاء لا يتجاوز حجمه كف اليد ، وإذا ورد الماء أخرج خيطاً دقيقاً مبرماً واستقى به ، وملاً السقاء .. أما قوته فيكون في جراب صغير جداً ، وأما لباسه فيكون قاتماً أشهر كلبيمة الأرض التي يتلصص بها .. فهو ذئب بشري أملس » ( ٢ ) .

وهذه المقدمة الجميلة لقصة ( نتيجة الإكراه ) : « نشأت وضحي ( كذا ) الهتيمية بين أسرتهما الموفورة العدد ، الكثيرة الرزق ، محتلة من أرض نجد سنامها ، ومن جبالها أمنها وأختها ، فهي إذا أسهلت ففي رياض ( القصيم ) ، ومنبسطة ( الرمة ) ، وسهول ( السر ) .. وإذا تحصنت ففي ( أبانين وجبله وطخفة ) ، وتروح وتنفد على مضاربها أذواد الأهل ، وقطعان الغنم ، ويروح كل يوم قناصو المشيرة مثقلين بطرائد الطيغام ، وحديد الأرناب ، وجون القطا ، ومن ذا الذي يباري القناص الهتيمي اللحم في حذقه ومهارته بالقنص ؟ .. ويبدأ السمر على غليان القدور بلحوم الصيد ، وأفعام الأواني بالألبان ، ومطارحة الأحاديث على كتوس القهوة ، واحتساء المبييل ( ٩ ) .. لذلك قل أن يحتاجوا إلى شرب الماء .. وإذا احتاجوا إليه كان في الربيع مما تحلبه المزن على معاني الأباطح ، وفي الصيف مما تتضحه الجبال في منيمات القلات ( ٣ ) .

ولنتأمل وصفه لثعبان هرم أسمى بأنه ( عظيم الخلقة ، متفطن اللحم ، متشقق الشدقين ، وقد ترك منه طول الدهر ثاوباً ، شثن الجلد ، مقوس الظهر ، أسمى العينين ، تتردد منه الروح في جثة هامدة ) ( ٤ ) .

هذا الوصف الحي البديع الذي يرسم صورة ذلك الثعبان وكأنه أمام باصرتنا .. وكثير خير ذلك من العبارات الجميلة التي وفق المؤلف إلى



انتقائها فكانت لقصمه كالتوابل والمقبلات .. كقوله : « ولما أخذ النوم بمعاقد الأجفان بعد سير وسرى ومقاساة لوعثام السفر .. » (٥) و « البسه الجوخ ليكون وجه النادي وتلبية المنادي .. » (٦) ، و « أما أنا فظلت أئن واتسشط في دمي » (٧) ، و « أخذ الغريم بتلابيبه » (٨) .

ومن تلك العبارات ما ازداد قوة وجمالا بما فيه من ( الاقتباس ) لطيف مناسب من التزييل المطهر في غالب الأحوال ، ومن الحديث الشريف ، ومن ( تضمنين ) لأبيات شعرية وأشطار أبيات وأمثال .. ومن ذلك : « فاقبلت قبيلة عتبية بخيلها وزجلها » (٩) ، و « الذين هم ردم له في كره وفره » (١٠) ، و « فاجبلت بخيلها ورجلها وأمرها وأمرها » (١١) ، و « سوام بذله في سباح أو في ربوة ذات قرار ومعين » (١٢) ، و « إنك محبوبس هنا في هذا القصر حتى ننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين » (١٣) . و « لما توارت الشمس بالحجاب .. » (١٤) ، و « هذا ما حاك في نفس رثما » (١٥) ، و « يأبى الله ألا أن يتم أمره ولو كره الفيد الحسن » (١٦) ، و « وأوي إلى ربوة » (١٧) ، و « فقص عليه القصص » (١٨) ، و « هذه السكب وبلغ منه عتبا » (١٩) ، و « هم من البصرة قاب قوسين أو أدنى » (٢٠) ، و « ويسلق بشعره من أرادهم بأذى » (٢١) ، و « ولو كان يأوي إلى ركن شديد » (٢٢) ، و « فلم تصلح إلا له ، ولم يك يصلح إلا لها » (٢٣) — وهنا لا أدري لماذا حذف ( يك ) الأولى قبل ( تصلح ) الأولى ؟ و « فليس له من ودهن نصيب » (٢٤) ، و « نائلة الأثافي » (٢٥) . وأخيرا هذا الاقتباس الرائع : « وقال الذي اشتراه من البصرة لأهله أحسنوا مثواه فهو خليك بأن ينفعنا » (٢٦) .. على أن المؤلف الكريم لو اكتفى هنا باستبدال ( البصرة ) بمصر ، وأبقى الآية كما هي : « وقال الذي اشتراه من البصرة لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا » لكان الاقتباس أبلغ وأروع .

وما هذه الا أمثلة لما في الكتاب من أساليب حذبة وتماير طلية . لكن إلى جانب هذا كله وأكثر منه ، لم يكن الكتاب بمنجاة من الجمل والعبارات ذات الأسلوب الضميف أو البناء الرخو ، أو التسجع الماهل .. على أن تلك المأخذ الأسلوبية وغيرها لا تفقد الكتاب قيمته ، ولا تضعف أجر المجتهد ، والغاية من ذكرها كما ألمعنا أعلاه أن تتلافى في طبعة أخرى . وفيما يلي بعضها :

١ - استعمل المؤلف عبارة « مرة من المرات » أربع مرات في

كتابه (٢٧) ، وعبارة « في سنة من السنين » أو بدون « في » ثلاث مرات (٢٨) ، وعبارة « على مورد من الموارد » مرة واحدة (٢٩) ٠٠ كما استعمل عبارة « في يوم من الأيام » إحدى عشرة مرة (٣٠) ، وعبارة « يوما من الأيام » مرتين (٣١) ، وما ضعف هذه العبارات بخفي ، لما في كل منها من الحشو ٠٠ فلا نفع يجنى من هذه الجارات والمجورات « من المرات » و « من السنين » و « من الأيام » و « من الموارد » ، وشيوعها في الحديث الشفوي لا يبرر استعمالها في الكتابة الأدبية - ويغني عنها « ذات مرة » أو « مرة » ، و « ذات يوم » - وقد استعمل الكاتب الأخيرة مرة (٣٢) - ، و « أحد الأيام » واستعمل هذه مرة أيضا (٣٣) ، فليته تثبت بهما - ، ومثل ذلك يقال عن « السنة » ، أما « على مورد من الموارد » فيكتفي موضعها « على أحد الموارد » ٠

٢ - ص ١٥ من ١٧ و ١٨ ورد « فيمر فان أن وقت الصيد قد حان وأن ساعة الغنص قد حانت » ٠٠ ا هذا التكرار لم يأت بجديد ، ولم يضيف جمالا - ومجزم ( حان ) في جملتين متتاليتين أضرب بهما كليهما - فلو حل ( آن ) محل ( حان ) في إحداهما لكان ذلك أبلغ -

٣ - ص ١٧ من ١٩ ورد « وقام حوله الثغام والرغام » كيف يقوم الثغام والرغام ٠٠ ٩ الأحسن : انتشر أو ساد أو أحاط به الثغام والرغام ٠

٤ - تحدث المؤلف الفاضل في ص ٢٥ ( من من ١٣ الى ص ١٤ ) عن ابن عريمر ثم بدأ الجملة من أول السطر وقال : « أما هذا فقد تجمع يوما لديه بعض لصوص الخيل وحافتها ، فقال : من يأتي ( كذا ) بحصان حمدان الغبيني ٩ ٠٠ » ٠

إن « أما هذا » والفام بعدها توسعي بأن المتحدث عنه أحسد غير ابن عريمر ، والأمر بخلاف ذلك - فيجب حذفها والاستمرار في القول : « وقد تجمع يوما لديه ٠٠ الخ » ٠

٥ - في الصفحة نفسها من ١٩ و ٢٠ ورد « وكان هذا جملا مغريا جدا لم يسبق أن جملة ابن عريمر جملا لأي جواد قبسه » ٠٠ تكررت مادة « جمل » في سطر واحد مرات ثلاثا - ولنا متدوحة من ذلك كان نقول : ( وكان هذا جملا لم يسبق أن خصمه ابن عريمر لأي جواد » أو نحو ذلك ٠

٦ - في الصفحة نفسها من ٣ ورد « من يعرف قصتها ومن لا يعرف قصتها » الأحسن الاكتفاء بالضمير في آخر الجملة « من يعرف قصتها ومن لا يعرفها » ٠

٧ - في الصفحة نفسها السطر الأخير ورد « اذهب وأنت نصيبك » .  
هذا التعبير من لغة الحديث الشفوي ، ينبغي تجنبه وأمثاله .

٨ - ص ٢٦ من ١٠ و ١١ ورد « ويمسكه في مربه » والصحيح استعمال « الى » عوض « في » هنا ( ٣٤ )

٩ - استعمال المؤلف عبارة « على أساس » ( ٣٥ ) و « على أساس أن » ( ٣٦ ) ، وهي عبارة عامية مبتذلة .

١٠ - ص ٣٤ من ١٠ ورد « وقيل انه من بني صخر من عرب الشمال » وهو اسم فصيل الجبيلي « لا حاجة لنا بالضمير ( هو ) هنا »

١١ - من ١٠ من الصفحة نفسها ورد « ومستبشرين بلم شمل يعد طول مدى » ، أكلة « مدى » في موضعها المناسب هنا ؟ لا « اذن فليستبدل بها « غياب » مثلا »

١٢ - ص ٣٦ من ١٢ و ١٣ ورد « فلا داعي لأن يخفف من جرمه » ثم في ص ١٤ مباشرة ورد « فلا داعي أن يطف من جرمه » ا .

١٣ - ص ٣٨ قال المؤلف متحدثا عن رجل اسمه غليس : « .. فوجد من هم على شاكلته ، فكونوا عصاة تلتبس الفرات ، وتتبع الففلات . أغاروا يوما على حرب فشمروا بهم وخفوا للفتك بهم ، ففتكوا وأبادوهم ، وظل رمق قليل في غليس » . هذا التعبير ذو سبك يموزه الاحكام .. قارن بينه وبين : « .. فوجد من هم على شاكلته ، فكونوا عصاة تلتبس الفرات ، وتتبع الففلات ، أغاروا يوما على حرب فشمروا هؤلاء بهم ، وخفوا للفتك بهم ، فكان لهم ما أرادوا اذ قضوا على المتدين وظل رمق قليل في غليس » آليس هذا أوضح من ذاك وأقوى ؟

١٤ - في الصفحة عينها وبعد عبارة المؤلف الأنفة الذكر تابع حديثه عن غليس « .. واذا بظمن يقبل عليه .. رجل وامراته وابلهم وماشيتهم ، فمرجوا على مكان المعركة ، فوجدوا هذا حيا فرقوا له ورحموه ، وأرادوا أن يعملوا فيه خيرا » ..

في هذه العبارة ميبان : الأول قوله « يقبل عليه » رجل وامراته وابلهم وماشيتهم .. فمرجوا على مكان المعركة .. أخبر عن اقبال الرجل عليه فلم ذكر ذلك الاقبال من جديد بقوله : « فمرجوا على مكان المعركة » ؟ . كان ذلك لائقا لو قال بعد « ماشيتهم » هكذا : « كانوا سائرين في طريقهم فاسترعى انتباههم منظر الرجال القتلى ، والحيل الصرعى ،

فمرجوا على مكان المعركة » .

الثاني : استتماله ( أن يعملوا فيه خيرا ) وهو تعبير لاكنه السننة  
العوام ، وخير منه « أن يحسنوا اليه » .

١٥ - ص ٤١ س ٢٠ ورد « اعمل ما اقول لك بعدا فيه » . ثم تكرر  
الجار والجرور « بعدا فيه » سريعا في س ٢٣ : « وأوصاها بأن تعمل بما  
أوصاها به بعدا فيه » ، وفي الصفحة التي تليها ( س ٢ ) « كما أن الأولى  
استبدال ( وصيته ) بالموصول وصلته .. أي تجنب تكرار المادة نفسها في  
حين قصير » .

١٦ - ص ١٦ س ١٨ وما بعده ورد « ولكن الصفو لابد وأن يتكرر ،  
والجسج لابد أن يتشتت ، فقد اختزمت يد المنون ثالث هذا الوكر وعميده  
بعد أن يترك لابنه ووالدته نعماء وسمعة طيبة وذكرى حسنة نعماء بها وتقلبا  
في بعبوحتها ، ولكنه كان يشعر بشمول الذكر .. » لم تترك الماضي واللجوء  
إلى المضارع ( يترك ) ؟ ثم أيهما السابق اختراع يد المنون ثالث هذا  
الوكر وعميده أم تركه لابنه ووالدته نعماء ؟ ثم لآلآم يعود الضمير في  
« لكنه » ؟ ، يبدو من الجملة أنه يعود الى « ثالث هذا الوكر وعميده » ،  
لكن السياق دل على أنك تقصد الابن فالأ : فكان يجب أن تستبدل بالضمير  
الاسم الظاهر فتقول : « لكن فالأ » . والضمير في « والدته » أردت أن  
يعود الى الابن لكنه يحتمل أن يعود الى ( ثالث هذا الوكر ) ، ولتلافي ذلك كان  
ينبغي القول : « ابنه وزوجه » .. أو « ابنه وأم ابنه » .

١٧ - ص ٥٩ س ١٤ ورد « وقال : هذه الفرس وما يفرزو عليها  
الا أنا » . هذا أسلوب عامي .. ويجب إعادة صياغته .. « لن يفرزو على  
هذه الفرس سواي » أو نحو ذلك .

١٨ - ص ٦٣ س ٢ ذكر « الروسان » هكذا دون تعريف بهم ، ودون  
أن يمزوهم لقبيلة بمعنىها .. ثم لما ذكرهم مرة أخرى في س ١٥ من الصفحة  
نفسها أردف « من هتبية » ، فكان الأولى أن يذكر ذلك بعد « الروسان »  
الأولى .

١٩ - ص ٦٧ س ٤ ورد « يذكرنا بأعلام العرب الذين نتلقى  
أخبارهم وآثارهم بما يشبه الأساطير » . لم تكن العبارة ملائمة للمعنى  
المراد . فما معنى أن نتلقى أخبارهم بما يشبه الأساطير ؟ كان ينبغي أن  
تكون نهاية العبارة هكذا « ... وآثارهم القبيحة بالأساطير » .  
٢٠ - س ١٠ من الصفحة نفسها ورد « لا أثر فيها للمنحطب كليا

ولا للحجارة « الكلمة » كليا « هنا ثقيلة جدا ، وتؤدي الجملة المعنى بدونها .

٢١ - ص ٦٨ السطر الأخير ورد « وعلق بها بما لم يستطع قلبه أن يسلوها » « هذا التركيب وإهي النسج » « ويجب إعادة صياغته » « كان يقال : « وعلق بها فلم يستطع قلبه أن يسلوها » » .

٢٢ - ص ٧١ س ١٢ ورد « ولقد ذل قوم هوجموا في عقر دورهم » . وقد سبق علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إلى هذا المعنى في خطبة ألقاها بجنده في الأنبار بعد أن استولى جيش معاوية بقيادة سفيان بن عوف القامدي عليها ، وقتلوا عامل علي حسان بن حسان البكري فقال : « فوالله ما غزى قوم في عقر دارهم إلا ذلوا » (٣٧) ، فكان الأولى بإيراد عبارة علي ، خاصة وأن الكاتب جاء بمعناها وبثلاثة من ألفاظها « قوم ، وعقر ، ودور » .

٢٣ - ص ٧٨ س ١٧ و ١٨ ورد « وهو خاص بالناس من يعيد ومن قديم ، ومن كبير ومن صغير » ، إعادة حرف الجر ( من ) ثلاث مرات لم تجر إلا إلى اضماع الجملة » .

ومن عادة المؤلف أن يعيد ذكر كلمة مع أنه ذكرها بمعناها في جملة سابقة قريبة لا يفصلها من الأخيرة عدا سطر أو سطرين ، ففي ص ١٢٠ س ٢ أورد جملة « أدرك واقمها » ، وفي السطر الذي يليه قال : « فلندرك » « ثم في س ٤ قال : « ولا يدرك فضله إلا من صرف ضده » . وتكررت مادة « الإدراك » هذه نفسها أيضا قبل ذلك في ص ٧٠ س ٣ وما بعده » « لنقرأ » وإلى أن لا يفارقه حتى يدرك محبوبته ، مما اضطر ابن دحيجا لأن يذهب إلى قبيلة محبوبة محيسن ، ويبقى فيهم أجرا متذكرا يرتقب الفرس ، ويدير الخيل لعله يدرك فرصة يدرك بهما بغيته « ١١ وقال في ص ١٢٧ س ٨ و ٩ : « وكان المربيات لا يؤخذن بشيء مثلما

يؤخذن بالفروسية والشجاعة فهي تستهوين وتأخذ بالبابهن » « فجاء ذكر « الأخذ » ثلاث مرات في سطرين متتاليين » .

وفي ص ١٢٩ س ٢ ورد « وهو مشهور بالكرم ، ومكارم الأخلاق ، وإكرام الضيف » « هذه المرة وردت ثلاث كلمات من مادة لغوية واحدة في سطر واحد » وفي ص ١٣٠ س ١٤ ورد « لعلني أزداد عندهما حبا ، وأحظى منها بالشب والمطف والرضا » » .

وفي ص ٢٤٥ س ١٦ وما بعده ورد « ونجسوا بإبلهم ومتاعهم » « ولكن الضمير أعادوا الكرة مرة أخرى ، وتجاولوا ، وانخزل من المنزيعين قسم نجوا بإبلهم ولكن الباقي ثبت وناضل حتى نجوا » « » .

هذه الاعادات اخلت بأساليب جعلها ، واضمعت بنياتها ، ولا يغامرني ادنى شك في أن يوسع المؤلف الأديب الكبير الغاضل أن يصطنع من خزائنه اللغوية الثرية جدا عدة الفاظ مترادفة تعبر عن المعنى عينه أو قريب منه ، وتجنبه الركاقة .

٢٤ - ص ٨٠ السطر الأخير ورد « تقدم يخطبة الفتاة » . انه تقدم مخطبتها ، أو لطلب يدها . فالباء في الجملة في غير موضعها .  
 ٢٥ - ص ٨١ من ٦ « وفي مرة صادفه صاحب » . ما النفع من انخال ( في ) على ( مرة ) ؟ ثم ان الضمير في ( صادفه ) يوحى بأن المصادف -بفتح الدال- هو ابن أبي الميخ كما يدل عليه السياق ، لكن ما بهد ذلك يبين أن المصادف هو أبو الميخ نفسه . فلزالة هذا اللبس يجب استبدال الاسم الظاهر بالضمير . أي هكذا : « ومرة صادف أبا الميخ صاحب الجرم أبو الغلام » فلم يكتف بجرمه الأول ، بل قال له كيف الطريق . الخ .  
 وفي س ٩ ورد « فقال أبو الميخ : هو لم يكن سهلا » هذا التعبير ليس خلوا من ركاقة بسبب الابتداء بالضمير « هو » . فبدا كأنه ترجمة حرفية لعبارة في لغة أوروبية .

٢٦ - ص ٨٢ من ٥ ورد « ولا يقدم القهوة الا مصنوعة من ساعتها » . الصواب أن يستبدل بمن ( في ) .  
 ٢٧ - في السطر الأخير من الصفحة نفسها ورد « ولكن ان قدر الله على فرسي وسلاحي » هذا تعبير يفهم معناه في اللغة المتحدث بها . أما في اللغة المكتوبة الفصحى فلا بد لـ « قدر » من مفعول به . فالصحيح « ان قدر الله على فرسي وسلاحي أخذا » أو سلبا ، أو أن تؤخذ « أو أن تسلب ، أو نحو ذلك » فتكون أن والمضارع الذي تدخل عليه في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به .

٢٨ - ص ٨٥ من ١١ ورد « يدركون أن الرجل يدهى من ليلتين ويطول غيابه ثم يعود وهكذا » ما هذا التعبير يسلم ولا معناه بجلي .  
 ٢٩ - ص ٨٧ من ٨ ورد « وظلت - أي الابل - ليس بها الا رعاتها » . والصحيح « ليس معها الا رعاتها » .

٣٠ - ص ١٠٣ من ١٠ ورد « وكان الوقت بردا » وهو مستعار من المامية ، وبديله الصحيح : « وكان الوقت باردا » أو « وكان الوقت وقت برد » .

٣١ - قال المؤلف في مقدمة القصة : « الشاعر الوضيحي » . وحسن

التصرف « ص ١٠٨ : « شاعر خليع - وزير نسام - ومفرم بالجمال -  
وشعره رقيق عذب ، له جاذبية ومغناطيسية محببة - وجله في الغزل -  
وشخصية الوضيحي أيضا شخصية جذابة حلوة - » ويقال عنه أنه جبان شأن  
كثير ممن هذه صفاتهم - » وحينما تذكر له امرأة جميلة يفتعل الأسباب -  
ويمسطنع المناسبات - » لكي يصل الى مريضها - » ويحاول أن يراها ، أو أن  
يسمعا شعره » .

لا بد أن القاريء الكريم قد لفتن للنقطة التي شئت أن أوجه انتباهه  
إليها - » إنها هذه الواوات الكثيرات ( عشر واوات في خمسة أسطر ) التي  
أرهقت كاهل السطور حتى أوشكت أن تضج بالشكوى .

٣٢ - وفي ص ٩ من الصفحة نفسها في سياق حديث المؤلف عن زوجة  
ابن خلبوص قال : « وتناقل الرواة ملاحظتها » - » الرواة يتناقلون ذكر  
ملاحظتها ، لا الملاحظة نفسها - ليس كذلك ؟ »

٣٣ - وفي ص ١٤ من الصفحة نفسها ورد : « لعل نصيبني معك يبرأ  
من علته التي هديني فقرها وهوزها » هذا الأسلوب ركيك ومدلوله غامض -  
وعلة ذلك إضافة الفقر والعوز الى ضمير يعود الى الملة - ولو قال المؤلف :  
« لعل نصيبني يبرأ من علته » - « علة الفقر والعوز التي هدتني » لصح بنام  
الجملة واتضح المعنى .

٣٤ - ص ١١٥ من ٣ وما بعده ورد : « فقلت له ألم تكن غائبا منذ  
أسبوع والآن قدمت - » هذا هو الأمر - » ينبغي أن يستبدل هذا بنحو من  
« فقلت له سنزعم لهم أنك غائب منذ أسبوع وقدمت الآن - » .

٣٥ - ص ١١٨ من ١٧ وما بعده ورد : « ولما أخذنا مكانهما الذي  
سوف يتفديان فيه ويستريحان ، وقد غفلا عن طيريهما ، انقض طير الشمالي  
على طير رفيقه فمزقه » - » خير من هذا أن تكون المباشرة على هذا النحو :  
« ولما أخذنا مكانيهما - » غفلا عن طيريهما فانقض طير الشمالي - » .

٣٦ - ص ١٢٩ السطر الأخير ورد : « وهي أيضا ينقل أنها تتمنى  
رؤيتي » خير من هذا لو قلت : « وقد نقل إلي أنها أيضا تتمنى رؤيتي »  
أو خير ذلك -

٣٧ - ص ١٣٨ في قصة « عقاب المواجي وفهيد الفواري » وبعد  
ثلاثة أبيات للفواري قال المؤلف : « وبهذه المناسبة قال والده سعدون  
المواجي يفتخر : - » وهذا يوحي بأن الوالد والد الفواري ، وليس  
به ، لكنه والد عقاب المواجي - فلتغير العبارة الى : « - قال سعدون  
المواجي أبو عقاب يفتخر : - » .

٣٨ - ص ١٥٤ ورد « وصلت جملها الذي سوف تمتطيه الى مضارب

أهلها » ٠٠ الأحسن أن يقال : « الذي كانت ستمتطيه » ، أو « الذي تنوي امتطاه » ٠ ونحو ذلك ما جاء في ص ١١٨ ص ١٨ « الذي سوف يتغديان فيه » ، الأحسن « الذي كانا سيتغديان فيه » ٠

٣٩ - ص ١٧٧ ص ١٦ ورد « ومالك مثل هذه في ذلك الزمن مثل ( الفانتوم ) في هذا الزمن » ٠ كان يجب أن تكون العبارة هكذا : « ومالك مثل هذه في ذلك الزمن مثل مالك الفانتوم في هذا الزمن » ، أو « ومالك مثل هذه في ذلك الزمان كمالك أحدث طائرة الآن » ، والعبارة الأخيرة خير من الأولى ٠

٤٠ - ص ١٨١ ص ١٧ ورد « وكان من هم على شاكلته من مضارب النهب والسلب ، وأهل شريعة الغاب كانوا متمسكين بفرضه ٠٠٠ » ٠ لا حاجة لإعادة الفعل ( كان ) فالأول كافٍ ٠

٤١ - ص ١٩١ ص ١١ وما بعده ورد « ولما جد بهم السير في غزوهم كره ابن منديل أن يتأمر على ابن صويط وهو صاحب الرئاسة في الضفير ، وهذا لا يمدو أن يكون جاراً عندهم ٠٠ » فالعبارة الأخيرة توحى بأن المقصود بالجار ابن صويط ، والأمر ليس كذلك ، فالجار هو ابن منديل ٠٠ فينبغي أن تكون العبارة : « في حين أن ابن منديل لا يمدو ٠٠ الخ » أو نحو ذلك ٠

٤٢ - ص ١٩٢ ص ٩ و ١٠ ورد « فقال لا يفضل عار هذه عند العرب إلا أن أقتل ولدي ، وقيل ولد أخيه ، فقالوا : الأمر لك ، فقال لأخيه هم الشاب : قم ٠٠٠ » ٠ لا يخفى ما في أسلوب هذه العبارة من تفكك ٠ وتربيطها ممكن بمبنياتها هكذا مثلاً : « فقال لا يفضل عار هذه عند العرب إلا أن أقتل ولدي » - وقيل أن الولد كان ولد أخيه - ، فقالوا : « الأمر لك » ، فقال لأخيه - عم الشاب على الرواية الأولى - : « قم ٠٠ » ٠

٤٣ - ص ١٩٣ ص ٢ ورد « عتزي أصيبت أبله بالجر ، وأين ما وجه بها طرد مخافة أن يمدي مرضها إيلهم » - إيل مَن ؟ علام يعود الضمير في ( إيلهم ) ؟ ٠٠ أن يديل هذه العبارة هو « ٠٠ وإذا توجه صوب قوم طردوه مخافة أن يمدي مرضها إيلهم » ، أو « وأينما توجه بها طرد مخافة أن يمدي مرضها إيل » ٠



٤٤ - من ١٩٣ من ١٠ ورد « ولا يرضون أن أحسدا يتمرغن له بسوم » • ولو قال المؤلف : « ولا يرضون أن يناله أحسد بسوم » لكان أبلغ •

٤٥ - وفي الصفحة نفسها من ٢ ورد « والجرب دام غيبث يصيب الأهل فلم يزل بها حتى يبديها » • الصحيح « • • • فلا يزال بها • • » •  
٤٦ - من ٢٠٩ من ١٦ ورد « وأصدر أوامره عليهم » • • « وأمرهم » أوجز وأبلغ •

٤٧ - من ٢١٢ من ٤ « إلا أنه مصمم • • » الأنسب « إلا أنه كان مصمما • • » •

٤٨ - من ٢١٧ من ٣ و ٤ ورد « لديه من المصلحة • • • ما لدى نصر بن حجاج حينما تفتت به الفيد في الخدور » • وخير من ذلك أن يقال : « • • • ذلك الذي تفتت به الفيد • • • » •

٤٩ - من ٢٢٥ من ١ ورد « محمودا المتقمص في الظاهر شخصية التاجر المخامر • • » لتعطف « في الظاهر » فانها حشو •

٥٠ - من ٢٢٤ من ٧ وما يليه ورد « فتشاورا بينهما بأن هذا لا مطمع فيه إلا أن نعتال عليه احتيالا ، فلو حاولنا أخذه وهو على راحلته فتك فينا » • هذا التعبير مختل • وصحته هكذا : « فتشاورا وقالوا : أن ذلك لا مطمع فيه إلا بأن نعتال عليه احتيالا ، فلو حاولنا أخذه وهو على راحلته لفتك بنا » •

٥١ - من ٢٣٦ من ١٧ ورد « فهما أشباح ليس بها إلا الأرواح » • الأصح « فهما شبحان ليس بهما إلا روحاهما » • •

٥٢ - من ٢٤٢ من ٢ وما يليه ورد « انطلقت التي ليس هو بحوارها الحقيقي الى الماء • • أما أمه الحقيقية فبقيت حوله تتلوى من شدة الظما ، وحينما أدرك ذلك المارفة أطلقه ، ثم انطلقت به لا تلوي على شيء حتى وردت الماء • • فعلم به لصاحب الناقة التي بقيت عند الحوار » • أسلوب مضطرب للتعبير عن فكرة غير معقدة • • والأولى أن يقال : « انطلقت احداهن الى الماء • • وبقيت الأخرى حوله • • فأدرك المارفة أيهن الأم ، وحكم به لصاحب الناقة التي ظلت عنده » •

٥٣ - من ٢٤٣ من ٥ ورد « ومن ثم صفر اليدين » • وصحتها « ومن ثم يعود صفر اليدين » •

٥٤ - من ١٦ والي يليه في الصفحة نفسها ورد « وإذا به أمام البيت

يجبر رجل حمل ولد البارحة ٠٠٠ » . ليس هذا النص جزءاً من حوار أو قولاً لأحد أشخاص القصة ٠٠ فلا تستعمل كلمة « البارحة » بل يقال مثلاً : « حمل حديث الولادة » ، أو « يبدو أنه ولد في الليل السابق لذلك اليوم » .

٥٥ - ص ٢٤٤ من ٨ ورد « أنك جئتني ثلاث سنوات » . والمؤلف يريد « أنك جئتني ثلاث مرات في ثلاث سنوات في كل سنة مرة » ، ولو قال هكذا لكان أبين للمعنى وأصح للكلام .

٥٦ - ص ٧ من الصفحة نفسها ورد « وهو يحمل عزماً بأن لا يعود » . غير من هذا وأبصر « وهو عازم على أن لا يعود » .

٥٧ - ص ١٣ من الصفحة نفسها ورد « أن ما فعلته بالحمل هو أنني أعرف أنه ٠٠ » . « أن » و « أن » ثم « أن » في جملة قصيرة ٠٠ الأجل « فما فعلته بالحمل سببه معرفتي بأنه ٠٠ » . وبعد هذه الفقرة مباشرة ورد « لولا حقير المال لم يأت كبيره » . وهذا المعنى مستعار من المثل العامي السائر « لولا دقائق المال ما جاء جلاله » ، فكان الأحسن الاستشهاد به بنصه .

٥٨ - ص ١٥ من الصفحة نفسها ورد « ثم أنفقت في واجبه ٠٠ » . وكان ينبغي أن يقال « ثم أنفقت في موجب ، أو في وجوه ، أو في موضع إنفاقه » .

٥٩ - ص ٢٥٤ من ٢١ ورد « فجعل كل القوم تسأل عن مسعود » . والأصح « فجعلت القوم كلها تسأل عن مسعود » أو « وجعل كل القوم يسألون عن مسعود » .

٦٠ - ص ٢٥٧ من ١٠ و ١١ ورد « إلا أن الرقيبة يغفل ويجوز - كذا بالزاي وصحته بالراء - سلطان النوم » . في هذا النص مثلاً شائعاً أحدهما ضمن بنصه وهو « الرقيبة يغفل » ، والرقيبة : الرقيب الذي توكل إليه مهمة البقاء في مكان عال ( مرقب ) والتطلع في الأفاق لاندثار الناس بقدوم العدو ٠٠ ومعنى المثل : « حتى الرقيب قد يغفل » . فكان الأدق أن يوضع بين قوسين - أما الثاني فضمن بنص قريب من نصه « النوم سلطان جائز » .

٦١ - ص ٢٣٨ من ٦ و ٧ ورد « وما قال الحكيم العربي قبل :  
إِنَّ بَنِيَّ صَبِيَّةٌ صَيْفِيُونَ

أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ رَهْمِيُونَ » .

ذلك الحكيم هو أكثم بن صيفي . وقيل سعد بن مالك ابن ضبيعة ( ٣٨ ) -

٦٢ - ص ٢٣٦ س ١٩ ورد « فلم يطلق أن يتحمل ما بلغ به الأمر » .  
والصحيح « فلم يطلق أن يتحمل ، فبلغ به الأمر ٠٠ » .  
مسائل لغوية :

أولا : للمؤلف الكريم مقدرة فائقة على انتقاء الكلمات المربية  
الأدبية الرشيدة النصيحة ٠٠ مما يتمتع قارئة الذي يجد في هذه الألفاظ  
الجيدة نقلة من تلك التي أنهكها الاستعمال ، وابتدلها المتحدثون ، والتي  
تكرر وتماد على المسامع والأعين أثناء الليل وأطراف النهار . لكن سعى المرم  
الكاد لتصيد الألفاظ اليكر ربما نأى به أحيانا عن الدقة في استعمالها ٠٠  
وفيما يلي بضعة أمثلة قد تكون من ذلك الضرب :

١ - « مفوه ومفوهة » : وصف المؤلف بها الفرس : « لديه فرس  
أصيل مفوهة » (٣٩) ، والحصان : « له حصان مفوه » (٤٠) ، والفارس :  
« خلف بن دميحا فارس مفوه » (٤١) ، والبندقية (٤٢) . فلنتر ما تقول  
المواجه في هذه الصفة ؟ وما معناها المحدد ؟ :

قال ابن دريد : « الفوه عظم الغم واتساعه . فوه الرجل يفسوه  
فوها فهو أفوه والأنثى فوها ، وكذلك في الخيل قال الشاعر :

فهي فوها كالجوالق فوها

مستجاف يغزل فيه الشكيم

وطمئة فوها واسعة ٠٠٠ » (٤٣) .

وجام في لسان العرب : « الفوة أصل بنام تأسيس الغم ٠٠٠ ورجل  
أفوه عظيم الغم طويل الأسنان ، ومحالة فوها إذا طالت أسنانها التي يجري  
الرشام فيها ٠٠٠ وقالوا رجل مفوه إذا أجاد القول ٠٠٠ وقال الفراء :  
رجل فاووهة يبوح بكل ما في نفسه ، وفاه وفاه ورجل مفوه قادر على المنطق  
والكلام ، وكذلك فيه ٠٠٠ والمفوه المنطيق ، ٠٠٠ ابن الأعرابي : رجل  
فوه ومفوه إذا كان حسن الكلام بليغا في كلامه » (٤٤) .

يتبين من ذلك أن معاني هذه المادة مرتبطة بالغم والأسنان وما له صلة  
بهما كالكلام فلم يكن استعمال المؤلف الفاضل لها دقيقا كل الدقة ٠٠ بل  
لقد حملها من الدلالة مالا طاقة لها به ، كالشجاعة التي أراد أن يصف بها  
الفارس ، والمتانة أو جودة الصنع التي شامها للبندقية .

٢ - ص ٢٣ س ١٠ ورد « فاوما كل منهما على صاحبه بالرمح ٠٠ » .  
تمدية الفصل « أوما » بحرف الجر « على » عامية . والنصحيح :  
« أوما إليه » (٤٥) .

٣ - ص ٩٧ من ٨ ورد « وإغراها بأن تذهب بصرة هذا المال لفلانه » .  
أشار المؤلف الى المال مع أنه لم يرد له ذكر قبل الجملة . وكان الصواب أن  
يقول : « بصرة من المال » .

٤ - ص ١٠٤ من ١ ورد « فلان صاحب الأمانة » . واستعمال  
« صاحب » صحيح لا شيء فيه ، لكن أبلغ منه استعمال « ذو » التي بمعنى  
« صاحب » .

٥ - ص ١١٨ من ١٨ ورد « الذي سوف يتفديان فيه » بالذال  
المعجمة . والمقصود « يتفديان » بالمهملة أي « يتناولان وجبة الغداء » .

٦ - ص ١٤٣ السطر الأخير ورد « اعتادت هذه القبائل شن الغارات  
على بعضها البعض » . وصيغة العبارة « ... بعضها على بعض » . اعتاد  
بعض هذه القبائل شن الغارات على بعض ... أو « على بعضها الآخر » .

٧ - ص ١٣٦ من ٣ ورد « وركبا راحلة المطيري ونجيا بنفسيهما » .  
المصحح : « نجوا » بفتح الواو ، كدما ودهوا . أصل الألف واو فلما  
التقى الساكنان أضيفت الى أصلها لمنع ذلك .

٨ - ص ١٩٥ ورد « وأوقدي على القدر ليري الدخان » . هذا  
ما تقوله العوام . أما في اللغة العربية الفصحى فلا يصح . بل : « أوقدي  
النار تحت القدر ليري الدخان » .

ثانيا : ياليت الأستاذ الكبير المؤلف لم يكثر من استعمال الكلمات  
العامية في كتابته . . وليته اذا استعملها وضع كلا منها بين قوسين ليبين  
أنه تمم استعمالها لما قد تضيفه على موضوع القصة من صبغة لا تؤذيها  
الكلمة الفصيحة .

ولثلا يسام الفهم أجدني مسوقا الى القول بأنني لست ألومه على ما جام  
في النصوص العامية من شعر وغيره من كلمات غير فصيحة ، بل على ما في  
إنشائه هو . على أن موضوع الكتاب وكونه يتناول قصصا دارت أحداثها في  
زمننا هذا أو زمن قريب منه ، ونقلها من لسان عامي ، وأنها « أحاديث  
سمر » كما سماها ، يشفع له بعض الشفاعة ولا يعفيه من الملامة الإجماع  
التام .

ومن ذلك :

١ - « بندق » . . استعملها المؤلف بمعنى « بندقية » . كما استعمل  
صيغة الجمع منها « البنادق » (٤٦) . و « بندق » عامية والفصيحة  
« البندقية » التي يرى الدكتور عبد المنعم سيد عبد المال أنها منسوبة الى  
« البندق » ، وهي « كرة صغيرة من نحاس أو نحوء توضع في القوس ويرمي

بها ، وجمعها بندق « (٤٧) •

وفي القاموس المحيط : «البندق الذي يرمى به والواحدة بندقة» (٤٨)  
وهي عبارة اللسان الا أنه زاد : « والجمع البنادق » (٤٩) •

٢ - عنوان القصة التي في ص ٢٢ صدر بيت من قصيدة وردت فيها  
هو « الزول زوله والحلايا حلاياه » • وهذا العنوان بحاجة الى بيان معاني  
مفرداته ، أو أن يستبدل به عنوان آخر بالفصحى لأن غالبية قراء الكتاب  
لن يكون لها أدنى معرفة بمعناه •

وذلك ينطبق أيضا على القصص التالية :

لعاد بالدنيا جديك يخليك ص ١١ - خلوج ابن رومي ص ١٢  
ما الخلوج ؟ ان معظم القراء وخاصة قاطني المدن لا يدرون ماهي ؟ رغم  
أنها أوجت للشاعر الموني قصيدته الرائعة المتداولة - الفرخ لا يفويك في  
صَفَةِ الريش ص ٢٨ - يا يحد فرق الناس ص ١٠٤ - جدد جروح العود  
ص ١٥٢ - مسقى طوامي قصيره ص ١٨٩ - قَاهِنِي البهايم ص ٢٤٧ •

٣ - غضبام : وردت في عنوان قصة في ص ٤٠ وفي السطر الأخير في  
ص ٤٣ • وقد قصرت اتباعا لاستعمالها في الحديث ، لكن ينبغي مدها  
لتتطابق مع الجملة غير العامية • ولأنها ممدودة لغة ( بمعنى أنثى الحيوان  
ذات القرن المكسور كما سيأتي » •

ولكن هل هذه الكلمة فصيحة ؟ • نعم • اذا قصد بها الشاة أو الناقة  
المكسورة القرن • قال الكميت بن زيد :

ولا أنا ممن يزعج الطير همته

أصاح هراب أم تعرض ثعلب

ولا السانحات البارات عشية

أمر سليم القرن أم من أعضب (٥٠)

وقال الأطل :

إن السيوف ، غدوها ورواحها

تركت موازن مثل قرن الأعضب (٥١)

والغضبام أيضا الناقة أو التمية المشقوقة الأذن • أما اليد المقطوعة  
من الانسان فلا يقال لها غضبام ، بل توصف بذلك اذا كانت قصيرة • جام  
في القاموس المحيط :

« الأعضب من لا ناصر له ، والقصير اليد • ولم يقل ( ومقطوع

اليد « (٥٢) »

٤ - ص ٢٥ س ١٨ ورد « بعض لموص الخيل وحافتها » . و ص ١٩ ورد « حيافة » و ص ١٧٧ س ٢ ورد « حيافة الخيل وسرقتها » . والحيافة مصدر حاف يحوف فهو ( حائف ) ، أي طاف حول الحي ملتصقا غرة لينهب الخيل أو الماشية . وهي كلمة عامية .

٥ - ص ٢٦ س ٩ ورد « خيته » أي خيَّة الحصان . ولعلها فصيحة الأصل فقد ورد في القاموس المحيط « الغياية وهي كل ما أطل الانسان من فوق رأسه كالسحابة ونحوها » (٥٣) .

٦ - ص ٢٨ س ٣ ورد « وأحلى الرجال حندين » . « أحلى » بمعنى « أجمل أو أكثر وسامة أو جاذبية » ، كما في العبارة عامية غير نجدية الأصل ، لكن العرب قد يستعملون الحلاوة بمعنى قريب من معناها ذلك ، وهو « استغفاف الشيء واستحلاؤه » . « جام في اللسان : » والحلو من الرجال الذي يستغفه الناس ويستلحونه وتستلحيه العين ، أنشد اللحياني :

وإنِّي لحلوٌ تمتريني مرارةٌ ،

وإنِّي لصعب الرأس غيرُ ذلول

والجميع حلون ، ولا يكسر ، والأنثى حلوة والجميع حلوات ولا يكسر أيضا . . . والحلو الحلال الرجل الذي لا ريبة فيه ، على المثل ، لأن ذلك يستلحي منه ، قال :

ألا ذهبَ الحلوَ الحلالُ الحلالُ

ومن قوله حكمٌ وفضلٌ ونائلٌ « (٥٤) » .

٧ - ص ٣٧ س ٩ ورد « فاستلحه » أي « فاستدعاه » ، وكذلك في ص ٩٧ س ٧ « استلحق » . وهي ، مع فصاحة أصلها ، عامية بمعناها هذا . أما « استلحق » في الفصحى فمعناها زرع « الألقاق » وهي « مواضع من الوادي ينضب منها الماء فيلقى فيها البذر » الواحد لحق محركة « (٥٥) » .

٨ - ص ٤٨ س ١٦ ورد « من رجال المغربة » وهم رجال الأعمال قبل أربعين سنة أو تزيد - « . هذا التمرير المام لا يفي بالفرض ، ويحسن الحديث في الماشية من اشتقاق لفظ « المغربة » ومدلوله في نجد فهو مما لا يعرف الكثيرون معناه ممن لا صلة لهم بالحياة الريفية في وسط الجزيرة .

- ٩ - « انهزم بالشيم » أي انطلق به .. مستعملة في اللهجة النجدية .  
استعملها المؤلف بهذا المدلول في ص ٨٧ س ١٩ : « وانهزموا بها » .  
١٠ - ص ١٠٤ س ٥ وردت لفظة « عفش » .  
١١ - ص ١٠٦ س ١٧ استعمل لفظ « المداماه » بمعنى « النزاهات التي سفك فيها الدم » . والكلمة الفصيحة البديلة هي « ترات » جمع ترة .

- ١٢ - ص ١٠٨ س ١٦ ورد « ضرب غف راحلته يمشيط بخصبها بها » .. ومعنى « بخص » هنا : « أصاب بخصتها وهو فرسها بحيث تضلع في سيرها » .. والأولى شرح معنى « بخص » .  
١٣ - في ص ١٢٢ ورد لفظ « الهجن » أي الابل . والكلمة هامية .  
وأصلها الفصيحة « الهجان » للمفرد والجمع . جاء في القاموس المحيط :  
« وناقة هجان . وابل هجان أيضا . وهجائن . بيض كرام » (٥٦) .  
قال عمرو بن حميل الهذلي :

فقتلاً بقتلانا . وسُقنا بسببينا

نساءً وحنًا بالهجانِ المرعِلِ (٥٧)

وقال الراعي النميري :

فابصرتها كوماً ذاتَ عريكة

هجاناً من اللاني تمتعن بالصوى (٥٨)

وقال حزاز بن عمرو ، وهو شاعر قرشي جاهلي :

لنا رَاحِلٌ لم تُهِن رَاحِلُها

كرامتها ، والفعى ذاهب

هجان تكافاً فيها الصديق

ويدريك فيها المني الراغب (٥٩)

- ١٤ - ص ١٣٠ س ١٣ ورد « لميرون هذه الفتاة » بمعنى « من أجل هذه الفتاة » . وكون هذا التعبير هامياً بين .  
١٥ - ص ١٣٢ س ٧ ورد « السرح » ، وهي - على فصاحتها - تفتقر الى « شرح » .

- ١٦ - ص ١٣٣ س ٩ ورد « الرجال لا يكالون بالأصواع » .  
« الأصواع » جمع فصيح صحيح .. لكن الجملة مقتبسة من كلام لضمرة ابن ضمرة التميمي قالها في حوار جرى بينه وبين النعمان بن المنذر .  
ونصها : « إن الرجال لا يكالون بالصيغان » (٦٠) .

١٧ - من ١٣٨ من ٢ ورد « ويمدها نكل فجعل يرمى ابله في اتجاه آخر » . « نكل » بكسر أوله وفتح ثانيه بمعنى « تاب » عامية ، على أن معنى « نكل » يفتح النون وكسر الكاف في الفصحى ليس كبير البعد عن معنى « تاب » ، وهو « تكس وجين » (٦١) .

١٨ - من ١٥٦ من ٢ ورد « حجيرته » . « وس » ورد « حجيرها » . ومدلول الحجرة والحجر عامي . . فكان ينبغي احاطتهما بأقواس .

١٩ - من ١٥٩ من ٩ وردت هذه العبارة المنقولة بنصها ضمن الحوار في القصة « يا بعد حيي اشتان بشأنك ماني يمك » . ولا شيء في ذكرها بنصها . . لأنها في حوار ، ولها مدلول خاص . لكن كان ينبغي شرحها في الحاشية .

٢٠ - من ١٦٥ من ١٠ ورد « تقصد بالنساء » أي تقول الشعر . . تنظم القصيد في النساء . وهذا الفعل مع فصاحه أصله (٦٢) ، بحاجة إلى بيان مدلوله لغير الملمين بلهجاتنا .

٢١ - من ٢٠٠ من ٤ ورد « متظاهر » . وصحتها « متظاهرا » .

٢٢ - في الصفحة نفسها من ١٠ ورد دلائل تورى بأنه . نال هذه الثروة » والصحيح « دلائل ترى بأنه الخ » .

٢٣ - من ٢٢٦ من ٥ ورد « يخفيها اللال ويبيديها » . « اللال » بلامين بعد « ال » التعريف ، بينهما ألف ، وهي من الكلمات العامة المستعملة في الشعر . ومحتاها « السراب » . . وهي في الفصحى « الآل » بهجرة ممدودة ولام .

٢٤ - من ٢٣٨ من ٨ و ١٥ استعمل لفظ « البطن » بمعنى « الولد » . ومدلول البطن هذا معروف عند العامة وحدهم .

٢٥ - من ٢٥٣ من ١٠ ورد « ليصخوا » أي « ليوقظوا من النوم » . وهي عامية إذ لم ترد في اللسان ولا في القاموس بمعنى الاستيقاظ أو الايقاظ من النوم . بل في الصعو من السكر ومن الشوق (٦٣) . على أن ابن فارس ذكر أن « الصاد والحاء والحرف المعتل صحيح يدل على انكشاف شيء » (٦٤) ، ثم مثل للصعو من السكر والاصحاء السماء . (٦٥) . ولعل المؤلف الكريم يفيدنا حول هذه اللفظة افادة توسع ما ضاق من مدلول هذه المادة .

٢٦ - من ٢٥٤ من ٩ ورد « استلم ثمني » . والصحيح تسلم ثمني . قال الفيروزآبادي في قاموسه المحيط « وسلمته اليه تسليما فتسلمه : أعطيته فتناوله » . . . واستلم الحجر لمسه اما بالقبلة أو باليد



كاستلامه « (٦٦) . وجام في اللسان : وتسلمه مني قبضه . وتسلمت اليه الشيء فتسلمه ، أي أخذه « (٦٧) . وذكر في مكان آخر الاستلام للحجر الأسود . « (٦٨) .

٢٧ - ص ١٣٠ من ٨ ورد « نهضتهما » بمعنى « رفعتهما » . . وهي بهذا المعنى عامية . . حيث يقال في الحديث الشفوي « نهض فلان الشيء ينهضه » أي رفعه يرفعه .

٢٨ - ص ٤١ من ٢ ورد « وإذا أرشد في تصرفه » . أي سلك مسلك الراشدين من الناس . و « أرشد » بصيغة أفعل تستعملها عامة زماننا . أما في اللغة العربية فيقال « رشد الانسان » ، بالفتح ، يرشد رشدا بالضم ، ورشد بالكسر ، يرشد رشدا ورشادا ، فهو راشد ورشيد ، وهو نقيض الضلال ، إذا أصاب وجه الأمر والطريق « (٦٩) .

٢٩ - ص ٢٤١ من ١٠ ورد « الفارضة أو الفارضة » . ولعل المقصود « العارفة أو العارف » . . وقد ذكرت « العارفة » في القصة نفسها والصفحة عينها « ص ٢٠ .  
هفوات نصوية :

١ - ص ١٥ من ١٥ ورد « فتمود مرة أخرى بقسح كاد اللين أن يفرقه ، فيتناول ما طاب لهما من الطعام » . . الفعل المضارع « يتناول » لم تسبقه أداة ناصبة أو أداة جازمة ، فحقه الرفع « فيتناولان » .

٢ - ص ٢٥ من ١٩ ورد « من يأتي بحسان حمدان ؟ » ب حذف ياء « يأتي » ، والواجب إثباتها « يأتيني » فالفعل هنا غير مجزوم لأن « من » التي سبقته هي الاستفهامية وليست الشرطية التي تجزم فعلى .

٣ - ص ٣٢ من ٥ ورد « أن يقسمها فيهم مازال في نسكة من عقله » . واستعمال « مادام » هنا هو الصحيح . كما أن « يقسمها بينهم » أدق من « يقسمها فيهم » .

٤ - ص ٣٧ من ٦ و ٧ ورد « وأنه لم يتأثر ، أو يهتز ، أو يتنبه شعوره ، أو يخاف - كذا - من الموت . . » - الأفعال الثلاثة بعد « يتأثر » كلها مجزومة ، فهي معطوفة عليها بأو ، ف « يهتز » مجزوم بسكون مقدر منعت من ظ وره حركة الخفة ، و « يتغير » بالسكون الظاهر ، و « يخاف » يجب أن تكون « يخف » لأن المضارع الأجوف يفقد حرف علقه - أي

تجزيه - اذا جزم تجنبنا الالتقاء الساكنين .

٥ - في الصفحة نفسها من ٣ ورد « ونستأني به » و « استأني »  
فعل متعد بنفسه . قال جرير مخاطبا الراعي النمرى :

لبئس الكسبُ تكسبه نمر

إذا استأنوك وانتظروا الإياها (٧٠)

٦ - من ٣٨ من ١٦ والذي بعده ورد « بحيث عملوا الخير أولا  
ولا يريدون أن يكدره ثانيا » . يجب أن تستبدل يواو الجمع هنا ألف التثنية  
لأن الحديث عن المرأة وزوجها ، ولا ثالث لهما . وينبغي أن يستغنى عن  
« بحيث » ويستماض عنها بما هو أكثر مناسبة للمعنى المقصود نحو :  
« لأنهم » أو « فهم قد » .

٧ - من ٣٩ من ٢ ورد « ووصفت لهم هذا الرجل غليس » .  
وصحته « ... غليسا » بالنصب على البدلية .

٨ - من ٤١ ورد « وفارقت » هكذا لازما . و « فارق » لا بد له من  
مفعول . جاء في اللسان : « وفارق الشيء مفارقة وفراقا :  
باينه » (٧١) .

٩ - من ٥٩ من ٦ ورد « يغطيها لابنه الشجاع » . « أعطى » يعتمد  
بدون اللام . وان عدى بها لذلك شاذ . كما في قول ليل الأخيلية :  
أحجاج لا تغطي العصاة مناها

ولا الله يغطي للعصاة مناها

حيث دخلت اللام على مفعول ( أعطى ) الأول (٧٢) .

١٠ - من ٦٣ من ١٠ ورد « وجمعوا له ابلا من الابل التي أخذت  
له » . ومن معاني « عن » في المامية : « بدل » التي تقوم الباء مقامها في  
الفمسي . تقول : أعطيتك بكبشك نعمة . وجاءت « عن » في الجملة على  
ذلك الاستعمال . وقد بحثنا في بعض كتب حروف المعاني فلم نجد هذا  
المدلول له « عن » مذكورا ضمن معانيها (٧٣) .

١١ - من ٦٩ من ١ ورد « فحاول ابن دهيح أن يقتنع محيسن » .  
ويدهي أن الصواب نصب محيسن .

وأصاب الخطأ النحوي محيسنا ذا الخط الرديء هذا ثانية في الصفحة  
نفسها من ٤ : « ولكن هذا الماشق محيسن أصر ... » والصواب :  
« ولكن هذا الماشق محيسنا أصر ... » .

١٢ - من ٧٢ من ٦ و ٧ ورد « وهيناء اللتان لا تغلوان من عمش

ضميل لم يلقى من يرقها أو يقتل فيها سمة الحرارة ٠٠ ، والصحيح  
استبدال ضمير المثني الغائب هما بضمير المفردة الغائبة في « يرقها »  
و « فيها » .

١٣ - ص ٨٨ من ٣ ورد « مع نفس الطريق » والصحيح « مع  
الطريق نفسها » ٠٠ قال ابن مالك :

بالنفس أو بالعين الاسم أكد  
مع ضمير طابق المؤكدا (٧٤)

١٤ - أشبع المؤلف الفاضل تام المخاطبة فرسم بعدها يام في بضع حالات  
في كتابه ٠٠ ففي ص ٩٨ من ١٠ جام : « فاستنكفتي وأبيتي » ، وفي  
ص ١٠١ من ١١ و ١٢ : « لو تمررين عن ( نيف ) مثلما أعرف لمدريتي » .  
وفي ص ١٥٠ من ٦ : « زينتني وغاب طالبك » ، أما أنتي ٠٠٠ ، وفي  
ص ٢٠٩ من ١٥ : « أما أنتي يا لم فلانة ٠٠٠ » ، وفي ص ٢٣٨ من ١١ :  
« بما في ذلك أنتي وبناتك الثمان » .

ويبدو أن المؤلف الكريم يهوى هذا الضرب من الإشباع إذ نجده عند  
كتابة بعض الشعر العامي يشبع الكسرة بحيث تتولد يام لا حاجة للوزن  
والموسيقى بها ٠٠ ففي قصيدة هامية (ص ١٠١ - ١٠٢) أشبع الكسرة في  
الكلمات التالية ( مرسومة كما رسمها ) : « نايميئي - يزيني - كاسبيئي -  
سمديئي - الكميئي - المايئيئي - حزيني » في قصيدة أخرى ( ص ١٦١ )  
أشبع الكلمات التالية : « الصخاني - الثاني - الهواني » . وفي قصيدة  
ثالثة ( ص ١٥٣ ) : « مراضي » - ناضي - باعتراضي » ، وفي القصيدة  
الأخيرة حذفت الياء من كلمة « قاضي » في آخر بيت فيها مع أن اثباتها  
لازم . وفي قصيدة راهمة ( ص ١٦٣ - ١٦٤ ) : « الظلامي - الفسامي -  
المنامي » ٠٠ بينما تكفي الكسرة لاستقامة الوزن ٠٠ وربما أن المؤلف  
تمدد رسم الياء في تلك الأمثلة احتياطاً ، لعلنه أن الكتاب سيخلو من  
الشكل ، وبدون الكسرة يختل الوزن .

١٥ - ص ١٠٤ من ١ ورد « كيف فلان صاحب الأمانة والديانة  
ينحدر إلى هذا المستوى ؟ » . تقدم الفاعل « فلان » على عامله « ينحدر » .  
وحدث مثل ذلك في ص ١٤٩ من ٥ حيث ورد « لماذا ابن عمها يحول  
بيني وبينها ؟ » ، وفي ص ٢٢٤ من ٢ حيث جاء « لماذا منطقة نجد تفص  
بأمهات قبائل العرب » ، وفي ص ٢٤٠ من ١ حيث ورد « هل قسوة قلبك

تبلغ الى هذا الحد ؟ » • وحكم الفاعل التأخر عن رافعه • قال الزمخشري :  
« الفاعل هو ما كان المسند اليه فعل أو شبهه مقدما عليه أبدا كقولك ضرب  
زيد وزيد ضارب غلامه وحسن وجهه » • ( ٧٥ ) •

١٦ - من ١٠٦ س ٩ ورد « عرف حيلان أنه مخطيء فسكت ، وأغاروا  
على جذيل ومن معه ، وأصيب يجرح أثنام المركة » •

واضح من السياق أن الضمير في « أغاروا » عائده على « حيلان ورقفته » •  
لكن لم يكن لرفقته ذكر قبله مباشرة • وأقرب ما يمكن أن يعود عليه  
الضمير هو لفظ « الركب » قبل ذلك بشمانية أسطر • فكان يجب ذكرهم  
بأن يقال : « فأغار هو ورفاقه على جذيل » ، ثم يمد « وأصيب » كان ينبغي  
إلا يترك أي مجال للشك في المصاب فيقال : « وأصيب هذا بجراح » أي  
جذيل •

١٧ - من ١١٤ س ٧ ورد « وكانت سنة شهباء ، وزمن مدقع » • •  
والصحيح « وزمنا مدقعا » • •

١٨ - من ١١٨ س ١٩ ورد « ولم يتبها الا وهو مرقا » • وحق  
الكلمة الأخيرة الرفع لأنها خبر •

١٩ - من ١٢٢ س ٥ ورد « وكل قرى قلب الجزيرة يتسابقون على  
الجود • وسعة المباراة » وكل سكان قرى قلب الجزيرة يتسابقون على  
الجود - أو في الجود •

٢٠ - من ١٢٧ س ١١ ورد « ففمرت الفارس بداح » • وصحتها  
« ففمرت الفارس بداحا » •

٢١ - من ١٢٩ ( السطور من ١٥ الى ١٨ ) ورد « ولم تزل الأخبار  
تترامى الي أن فلانة بنت ابن مهيد أملح ما خلق الله من الفتيات في جيلها ،  
يخلعون عليها من الصفات الجميلة ، ويعطونها من مقومات الحسن • • •  
غلام يعود الضمير « واو الجماعة » في « يخلعون » و « يعطون » ؟ • لم يرد  
ذكر « جماعة » قبله • ان هذا غير جائز في غير لسان العامة • ونحو ذلك  
جاء في ص ٢٤١ س ١ حيث ورد « لم يكن مهدهم الذي كانوا يعيشونه » ،  
وفي ص ١٩٣ س ٢ و ٣ حيث ورد « عتزي أصيبت أبله بالجرب ، وابن  
ما وجه بها طرد مخافة أن يمدي مرضها أبلمهم • • • » ، وفي ص ١٥٢ س ٢  
حيث ورد « المشغوف يحبه » • حب من ؟ غلام يعود الضمير « هن » ؟ •  
لعل « المني في بطن الشاعر » ، أما نحويا فلا بد من عود الضمير على اسم  
متقدم عليه « أو متقدما لفظيا ومتأخرا رتبة » •

٢٢ - ص ١٤٠ من ٥ و ٦ ورد « يستدل القبائل ويرمهم »  
والصحيح « يرميها » .

٢٣ - ص ١٥٦ من ٦ ورد « ولكن لماذا ليس - كذا - هذه عادة ظلمة  
ومبدأ مسرف في الجهل ومنهج جائر » ١٩ وصحة العبارة « ... ومبدأ مسرفا  
في الجهل ، ومنهجاً جائراً » ف « مسرف » نعت لـ « مبدأ » المطفوفة على  
« عادة » المنصوبة لوقوعها خبراً للئس ، و « منهج » معطوف على « مبدأ »  
منصوب . و « جائراً » صفة لـ « منهج » منصوبة .

٢٤ - ص ١٨٧ من ١٠ ورد « ذبح له كبشا » . والصحيح رفع الكبش  
فهو نائب الفاعل .

٢٥ - ص ١٩٢ من ٢ و ٣ ورد « وجام ابن مندبيل لزيارة الشيخ  
ابن صويط-أبو الولد » وصحة آخر الجملة « ... أبي الولد » .

٢٦ - ص ٢٠٥ من ١١ ورد « من قافلة » والصحيح تأنيث الفعل .  
٢٧ - ص ٢٠٩ من ١٨ و ١٩ ورد « وضع اليهودج فوق الآخر » .  
يعني الجمل الآخر ، ولم يرد ذكر جملين ، فكان يجب القول « فوق جمل  
آخر » .

٢٨ - وفي الصفحة نفسها من ٢ ورد « يدعى علوش » . والصحيح  
نصب « علوش » أو وضعها بين قوسين على المحاكاة .

٢٩ - ص ٢١٢ من ١٣ ورد « لا تبئت في بطن واد » والصحيح  
« لا تبئت » .

٣٠ - وفي الصفحة نفسها من ٢١ ورد « لقيه النعت المذكور » -  
والمقصود « لقيه صاحب النعت المذكور » .

٣١ - ص ٢٣٩ من ١٣ ورد « بهذا الأثنام » والصحيح « بهذه  
الأثنام » .

٣٢ - ص ٢٣٧ السطر الأخير ورد « فكم لك من أيادي لا تنسى » .  
الصحيح « ... من أياد لا تنسى » . وشبهه بهذا ما ورد في ص ٢١٨ من ٦  
« إلى خمس ليالي » . والصحيح « ليال » ، وفي ص ٢٥٤ من ١٩ ورد  
« ومكث عنده ليال » وصحة هذه « ليالي » . لأنها منصوبة تثبت يأؤها .  
و « أيادي » و « ليالي » تعامل معاملة الاسم المنقوص الذي تثبت يأؤه في  
حالة النصب دائماً ، وتختلف في حالتي الرفع والجر إلا أن حرف بالٍ  
أو أضيف (٧٦) .

٣٣ - ص ٢٤١ من ١٣ ورد « ناقتين لقتحين ضلتا » . وصحة الجملة  
« ناقتان لقتحتان ضلتا » بالرفع على الابتداء .

- ٣٤ - في الصفحة نفسها السطر الأخير ورد « وذهب الناقتان »  
والصحيح تأنيث الفعل لأن الفاعل مؤنث حقيقي غير مقصود من فعله  
فتأنيث المائل واجب .
- ٣٥ - في الصفحة نفسها من ١٨ ورد « مع العلم أن فعلها واحد »  
والصحيح « ... أن فعلهما واحد » .
- ٣٦ - من ٢٦ - من ١٦ ورد « ما هو الهدف الحقيقي ؟ » ، وص ٨٠  
من ١٠ « ما هو المخرج ؟ » ، وص ٢٤٧ من ١٠ « ما هي السيادة  
يا أبا بحر ؟ » - والأصح فيها كلها الاستفهام عن الضمائر : ما الهدف  
الحقيقي ؟ وما المخرج ؟ وما السيادة ؟ .
- ٣٧ - من ٢٥٢ من ١٦ و ١٧ ورد « الذي لم يصح » بإثبات الواو .  
وصحتها « الذي لم يصح » بحذف الواو ، لأن الفعل مضارع معتل الآخر  
مجزوم .

#### أخطاء طباعية :

وأخيرا أدون في الكشف التالي أهم الأخطاء الإملائية ، والتي يبدو  
أن كثيرا منها تطبيقية - وهي لم ترد في بيان الخطأ والصواب في آخر  
الكتاب - ليتم إصلاحها في الطبعة الثانية لـ « أحاديث السر » .

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٤	٥	زعلول	زِعُول
٢٣	٢	مذري	مذرا
٢٤	١٠	استأخذ	استأخذ
٢٥	٩ - الأخير	بن عريم	ابن عريم
٤١	٩	فشكى	فشكا
٥٣	الأخير	أقوم وأنا	أقوله وأنا
٥٤	١٧	يا ركبين	يا راكبين
٦٤	الأول	لا تحسبن	لا تحسب أن
٦٤	٢	العواد	الأعواد
٦٨	٢٠	نبوتها	لعلها ( مطلب )
٧٣	١٣	مكلب (؟)	نبوتها
٧٤	٢٠	بن جبرين	ابن جبرين
٧٥	٩	ياين جبرين	يا ابن جبرين

أيا بيع	أيا بيع	٩	٧٧
أين جرى	بين جرى	١٣	٨٤
بنات حوام	بنات حوى	٢١	٨٥
وضعا	وضعى	٢ ( وكررت بعد ذلك )	٩٣
هجت	هجة	١٦	١٠٩
يا ابن خلبوص	يا ابن خلبوص	١٧	١٠٩
لأحد أبناء يادية	لأحد يادية	١٧	١١٨
جنوب الجزيرة	جنوب الجزيرة	٤	
عجما	عجسى	٩	١١٦
وجنا	وجنى	١٥	١١٦
ورا	ورى	٥	١١٧
المضيوم	المظيوم	٧	١١٧
قالوا	قالو	١٥	١١٧
ابن سند	ابن سندا	٢	١٢١
تقدسينه	تقديمته	٣	١٢١
المرومة	المروءة	١٤	١٢١
لي حدث	لي مده	١٠	١٣٤
(لعلها) : هل الملحا	هل الملحه	٢	١٣٥
فلجا	فلجنا	١٩	١٣٥
مرومة	مروءة	٢٠	١٣٧
فمعا	فمعى	٢٠	١٣٧
الموا	الموى	٢٠	١٤٤
البكار	البكام	١٨	١٥٩
أن يخرجنه	أو يخرجنه	٤	١٦٦
تهلكوا	تهلكو	١	١٧٤
الخؤولة	الخؤله	١	١٨٨
إذا استطاع	إذا استطاع	٢	١٨٨
قصيرة ( الهام هنا ضمير	قصيرة	١	١٨٩
الغائب وليسـت تام			
التانيث (			
حياضهم	حياظهم	٢	١٩٠
زُمُول الرجال	زحول الرجال	١٥	١٩٧
المشوا	المشوى	١٨-١١-٧	١٩٨

شراؤها	شراوها	٦	١٩٩
الحشوش	الحشوش - بالحام	١١	١٠٢
تنصى	تنصى	٢	٢٠٦
آل شرى	ال شرى	٤	٢٠٦
ترى	تر	٥	٢٠٦
الصناراء	الصناراء	٧	٢٠٦
يجرؤون	يجرؤون	٤	٢٠٧
ابن واسكه	بن وعله	٨	٢٠٧
يوم مي جلمدت (?)	يومهى جملت	٢	٢٢٠
الفى	الفى	٢٣	٢٢٦
من بنى على من حرب	من بنى على حرب	٣	٢٢٨
المروءة	المروءة	٤	٢٢٨
بالأبنام	بالأبنا	٨	٢٣٠
( تحلف )	و :	٦	٢٣٢
خيال الخيل	خيل الخيل	٨	٢٣٢
وضعا	وضعى	٢٣	٢٣٣
قسا	قسى	٤	٢٣٦
(فاقضى ما أنت قاضى)	(فاقضى ما أنت قاضى)	الأخير	٢٣٦
ومن ثم يعود صفر	ومن ثم صفر اليدين	١٥	٢٤٣
اليدين			
وجاء في السنة	وجاءت السنة	٥	٢٤٤
ونجوا	ونجو	١٦	٢٤٥
أو آخر	واخر	٣	٢٤٧
تطابقوا	تطابقوا	٧	٢٤٨
كان هذا رأي ..	كان هو رأي	١٩	٢٥٧
زرت	درت	١٦	٢٥٨



وقبل أن ألقى قلبي جانباً يابى إلا أن يخط هنا عبارة شكر للمؤلف الكريم الذي أمتعتني قصصه .. كما أتاحت لي هذه البرهة النافعة التي قضيتها متأملاً كثيراً من الأساليب والألفاظ ومدلولاتها .

وأخيراً ليدرك من يقرأ هذه الملاحظات النقدية أنه لو تولى تأليف هذا الكتاب غير صاحبه هذا لربما كان فيه من المأخذ والهفوات أضعاف ما ذكرناه ..

وجل من لا يسهو ولا يزل ، و ( لا تأخذه سنة ولا نوم ) .

د. محمد السليمان السديس

كلية الآداب - جامعة الرياض

### حواشي وتعليقات

- ١ - د. عبد الستار الخلوي ، فرات لك : من أحاديث السر ، الدارة ، العدد الثالث ، السنة الرابعة ، شوال ١٣٩٨ ، ص ٧١٩
- ٢ - ص ١٧٧
- ٣ - ص ٩٣
- ٤ - ص ١٨١ السطر الأخير ، وص ١٨٧ س ١ و ٢
- ٥ - ص ٢٥٢ س ١٣
- ٦ - ص ٢٥٤ س ٢٠
- ٧ - ص ١٣٠ س ٧
- ٨ - ص ٥٧ س ١٧
- ٩ - ص ٧١ س ١٠
- ١٠ - ص ٧٢ س ١١
- ١١ - ص ١٤١ س ١١
- ١٢ - ص ٨٤ س ٦
- ١٣ - ص ١١٤ س ٣ و ٤
- ١٤ - ص ٢١٨ س ١٤
- ١٥ - ص ٧٢ س ١
- ١٦ - ص ١٦٧ س ١٠ و ١١
- ١٧ - ص ٢١٢ س ١٩
- ١٨ - ص ٢٣٥ س ٢
- ١٩ - ص ٢٣٩ س ١
- ٢٠ - ص ٢٥٣ س ١
- ٢١ - ص ١٤٣ س ٦
- ٢٢ - ص ٥٨ س ١ و ٢
- ٢٣ - ص ١٥٥ س ٩
- ٢٤ - ص ٧٨ س ٤

٢٥ - من ٢٤٤ ص ٧  
 ٢٦ - من ٢٥٤ ص ١٨  
 ٢٧ - من ١٣ ص ٧ ، ومن ٥٦ ص ١٢ ، ومن ١٢٢ ص ٧ ، ومن ١٧٩ ص ٦  
 ٢٨ - من ١٢ ص ٧ ، ومن ١٢٩ ص ١٤ ، ومن ٢٠٧ ص ٧  
 ٢٩ - من ١٧ ص ٦  
 ٣٠ - من ٣٠ ص ١٣ ، ومن ١٨ ص ٥١ ، ومن ١٢ ص ٧ ، ومن ٧٠ ص ٧ ، ومن ١٠٤ ص ١٦ ، ومن ١١٨ ص ١٠ ، ومن ١٣٠ ص ١ ، ومن ١٤٩ ص ٩ ، من ١٦٣ ص ٦ ، ومن ١٨٩ ص ١٢ ، من ٢٣٤ ص ٦ .

٣١ - من ٢٨ ص ١٤ ، ومن ١٧١ ص ٢  
 ٣٢ - من ٢١٨ ص ٢٢  
 ٣٣ - من ٢٣٨ ص ١٧  
 ٣٤ - أنظر اللسان ( عود )  
 ٣٥ - من ٧٠٩ ص ٩  
 ٣٦ - من ٢٣ ص ٥ ، ومن ١٢٣ ص ٢ ، ومن ٣  
 ٣٧ - نهج البلاغة ، شرح الامام محمد حيد ، ت . محمد أحمد عاشور ومحمد ابراهيم البنا ، القاهرة ( ٥٠٥ ) ، ص ٥٢ .

٣٨ - أنظر لسان العرب ، مادة ( سيف ) .  
 ٣٩ - من ١٧٧ ص ١٣  
 ٤٠ - من ٢٥ ص ١٠  
 ٤١ - من ٢٠ ص ١٧  
 ٤٢ - من ٢٥٧ ص ١٧  
 ٤٣ - جبهة اللغة ، ٣ ، ص ١٦١ ( ف و ) .  
 ٤٤ - مادة ( ف و ) .  
 ٤٥ - أنظر مثلا القاموس المحيط ، واللسان ، وأساس البلاغة للزمخشري ( وما )  
 ٤٦ - من ٧٧ ص ٢ و ٤ ، ومن ٨٢ ص ٢ ، ومن ١٣٢ ص ٩  
 ٤٧ - ٥٠ عبد المتعم سيد عبد المال ، معجم الألفاظ العامية ذات الحقيقة والأصول العربية ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ١٤٣ .

٤٨ - ( ب ن ه ق ) .  
 ٤٩ - المادة نفسها  
 ٥٠ - شرح الهاشميات ، للشفاير الشهيير الكميت بن زيد الأسدي ، المتوفي سنة ١٢٦ هـ ، بقلم محمد محمود الرافعي ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٣٢٩ هـ ، ص ٣٦  
 ٥١ - إيليا سليم حاوي ، شرح ديوان الأخطل الثقفي ، بيروت ، ١٩٦٨ ص ٣٢٩ ، واللسان ( ع ض ب ) .

٥٢ - أنظر القاموس المحيط ( ع ض ب ) .  
 ٥٣ - مادة ( غ ي ) ، وأنظر أيضا المادة نفسها في أساس البلاغة .  
 ٥٤ - مادة ( ح ل ) .  
 ٥٥ - القاموس المحيط ( ل ح ق ) .  
 ٥٦ - المصدر نفسه ( ه ج ن ) .  
 ٥٧ - كتاب شرح أشعار آل ذليخ ، صلبه أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري ، حققه عبد الستار أحمد فراج ، ٢ ، بيروت ، ( ٥٠٥ ) ، ص ٨١٥ . ومعنى « مرعل » أن يشق في آذانها شقيق صغير توسم بذلك ، ويقال المرعل : الخيلار السمان ذوات الاسنة . . . عن المصدر نفسه .

٥٨ - شرح ديوان اغصانة للمرزوقي ، نشره احمد امين وعبد السلام هارون ،  
القسم الثالث ط ٧ ، القاهرة ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م ، ص ١٠٥٢ .

٥٩ - المصدر نفسه ، القسم الرابع ، ص ١٦٧١  
٦٠ - انظر جمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت ، ١ القاهرة ، ١٣٨١ هـ ،

ص ٦٦ .

٦١ - انظر مثلاً القاموس المحيط ( ن ل ) .

٦٢ - جاء في القاموس المحيط مادة ( قصد ) : « قصد ... ومواصلة الشاغل  
عمل القضاة » .

٦٣ - انظر مادة ( صحا ) في اللسان و ( ص ح و ) في القاموس المحيط .

٦٤ - معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس ، ت عبد السلام هارون ، ١ ، ط ٢ ،  
القاهرة ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م ، ص ٢٣٥ .

٦٥ - المصدر نفسه .

٦٦ - مادة ( س ل م ) .

٦٧ - مادة ( سلم ) .

٦٨ - المادة نفسها .

٦٩ - لسان العرب مادة ( رشد ) .

٧٠ - شرح ديوان جرير ، تأليف محمد اسماعيل عبد الله الصاوي ، ١ بيروت ،

( مصور - ٥٥ ) ، ص ٧٢

٧١ - اللسان مادة ( فرق ) .

٧٢ - عباس أبو السعود ، الأزهج القصص في دقائق اللغة ، القاهرة ، ١٩٧٠ ،

ص ١٣٥ .

٧٣ - انظر مثلاً ( وصف المبانى في شرح حروف المعاني ) ، للإمام احمد

ابن عبد النور المالقي ، ت . احمد محمد الخراط ، دمشق ، ١٣٩٥ هـ ، ص ٣٦٦ - ٣٧٠ ،

و ( كتاب الأزهية في علم الحروف ) ، تأليف حلي بن محمد النحوي الهروي ، ت . عبد الحليم

الملوحى ، دمشق ، ١٣٩١ هـ ، ص ٢٨٩ - ٢٩١ .

٧٤ - انظر شرح ابن عقيل ، ٧ ، ت . محمد معني الدين عبد الحميد ، ط ١١ ،

القاهرة ، ١٣٨٠ هـ ، ص ١٦٢ - ١٦٣ .

٧٥ - الفصل في علم العربية ، تأليف أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ،

ط ٢ ، بيروت ، ( ٥٥ ) ، ص ١٨ .

٧٦ - انظر مثلاً شرح ابن عقيل ، ١ ، ط ١١ ، ص ٧١ - ٧٤ .



# بناہ اسس علوم المیٹانیکا

بنو موسیٰ بن شاكر

بقام الدكتور على عبدالله الدفوع  
عميد كلية العلوم - جامعة البترول والمعادن

عاش موسى بن شاطر في زمن الخليفة العباسي المأمون ، في القرن الثالث الهجري ( التاسع الميلادي ) في بغداد ، فكان ممن يهتم يشئون الفلك في بلاط المأمون ، وذلك في ١٩٨ - ٢١٨ هجرية الموافق ( ٨١٤ - ٨٣٣ م ) فصار من كبار المتبحرين ومن المقربين للمأمون - اشتهر موسى بن شاطر بأبحاثه الفلكية . كما برز هو وأبنائه الثلاثة محمد وأحمد وحسن في الرياضيات والهندسة الميكانيكية . كان موسى بن شاطر من المقربين للمأمون ، لذا أرسله في بعثة الى منطقة سنجار لقياس المسافة التي تقابل درجة واحدة على خط الطول ( وهذا ما يكافئ قياس محيط الأرض ، اذا قدرت هذه المسافة ب ٣٦٠° ) ، فبعد الحساب الطويل والدقيق توصلت البعثة الى أن المسافة تساوي ٦٦٪ ميلا عربيا (١) . وهذا ما يعادل ٤٧٣٥٦ كيلومترا لمدار الأرض وهذه النتيجة قريبة من الحقيقة إذ مدار الأرض الفعلي يعادل ٤٠٠٠٠ كيلومتر تقريبا . يؤكد لنا حميد موراني وعبد الحليم منتصر في كتابهما (قراءات في تاريخ العلوم عند العرب) أنه يمزي لبني موسى بن شاطر القول المجازية الممودية بين الأجرام السماوية ، يربط كواكب السماء بعضها ببعض ويكمل الأجسام تقع على الأرض . وقد كلفهم المأمون بقياس محيط الأرض . وقد قدره بنحو أربعة وعشرين ألف ميل ، وقد اختار مكانين متباعدتين ، أحدهما صحراء سنجار نصبوا الآلات وقاسوا الارتفاعات والميل والأفق ، وعلموا أن كل درجة من درجات الفلك يقابلها ٦٦٪ ميل وتوافق الحساب . مع ما علموه في أرض الكوفة ، وقياس العرب هو أول قياس حقيقي أجرى مباشرة مع كل ما اقتضته تلك المساحة من المدة الطويلة والصعوبة والمشقة واشتراك جماعة من الفلكيين والمساحين في العمل .

بنى موسى بن شاطر وأولاده مرصدا كبيرا على طرف جسر بغداد ، فكانت أرضاهم مرجعا لمن أتى يمددهم من علماء عرب ومسلمين وغيرهم . ويذكر محمد فائز القصري في كتابه ( مظاهر الثقافة الاسلامية وأثرها في الحضارة ) : قام محمد بن موسى بن شاطر وأخوه بحسابات فاقت ما وصل اليه بطليموس وفلكيو العصر المروزي حتى أن البيروني الكبير صرح بعد



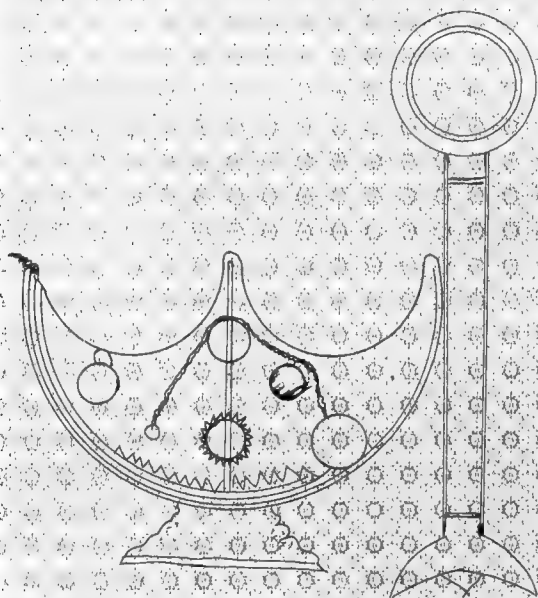
مرور مائة وخمسين عاما ( أني أرى أن يوسع المرء أن يعتمد على ما قام به أبناء موسى من أبحاث \* فهم وضموا طريقة البحث وكانوا الوحيدين في عصرهم وتركوا المجال لغيرهم من العلماء أن يتحققوا من صحة قياساتهم \* كما ترجموا عن اليونانية الكثير من كتب الرياضيات والفلك والفوا في مدين المقلين - كما ألف بنو موسى في علم الحيل (٢) كتاب « حيل بني موسى » ويحتوي هذا المؤلف على مائة تركيب ميكانيكي كما كتبوا أو بحثوا في علم مراكز الأثقال (٣) ، يقول عمر رضا كحالة في كتابه « المعلوم البهنة في المصور الإسلامية » بنو موسى بن شاعر من علماء القرن التاسع للميلاد ، فقد ألفوا كتابا يعرف بحيل بني موسى ، وهو مجيب نادر يشتمل على كل نادرة ، وقد يكون الكتاب الأول الذي يبحث في الميكانيك ، وهو من أحسن الكتب وأتمها في مجلد واحد ويحتوي هذا الكتاب على مائة تركيب ميكانيكي ، مشهور منها ذات قيمة علمية كما ألفوا في علم مراكز الأثقال \* « وقد قال ابن خلكان في كتابه « وفيات الأعيان » : « لأبناء موسى بن شاعر كتاب مجيب نادر يشتمل على كل غريب ، ولقد ولقت عليه فوجدته من أحسن الكتب وأتمها وهو مجلد واحد » \* واكتشف بنو موسى طريقة جديدة لرسم الشكل الاهليلجي وذلك بغرس ابرتين في نقطتين ثم أخذ خيط أكثر من ضعف بعدي هاتين النقطتين ، ثم يربط هذا الخيط من طرفيه ويوضع حول الابرتين ويولج فيه قلم الرصاص ، فتمسك ادارة القلم يتكون الشكل الاهليلجي \* وتسمى النقطتان «محترقي» الاهليلجي أو «بؤرتيه» \* ويقول أنور الرفاعي في كتابه « الاسلام في حضارته ونظمه » : « شرح بعض أبناء موسى صعود مياه الفرات والعيون الى أعلى وكيفية ترشيح مياه الأنهار من الجوانب وبينوا كيفية صعود المياه الى الأماكن العالية بالقلاع ورموس المنارات وطبعوا ذلك على حاجاتهم اليومية وفي القلاع المرتفعة ، وكان علم السوائل عندهم من فروع الحيل » \*

مات موسى بن شاعر في سن مبكرة عندما كان أولاده الثلاثة في سن الطفولة فرعاهم المأمون أحسن رعاية وعلمهم حتى إن الكبير منهم وهو محمد صار له شأن عظيم في السياسة ، فعل محل أبيه عند الخليفة المأمون ولم يكن محمد بن موسى سياسيا فقط ولكنه أيضا كان عالما ورياضيا من الدرجة الأولى ، كما اهتم بالأرصاد الجوية والانضمامات الميكانيكية \* يقول أنور الرفاعي في كتابه « الاسلام في حضارته ونظمه » ( الادارية والسياسية والادبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والفنية ) : « رعى المأمون

تربيتهم فأوكل أمر العناية بهم الى اسحاق بن ابراهيم المصعبي (٤) ، حتى اذا ما شبوا دفع الى يحيى بن منصور (٥) رئيس بيت الحكمة فتفتحت أمامهم في تلك الأكاديمية كل أنواع المعرفة والعلوم ووسائل الدرس والاستفادة ، حتى برزوا « في علم الفلك والرياضيات والميكانيكا والهندسة والموسيقى والطب والحكمة وعلم الفلسفة » .

وقضى محمد وهو الابن الأكبر لموسى بن شاكر ، جل وقته في دراسة وتطوير علم الفلك والرياضيات والفلسفة وعلم طبقات الجو ، اضافة الى اسهامه في علم الميكانيكا التي كانت من اهتمامات أخيه أحمد . وقد اشتهر محمد بسعة اطلاعه في معظم فروع المعرفة ، لذا كان يلقب بحكيم بني موسى . يقول أنور الرفاعي في كتابه ( الاسلام في حضارته ونظمه ) : نبغ في الفلك والرياضيات والفلسفة والطب وتبغ أحمد في علم الميكانيكا ، وبرز الحسن في علم الهندسة . وبعد أن عمل الاخوة الثلاثة في دار الرصد المأمونية في الشماسية في أعلى بغداد ، أنشأوا مرصدا خاصا بهم في دارهم التي أقاموها عند باب ( الطاق ) في جانب الرصافة في بغداد . وأسهموا في عملية قياس محيط الأرض التي تمت في عهد المأمون في صحراء سنجار في شمال العراق تدمر في بر الشام . أما زيفريد هونكه فذكرت في كتابها ( شمس العرب تسطع على الغرب ) : « لم يكن محمد عالما فلكيا ورياضيا طويل الباع فحسب ، بل كان أيضا ممن انصرفوا الى تعاطي الفلسفة وخاصة علم المنطق منها ، ووضع كتابا في الأسباب الأولى لوجود العالم . كما أنه اهتم بعلم طبقات الجو Meteorology وذيلا ببعض الملاحظات ، بل تعدى ذلك كله فاهتم بالانشغاف الميكانيكية ، وهو موضوع كان من اختصاص أخيه الثاني أحمد وكتب موسما عن القدماء حول الميزان الصريح » .

أما أحمد ، وهو الأوسط من بني موسى بن شاكر ، فكان يميل الى الأعمال التطبيقية والآلات المتحركة ، وقد بنى أحمد بالاشتراك مع أخيه محمد ساحة نحاسية كبيرة الحجم استفاد منها معاصروه . وتذكر المؤلفة الألمانية زيفريد هونكه في كتابها « شمس العرب تسطع على الغرب » أن أحمد ابن موسى بن شاكر تفنن في الهندسة الميكانيكية فاخترع تركيا ميكانيكيا يسمح للأومية أن تستلهم تلقائيا كلما فرشت ، والقنصاديل ترتفع فيها القتائل تلقائيا كلما أتت النار على جزم منها ويصب فيها الزيت تلقائيا ولا تنطفئ عند هبوب الريح عليها ، كما ابتكر آلة ميكانيكية للزراعة والفلاحة تحدث صوتا بصورة تلقائية كلما ارتفع الماء الى حد معين في الحقل



رسم منسجى على منوال الساريين التي توضع فيها الشمعات والفاطرا  
 للملوك من منسجى من شاي



عند سقيه • واخترع عددا كبيرا من النافورات التي تظهر صوراً متعددة بالمياه الصاعدة • والمجدير بالذكر أن نظريات أحمد بن موسى لازالت تستخدم عند تصميم النافورات الحديثة • وأضاف معروف ناجي في كتابه ( المرصد الفلكية ببغداد ) « في مرصد سامراء رأيت آلة بناها الأخوان محمد وأحمد أبناء موسى ، وهي ذات شكل دائري تحصل صور النجوم ورموز الحيوانات في سطحها ، وتديرها قوة مائية • وكلما غاب نجم في قبة السماء اختفت صورته في اللحظة ذاتها في الآلة ، وإذا ما ظهر نجم في قبة السماء ظهرت صورته في الحظ الأفقي من الآلة » ويتضح أن أحمد بن موسى له السبق بين أخويه ومعاصريه في صنع الآلات المنزلية ولعب الأطفال وبعض الآلات المتحركة مثل الروافع المبنية على القواعد الميكانيكية والتي تستعمل لجر الأثقال أو لرفعها أو لوزنها ، فتناول هذه الموضوعات بالبحث والتدقيق •

أما ثالثهم ، وهو الحسن بن موسى ، فكان النابغة المغمم بعلم الهندسة الذي نال سمعة كبيرة في هذا المجال ، يحل المسائل المستعصية على معاصريه ، حتى أصبحت له مكانة مرموقة عند المأمون والذي قربه واعتبره أحد علمائه الكبار في حقل الهندسة • وألف الحسن بن موسى كتاباً في قطع المستديرات ، بقي مرجعاً للعلماء أوربا في الأشكال الأهلجية • وتذكر المؤلف زيفريد هونكه في كتابها المذكور أعلاه قصة شقيقة وهي أن أحد العلماء المتخصصين في حقل الرياضيات والمناصر للحسن بن موسى اتهمه بالامبال أمام الخليفة المأمون وذلك بقوله : « إن الحسن بن موسى لم يدرس إلا ستة كتب من كتب اقليدس » فتمجيب المأمون من هذا الجبر وتسامل من صحته • فرد الحسن بن موسى على تساؤلات الخليفة بقوله : « والله يا أمير المؤمنين ، لو أردت أن أكذب ، لقلت اتهاماته كاذبة ، ولوضعت أزام تجريرة حاسمة ، ذلك أنه لم يسألني عن واحدة من مسائل الكتب التي لم أقرأها ، ولو أنه فعل ، لكنت حللتها بسرعة البرق وأخبرته بالنتائج ثم جهلي بهذه الكتب لا يموقني أمام الصعوبات ، فهذه الأشياء هينة بالقياس الى مهما صعبت » • كما ذكر عبد الحميد صبره في كتاب ( عبقرية الحضارة العربية ) ، ( ينبوع النهضة ) والذي ألفه جمهرة من المستشرقين : « ومن الجلي أن الأولاد الثلاثة كانوا موهوبين • فقد اتقن أكبرهم محمد الهندسة والفلك وتفوق أحمد في الميكانيكا ، أما الحسن فكان شديد الاهتمام بالهندسة التي مهر فيها

ببساطته ، اذ استطاع ، بعد أن أكمل دراسة الكتب الستة الأولى من أصول  
القليدس أن يحل بمفرده مسائل الكتب السبعة الباقية من هذا المصنف .  
وكان من دلائل ما لتعاليم القديس من حرمة في نفس المأمون أن قرع الحسن  
ذات مرة لأنه لم يكمل قراءة « الأصول » هذا النص الأساسي الجليل ، وإن  
لم تكن به حاجة الى ذلك » .

في بادئ الأمر اهتم بنو موسى بترجمة كتب الفلك والميكانيكا  
والرياضيات من لغات مختلفة الى اللغة العربية حتى أسند اليهم الخليفة  
المأمون الاشراف على قسم الترجمة في بيت الحكمة . فصاروا يختارون المترجمين  
والمواد العلمية التي تلزم ترجمتها ، فاختراروا من بين هؤلاء المترجمين :  
حنين بن اسحاق وثابت بن قرّة وغيرهما كثير . كما تنقل أكبرهم في بلاد  
كثيرة سمياً وراء جمع المخطوطات في جميع فروع المعرفة وبالأخص كتب  
الميكانيكا والفلك والرياضيات والفلسفة والطب والصيدلة . ويقول  
فلورين كاجوري في كتابه ( تاريخ الرياضيات ) « اهتم بنو موسى في جمع  
الكتب اليونانية حتى أن محمد بن موسى ذهب الى اليونان كي يتمكن من  
الحصول على المخطوطات العلمية التي تبحث في الرياضيات والفلك » .  
وأضاف كاجوري قائلاً : « ان أبناء موسى قد استعملوا وطوروا قانون هرون  
لايجاد مساحة المثلث اذا علم طول كل من أضلاعه » .

تحدث معظم المؤلفين في تاريخ العلوم عن قيمة كتاب «حيل بنو موسى»  
العلمية فأتضح لديهم أن لهذا الكتاب مكانته التكنولوجية العظيمة التي  
توضح بعض ما قدمه العقل العربي والاسلامي للعالم من ابتكارات علمية .  
ويذكر صاعد الأندلسي في كتابه « طبقات الأمم » أن محمد وأحمد والحسن  
أبناء موسى بن شاكر قد برزوا بصفة عامة باشتغالهم في علم الميكانيكا الى  
جانب شهرتهم في الفلك والرياضيات والهندسة ، فبرهنوا على مقدرة الأمة  
العربية فائقة النظر في حقل التكنولوجيا المتطورة . وأضاف عن الدين فراج  
في كتابه « فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية » قائلاً : « أما أخوة  
بنو موسى ففي كتابهم ( كتاب عن الميكانيكا ) يعملون شروحات ميكانيكية  
قيمة ، ثم يصف الكتاب طريقة حفظ مستوى الماء في الأنابيب » .  
**مؤلفاتهم :**

عكف بنو موسى بن شاكر على مؤلفاتهم كثيرهم من علماء العرب  
والمسلمين فصنفوا في حقول عديدة مثل الهندسة والمساحة والمخروطات والفلك  
والميكانيكا والرياضيات ، ومن مؤلفاتهم ما ذكره قدرى طوقان في كتابه

- « تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك » وغيره وهي :
- ١ - كتاب بني موسى في القرسطون ( أي الميزان ذي العائق )
  - ٢ - كتاب مساحة الأكر ( للحسن )
  - ٣ - كتاب يحتوي على تنقيح مغروطات أبو لونيوس
  - ٤ - كتاب أوضح فيه كيفية إيجاد الوسط التناسبي بين مقدارين أو كميتين معلومتين \*
  - ٥ - كتاب يبحث في الآلات الحربية
  - ٦ - كتاب حاول أحمد فيه البرهان على عدم وجود فلك تاسع
  - ٧ - كتاب بين فيه بطريق تعليمي ، مذهبا هندسيا ، أنه ليس في خارج كرة الكواكب الثابتة كرة تاسعة ( لأحمد ) \*
  - ٨ - كتاب الأشكال المدور والمستطيل ( المراد به الأهليلج ) للحسن
  - ٩ - كتاب قياس المساحات المسطحة والمستديرة \* ترجمة جبرار الأكويني وعرف في أوروبا باسم كتاب الأخوة الثلاثة في الهندسة \*
  - ١٠ - كتب حيل بني موسى جمعوا فيه علم الميكانيكا القديمة ، وتجاربهم الخاصة \* أما محمد فله الكتب الآتية : -
  - ١١ - كتاب حركة الفلك الأولى \*
  - ١٢ - كتاب الشكل الهندسي \*
  - ١٣ - كتاب الجوز \*
  - ١٤ - كتاب في أولية العالم \*
  - ١٥ - كتاب على مائتي الكلام \*
  - ١٦ - كتاب المخروطات \*
  - ١٧ - كتاب المثلث \*
  - ١٨ - كتاب التقاويم المنازل السيارات \*

وفي الختام من الملاحظ أن أبناء موسى بن شاكر عاشوا في بيئة علمية بحثة ، حيث أن والدهم موسى بن شاكر كان من مشاهير علماء الفلك عند أمير المؤمنين المأمون - ولما توفي موسى لم يندثر المأمون وسما بأن يرعى هؤلاء الأيتام ويحرف على تربيتهم بنفسه حتى وصلوا إلى المستوى الرفيع الذي خولهم إلى الانضمام إلى أساتذة بيت الحكمة « فبدلوا جهدهم هناك حتى نالوا احترام علماء العرب والمسلمين أعضاء بيت الحكمة ، وصاروا علماء بارزين في كثير من المجالات العلمية النظرية والتطبيقية »

لقد تطرق أبناء موسى بن شاكر إلى بعض الموضوعات التي لم تحظ

بتقدير كاف من علماء اليونان مثل الهندسة الميكانيكية ، فقدم أبناء موسى فيها ابتكارات كثيرة استفاد منها التابعون لهم من العلماء الى عصرنا هذا . فنذكر على سبيل المثال نظريات اختراع النافورات والساعات النحاسية والآلات الميكانيكية التي تستخدم في علم الفلك وألعاب الأطفال والأدوات المنزلية . وتمعطي تلك الابتكارات وغيرها فكرة جيدة عن اتجاه علماء العرب والمسلمين نحو التقنية . ومن المؤسف حقا أن علماء الغرب ينشرون فكرة كاذبة وهي أن اهتمام العرب والمسلمين اقتصر على العلوم الانسانية وأهم العلوم النظرية والطبقية . ويظهر مما تقدم عن أعمال بني موسى بن شاكر أن هذه مقولة عارية من الصحة .

حقيقة أن موسى بن شاكر حول من بيته جامعة ومن أبنائه طلابا نابغين فنجد أن محمدا قد نال شهرة عظيمة في علوم الفلك والرياضيات والفلسفة والطب بينما اهتم أحمد بالناحية التقنية ، لذا ركز على تطوير وابتكار كثير من الآلات الميكانيكية . أما الحسن فحصل على زيادة عصره في علم الهندسة ، ومما يجب ذكره هو تعاون بني موسى فيما بينهم الى درجة أصبحوا فيها مثالا يحتذى ، حيث أن كثيرا من بحوثهم ومؤلفاتهم مشتركة بينهم . نرجو أن يكون أبناء موسى قدوة حسنة للشباب أمتنا العربية والاسلامية في الاخاء والتعاون على ما فيه الخير لهم ولأمتهم وللانسانية جمعاء .

### المراجع

- ١ - صاعد الاندلسي : طبقات الأمم .
- ٢ - بنو موسى : حيل بني موسى .
- ٣ - ابن خلكان : وفيات الأعيان .
- ٤ - أنور الرفاعي : الاصلام في حضارته وتعلمه .
- ٥ - عبد الحميد صبره : عبقرية الحضارة العربية .
- ٦ - فكري طوقان : تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك .
- ٧ - علي الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية .
- ٨ - محمد فائق القصري : المظاهر الثقافية الاسلامية وأثرها في الحضارة .
- ٩ - عمر رشما كعالة : العلوم البحتة في العصور الاسلامية .
- ١٠ - فلورين كاجوري : تاريخ الرياضيات .
- ١١ - حميد موراني وعبد الحميد ملتصر : قراءات في تاريخ العلوم عند العرب .
- ١٢ - معروف ناجي : المرصد الفلكية في بغداد .
- ١٣ - زيفريد هوتكه : شمس العرب تسطع على الغرب .



# اليوم الوطني

«التاسع والأربعون»

بقام : محمد أبو الفتوح الحياط

بالأساس القريب احتفلت المملكة العربية السعودية بذكرى  
اليوم الوطني ، وكانت الحجة ماثلة للطبع ، وحين نشارك  
بهذه الصفحات تلك الذكرى الطيبة فإنها تؤكد من جديد  
أهمية هذا اليوم في حياة العرب والمسلمين ، فقد برزت فيه  
المملكة العربية السعودية إلى العالم الدولي قوة موحدة  
تحت راية « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .  
وهذه الصفحات المشرقة من تاريخ الوطن السعودي المسلم  
تعيين حي وأصيل للحمة رائقة صانها الملك عبد العزيز يومي  
وبصيرة وتطلع وأصبح علينا أن نذكره لأن الذكرى تنفع  
المؤمنين ، كما أن قراءة هذا التاريخ واجب حضاري نستمد  
منه الكثير لمستقبلنا ومستقبل أجيالنا المسلمة .



● عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود ..  
● بطل من أبطال التاريخ العربي المعاصر ، ومن صانعي  
● أحداثه ، ورأسي اتجاهاته ..  
● صورة حية لكفاح الرجال .. وصير الرجال .. وإصرار  
● الرجال على قهر المعجزات ، وتعظيم الخواجز ، والانطلاق  
● لأفاق التقدم ..  
● صانع كيان قوي وهائل لا يستطيع صناعته إلا القلة النادرة  
● من الرجال الأقوياء ..



□ اننا حين نقف مع مسار التاريخ لنذكره .. ولنستعيد كفاحه ..  
 فاننا نستجلي جزءا من الصورة المشرقة التي بدأت واضحة جلية مع بداية  
 العقد الثالث من عمر عبد العزيز .. وحيث بدأ مسيرته النضالية الرائدة  
 لتحقيق الأمل .. ويحرر البلاد من كل نفوذ وتسلط وخوف ، ويبسط  
 راية الوحدة على كل ربوع مملكتنا العربية السعودية ، وينطلق بها  
 الى آفاق التقدم الرحبة لتأخذ مكانها على الخريطة الدولية .  
 - ولد عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود في قصر الامارة  
 بالرياض في التاسع عشر من شهر ذي الحجة عام ١٢٩٧ هـ الموافق ٥ ديسمبر



١٨٨٠م ، وأضى عبد العزيز باكورة صباه يعيش مع القبائل البدوية ، ويركب الخيل ويتعلم الفروسية ويتدرب على فنون الحرب والقتال بالسيف والبندقية بين أقرانه أبناء آل سعود وأتباعهم .. عاش بينهم وعاشهم فدرس عاداتهم وتقاليدهم وعاش واقعهم :

تعلم القراءة والكتابة وقرأ القرآن وتلقى أصول الفقه والتوحيد على يد الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف ومرعان ما خالط الرجال حتى رحل للكويت مع والده ولم يكن قد تجاوز الحادية عشر من عمره .. ولكنه بهمة الرجال وتطلعاتهم وعى تجربة الكويت وما عاشته في تلك الفترة .. واستوعب أحداثها ، وقارن واقعها بما عرفه عن أجداده المظالم .. فكان ذلك بمثابة الوقود لمزيمته والحافز لطموحه وآماله . ولكن عبد العزيز تميز بصبر الرجال وعزيمتهم الصلبة .

— شارك عبد العزيز مع أبيه الامام عبد الرحمن وحاكم الكويت الشيخ مبارك الصباح في الذود عن الكويت ضد مخاطر عبد العزيز بن متعب وتطلعاته للسيطرة على الكويت .

ليخرج عبد العزيز بدرس عظيم في وضع الخطة وتأمين البلاد .. وليتجه بفكره وطموحه للرياض .. متسائلا ٩ :



لوحة تمثل معركة روضة مهنا





الملك عبد العزيز يرحمه الله في جولة استطلاعية معتمدا على الله ثم على نفسه

.. هل يفرض علينا هذا الموقف أن نستسلم ونعيش غرباء عن وطننا ؟

.. هل سهل علينا مجد أسرة سعود وتاريخها المشرق ؟  
وكانه يحدث التاريخ عما سيكتبه مستقبلا ..  
ويواجهه والده الامام عبد الرحمن بروح الأبوة الصادقة قائلا :  
« ترى يا عبد العزيز ليس لي قصد في أن ألقا في سبيل اقدامك ..  
ولكن كما ترى موقفنا وحالنا يقضيان باستعمال الحكمة في ادارة امرنا ..  
اما وقد عزمتم فاسأل الله لك العون والظفر » .

وبدرت دمة من عين الأب كانت ائمن ما حمله قلب الابن في سيرة الى المعركة التي خرج من أجلها .

ويخرج عبد العزيز الى الرياض في موكب الخالدين متخذاً طريقاً غير مألوفة .. وكانه قائداً محنكا خابر القتال وعاشقه ، تارة يتحدث اليهم وتارة يستمع اليهم ليمشوا جميعاً في واقع واحد وهدف واحد .. حتى أن الامام عبد الرحمن أرسل اليه وهو لا يزال في الطريق يطلب اليه العودة .. وسرعان ما تحدث لرجاله قائلا :

« لا أزيدكم علماً بما نعين فيه ، وهذا كتاب والذي يدعوننا للعودة للكويت .. قرأته عليكم ، ومبارك ينصحننا بالعودة .. أنتم أحرار فيما تختارونه لأنفسكم .. أما أنا فلن أعرض نفسي لأكون موضع السخرية في أمة الكويت ، ومن أراد الراحة ولقاء الأهل ، والنوم ، والشبع فلي يساري .. الى يساري » .

وبكل الشجاعة وعزة النفس .. يصيرون رافضين الا تحقيق الهدف النهائي .. ويكتب عبد العزيز لوالده :

« موعدنا انشاء الله في الرياض »

وفي الخامس من شوال .. تشرق شمس هذا اليوم المبارك من عام ألف وثلاثمائة وتسع مئة .. وعبد العزيز ورجاله يجولون في شوارع الرياض بهمة واعتزاز .. تتعالى الصيحات :

الله أكبر ... الله أكبر ... الملك لله ثم لعبد العزيز ..  
ويتوافد أهل الرياض مستبشرين بالفتاح الجديد .

كانت عملية استرداد الرياض أول تجربة عاشها الملك عبد العزيز وطلبها يوعي وبمسيرة وإيمان ..

سجل يوعيه وادراكه سلوك خصمه وعاداته .. ثم خفة الحركة  
 واستخدام الحرب الخاطفة ثم حرب الازعاج .. ثم توحيد القوات وتصنيفهم  
 حسب مهام كل منهم .. وتوعيتهم بأهدافه وأسلوبه .. ثم ...  
 لقد أذهل ذلك كله .. المؤرخين والمحققين .. فعبد العزيز لم يدرس  
 فن عسكري .. أو استراتيجية معاصرة ولكنه درس في أرض الواقع  
 واستوعب تاريخ بلده فانطلق بالهام فطري وراثي .. ليحقق أول  
 هدف .. ولتكون الرياض المنطلق لتوحيد البلاد .  
 يرسل عبـد العزيز لوالده الأمام عبد الرحمن بالسكـويت يدعوه  
 للعودة قائلاً :

« الإمارة لكم ، وأنا جنـدي في خدمتكم » ..

ويرد الإمام عبد الرحمن « إذا كان قصدك من استدعائي الى الرياض  
 أن أتولى الإمارة .. فهذا لن يكون ، وليس أمامي إلا أن أخرج منها إذا  
 أصررت .



عبد العزيز يتحدث لرجاله ويحثهم على الوحدة في الرأي والتمسك بعقيدة الاسلام .

وتحت الحاح العلماء .. وتدخلهم يعلن الامام عبد الرحمن في ساحة المسجد الكبير بالرياض نزوله عن حقه في الامارة لأكثر ابنائه عبد العزيز .. ويهديه سيف « سمود الكبير » ويترك له قصر آل سعود ..

وينطلق عبد العزيز بهمة المنتصر المائد .. ليتابع بنفس الایمان والاصرار مسيرته المباركة وليستكمل للبلاد تحريرها ووحدها .

كانت نجد وتحريرها من أي نفوذ متسلط عليها .. هدفا آخر لعبد العزيز ... أعد له العدة .. ليحقق نصرا عزيزا في موقعة الدلم .. سارعت بعده القبائل تملن تأييدها لعبد العزيز وتشاركه تطلعاته .. فاستولى على عتيبة ثم بريده .. حتى كانت وقعة الشنانة (١٨ رجب ١٣٢٢) التي وطدت قدم عبد العزيز في نجد وأطاحت بالنفوذ التركي المتعالف .

ويمش معهم عبد العزيز معارك سياسية متعددة فهو يدرك حقدهم والتواعم وأساليبهم في التضليل والخيانة . فهم يطمعون في اقامة مركزين عسكريين في بريده وعتيبة بجهة أن يستمر ذلك لحين اتفاق عبد العزيز مع ابن الرشيد ولكن الأساليب يلتفون حول عبد العزيز رافضين تلك المحاورة المغرقة ، ويواجه عبد العزيز الموقف بشجاعته واصراره ليسترد القصيم ويخلصها مما تعرضت له من ظبن وقسوة .

— كان العثمانيون يطلقون على الاحسام والقطيف « لواء نجد » فقد احتلوا عام ١٢٩٧ هـ - ١٨٧٩ م .. وأقاموا فيها حاميات عسكرية تدمم وجودهم ، وكانت الهفوف مركزا لهم . وكان العثمانيون مشغولون باحتلال ليبيا .. ورأى عبد العزيز أنها فرصة يسترد خلالها الاحسام .. واستردها بفضل الله ثم اخلاص قيادته وجنوده .. وسقطت الهفوف واستسلمت الحاميات العثمانية في القطيف والقصيم ، وأرغم العثمانيون على الاعتراف الرسمي بعبد العزيز ملكا على نجد والقصيم والاحسام ، وتبدأ بريطانيا في الاتصال بعبد العزيز لتؤمن نفوذها في منطقة الخليج .. وتمتد معه معاهدة العتير وهي أول معاهدة يوقعها عام ١٣٣٤ هـ / ١٩١٥ م .

كانت لهذه المعاهدة أكثر من هدف هي :

أولا : هي خطوة جادة في سبيل التخلص من الدولة العثمانية .

ثانيا : اعتراف رسمي من بريطانيا بسيادة البلاد الكاملة .

ثالثا : ضمان عبد العزيز لمساعدة بريطانيا له اذا ما اعتدت عليه

الدولة العثمانية .



الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله في لقاء مع وتستون تشرشل  
على ضفاف بحيرة قارون بالفيوم بمصر .

وأخيراً : اطمئنان عبد العزيز للانجليز في الجنوب .  
وتبدو صورة الطمع الاستعماري من جانب ألمانيا وروسيا ويشهد  
الصراع الدولي ويتجه عبد العزيز لجيرانه من الأسماء والحكام ابن الرشيد  
والشريف حسين والشيخ مبارك ليتدارس معهم الموقف ليجنب البلاد أطماعهم  
وتطلعاتهم الاستقلالية . وينجح عبد العزيز في تنفيذ هدفه ليشمر بثقة  
جديدة يضيفها لرصيد المتجدد من الثقة بالله والنفس ..

ولم يتركه العشانيون ويعودوا من جديد ليؤلبوا عليه ابن الرشيد  
في جبل شمر ويقدموا له المساعدات ، كما بدأ الشيخ أحمد الجابر حاكم  
الكويت في توقيع اتفاق للصلح وإقامة المنطقة المحايدة فكان ذلك بمثابة  
تأمين للحدود الشرقية وللأمان العربي بعيداً عن فتن الاستعماريين  
والمستوطنين . هذه الخطوة الجريئة دفعت بالأمرة السعودية وعلماهم نجسد  
ورؤساء العشائر للقاء مبارك نادوا فيه بمسند عبد العزيز سلطاناً على نجد  
وملحقاتها ..

ويبدأ عبد العزيز في رسم صورة جديدة لمواجهة مشكلة جبل شمر حيث أمكنه بفضل الله وهونه أن يستولي على حائل ليدخلها في ٢٩ صفر ١٣٤٠ هـ ويتصافح مع حكامها من آل رشيد في لقاء عربي كريم اتسم بالود والتسامح كتعبير صادق عن مدى الحرص من جانب الطرفين على التقاليد العربية والتسامح والود المتبادل ..

وهي بركة الله .. يتابع عبد العزيز المسيرة المظفرة .. فيتجه غربا لمناطق الحجاز .. وليواجه الشريف الذي تصاعد عداؤه وكبر حقه ... وسامت سمعته حتى بين الشعوب العربية ويوجه عبد العزيز نداهه لأهل مكة مناديا أن يكون أمر هذين الحرمين الشريفين شوري بين المسلمين ..

وفي الثالث عشر من شهر ربيع الثاني عام ١٣٤٣ هـ يتحرك الملك عبد العزيز متجها لمكة يرافقه كبار القوم والعلماء يتقدمهم الأمير محمد بن عبد العزيز والأمير خالد بن عبد العزيز والشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ قاضي جيشه والشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف وغيرهم كثيرين . ليصل مكة في السابع من جمادى الأولى فيدخلها محرما ويخطب في الناس الذين تجمعوا لاستقباله .. وليكتمل للبلاد السعودية وحدتها وهزتها ورفعتها .

كان يقول دائما : « ان الدين النصيحة وهذه عقيدتي » ويدخل محمد ابن عبد العزيز المدينة .. في ( ١٩ جمادى الأولى ١٣٤٤ هـ ) وفي الاسبوع الأول من شهر جمادى الثانية ١٣٤٤ هـ تستقبل جدة العاهل السعودي لتسند الستار على ما كان يسمى بالعرش الهاشمي .

ويبايع أهل جدة الامام عبد العزيز ملكا على الحجاز على كتاب الله وسنة رسوله وما عليه أصحابه رضوان الله عليهم والسلف الصالح والأئمة الأربعة رحمهم الله .

ويتحدث الامام عبد العزيز قائلا :  
« لقد بذلت جهدي وما تحت يدي في تخليص الحجاز لراحة اهله ،  
وامن الوافدين اليه - اطاعة لأمر الله . »

وفي عام ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م توحدت الأقاليم الثلاثة الحجاز - حسير - نجد لتصبح المملكة العربية السعودية التي ترتبط ارتباطا عضويا وروحيا بمشاعر الشعوب الاسلامية مهما تداخت ديارها وتباينت اتجاهاتها .



ان هذه قصة موجزة ومعبرة بصلق عن مرحلة هامة في التاريخ  
العربي السعودي .. قدمت فيها جاهدا تسلسلا تاريخيا مبسطا  
لصفحة مشرقة من تاريخ الملك عبد العزيز .. على مدى ثلاثين عاما  
جاهد فيها بايمان وصبر وعزيمة لا تلين .. ليؤسس المملكة  
العربية السعودية ذلك الكيان الكبير .. الذي يتعده اليوم بالعناية  
والرعاية جلالة الملك المعظم خالد بن عبد العزيز وسمو ولي عهده  
الأمير فهد بن عبد العزيز .  
حفظ الله الجميع .

محمد أبو الفتوح الخياط



الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز طيب الله ثراه





جلالة الملك الفهد بن عبد العزيز  
ملك المملكة العربية السعودية



صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز  
ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء

جَوَانِبُ مَنْ  
كَفَّاح  
السَّعُودِيِّينَ  
الْأَوَّاءِلَ

١- فجرالدولة السعودية الأولى

بقلم: الدكتور أحمد فؤاد مصطفى

دخل السلطان سليم الأول ( ١٥١٢-١٥٢٠ م ، ٩١٨-٩٢٦ هـ ) حلب في يوم الجمعة غرة شعبان ٩٢٣ هـ ( ٢٩ أغسطس ١٥١٦ م ) ، بعد أن هزم السلطان المملوكي قانصوه الغوري ( ١٥٠١ - ١٥١٦ م ، ٩٠٩ - ٩٢٢ هـ ) في معركة مرج دابق في ٢٤ أغسطس ١٥١٦ م ( ٢٥ رجب ٩٢٢ هـ ) . وأقام صلاة الجمعة بمسجد الملك الظاهر . وقد قرئت الخطبة باسم السلطان العثماني ، ووصفه الخطيب في خطبته بأنه « مالك الحرمين الشريفين » ، فتهنئ سليم من مكانه واقفا ، وقال : « من أنا حتى أكون مالكا للحرمين ، انني افتخر بان أكون خادما للحرمين لا مالكا لهما (١) » .

أمر السلطان بكتابة رسائل للتبشير بالفتح ومنع الأمان مصحوبة بالفرمانات ، الى مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة وينبع (٢) في يوم الجمعة ١٣ فبراير ١٥١٧م ( ٢١ المحرم ٩٢٣ هـ ) ، قبل دخوله القاهرة بيومين ، على اثر قيام جنوده بتطهيرها ، وبعد أن استتبحت الأمور لسليم في القاهرة ، أرسل شريف مكة زين الدين بركات ( حكم ١٤٩٧ - ١٥٢٥ م ) ابنه أبا الحسين ومعه مضايخ طوائف الأعراب للتهنئة بالفتح وعرض الطاعة والولاء ، فأخلع السلطان عليهم وأحسن اليهم جميعا (٣) .

بعد أن قبل السلطان سليم طاعة شريف مكة المكرمة زين الدين بركات التي قدمها ابنه ، أرسل اليه الشريف ابنه الأكبر محمد أبانسي ، يطلب خلعته وإبقائه في حكم بلاده . وعندما علم سليم بقدم محمد أبي نسي الى القاهرة في يوم الجمعة ٣ يوليو ( ١٣ جمادى الثانية ) ، أمر بإرسال الأقوات لاستقباله . وفي يوم الاثنين استقبل السلطان ابن شريف مكة استقبالا حافلا . وبعد مضي ستة أيام قدم محمد أبو نسي الطاعة والولاء وبعض الهدايا للسلطان سليم (٤) ثم سلمه مفاتيح الأماكن المقدسة والآثار النبوية الشريفة الموجودة في مكة المكرمة والمدينة المنورة (٥) . وهكذا أصبحت الحجاز تابعة للإمبراطورية العثمانية .

أقر سليم حكم الحرمين الشريفين على ما هو عليه ، وبعث مع محمد أبي نسي رسالة بالعربية الى أبيه ، تتضمن الموافقة على أن يكون حكم مكة المكرمة في الشريف بركات وابنه الأكبر محمد من بعده (٦) .

كان حكم آل عثمان اذ ذاك شاملا لكافة الحجاز حتى رأس حلى جنوب القنفذة ، وأما نجد وسائر الجهات الداخلية في حدود المملكة الحالية فلم يكن لهم فيها نفوذ فعلي . وضعفت هيبة سلاطين آل عثمان بعد السلطان مراد الرابع ( ١٦٢٣ - ١٦٩٠ م ، ١٠٣٢ - ١٠٤٩ هـ ) ، لأنهم بانفصالهم بالفتن الداخلية والحروب الخارجية ، أهملوا حكم البلاد ، وتركوا الأحكام في أيدي الأُمراء المحليين من الأشراف والأُمراء (٧) .

ومن الجدير بالذكر أن الدولة العثمانية ظلت قوية مرهوبة الجانب طوال حكم الفترة سلاطين الأول الذين يطلق عليهم السلاطين النظام . ثم بدأت ملامح الضعف تظهر على الدولة العثمانية بعد هؤلاء السلاطين . وقد ظهر الضعف الشامل في الامبراطورية العثمانية في أواخر عهد مراد الثالث ، ابتداء من سنة ١٥٩٠م (٩٨-١٠٠٦ هـ) . وأخذ الضعف يزداد شيئا فشيئا ، ولم تجد معه الإصلاحات والتنظيمات كثيرا ، رغم جدية السلاطين وتفانيهم في تطبيقها ، غير عابئين بالمخاطر التي تنتظرهم من جرائم محاولاتهم هذه . فقد دفع بعضهم حياته ثمنا للإصلاحات ، وضحي البعض الآخر بعرشه .

كانت الدولة العثمانية في حالة ضعف شامل عند ظهور الدعوة السلفية . وكانت هذه الفترة حافلة بالحروب مع روسيا والبنديقية والنمسا . وتوالت هزائم العثمانيين أمام أعدائهم هؤلاء ، لأن أمدادهم كانوا قد أخذوا بأسباب التقدم ، وكونوا جيوشا مدربة على الأصول الحديثة ، في الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية آخذة في الانهيار والتدهور . وكانت أهم أسباب التدهور ، هي : اتسراف السلاطين من تصريف أمور البلاد ، وفساد الانكشارية وكثرة هزائمها ، والأزمات الاقتصادية الشديدة ، وتسلسل الطغماء ، وعدم الأخذ بأسباب التقدم الذي قطع فيه الأوروبيون شوطا بعيدا (٨) .

يوشك أن يكون تاريخ الحرمين خلال الألف سنة الماضية عبارة من تاريخ الشرافة ونشوتها وارتقائها ثم تدهورها وهبوطها . وقد انقضت على الشرافة حقبة كانت فيها كل شيء في الحجاز ، كما أنها في حقب أخرى

لم تكن شيئا مذكورا بل كان القوائم بأمرها العوبة في أيدي الملوك  
والسلطين وأخلفاء (٩) .

ان ضم السلطان سليم للحجاز كانت له نتائج بعيدة المدى من حيث  
علاقة الشرافة بالسلطنة ، وضعف هذه العلاقة وقوتها ، وطروء طواريء  
جمة في البلاد الحجازية لم تكن من مصلحة أهل البلاد أنفسهم . فقد وجد  
السلطان في الشريف أداة صالحة لحكم الحرمين فاطلق له الحرية في المصل  
وأكتفى منه باظهار العبودية والطاعة ، وقراءة اسمه في الخطبة ، وتسهيل  
قدوم المحامل من الجهات الشامية والعراقية والمصرية وفيما بعد اليمنية ،  
واعتبار نفسه تابعا للسلطان في صغير الأمور وجليلها ، وموظفا عثمانيا  
يصدر بتعيينه فرمان سلطاني (١٠) .

ويتلخص تاريخ الشرافة في عهد « أبي نسي الثاني » (١١)  
(٩٣٢ - ٩٩٠ هـ) الى أيام الشريف غالب بن مساعد (١٢٠٢ - ١٢٢٨ هـ)  
في القرن الماضي بأنه تاريخ مطرد ، ووصف متشابه ، لما كان يجري بين  
الأشراف أنفسهم من فتن ومعارك كان القصد منها تبديل أمير ، وفيما  
يجري بين الأشراف والموظفين العثمانيين من أمراء الحج وولاة البلاد  
المجاورة ، وفيما يقع في الحرمين وأطرافها من خرو البدو واعتدائهم على  
السابلة وقطعهم الطريق وانتهابهم للحجاج ، وفيما يقوم به الأشراف من  
تجريد الحملات لكبح جماحهم وتأديبهم (١٢) .

والواقف على تاريخ الأشراف في الحجاز يرى أنه تاريخ مملوء بالدماء  
والفظائع ، فالشريف منهم في سبيل الامارة لم يكن يتورع عن قتل أخيه  
وأبناء عمومته في سبيل الحكم ، ولقد بلغت ببعضهم القسوة أن قتل أحدهم  
أخاه وطبخ لحمه ودعا اخواته الباقين لوليمة ، قدم لهم فيها لحم أخيه ! (١٣)

وصلة الحجاز بنجد صلة قوية ، وحدودها غير واضحة ولا مرسومة .  
هذا فضلا عن أن أشراف مكة ، كانوا يعتبرون بلاد نجد ، وخصوصا  
المجاورة للحجاز ، بمحمولة بنفوذهم وخاضعة لهم ، وكانوا يواصلون  
ارسال الحملات عليها لتأديبها وجباية الزكاة من أهلها .

وتابع الأشراف سيرة الدعوى السلفية باهتمام وماكانوا كأكثر  
الناس في ذلك العهد ، يتوقمون لها نجاحا ، على أن نظرهم اليها أخذت  
تتبدل بعد أن شرقت وهربت ، وضمت معظم مقاطعات نجد اليها وأدخلتها  
في دائرة ملامحتها ، وأنشأت فيها دولة جديدة يحسب حسابها . وما قامت

فيها دولة من قبل بلغت ما بلغته ووصلت الى ما وصلت اليه (١٤) .

اغتير أشراف مكة الدعوة السلفية خروجاً على الدين الاسلامي وتعاليمه . ورغم صراحتهم التي لا تنتهي فيما بينهم ، الا أن هذا لم يمنع الشريف مسعود بن سعيد ( توفي ١١٦٥ هـ ) الذي حاصر الأمير محمد بن سعود من رفض السماح لأهل نجد بأداء فريضة الحج (١٥) .

وهناك حقيقة لا بد لنا من تذكيرها ، وهي أن آل سعود لم يبدأوا الأشراف بالمردوان ولم يستفزهم ، ولم يأتوا بما يشتم منه رائحة التحدي لهم . بل سموا سمياً حثيثاً للفتاهم معهم ، ولاتناهم بحسن نيتهم وصادق رغبتهم في انشاء افضل علاقات الود والصداقة معهم . فلم يجدوا تجاوباً ولم يلمسوا عطفاً ، بل ولا ميلاً للفتاهم والتواصل ، اذا لم نقل العكس . وهو أن الأشراف هم الذين بدأوا بالتحدي والاستفزاز ، ومعلوا لتقصير سمة الدعوة واطهارها على غير حقيقتها .

لقد كانت مكة في ذلك العهد ، حاضرة كبيرة من حواضر الثقافة في العالم الاسلامي ، ومركزاً كبيراً من مراكز الدعاية ، بسبب وفود الحجاج سنوياً اليها من جميع أنحاء هذا العالم . فكان الأشراف يرسلون دعايتهم ، فيندسون بين الحجاج ، فيصفون لهم الحالة في نجد ، ويبسكون وينحون ويشتمون الجيوب ، ويلطمون الحدود أسفاً على الأضرحة والقباب التي هدمتها الدعوة ، وعلى منمها الاستغاثة بقبور الأولياء والصالحين ، وحملها الناس على اتباع سيرة السلف الصالح والاهتمام بهديه ، ومقاومتها البدع والخرافات . ويقولون انها تعارب الاسلام وتقضي عليه ، وتشر ديناً جديداً ونحلة جديدة ، يبرأ منها الاسلام وينكرها .

ووصلت أخبار هذه الحملة المفتراة الى نجد ، وعرف أنها أنشأتها أن الأشراف يحاربون الدعوة حرب دعاية عنيفة . فرأوا بأديهم ذي يدم ، وقبل اتخاذ أي اجراء أو تدبير عسكري ، أن يسعوا للفتاهم معهم عن طريق وفد يرسلونه اليهم ، فيطلبهم على حقيقة حركتهم ويصف لهم الأضرار التي ترمي اليها ، والمبادئ السامية التي انبثقت منها ، ويذكر النتائج الباهرة التي أدركتها . فقد استطاعت في سنوات قليلة أن تنقل شعب نجد من الجهالة التي كان يخب فيها . وتنفيهم مجتمعاً جديداً يؤمن بالتوحيد ويتقانى في سبيله (١٦) .

ارسل أبناء سعود بعض علمائهم الى مكة مراراً لاقتناع علمائها بالدعوة

السلفية التي أرسى أصولها شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب ، ولكن رغم اقتناع علماء مكة بدموية علماء نجد ، الا أن موقف الأشراف ظل متصلبا ومعاديا واستفزازيا . فقد امتنع الحج على أهل نجد ، تحديا من الأشراف وتمسقا (١٧) .

ورأى الشريف غالب ألا يكتفي بمنع النجديين من دخول الحجاز وأدام فريضة الحج ، فاعد جيشا من البدو والأنصار ، زحف من مكة سنة ١٢٠٥هـ يريد الدرعية ، فكان ذلك فاتحة هذا النضال العنيف بين آل سعود والأشراف ، وقد استمر نحو ١٤٠ سنة (١٢٠٥ - ١٣٤٤هـ) وانتهى بفوز الأولين وبخروج الآخرين (١٨) .

أرسل الشريف غالب بن مساعد حملته الأولى سنة ١٢٠٥هـ (١٧٩٠م) ، وكانت الدرعية وجهتها واغشاع نجد هائتها . ولكنها لم توفق . ونتيجة لذلك أحس الشريف بأن قبائل كثيرة في الحجاز انضوت تحت لواء آل سعود وقدمت لهم البيعة ، فخاف على ملكه أن يزول . فجمع علماء مكة والمدينة واستكتبهم رسائل للسلطان العثماني سنة ١٢٠٧هـ لطلب النجدة العاجلة لانقاذ الأماكن المقدسة من خطر آل سعود (١٩) .

ويذكر المؤرخ التركي أحمد جودت باشا في كتابه ، أن أحمد باشا الجزار ذهب الى الحجاز لأداء فريضة الحج ١٢٠٨هـ ، فشككا اليه الشريف غالب من الشكوى من آل سعود ، فنصحه الجزار بأن يكتب تقريراً بذلك الى السلطان العثماني (٢٠) . فلما وصل التقرير الى السلطان حوله الى مجلس الشورى لبحثه ، وكانت النتيجة سلبية لتوهم الأعضاء أن التقرير مبالغ فيه وأن المسألة لا تعدو أن تكون تنافسا شخصيا (٢١) .

وفي سنة ١٢٠٩هـ (١٧٩٤م) أراد آل سعود الرد على حملة الشريف ، فأعدوا جيشا كبيرا للاستيلاء على الحجاز ، ولكنهم لم يوفق كثيرا . ورد الشريف على هذه الحملة بحملة أخرى أهدمها في العام التالي ، ولكن نتيجةها كانت كسابقتها تقريبا . وأعاد الشريف غالب الكرة مرة ثالثة في نفس العام ، ولكن المحصلة كانت واحدة أيضا . وتوالى الممارك والحملات بين الطرفين على مناطق الأطراف بينهما وكانت النتائج محدودة (٢٢) . ثم هزم الشريف سنة ١٢١٢هـ (١٧٩٧م) أمام آل سعود في حملته التي قادها ضدهم في بيشة . ولما تحقق من ضعفه ، مال الى الصلح ، فمقد الصلح بين الطرفين سنة ١٢١٣هـ (١٧٩٨م) شريطة السماح للنجديين بالحج . وذات



يوم حدث خلاف بين الشريف ووزيره عثمان بن عبد الرحمن المضايقي ، ففادر الوزير مكة والتجأ الى الدرعية ويايح الأمير . ثم أقام في العبيلا ، ولما علم الشريف بذلك جهز جيشا هاجم به العبيلا ، ثم ارتد عنها خائبا الى الطائف (٢٣) ، فلقق به عثمان بعد أن جهز له جيش كبير من الدرعية ، وهاجم الطائف فانسحب الشريف الى مكة ، فتمتقه عثمان ودخل مكة منتصرا سنة ١٢١٧هـ (١٨٠٣م) بعد أن استولى على الطائف (٢٤) . ثم لحق به الأمير عبد الميز بن سعود بجيش كبير وادى فريضة الحج (٢٥) ولما أنس الشريف في نفسه الضعف أرسل وهو في جدة طالبا الصلح ، فأجابه الأمير الى طلبه وأعادته الى منصبه ، وترك حامية قوية بمكة ثم قفل راجعا الى الدرعية (٢٦) .

وهنا ينبغي علينا أن نتعرف على رد الفعل لدى العثمانيين عندما خرجت مكة المكرمة من أيديهم :

بعد أن سقطت مكة في أيدي آل سعود ، ارتاع السلطان سليم الثالث (١٢٨٩ - ١٨٠٧م ، ١٢٠٣ - ١٢٢٢هـ) عندما سمع الخبر . وقد وإفاه الشريف خالب بن مساعد أمير مكة المكرمة بتقرير مفصل في فرة صفر سنة ١٢١٩هـ عن استيلاء آل سعود على مكة . وعندما قرأه السلطان كتب تأشيرته أهلاء قائلا : « لقد سببت لي أحوال الحرمين اضطرابا فائقا » (٢٧) . وكتب الشريف رسالة أخرى في اليوم نفسه الى السلطان يرجوه أن يطلب من مصر الامدادات العسكرية العاجلة (٢٨) . ولم يقتصر الأمر على الشريف خالب ، بل ان عبد الله باشا العظم والي الشام كتب للسلطان تقريراً عن الدهوة السلفية . وبعد أن اطلع عليه السلطان ، كتب أهلاء تأشيرته ، تقول : « انني لا أذوق طعم النوم .. انني أكاد أبكي ، ولكن البكاء ليس من شيمة الرجال (٢٩) » .

هذا كله يدل على أن الدولة العثمانية أسأها الارتباك الشديد واعترتها الحيرة ، حيث تأكد لديها أن قوة الدرعية لا يستهان بها ، وأن الدهوة السلفية تنتشر انتشارا مريحا . وأن مكة المكرمة قد ضاعت من يدها ولم تعد لها السيطرة عليها ، وهذا ما يؤدي بالتالي الى فقدان العثمانيين لهيبتهم لدى العالم الاسلامي وضياع مركزهم المتميز بين دوله .

ولماح الشريف خالب على السلطان لكي يطلب له العون العسكري العاجل من مصر ، يبرهن على أن قوة آل سعود كانت كبيرة ، وقد زادهم صدق دعوام حماسا وشجاعة وتقانيا من أجل نشر مبادئهم التي نادوا بها .

فكانوا لا يخافون أحداً •• تحددوا الدولة العثمانية واستولوا على مكة المكرمة ثم على الحجاز بأكمله فيما بعد • وتحددوا الدولة العثمانية وأغاروا على العراق فالشام من بعد • وكل هذا يدل دلالة واضحة على تفانيهم ، فهم أصحاب دعوة سامية ضحوا من أجل نشرها دون خوف أو تردد •

انتهاز الشريف غالب فرصة الصلح ، ثم أخذ يدعم قواته • ولما أنس في نفسه القوة أخرج الحامية النجدية من مكة ، واستقل بالحكم استقلالاً تاماً • فتحرك الأمير سعود على رأس قواته ودخل مكة ، فاستقبله الشريف وباهمه ، فأقره في منصبه ، وقد استسلمت المدينة المنورة وأطاعت قبل مكة ، ولكن سعود لم يأت إلى المدينة إلا بعد دخوله مكة ومصالحته للشريف غالب •

جاء سعود إلى المدينة المنورة في آخر ذي الحجة سنة ١٢٢١ هـ ، فاضبطها وأقام فيها حامية كبيرة ، وأجلى كل من فيها من الموظفين الترك (٣٠) •

كان استيلاء سعود على الحرمين الشريفين ، تحدياً صارخاً للسلطان العثماني • ولو لم تكن الدولة العثمانية ضعيفة تمرقها الفتن الداخلية والحروب الخارجية ، لما سكنت على هذا التحدي • ولسير السلطان جيوشه إلى الحجاز وتجهيد لمحاربة سعود منذ أن استولى على الحرمين الشريفين (٣١) •

وكثيراً ما تطالمتنا الوثائق التركية بالسلطان العثماني يطلب من ولاية الشام والعراق مراراً مكافأة آل سعود أو (السلفيين) (٣٢) ، منذ أن ظهرت قوة آل سعود وبدأت دعوتهم في الانتشار • وبعد أن استولى سعود على الحرمين الشريفين ، بدأت الدولة العثمانية تلح الحاساً شديداً على ولايتها في الشام والعراق وتستعجلهم لكي يتحركوا بعد أن استفصل الخطر على حد زعم السلطان العثماني • فقد قام سعود فضلاً عن خزوه للحرمين الشريفين بطرد الموظفين والجنود العثمانيين من الحرمين ، ومنع الدعام للسلطان العثماني على المنابر لأنه من الأبدح (٣٣) ، وحرمانه من أهل لقب يحملوه وهو «خادم الحرمين الشريفين» •

وبعد أن تولى السلطان محمود الثاني المرش ( ١٨٠٨ - ١٨٣٩ م ، ١٢٢٣ - ١٢٥٥ هـ ) ، آل على نفسه أن يخلص الحرمين من أيدي ابن سعود • وكان السلطان يستعظم جيوش سعود ويحسب حسابها • ولا يتصور أن محمد علي باشا والي مصر يمكنه أن يقوم بالمهمة وحده • والحقيقة أن كلا من والي الشام والي العراق تكلأ في القيام بالمهمة بحجة عدم القدرة منفرداً • وكان كل منهما يتملص من المسؤولية ويترجم أن مصر وحدها هي

التي تقدر على القيام بالمسئولية ، خاصة وأن جيشها سيمبر البحر في أمان .  
أما قوات الشام والعراق ، فإنها ستجتاز صحراء واسعة مليئة بالمخاطر (٣٦) .

أمر السلطان العثماني بإرسال رسالة إلى محمد علي لتكليفه بالقضاء على السلفيين ، فور رد من والي مصر بالاعتذار عن القيام بالمهمة المذكورة في وقتها ، نظرا لوجود بعض القلاقل في صفوف الجيش . والرسالة التالية التي بعث بها القاتمقام موسى باشا إلى محمد علي في ٨ شوال سنة ١٢٢٢ هـ ( ديسمبر ١٨٠٧ م ) ردا على رسالة الأخير توضح هذه المسائل (٣٥) :  
« ..... وردت إلينا تحريراتكم الطيبة التي تفضلتم بإرسالها إلينا ، وبعد أن أحطنا بما فيها وفهمنا مؤداها وأطمعنا على تفاسيلها ، علمنا أنك قد عقدتم النية وصممت الغزيمة على اتباع الوسائل الكفيلة بدمر الوهابيين والقضاء عليهم ، بعد دخولكم مصر ، وقيامكم بالقضاء على الفتن التي حدثت بين المساكين بسبب الرواتب وتصميمكم على ضبطهم وربطهم منساقا للقليل والقال » . ثم يستحث موسى باشا محمد علي ، قائلا : « وبما لكم من خصائل حميدة كالشجاعة والروية ، فإن الذات السامية تطلب منكم الاندفاع والتصميم في كلا المسألتين . ونأمل ونتوقع أن تبدلوا مساعدكم وتركزوا اهتمامكم سواء في القضاء على الوهابيين أو في سائر الأمور الأخرى التي تؤمرون بها (٣٦) » .

وأخذ السلطان العثماني يخبري محمد علي ويدفعه لكي يذهب إلى الحجاز ، فأرسل إليه القاهجي المسمى بيانجي بك « بالأوامر بخروج المساكين للبلاد الحجازية وخلص البلاد من أيدي الوهابية » . وفي مراسيمه التي حضر بها التأكيد والحث على ذلك . فلم يزل البابا يخادعه ويمدحه بانفاذ الأمر ، ويمرغه أن هذا الأمر لا يتم بالمجلة ، ويحتاج إلى استعداد كبير وانضمام مراكب في القلزم وغير ذلك من الاستعدادات (٣٧) » .

ثم أرسل السلطان محمود الثاني إلى محمد علي يحثه على إمداد جيشه والسفر إلى الحجاز ، ويذكر له « أنه حرم النوم والراحة على نفسه منذ أن تولى العرش ، بسبب وجود الحرمين الشريفين في قبضة ابن سعود » ، ثم يمدحه قائلا : « إذا أراد الله بملك خيرا جعل له وزيرا صالحا أن نسي ذكره وإن ذكر أماته (٣٨) » .

وقد رد محمد علي على السلطان في ٢٢ ذي القعدة ١٢٢٣ هـ شارحا له الظروف التي أدت إلى تأجيله موعد القيام بمهمته في الحجاز ، قائلا على لسان معتمده عاهدين باشا : « عندما وصلت التحريرات السنية تستفسر عن

تحركنا شخصيا للقضاء على الوهابيين الذين استولوا على الحرمين الشريفين وتصميما الشديدا على ذلك ، بحث الموضوع من جميع جوانبه ووجد أن تحرك مولانا بمفرده يتنافى مع شروط الخطة والمذكر طبقا للمعايير والاستطلاعات . ويحتاج الأمر الى التحرك من ثلاث جهات (٣٩) ، لاتمام الامور ، وقد أرسلنا اليكم تحريراتنا نغريكم فيها بأنه عندما ترسل المهمات اللازمة ، نبذل الهممة والنشاط في العام القادم لكي نتحرك . وتيسر المصلحة اذا أرسلتم الينا سبعة آلاف أو ثمانية آلاف من عساكر الرومي الشجيان مع لوازمهم ، لأن عساكر الشام وهكذا لا تقدر على الحرب ، فقد أشيع أن أكثرهم من المجرة (٤٠) » .

وكان الواجب يقتضي من السلطان العثماني - في ظني - أن يقف على حقيقة الدعوة السلفية الإصلاحية ، بدلا من أن يحرض بمحمسد علي لمحاربتها والقضاء عليها . فالسلطان أولى باتباع تاليم هذه الدعوة الصحيحة ، هي أولى له وأنفع لبلاده وللمسلمين كافة . فقد انتشر الفساد في داخل الإمبراطورية العثمانية وخارجها ، وراجت فيها الرشوة وكثر الانحراف وحممت الفوضى ، وعاث الانكشارية فيها فسادا ونهبا ، واهتزت الثقة في أمور الإدارة ، واستولى علماء الدين على عقول الحكام والسلاطين وأصبحت الدولة تسترضيهم في شتى المناسبات ، وقد لعبوا دورا هاما في هزل الولاة وتنصيبهم .

وكتب التاريخ العثماني تذكر لنا الكثير من الأمثلة على انتشار الفساد والاضمحلال وتردي السلطة الحاكمة . والأمثلة على ذلك كثيرة :

هذا السلطان يطلب من شيخ الاسلام أن يقوم بعمل « استخارة » لمعرفة أكفأ الرجال لمنصب الصدراة العظمى .

وذلك السلطان يستبعد أحد المرشحين ، لأنه سمع من أحد العلماء بأن اسمه لم يكن من الأسماء التي تقترن بـ « اليمن » .

وهذا القائد يتوقف عن الحركات العسكرية ، انتظارا لحلول « أشرف الساعات » التي يمينها المنجمون .

وذلك القائد يمتنع عن الهجوم ليلا - وفق اقتراح مستشاره العسكري - لأن العلماء الذين كانوا يرافقون الجيش قالوا له « ان الهجوم ليلا ، لا يتفق مع شئان الاسلام (٤١) » .

ويذكر بعض المؤرخين أن آل سعود لو لم يتعرضوا للعجزاء ، لبقيوا

في مأمن من الدولة العثمانية ، ولكبرت دولتهم واتسعت وقويت في وسط الجزيرة ، مع اتباع سياسة ودية أو شبه ودية مع استانبول ، والاكتفاء بنوع من التحالف مع شريف مكة لضمان ولائه (٤٢) . ولكنني لا أوافق هؤلاء فيما ذهبوا اليه ، إذ أن العداوة والبغضاء بدأت من أشراف الحجاز لآل سعود ، كما أن المناوشات والاعتداءات بدأت من جانبهم أيضا على أطراف نجد . وكان على آل سعود أن يردوا على الشريف لكيلا يكون خطرا على دولتهم الناشئة وهي في مرحلة التكوين . وفوق كل ذلك فإن الدعوة السلفية ، قامت لكي تنتشر في الربع والأفاق ، لا لكي تتقوقع ، أو تظل حبيسة في حدود نجد ، لأنها دعوة إصلاحية عظيمة تصحح مسار الاسلام الذي انحرف به العباد . . .

« ولولا أن الترك والمصريين اجتمعوا ، وحاربوا ابن سعود في داره بأسلحة لا عهد لأهل البادية بها ، لكان المرجو أن يوحد كلمة العرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة ، كما وحد ظهور الاسلام كلمتهم في القرن الأول (٤٣) » .



## المسواشي

- ١ - أحمد واسم : عثمانلي تاريخي ، حاشية ص ٢٩٦ ، ٢٩٧ استانبول ١٣٢٩ هـ .
- ٢ - حيدر چلبى : روزنامه حيدر چلبى ، ضمن مخطوط رقم ١٩٥٥ ر في مكتبة طويقبو سراي باستانبول ، يمتوان : سلطان سليمك ايران سقرينة دائر مغايرت ، ورقة ١٥٠ ١ .
- ٣ - أحمد فريدون : منشآت الملوك والسلطين ، مخطوط بمكتبة طويقبو سراي برقم ١٩٦٠ ر .
- ٤ - حيدر چلبى : نفس المرجع ، ورقة ١٤٣ - ١٦٠ .
- ٥ - مترجمي نصوص : فتح نامه ديار عرب ، مخطوط وحيد في مكتبة نور عثمانية باستانبول ، رقم ٤٠٨٧ .
- ٦ - لا تزال بعض هذه الآثار التي جاء بها السلطان سليم والتي اتى بها آخرون ممن جاءوا بعده ، محفوظة حتى اليوم في جناح الامانات المقدسة بمتحف طويقبو سراي .
- ٧ - جلال زاده قوجه نشانجي مصطفى : مائر سليم خانى طاب ثراه ، مخطوط بمكتبة طويقبو سراي ، برقم ٤١٥ ، ورقة ١٤٣ ب ١٤٤ ١ .
- ٨ - فؤاد حمزه : تسلب جزيرة العرب ، ط ٢ ، ص ٣٠٥ - الرياض ١٣٨٨ هـ ( ١٩٦٨ م ) .
- ٩ - لتفصيل ذلك انظر :

Stanford Shaw : Between Old and New,  
The Ottoman Empire under Selim III PP. 3 - 11

- ١٠ - فؤاد حمزه : نفس المرجع ، ص ٣١٢ .
- ١١ - وضع ابو نعي قاتونا مكونا من ست وثلاثين مادة تصكم بموجبه الاراضي الجبازية .
- [ انظر نص القانون في كتاب حسين بن محمد نصيف : ماضي الجباز وحاضره ، ج ١ ، ص ١٧ ، ١٨ - مصر ١٣٤٩ هـ ]
- ١٢ - فؤاد حمزه : نفس المرجع ، ص ٣١٩ ، ٣٢٠ .
- ١٣ - حافظ وهبه : جزيرة العرب في القرن العشرين ، ص ١٥٠ - القاهرة ١٩٦٧ .
- ويذكر كتاب « التاريخ العثماني المفصل » كثيرا من الاحداث الدامية التي جرت بين الشريف غالب واخيه الشريف عبد الله على الشرافة . وقد امت هذه الاحداث الى توقف الاذان والصلاة في المسجد الحرام وتنازل بعض الرصاص داخل الحرم .
- [ Bir Heyet : Mufasssal Osmanli Tarihi, cilt 5.s. 2703  
Istanbul 1962 ]

- ١٤ - أمين سميد : تاريخ الدولة السعودية ، ص ٦٧ ، ٦٣ - بيروت ١٩٦٤ .
- ١٥ - أحمد السبايحي : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٣٠٢ - القاهرة ١٩٥٧ .
- ١٦ - أمين سميد : نفس المرجع ، ص ٦٣ ، ٦٤ .
- ١٧ - أنظر : حسين بن غنام : تاريخ نجد ، ج ٢ ، ص ١٣١ - ١٤٥ - الرياض ١٣٦٨ هـ ( ١٩٤٩ م ) .
- ١٨ - أمين سميد : نفس المرجع ، ص ٦٦ .
- ١٩ - انظر الوثيقة التي أرسلها علماء المدينة للمسلطان سليم الثالث ( ١٧٨٩ - ١٨٠٧ ، ١٢٠٣ - ١٢٢٢ هـ ) في ١٣ شوال ١٢٠٧ هـ لهذا الغرض .
- [ الوثيقة محفوظة في متحف طويقبو سراي باستانبول ، تحت رقم ٢٨٥٥ ]
- ٢٠ - لم يكن هناك نفوذ لأي قوة أجنبية في الجزيرة العربية في مطلع القرن الثامن عشر ، الا للعثمانيين في الجباز .
- [ Derek Hopwood : The Arabian Peninsula, Society and Politics, P. 54 London 1972 ]
- ٢١ - أحمد جودت باشا : تاريخ جودت ، م ٦ ، ص ٩٧ استانبول ١٣٠٣ .
- انتقلت الدعوة السلفية من نجد ثم ضمت الاحساء والبحرين ، وهندت البصرة

ويغداد وانتشرت حتى عمان ومسقط . وامتدت إلى الحجاز واليمن . وباختصار انتشرت في الجزيرة كلها تقريباً . وعندما رفع شريف مكة شكواه إلى استانبول ، انشغل علماءها بمناقشة الشكوى ليبحث شرعيتهما أو عدم شرعيتها . وكانت الدولة العثمانية غافلة عن حالهم اللجوء وإرمايها ، في الوقت الذي أصدرت فيه الدول الأوروبية مؤلفات كثيرة عن الوهابيين بلفحات عدة .

[ Ismail Hami Danismend : Izahli Osmanli Tarihi Kronolojisi, cilt 4, S.80 Istanbul 1972 ]

ولم تنتبه الدولة العثمانية إلا بعد أن غزا ابن سعود الحجاز ، ولم تحس بالخوف الشديد إلا بعد أن اغار على العراق والشام .

Baily Winder : Saudi Arabia in the Nineteenth Century, New York 1965 ] P. 7

٢٦ - أنظر : حسين بن خنام : نفس المرجع ، ج ٧ ، ص ١٤٥ - ١٨٥ .  
٢٢ - عثمان بن بشر : عنوان الجيد في تاريخ نجد ، ج ١ ، ص ١٢٢ الرياض ١٣٩٤ هـ .  
٢٤ - أنظر :

John Philby : Saudi Arabia, Beirut 1968, PP. 103, 104

٢٥ - استكتب الشريف أيضاً المجاورين للحرم الشريف ، فكتبوا للسلطان العثماني سليم الثالث في ١٩ المحرم ١٢١٨ هـ يشكون من آل سعود . وكذلك فعل مع علماء المدينة المنورة ، فكتبوا للسلطان العثماني في نفس التاريخ [ أنظر الوثيقة رقم ٢٧٨٩ المخطوطة في متحف طوبقبو سراي ] .

٢٦ - أنظر : أمين سعيد : المرجع السابق ، ص ٦٦ - ٧٠ .  
وأنظر أيضاً : عهد النعم الفلاني : تاريخ الدولة السعودية ، ص ١٠ - ١٢ ( د م ) ١٩٥٤ .

٢٧ - أنظر الوثيقة رقم ٢٧٨٦ - ١ المخطوطة في متحف طوبقبو سراي .  
٢٨ - أنظر الوثيقة رقم ٢٧٨٦ - ب المخطوطة في متحف طوبقبو سراي .  
٢٩ - أنظر الوثيقة رقم ٢٨٥٤ - ١ المخطوطة في متحف طوبقبو سراي .  
٣٠ - عثمان بن بشر : نفس المرجع ، ص ١٣٦ ، ١٣٧ .  
د - من العجلاني : تاريخ البلاد العربية السعودية ( عهد سعود الكبير ) ، ج ١ ، ق ٣ ، - بيروت د م ص ٤٨ .

Yilmaz Oztuna : Osmanli Tarihi, cilt 11, s. 122, 123 Istanbul 1967

يذكر بايلي ونذر في كتابه أن « آل سعود هاجوا العالم بطردهم للمثمنين من مكة والمدينة سنة ١٢٠٦م ( ١٢٢١ هـ ) » وأصبحت الدولة السعودية في نهاية العقد الأول من القرن المذكور ( التاسع عشر ) ، تبحث لقوتها النامية ودعوتها الناشئة من مغادر من دمشق ويغداد إلى اليمن وحضرموت ومن الخليج إلى البحر الأحمر . واتسعت الدولة العنيدة كثيراً بحيث يمكنها أن تدافع عن نفسها ضد أي غزو أجنبي .

[ Baily Winder : Ibid., P. 6 ]

٣١ - د - من العجلاني : نفس المرجع ( عهد سعود الكبير ) ، ج ١ ، ق ٣ ، ص ٩١ .  
٣٧ - أنظر الوثائق ، رقم ٣٦١٠ ، ٣١٦٦ ، ٣٨١٩ ، ٣٤٩٢ المخطوطة في متحف طوبقبو سراي .

٣٢ - أحمد جونت : نفس المرجع ، ج ٨ ص ١٠٢ ، ١٠٣ .  
٣٤ - أنظر الوثائق ، رقم : ٣٩٠٦ ، ٣١٠١ ، ٤٧٥٩ المخطوطة في متحف طوبقبو سراي . وأنظر أيضاً : أحمد جونت : نفس المرجع ، ج ٦ ، ص ١٠٠ ، ١٠١ .  
٣٥ - أرسل موسى باشا الرد على رسالة محمد علي في عهد السلطان مصطفى الرابع ( ١٨٠٧ - ١٨٠٨م ، ١٢٢٢ - ١٢٢٣ هـ ) .

٣٦ - أنظر الوثيقة رقم ٥ بالمخطوطة رقم ١ من مجموعة بحر برا ، المخطوطة في دار الوثائق المصرية .

٣٧ - عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، ج ٣ ، ص ٢٣٥

- بيروت ، دار الفارس ( د=ث ) \*
- ٣٨ - أنظر الوثيقة رقم ٢٦٩٣ المحفوظة في متحف طويقو سراي \*
- ٣٩ - يقصد الشام والعراق ومصر \*
- ٤٠ - أنظر الوثيقة رقم ١٥ بالمحفظة رقم ١ من مجموعة بحر يرا ، المحفوظة في دار الوثائق المصرية \*
- ٤١ - أبو خلون ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ط ٢ ، ص ٥٢ بيروت ١٩٦٠ \*
- ٤٢ - د= ملحق العجلاني : نفس المرجع ، ج ١ ، ق ٣ ، ص ٩٣ \*
- ٤٣ - طه حسين : الحياة الأدبية في جزيرة العرب ، مقال في ص ٦١٠ من مجلة الهلال في عددها الصادر في مارس ١٩٣٣ م \*





عاد تلو مکر تلو مورتلو مروتلو قرینا و عزیز و کرم طعام مفتیای

مصره وغولوزن صكره وقابلوا انضمام وكينا ازداغى اسياينلو استخوانه اقدام ببوليه

جاری و بین المذاکر ماہیہ ختمندہ بر مقدار کشتکو دفعہ بولش ایہ دفعہ تحت رابعہ بہ

ادغام جو پرچہ دے دیں۔ دفعہ پنجم و قال اویسی تفصیلاتی معنی فتاویٰ و ہلال جید ہوت

محررات: عاتق اباي، مشرباك، واند، واصل و مفهم و موادنه، الطبع: غلغانه ۱۳۸۷

محيط ونباتات: وغازات مختلفه واقع اولاد بن خنبريه لور و بين لمار و قوعيدون

مخلوقات اثر تدریجی بر پدید آمدن بافت مخلوقات و خود خلوص و او شده هاست

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ماں عالمہ و اچھے و ختمیہ موملہ اور دینہ نا ہر برادرہ جنابہ

محو و شامل الی: و هادی عقده واقع اولی بت خبریه لی و بی انکار وقوع و

تفکون و اثر تربیت بر بلبله و فیه باعث محظوظیت و قور خلوص و اولشد عارض

مناجبت خبرت و صبر امور خاموده زنده توفیقات عیسی مقداد اجیه ایمن مناجبت و دعا

خمسائل عالمیه و انبیه و حقیقتیه و موافق او و قریه یا هر بر ماده و جناب

عابدین حسن تشبث و اقام و درین مقام اولش و اتمام خامود و تفرغ و اولشد

بودن بویه و کوری شود و قای غایت و دفعه ساز مواد خاموده زنده صرف

تقریه اقام و وقت بولین کاشته شینه و بینه بلی ابر و بیایه خانه محالیت و خبر

و قریه خانه معاد و صبر و قریه انشاء الله تعالی و اولش و بویه و حرکت



و بیایه

مکتب بیه و در زمانه خداوند

بنج عادتو مکرانو مودانو موزانو قرانی لغزو کریم (حفظه)

عربان محرمه استبدادون خونه فارمینان و نروستعلی و نوزن

سینقینان ابادان نخوده و نوزن نزع و استخفجهون بانفس حرکت

و عربت دستوبیلی مودنان استخوفی نصی کوزدینا تحریرت

سینقینان و مودنان و بعضی محوزان و مطاعان بنی جناح سینقینان

بانفس حرکتی عزم و احتیاط شریکانه نشان ادبانی اقادان

و مودلا مصحت طبعی نمودن کینه بجه حرکت و عربته مخام ادبانی کینه

بجه نقیصیم بودینا دفعه موجبجه رفاه مودنه کوندلیک مودن

سینه انبه ده حرکت و عربته فن بودینانی نصیصی مادی تمام و کمال

اکثرجه مغوله سنت ادباندن بلکه مقصد اوله ناله بانه

و هم ای وادودانن بره سکر بایک مقداره عکسرتیب هیچ لازمانی

نسبید بودینانی مودنه حصول مصطنع مودسبون اوله مودنه

افادینانی حتمی مودنه فساد و عیادت بودینا عجزت مودنایک

اوله مودنه



التطوّر  
التاريخي  
لتأسيس  
معاهد  
المعلمين  
بالمملكة العربية السعودية

بإقام الأستاذ / عبدالله محمد الحفيل  
مدير عام الإدارة الفنية بدار الملك عبدالعزيز

### المقدمة

## أهمية اعداد المعلم ودوره في الرسالة التربوية وتكوين المواطن الصالح

ان الهدف الأساسي للتربية هو اعداد المواطن الصالح المنتج وتنمية مواهبه والكشف عنها وتوجيهها نحو غايات نبيلة ومقاصد خيرة . فالمواطن الصالح دعامة قوية لوطنه وذخيرة حية لأمته يسهم في خدمتها باخلاص وأمانة وعزيمة ونشاط . ويدرك ما عليه من واجبات وتبعات ومسؤوليات . يحتل المعلم ولا شك مكانا بارزا في تكوين شخصيات أجيال المستقبل وبنائها فهو يرمي الأمانة ويؤدي الواجب ويدعم بناء النهضة التعليمية ويفرس في النشء حب المعرفة ويصبرهم بالثر العلم والتعلم السليم ويفنّي عقولهم بفروع المعرفة المختلفة ، ويهذب من طباعهم من جميع النواحي الأدبية والفنية والروحية والعقلية والخلقية على حد سواء ويربي أذواقهم بمزاولة مختلف الفعاليات المدرسية فهو يضئ الشموع لينير الطريق المظلمة .

فالمعلم هو الذي يكون للأمة أبنائها ويربي أجيالها الصاعدة المتفتحة للحياة والتي سيقع على كاملها عبء النهوض والتطور بالمجتمع نحو الأهداف الحرة القاضية وسيجعل التوجيه التربوي من المعلم عضواً ثاقفاً فعالاً في مجتمعه فالمعلمون هم رعاة الأمانة والأمناء على تكوين المواطنين الصالحين .

ونتيجة لذلك نرى الأمم تتسابق اليوم في تطوير المسلمين وتنمية معارفهم وقدراتهم وميولهم واتجاهاتهم وتوسيع مقامهم التربوية والوقوف على ما لديهم من استمدادات ذهنية وفكرية ووجدانية وتطويرها نحو الأفضل . إذ أن وسائل التربية تتطور بتطور الزمان ونمو المجتمع .

وفي بلادنا والمحمد لله حماس رائج واهتمام متزايد لاعداد المعلم ثقافياً وعلمياً وتربوياً الى جانب الاهتمام بقيمتنا الروحية وتراثنا الخالد وعلى أسس من العقيدة والأخلاق السامية والى رفع مستواه العلمي والثقافي والسعي في الوقت نفسه الى الاكتفاء الذاتي بالمعلمين من أبناء البلاد وتحقيق تطورهم ومن هذا برزت أهمية المنطلق السليم نحو التخطيط والدراسة لاعداد المعلمين وتدريبهم وانشاء الكليات المتوسطة والسموية لتحقيق الأهداف التربوية المنشودة .

والمعلم الجيد له فائدة في تحسين نوعية التعليم وتطوير العملية التربوية لذا فقد تحولت بعض المراكز والمعاهد الى مراكز وكليات متوسطة بمستوى التعليم العالي في السنوات الأخيرة .

ولقد شاعت فكرة انشاء الكليات المتوسطة في الكثير من بلدان العالم وبخاصة في أمريكا واليابان وغيرها وسوف تتطرق لهذا النوع من الكليات في نهاية البحث .

### التطور التاريخي لتأسيس معاهد المعلمين في المملكة

نظرة تاريخية :

لقد تأسست مديرية المعارف لأول مرة في عام ١٣٤٤هـ الموافق ١٩٢٦م وكانت في الواقع بداية لفترة انتقال نحو بناء صرح العلم وتثبيت قواعده على أساس من المعرفة الصحيحة والتربية القويمة . ولم تكن آنذاك مدارس قائمة تذكر سوى بضع مدارس في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة وكانت تمنى بتعليم اللغة العربية والدين . فحسب .

وكان التعليم الشكلي نادرا في مختلف مناطق المملكة عدا بعض المدن التي تتوفر فيها بعض الكتاتيب وحلقات المساجد ٠٠ وكان مقر الكتاب لا يعتمدى الغرفتين أو الثلاث ويقوم بالتدريس فيه شخص واحد يسمى « الطوع » ولا يتعدى عما يقرأه الصبي فيها عن قراءة القرآن الكريم وحفظه وتعلم الخط مع نبد يسيرة مقتضية من الفقه والتوحيد .

فلم تكن تؤتي بالثمرة المرجوة ٠٠ أما حلقات المساجد فقد كان يدرس فيها العلماء والقضاة ويؤمها الطلاب لتلقي العلم كما كان الطلاب يدرسون فيها الفقه والتوحيد وقواعد اللغة العربية والصرف والعروض وعلم الفرائض .

وللحقبة والتاريخ فقد خرجت هذه المساجد علماء وقضاة أسهموا بنصيب كبير في نشر الدين الاسلامي والتمريف به وسدوا حاجة البلاد في بعض وظائف التعليم .

وبعد تأسيس هذه المديرية حرصت على تطوير المعلم باعتباره الركيزة الأولى ومن أهم وسائل التعليم فأنشأت المعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة .  
المعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة :

لقد أنشأت مديرية المعارف هذا المعهد عام ١٣٤٧ هـ وقد كانت شروط القبول به حسب ما جاء في خطاب مدير المعارف المرقم ١٣٨ ١٢٧ / ١ / ١٣٤٧ هـ المرفوع الى صاحب السمو الملكي النائب العام لجلالة الملك المعظم كالاتي حسب الاعلان المنشور في جريدة أم القرى عام ١٣٤٧ هـ .

#### اصـلا ن

تمن إدارة المعارف العمومية أنها قد اهتمت بمونه تعالى على فتح المعهد العلمي لتلقي الفنون التي تؤهل الطالب لأن يكون أستاذا في المدارس الأميرية في مدة ثلاث سنوات وأن يختص لكل طالب اعادة شهرية جنيهاً تنشط له ومساعدة لحاله وأن الحد المدد المحدود قبوله من الطالبين أربعين طالباً على أن يكون كل طالب متصفاً بما يأتي :

- ١ - أن يكون ملماً بقسم العبادات .
- ٢ - أن يكون عارفاً بقواعد اللغة العربية البسيطة .
- ٣ - أن يكون ملماً بالاملاء والخط والحساب الى الأعمال الأربعة .

فعل كل من يرغب في الانتظام في سلك الطالبين أن يراجع ادارة المعارف العامة من تاريخ الاعلان الى يوم ٢٠ صفر ١٣٤٧ لتقيد اسمه ضمن الطالبين ولذلك صار الاعلان .



**ملاحظة :** لقد كانت هناك سنة اعدادية قبل البدء في الدراسة بالمعهد .  
ولقد كانت مدة الدراسة ثلاث سنوات بعد اتمام الدراسة الابتدائية  
ثم طورت الدراسة في عام ١٣٦٥ هـ فأصبحت خمس سنوات كما أنشئ معهد  
آخر بالمدينة المنورة عام ١٣٦٨ هـ .  
ومما هو جدير بالذكر أن أكثر الخريجين لم يزاووا مهنة التدريس  
سوى أفراد قلائل إذ أن الغالبية منهم قد واصلوا دراساتهم العالية في كليتي  
الشريعة والمعلمين بمكة المكرمة كما اهتمت أعداد أخرى الى الخارج لمواصلة  
دراساتهم .

**ملاحظة :** والواقع أن هذين المعهدين لم يكونا في الواقع معاهد لاعداد  
المعلمين بالمعنى المفهوم إذ أن مناهجها كانت خالية من التطبيقات العلمية  
كما أن خططها الدراسية لم تهتم بالموضوعات التربوية والمهنية واقتصرت  
الدراسة فيها على الموضوعات التي لها علاقة مباشرة بالمنهج الابتدائي وكان  
تصيب التدريس من خريجي هذه المعاهد ضئيلاً .  
ويتضح من خلال البحث أن بداية العمر الحقيقي الزمني لاعداد  
المعلمين أنه في عام ١٣٤٧ وأن فكرة اعداد المعلمين لم تكن مقتصرة على اسم  
معهد معلمين بل ان المعهد العلمي السبودي بمكة المكرمة وبالمدينة المنورة  
وكلية المعلمين بمكة المكرمة سابقا والمعاهد الليلية للمعلمين وكلية الشريعة  
بمكة المكرمة .  
كل هذه المؤسسات ذات الأسماء المتباينة قد أسهمت في تخريج عدد من  
المعلمين حيث أن اعداد المعلم كان من ضمن أهدافها .

#### الخطة الدراسية بالمعهد العلمي السعودي :

السنة الاعدادية	صحة
قواعد	تفسير
انقسام	مطالعة
حساب	حساب
أصول حديث	السنة الأولى
تاريخ	التربية العملية
فقه اللغة	رسم
رسم	قواعد
تقويم	خط
اسلام	تاريخ

صححة	توحيد .
فقه	أصول تفسير
انقسام	أدب
تقويم البلدان	خط
تفسير	أصول حديث
حديث	توحيد
مطالعة	توحيد
السنة الثالثة	أصول تفسير
توحيد	حساب
هندسة	أدب
فقه	هندسة
مسك الدفاتر	حديث
تفسير	مطالعة
حديث	السنة الثانية
فرائض	التربية العملية
نحو	رسم
جبر	قواعد
يلافة	انقسام
انقسام	حساب
آداب اللغة	تاريخ
المربية	خط
تاريخ	مبادئ فرائض
خط	هندسة
جغرافيا	توحيد
حساب	فقه
تربية عملية	أدب
لغة انجليزية	تقويم البلدان
المبادئ والصحة	

خطة الدراسة في منهج عام ١٣٧٢ هـ بالمعهد العلمي السعودي .

المادة	الاولى	الثانية	الثالثة	الرابعة	الخامسة
التوحيد	٣	٣	٢	٢	٢

٤	٤	٣	٤	٤	الفقه
١	١	١	١	١	الفرائض
٢	٢	٢	٢	٢	التفسير
٢	٢	٢	-	-	أصول الفقه
-	-	-	١	١	المصطلح
٣	٣	٣	٣	٢	الحديث
٢	٢	٢	-	-	أصول الفقه
١	١	١	١	-	البلاغة
-	-	٢	٣	٣	الحساب
٢	٢	٢	٢	٢	الأدب والمحفوظات
٣	٣	-	-	-	التربية وعلم النفس
١	١	-	-	-	التربية العملية
١	١	٢	٢	٢	تقويم البلدان
٢	٢	٢	٢	٢	التاريخ
١	١	١	-	-	الهندسة
٤	٤	٣	٣	٣	القواعد
١	١	-	-	-	فقه اللغة
٢	٢	٢	٢	٢	الانضمام
-	-	١	-	-	الخطابة
-	١	١	١	١	الخط
١	١	١	١	١	المطالعة

المعهد العلمي السعودي - من عام ١٣٦٥ هـ .

قامت مديرية المعارف في عام ١٣٦٥ هـ بتطوير الدراسة في المعهد العلمي وأصبحت الدراسة فيه عبارة عن خمس سنوات وأطلق على شهادة الثلاث السنوات الأولى ( شهادة القسم التجهيزي أما شهادة قسم المعلمين الثانوي فتمنح بعد دراسة خمس سنوات به وبمعدنها يتمكن الطالب من الالتحاق في كليات الآداب ودار العلوم في جامعات الأزهر وكلية الشريعة بمكة التي تم افتتاحها عام ١٣٦٩ هـ .

الخطة الدراسية عام ١٣٦٥ هـ :

المادة	الاولى	الثانية	الثالثة	الرابعة	الخامسة
التفسير	٣	٢	٢	٢	٢
الحديث	٣	٣	٣	٣	٣
الفقه	٤	٤	٣	٣	٣
التوحيد	٣	٣	٢	٢	٢
أصول التفسير	١	—	—	—	—
أصول الحديث	١	١	—	—	١
أصول الفقه	—	١	١	١	١
القواعد	٣	٣	٣	٤	٤
الانشاء	٢	١	٢	١	١
أدب	٢	٢	٢	٢	٢
البلاغة	—	٢	١	١	١
فقه اللغة	—	—	—	—	١
الخطابة	—	—	١	—	١
المطالعة	١	—	١	١	١
الاسلام	١	—	—	—	—
الخط	١	١	١	١	١
التربية وعلم النفس	—	—	—	٣	٣
التاريخ	٢	٢	٢	٢	٢
الجغرافيا	٢	٢	٢	١	١
علوم حديثة	١	١	١	١	١
الحساب	٣	٣	٢	—	—
الهندسة	—	—	١	١	١
الرسم	١	١	١	١	١
اللغة الانجليزية	٣	٣	٣	٣	٣
	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦

## نظام الامتحان :

كانت نظم الامتحان في المعهد العلمي السعودي وفق ما جاء في نظام المدارس الصادر عام ١٣٤٧ هـ وفي نظام المدارس الأميرية عام ١٣٥٨ هـ وقد كانت أنظمة هذه المعاهد تسيّر حسب نظام الامتحانات في المدارس الثانوية حتى عام ١٣٨١ هـ حيث أن هذه المرحلة تعادل المرحلة الثانوية في مجموعها .

## العلامات الكبرى والصغرى :

المادة	النهاية الكبرى	النهاية الصغرى
القواعد	٣٠	١٥
انقسام	٢٠	٨
حساب	٣٠	١٥
اصول حديث	٢٠	٨
تاريخ	٢١	٨
فقه اللغة	٢٠	٨
فقه	٣٠	١٥
رسم	٢٠	٨
تقويم البلدان	٢٠	٨
اسلام	٣٠	١٨
توحيد	٣٠	١٥
اصول تفسير	٢٠	٨
آدب	٢٠	٨
خط	٢٠	٨
صحة	٢٠	٨
مطالعة	٢٠	١٠
تفسير	٣٠	١٥
حديث	٣٠	١٥
تربية عملية	٣٠	١٥
هندسة	٢٠	٨
مسك الدفاتر	٢٠	٨
قرآن كريم	٣٠	١٥
جبر	٢٠	٨

لقد دفعت الحاجة لتوفير المعلمين خلال تلك الفترة الى الاستعانة بكل من يرغب في العمل في هذا الميدان ويحسن القراءة والكتابة الى جانب استخدام الأعداد الكبيرة من أبناء البلاد العربية الشقيقة ولم تكن الظروف تسمح بمراعاة المستويات التربوية والمسلكية العالية خلال استخدام المعلمين في تلك الحقبة فكانوا من الفئات التي أطلق عليها معلمي الضرورة .

وعند صدور المرسوم الملكي بإنشاء وزارة المعارف فقد أخذت الوزارة على عاتقها إيصال نور العلم والمعرفة الى أبناء الأمة كافة وفي مختلف المناطق وكان ذلك في ١٨/٤/١٣٧٣ هـ حيث وضعت سياسة تعليمية وبرامج تربوية تستهدف تطوير التعليم وازدهاره وتوفير الأعداد الكافية من المعلمين وتطوير مفاهيمهم التربوية واعدادهم اعدادا مسلكيا يمكنهم من القيام بواجباتهم على أفضل وجه وفقا لامكانيات الوزارة وأنظمة التعليم المعمول بها آنذاك فوضعت خطة لاعداد المعلمين وتدريبهم أثناء الخدمة وفق الحاجة وفي ضوء الواقع ومحاولة الاكتفاء الذاتي بالمعلمين من أبناء البلاد . ولغرض تحسين الخدمات التعليمية وتطويرها ودفعها قدما الى الأمام بكل وسائل الدفع المادية والمعنوية .

ومن خلال ذلك بدأت الوزارة بتنفيذ خطة في اعداد المعلمين وتدريبهم ليكونوا محققين لأحسن النتائج التعليمية فبدأت المرحلة الأولى اعتبارا من عام ١٣٧٣ هـ حيث رسمت خطة تربوية تهدف الى انشاء معاهد المعلمين الابتدائية ومعاهد المعلمين الثانوية وتدريب المعلمين أثناء الخدمة ومعاهد المعلمين الليلية وتنظيم دورات صيفية في الطائفت بقية النهوض بمستوى معلمي الضرورة وتدريبهم وتطوير مداركهم وتشجيعهم على التطور والابتكار .

ولقد أسهمت تلك البرامج والمخططات في تكوين المعلمين ورفع مستوياتهم نحو الأفضل وتحقيق الأهداف المتوخاة وتوجيههم الى طرق المعرفة ووسائل التربية الحديثة التي تعينهم وترشدتهم الى تادية واجباتهم أثناء خدمتهم التعليمية والتي أسهمت ولا شك في تطوير التعليم بصورة عامة .

« يتبع »

# البريعات نظرة تاريخية



بقلم الدكتور عبد الكريم الأسعد  
أستاذ مساعد بكلية الآداب - جامعة الرياض

يطلق البيان على معنيين : معنى أدبي واسع يشمل الإفصاح عن كل ما يختلج في النفس من المعاني والأفكار والأحاسيس والمشاعر بأساليب تتصف بالدقة والإصابة والوضوح والجمال ، وهو بهذا المعنى يجمع فنون البلاغة الثلاثة : المعاني والبيان والبديع ، ومعنى علمي ضيق وهو التعبير عن المعنى الواحد بطريق الحقيقة أو المجاز بأنواعه أو الكناية ، وهو بهذا المعنى أحد فروع البلاغة الثلاثة عند المشتغلين بها .

وكانت علوم البلاغة الثلاثة التي عرفناها فيما بعد عند المتأخرين تسمى قديما علم البيان (١) ، والذين أطلقوا عليه هذا الاسم آنذاك لم يريدوا منه المعنى الضيق الذي يعني أنه أحد فروع علم البلاغة الذي يقصد به الإبانة عما في النفس بطرق مختلفة ، حقيقة حينا ومجازية حينا آخر ، وإنما أردوا منه معنى أعم من ذلك ، وهو المعنى الذي يشمل علوم البلاغة الثلاثة : المعاني والبيان والبديع . وقد سميت البلاغة أيضا في أوائل حياتها بديعا ، وأطلق على الفنون البلاغية التي عرفت إذ ذاك لقب البديع ، أي أن كلمة البديع كانت ترادف في الاستعمال كلمة البلاغة وكان يقصد بأحدهما ما كان يقصد بالآخرى (٢) .





وهذا كله يعني وقوع المصوم والشمول في استعمالات القدماء لمصطلحات البلاغة والبديع والبيان ، بل ان المتقدمين سموا علم البلاغة وتوابعها بعلم نقد الشعر ، وصنعة الشعر ، ونقد الكلام ، وانما التسمية بالمعاني والبيان والبديع حادثة عند المتأخرين (٣) .

وفي نظرة سريعة على تطور معنى لفظ البديع ولحتمالاته نرى ان هذا اللفظ ومشتقاته قد ورد أول ما ورد في الشعر الجاهلي ، ثم في شعر المخضرمين بمعنى الجديد والمخترع ، وورد هذا اللفظ كذلك في القرآن الكريم (٤) بمعنى مقارب هو الخلق والانشاء والبدع على غير مثال سابق ، وورد في الحديث الشريف بمعنى الجيد الطيب ، وبمعنى المحدث والجديد ، وورد في شعر صدر الاسلام وفي نثره بالمعاني السابقة كلها .

ولما جاء العصر العباسي الأول ظهر فيه بشار بن برد المتوفى سنة ١٦٧هـ ومسلم بن الوليد المتوفى سنة ٢٠٨هـ وأبو تمام المتوفى سنة ٢٣١هـ وابن الرومي المتوفى سنة ٢٨٤هـ والبحتري المتوفى سنة ٢٨٤هـ أيضا وابن المعتز المقتول سنة ٢٩٦هـ ، وهؤلاء هم الشعراء الذين سموا بشعرهم البديع بسبب اندفاعهم في الصنعة البديعية الى درجة الافراط كما حدث من أبي تمام ، ومع الوقوف عند حد القصد كما حدث من البحتري وابن المعتز .

وقد ذهب بعض الرواة الى أن بشارا هو مخترع البديع على ما ادعاه ، أو أنه أول من استعمل الأنواع الجديدة في شعره ، وتبعه بعد ذلك شعراء البديع السابقون واستعملوها في أشعارهم .

ولكن هذا لم يسلم لمن روه ، اذ رد عليهم ابن المعتز (٥) بأن هذه الأنواع الجديدة كانت موجودة قبل ذلك في شعر القدماء ، وأنه لا فضل لبشار في ابتكارها ولا في البدء باستعمالها ، وان كانت له ولشعراء البديع معه صفة الاكتثار منها في أشعارهم ، وذكر ابن المعتز أيضا أن اسم البديع انما هو من وضع الرواة والشعراء المحدثين ، وليس من ابتكاره ، وأنه كان لفظ أول من صنف في هذا الفن تحت عنوان « البديع » وان كان أستاذة ثعلب قد سبقه الى جمع أكثر ما جمع في كتاب واحد ، ولكن تحت اسم « قواعد الشعر » .

وقد جعلت الصور البديعية الجديدة تجري منذ ذلك الوقت على السنة الشعراء جريا متزايدا وكأنها تمتشرف الى من يجمعها ويتوجه بها بعنوان يضمها لها وضما علميا ثابتا حتى تأخذ سمتها البلاغي الدقيق وحتى تصبح

ذات اعتبار علمي فني محدد ، وقد حقق ذلك الأمير الشاعر عبد الله ابن الممتز ، فوضع اللبنة الأولى في صرح البلاغة في كتابه البديع سنة ٢٧٤هـ الذي عد فيه البديع خمسة أنواع هي : الاستمارة ، والتجئيس ، والمطابقة ، ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها ، والمذهب الكلامي (٦) ، وهي أنواع ليست مقصورة على الصور البديعية الجديدة كما هو ملاحظ ، وإنما هي شاملة تمام أنوما تتقاسمها الآن علوم البلاغة الثلاثة .

ثم أخذت البلاغة تسير مع الأيام نحو التخصص والتحديد مع التوسع والتفصيل فبعد أن كانت العلوم الثلاثة في كتابه ممتزجة إلى حد كبير كما ذكرنا ، وبعد أن بقيت مسائل البديع مختلطة بمسائل المعاني والبيان لم ينفصل بعضها عن بعض بصورة حاسمة بعد ابن الممتز عند كبار النقاد والبلاغيين الآخرين من علماء القرنين الرابع والخامس الهجريين من أمثال قدامة بن جعفر وأبي هلال العسكري وابن سنان الخفاجي وابن رشيق القيرواني كما كان واضحا من استمالاتهم التي كان يأتي فيها مصطلح البديع أحيانا دالا على مجرد الصنعة البديعية التي تكسب الكلام حسنا وقوة وبيانا ، كما كان يأتي في أحيان أخرى بصورة أهم وأشمل ليشمل ألوانا مما أصبح فيما بعد دائرا في نطاق علم المعاني أو علم البيان .

أقول : بعد ذلك ذلك آل الأمر في النهاية على يد السكاكي المتوفى سنة ٦٢٦هـ وعلى يد رجال طبخته ثم من ولهم إلى علوم البلاغة الثلاثة المرووفة عند هؤلاء المتأخرين بكل ما أصبح فيها على يديه وأيديهم من تخصص وتعدد وتوسع وتفصيل .

ومن المرووف أن أمر البديع قد وصل عند المتأخرين وفي مقدماتهم السكاكي والقزويني إلى وضعه في ذيل سلسلة علوم البلاغة مكمل لها يليها لا يتقدمها ولا يوازئها من حيث الأهمية .

ولعل هذا هو الذي حدا بأصحاب البديعيات وشرائحها إلى محاولة رد الاعتبار للبديع ، فبدأوا يحاولون ذلك منذ منتصف القرن السابع الهجري تقريبا قاصدين من وراء محاولتهم إلى أن يجعلوا مباحث البديع في أهمية مباحث علمي المعاني والبيان وليس بمدى ، بل زاد بعضهم بأن خلفاء على المعاني والبيان حتى انضويوا تحت لوائه ، وعاد البديع في نظر هؤلاء مرادفا للبلاغة ، وكأنما كان هذا رد فعل في نفوسهم لما أصاب البديع على يد السكاكي ومدرسته من تهوين ، يقول ابن حجة المصوي وهو من أصحاب

البديعيات في الاستمارة مثلا ، ليس في أنواع البديع أعجب منها اذا وقعت في مواقعها (٧) » .

ويعد كتاب ابن المعتز « البديع » كما ذكر مصنفه أول ما ألفت فيه بهذا الاسم ، وقد اعتبر صاحبه البديع اسما أهم مما اصطلاح عليه المتأخرون ، وذلك لما جمعه تحته في هذا الكتاب من ألوان الاستمارة والتشبيه والكناية والتمثيل التي عدّها من فنون البديع ، ثم زاد معاصره قدّامة عشرين نوعا من فنونه اتفق معه في سبعة منها فكان جملة ما زاده ثلاثة عشر ، فوصل ما جمعه الى ثلاثين نوعا ، ثم أوصل أبو هلال العسكري في (الصناعاتين) هذه الأنواع الى خمسة وثلاثين نوعا ، وجمع ابن رشيق في (العمدة) مثلها ، وتلاهما شرف الدين الشافعي فبلغ بها السبعين ، وصنف مجسد الدين بن منقذ الشيزري المتوفى سنة ٥٨٤هـ كتابه « التفرّيع في البديع » ورتبه الى خمسة وتسعين بابا ضمن كل باب منها نوعا من البديع ، وكان أول الأبواب أجناس التجنيس ، وآخرها التهذيب والترتيب .

وكانت خاتمة المطلق المدحة النبوية لصفى الدين الحلي المسماة « الكافية البديعية » جمع فيها مائة وأربعين نوعا .  
وقد أصبحت البديعيات بأخرة مصطلحا يطلق على القصائد المنظومة في مدح الرسول أو أصحابه ، التي تتضمن أبياتها في الوقت نفسه أنواعا من البديع مصرحا بها أو غير مصرح .

وقد اثبتق فن البديعيات على يد أمين الدين السليمانى أحد أديباء مصر في عصر المماليك المتوفى سنة ٦٧٠هـ ، ثم اشتهر شهرة واسعة على يد شرف الدين محمد البوصيري المصري المغربي الأصل المتوفى سنة ٦٩٥ هـ أو ٦٩٦هـ حتى لكانه اثبتق على يديه ، وهو أحد شعراء الزهد والتصوف والمديح النبوي الذي كثر في عصر المماليك ، وعرف أيضا بالدلاصيري ، وقد حفظ في صباه القرآن ودرس في الأزهر وبرز في الأدب ، وعين في شبابه موظفا في بلبس بشرق مصر فلقى من زملائه الموظفين مالا يرضى فنظم فيهم قصائد عدة ذكر فيها مساوئهم ، ثم استقال وتزهد بعد ذلك في كهولته ، واتصل بأبي العباس المرسى شيخ الطريقة الشاذلية الصوفية ، وتلمذ له بالاسكندرية ، وعاش في هذه المدينة حتى مات عن ثمانية وثمانين عاما ، وله فيها مسجد فيه ضريحه ، ويقع في مواجهة مسجد أستاذه ، وتحلى جدران مسجد البوصيري بأبيات من برده كتبت بالنقوش البارزة المعلاة بالنحاس

المطلي بماء الذهب وهي لا تتجاوز عشرين بيتا ، ومسجد البوصيري هذا على نمط مصغر لمسجد محمد علي بالقلمة بالقاهرة الذي نقشت أبيات البردة كلها على جدرانها •

وقد اتجه البوصيري بكلهته الى المدايح النبوية وأكثر من نظم القصائد الطويلة فيها بحرارة واقتدار وصدق ، وعرض فيها جوانب من السيرة العطرة في شعور دافق وقدرة فائقة ودافع من خلالها عن الاسلام حتى ليصح لنا أن نسميه مادح الرسول وتلحقه لذلك بحسان شاعر الرسول ، ولسمو قصائده في المديح تمدد شراحها من العلماء ، وشطرها وخمسها وتهج نهجها الكثير من فعول الشعراء في كل جيل من الزمان •

وتعد بديمية البوصيري « البردة » أنفس مدائحه النبوية وأعظمها شهرة وأكثرها شروحا (٩) وحواشي ، وهي قصيدة ميمية طويلة تضم مائة واثنين وستين بيتا ، وقد نسجت حولها أخبار شتى منها : أنه أنشدها بين يدي الرسول في المنام فخلع عليه برده الشريف كما خلعه من قبل على كعب بن زهير حين أنشده قصيدته التي يعلن فيها اسلامه ويمتدح من هجائه السابق ويرتجي المغفر ، والتي مطلعها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول  
مقيم أثرها لم ينفد مكبول  
ومنها : أنه بعد أن شرع في نظمها أصابه فالج فلم يستطع اكمالها وتوقف عند شطرة :

فمبلغ العلم فيه أنه بهر  
ثم جاءه الرسول في المنام وخلع عليه برده ومسح على جسده فعولي  
واستكمل البيت بقوله :

وأنه خير خلق الله كلهم  
ثم فتح الله عليه وأتم القصيدة بعد أن أطلق عليها البردة •  
وقد بدأ البوصيري برده بفزل عفيف على عادة كثير من شعراء العربية من العصر الجاهلي الى شطر مبكر من العصر الحديث وقال في أولهما :

امن تذكر جيران بلدي سلم  
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم  
ثم اتهم نفسه بالتقصير عن سنة الرسول الذي كان يصلي حتى تتورم قدماء ، ويجوع ويربط الحجر على بطنه لا يثاره الفقراء على نفسه ، وقد راودته الجبال العالية أن تصير له ذهابا قابي وأثر الزهد فقال :

ظلمت سنة من أحيا الظلام الى  
 أن استكتك قديما الضر من ورم  
 وشهد من سغب أحشاءه وطوى  
 تحت الحجارة كسفا متروفا الأدم  
 وراودته الجبال الفم من ذهب  
 عن نفسه فأراها أيما شمم  
 ثم عرض بعض شمائل الرسول فقال :

نبينا الأمر النسا هي فلا . أحد  
 أهر في قول لا منه ولا نعم  
 فاق النبيين في خلق وفي خلق  
 ولم يدانوه في منم ولا كرم  
 كالزهر في ترف والبدر في شرف  
 والبحر في كرم والدهر في همم

وتحدث عن القرآن كمجزة خالدة عجز المشركون عن معارضته  
 لبلاغته ، وحلل لانكارهم له بأن الأرم لا يرى ضوء الشمس فينكره ، وبأن  
 المريض لا يتذوق حذوبة الماء فيجهدا ، قال :

لا تمجن لحسود راح ينكرها  
 تجاهلا وهو عين الماذق الفهم  
 قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد  
 وينكر الفم طعم الماء من سقم

وعرض للأسراء والمراج ولتقريب الله للنبي ولرياسته للأنبياء  
 جميعا فقال :

سريت من حرم ليلا الى حرم  
 كما مرى البدر في داج من الظلم  
 وبهت ترقى الى أن نلت منزلة  
 من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم  
 وقدمتك جميع الأنبياء بها  
 والرسول تقديم مخدوم على خدم  
 وأنت تغترق السبع الطباق بهم  
 في موكب كنت فيه صاحب العلم  
 وللבוصري مدائح نبوية أخرى منها بائية تقول :

بمدح المصطفى تحيا القلوب  
وتفتقر الخطايا والذنوب  
ومنها لامية عارض بها لامية كعب بن زهير : بانت سعاد •  
وله الرائية « المضرة في الصلاة على خير البرية » ومظلمها :  
يارب صل على المختار من مضر  
والأنبياء وجميع الرسل يا ذكروا  
وله حائية مظلمها :

يا من خزائن ملكه مملوءة  
كرما وباب عطائه مفتوح  
ندهوك من فقر اليك وحاجة  
وجمال فضلك للعباد فبسيح  
فاصفح عن العبد المسيء تكريما  
ان الكريم من المسيء صافح  
واقبل رسول الله هذر مقعر  
هو ان قبلت بمدحك المندوح  
في كل واد من صفاتك هائم  
ويطل بحر من ندادك سبوح  
وله قصيدة حمزية في مدح الرسول سماها « أم القرى في مدح سيد  
الورى » ومظلمها :  
كيف ترقى رقيبك الأنبياء  
يا معام ما طاولتها معام

وهي أطول قصائده وأشملها ، فقد ذكر فيها موجز السيرة النبوية ، ودافع  
عن الإسلام ، وتحدث عن كثير من الصحابة ، وقد بلغت عدتها ٤٥٦ بيتا ،  
وقد اهتم بهذه القصيدة العلماء ، وكتبوا عليها شروحا وحواشي كثيرة •  
وقد كثر أصحاب البديعيات الذين حاكوا بردة البوصيري فيما بعد ،  
ورأينا منهم صفى الدين الحلبي المتوفى سنة ٧٥٠ هـ ، وأبا عبد الله محمد  
ابن جابر شمس الدين الأندلسي الضرير المشهور بابن جابر الأندلسي  
المتوفى سنة ٧٨٠ هـ ، وعليها عز الدين الموصلبي المتوفى سنة ٧٨٩ هـ ،  
وأبا بكر تقي الدين بن حجة الحموي المتوفى سنة ٨٣٧ هـ •

وأشهر بديعيات هؤلاء وغيرهم قصيدة صفى الدين الحلبي التي سماها  
« الكافية البديعية في الدلائل النبوية » ومظلمها :

ان جئت سلما فصل عن جنة العلم

واقر السلام على عرب يدي سلم

وقد ضمنها مائة وأربعين نوعا من أنواع البديع في مديح الرسول على مثال ما ذكره البوصيري في برده ومزيته ، ونسج على منوالها من جاء بعده من أرباب البديعيات ، وقد وضع لها شرحا سماه « النتائج الالهية في شرح الكافية البديعية » .

ومن أشهرها أيضا قصيدة ابن جابر الأندلسي ومطلعها :

بطيبة انزل ويهم سيد الأمم

وانثر له المدح وانثر طيب الكلم

وقد سميت « الحلة السرا في مدح خير الورى » واشتهرت ببديعية المميان لأن ناطلها كان ضريرا ، وقد وضع لها أبو جعفر شهاب الدين أحمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي صديق ابن جابر شرحا سماه « طراز الحلة وشفاها الغلة » .

أما علي عز الدين الموصلبي فقد نظم ببديعية سماها « التوصل بالبديع الى التوصل بالشفيع » ومطلعها :

براعة تستهل الدمع في العلم

عبارة عن تدام المفرد الملم

وقد نظمها في معارضة ببديعية صفى الدين الحلبي ، وسماها أيضا لهذا السبب « الفتح الألي في مطارحة الحلبي » وقد وضع لها شرحا كبيرا وازن فيه بين ببديعيته وبديعيات من قبله .

وأما أبو بكر تقي الدين بن حجة الحموي فقد نظم ببديعيته المسماة « تقديم أبي بكر » في معارضة ببديعية الحلبي وبديعية الموصلبي ومطلعها :

لي في ابتداء مدحك يا عرب ذي سلم

براعة تستهل الدمع في العلم

ثم وضع لها شرحا سماه « خزانة الأدب وخاية الأرب » وهو أوسع شروح البديعيات على الإطلاق ، وأحفلها بالنقد والبلاغة .  
وقد نقد أبو بكر الملوي الحسيني الحضرمي ببديعية ابن حجة بكتاب « إقامة الحجة على التقي ابن حجة (١١) » وتكلم فيه على كل بيت منها بما ظهر له .

ومن أصحاب البديعيات في العصر المملوكي أيضا بمد هؤلاء أو معهم :  
- اسماعيل بن أبي بكر شرق الدين الشهير بابن المقرئ اليمني المتوفي سنة ٨٣٧هـ ، واسم ببديعيته « الجواهر اللامعة في تجنيس الفرائد الجامعة

للمعاني الرائعة ، وأولها :

شارفت ذرعا قدر من مائهما الضيم

وجزت نملا فتم لا خوف في حرم

وقد جمع فيها مائة وخمسين نوعا من أنواع البديع ، وعمل لها

شرحا .

— تاج الدين عبد الوهاب بن عرشاه المتوفى بالقاهرة سنة ٩٠١ هـ ،  
واسم بديعيته « شفاء الكلیم بمدح النبي الكريم » (١٢) .

— عبد الرحمن جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ ، واسم  
بديعيته « نظم البديع في مدح خير شفيح » ، وقد شرحها في كتاب سمي  
« شرح السيوطي » .

— عائشة الباهوتية المتوفاة سنة ٩٢٢ هـ ولها بديعتان احدهما تسمى  
« الفتح المبين في مدح الأمين » وأولها :

من مبتدأ خير الجرعاء من اضم .

حدث ولا تنس ذكر البان والملم

وقد شرحها شرحا طبع على هامش إحدى طبقات خزائن ابن حجة ،  
والترمت في هذا الشرح أن أذكر مند كل محسن من المعسنات البديعية  
ما قاله ابن جابر الأندلسي وصفي الدين الحلي وعز الدين الموصللي  
وابن حجة الحموي في بديعاتهم .

أما في العصور العثمانية فإن أشهر شعراء البديعيات : شرف الدين  
السدي عيسى بن حجاج ، والشيخ محمد ناظم المتقي الذي نظم بديعية  
لامية سنة ١١٠٥ هـ وشرحها في كتابه « تحفة الأديباء وتسلية الغرياء » وأحمد  
البربر البروتوي المتوفى سنة ١١٢٦ هـ الذي نظم بديعية شرحها مصطفى  
الصلاح ، وعبد الفتى النابلسي المتوفى سنة ١١٤٣ هـ الذي نظم بديعية  
سمها « نسمات الأسفار في مدح النبي المختار » وأولها :

يا منزل الركب بين البان والملم

من سفح كاظمة حييت بالديم

وقد شرحها شرحا سماه « نسمات الأزهار على نسمات الأسفار في مدح  
النبي المختار » ومحمود صفوت الساعاتي المتوفى سنة ١٢٩٨ هـ ، ولكثير  
من معاصريه في البلاد العربية بديعيات ، حتى أننا نجد بعض المسيحيين  
اللبنانيين يؤلفون بديعيات في مدح عيسى والرسول ، وربما كان آخر من أسهم  
من المسلمين في هذا الفن الشيخ طاهر الجزائري المتوفى سنة ١٣٤١ هـ ، فله  
بديعية صنف لها شرحا سماه « بديع التلخيص وتلخيص البديع » (١٣) .



ولما استهل العصر الحديث طرق الشعراء موضوعات عدة متصلة بالاسلام ، وكان منها المديح النبوي ، فنظم محمود سامي البارودي مثلاً قصيدتين احدهما في ٤٤٧ بيتاً عنوانها « كشف الغمة في مدح سيد الامة » وهي محاكاة لبردة البوصيري التي كانت تتمتع بشهرة خاصة بين القاصائد لدينية ، ومطلعتها :

يا رائد البرق يمم دائرة السلم .

واحد الفساح الى حي بلدي سلم

وقد نظم أحمد شوقي أيضاً قصيدة على منوال البردة سماها « نهج البردة » وهي قصيدة مشهورة مفتاة .

ولكن هذه الحركة البديعية لرفع شأن البديع لم تؤد أغراضها المقصودة منها ، ولم تحل بالتالي دون استقرار مصطلحات المعاني والبيان والبسديع عند أهل البلاغة من المتأخرين على النحو الذي قال به السكاكي ثم القزويني ، فتكاملت عندهم تقسيمات هذه العلوم وموضوعاتها التي نعرفها ، وتم وضع البديع في ذيل المعاني والبيان .

- ١ - انظر أحمد أمين ، ظهر الاسلام ٢ : ١٢٤
- ٢ - انظر د- بلوي طياته ، علم البيان ١٠ ، ١٧
- ٣ - انظر حاشية الاتيابي على رسالة الصبان البيانية ٣
- ٤ - انظر سورة البقرة آية ١١٧ ، وسورة الانعام آية ١٠١
- ٥ - انظر ابن المعتز ، البديع ، المقدمة ١ تحقيق كراتشكوفسكي .
- ٦ - انظر ابن المعتز ، البديع ، ٣ ، ٧٥ ، ٣٦ ، ٤٧ ، ٥٣
- ٧ - ابن حجة العمري ، خزائن الادب وهاية الارب ٤٨
- ٨ - منسوب الى قلعة فيروز بالشام .
- ٩ - جلال الدين المحلي المتوفى سنة ٨٦٤هـ شرح لبردة البوصيري ، وعلى هذا الشرح حاشية محمد بن عرفة الدسوقي المتوفى سنة ١٢٣٠هـ ، ولايراهم الباجوري المتوفى سنة ١٢٧٦هـ حاشية على بردة البوصيري هذه .
- ١٠ - منسوب الى الخلة ، وهي تقع قرب بغداد على فرع من نهر دجلة ، وهو الاسم البليغ للناظم اللائر ، ولد بالخلعة سنة ٦٧٧هـ ورحل الى مصر سنة ٧٢٦هـ ، وله ديوان شعر في ثلاثة مجلدات جمعه بنفسه وكله من عيون الشعر .
- ١١ - طبع بالهند سنة ١٢٣٥هـ .
- ١٢ - ويعرف ايضا بآين الاسيوطي ، ولد لام تركية واب مصري ونشأ يتيماً ، وله مؤلفات كثيرة جداً منها : شرح الخلاصة ، الفتح القريب على مفتي اللبيب ، جمع الجوامع وشرحه مع الجوامع ، الاخبار الروية في سبب وضع العربية ، التوضيح على التوضيح ، هذا العرف في اثبات المعنى للعرف ، السيف الفتيل في حواشي ابن خليل ، شرح لغة الافراق في الاشتقاق ، نكت على التلخيص ، عقود الجمان في المعاني والبيان وشرحها ، شرح ابيات تلخيص المفتاح ، نكت على حاشية المطول للمعالي . وله ايضا مع جلال الدين المحلي التلخيص المشهور المسمى تيسر الجلالين .
- ١٣ - انظر د- شوقي صيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، ٣٦٦ .



بقلم الأستاذ / عبد الرحمن شلش

هذا الكتاب دراسة موضوعية جادة لأمثالنا العربية القديمة  
ما يتسم به من دقة في المنهج ، ووضوح في التفكير ، واستقصاء لجزيئات  
الموضوع ، ونساعة الحجج والبراهين .  
ومؤلف الكتاب هو المستشرق الألماني رودلف زلهام الذي يعتبر  
واحداً من المهتمين بالدراسات العربية ، ونشر كتابه باللغة الألمانية  
في عام ١٩٥٤ م .

وأما مترجم الكتاب فهو الدكتور رمضان عبد التواب أحمد  
باحثنا الممتازين وترجع قصته مع ترجمة الكتاب الى عام ١٩٦٢ حين  
انتهى من دراسته للدكتوراه في ميونخ بألمانيا الغربية ، وأراه أن  
يترجم بعض آثار المستشرقين الجادة في مجال الدراسات العربية ،  
فكان هذا الكتاب من أوائل الكتب التي تطلعت نفسه الى ترجمتها .

وفي هذه الاطلالة على الكتاب ، يهنا أن نتعرف على أهم ما جاء فيه  
من خلال عرضنا السريع له .

يقول المترجم في مقدمته التي تنصدر الكتاب حول أهمية هذا النوع  
من التراث الشعبي : « الأمثال عند كل الشعوب مرآة صافية لحياتها ،  
تتمكس عليها عادات تلك الشعوب في رقيها وانحطاطها ، ويؤسها وتعيمها ،  
وآدابها ولغاتها » . وقد وصفها ابن عبد ربه في كتابه المقد الفريد بأنها :  
وشي الكلام ، وجوهر اللفظ ، وحلي الماني ... تخيرها العرب ، وقدمتها  
المجم ، ونطق بها في كل زمان ، وعلى كل لسان ، فهي أبقي من القمر ،  
وأشرف من الخطابة ، لم يسر شيء مثيلها ، ولا عم صومها . كما يقول عنها  
أبو الحسن بن وهب في كتابه البرهان في وجوه البيان : أما الأمثال ، فإن  
الحكماء والعلماء والأدباء ، لم يزالوا يضربون الأمثال ، ويبينون للناس  
تصرف الأحوال بالنتظائر والأشياء والأمثال ، ويرون هذا النوع من القول  
أنجع مطلباً ، وأقرب مذهبا ... ولذلك جعلت القسدياء أكثر آدابها ،  
وما دونته من علومها بالأمثال والقصص عن الأمم » .

ويقول المترجم من مكانة الأمثال عند العرب : « بلغت العرب في ضرب الأمثال شأوا لا يدرك ، فسلكوا فيها كل مسلك ، ولم يخل كلام لهم من مثل تضاعفه ، كما زينوا بها فنون القول وتصاريفه ، فلا عجب أن يهتم بها اللغويون العرب الذين جمعوا لنا منها قدرا كبيرا منذ فجر التأليف في العربية ، وتناولوها بالشرح والتفسير ، كما جمعوا لنا قصصها التي حدثت بالفعل ، أو حيكت حولها وبينوا لنا مواردها ومضربها ، ورتبوها في ضروب مختلفة من الترتيب والتبويب » .

ويشير المؤلف المستشرق في المقدمة الى طليعة كتابه قائلا : « هذا الكتاب نتيجة الاشتغال بأعداد نشرة محققة لكتاب ( الأمثال ) لأبي حبيد القاسم بن سلام ، بشرح البكري ، ولا يدهي هذا الكتاب كمالا ، لأن الخطوة التي نالتها الأمثال وتناولها عند اللغويين والأدباء ، أدت الى تأليف الكثير من الكتب فيها ، وتخصيص الفصول الكاملة في كثير من كتب الأدب » .

ويحتوي الكتاب على خمسة فصول ، يبحث كل منها في جانب من جوانب الموضوع .

يتناول الفصل الأول : الأمثال العربية وقصصها ، ويعرف المثل من خلال أقوال علماء العرب ، فقد عرفه الزمخشري بقوله : « المثل في أصل كلامهم بمعنى المثل والنظير » . وقال المبرد : « المثل هو قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول » . وقال الفارابي : « المثل ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه » . وقال ابن السكيت « المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ، ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ » . وقال أبو حبيد القاسم بن سلام : الأمثال ، وهي حكمة العرب في الجاهلية والإسلام ، وبها كانت تمارض كلامها ، فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق ، بكناية غير تصريح ، مجتمع لها بذلك ثلاث خلال : إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه » .

وكان المؤلف حريصا على أن يضم لكتابه مجموعة من أمثالنا العربية القديمة التي يجدر بنا ذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر ، فمن الأمثال التي تمرض المسلمين بوضوح : ( العصا من العصية ) . و ( التمرة الى التمرة تمر ) . ومن الأمثال التي تتمرض لصورتين من صور المعارك : ( لا يجتمع السيفان في غمد ) و ( عصا الجبسان أطول ) و ( أسمع جمجمة ولا أرى طعنا ) . ومن الحكم التي صارت أمثالا : ( السر أمانة ) و ( انصر أحاك ظالما أو مظلوما ) و ( العدة عطية ) و ( شر ما نال امرؤ ما لم يئل ) .

ومع هذه الأمثال لها مقابل حرثي في كثير من الأحيان في أمثال الشعوب الأوربية مما نتج عنه تشابهها ، وهذا يرجع الى تأثير الثقافات ، واختلاط الشعوب .

وتنقسم الأمثال العربية بحسب أصارها - كما أشار المؤلف - الى ثلاثة أقسام ، وهي الأمثال القديمة ، فالأمثال الجديدة أو المولدة وهي التي جمعت وأضيفت الى الأمثال القديمة في مجموعات الأمثال منذ القرن الرابع الهجري ، وقد جمعها الميداني في كتابه ( مجمع الأمثال ) . ثم الأمثال الحديثة ، وهي التي جمعها الأوروبيون وغيرهم في القرن التاسع عشر والقرن العشرين من مصر وسوريا وفلسطين وغير من الدول العربية ونشروها .

ومن المعروف أن كل مثل عربي كان مرتبطا بقصة وكانت تلك القصص تروى في كتب الأمثال عند العرب ، وغالبية الأمثال المتداولة حتى اليوم كانت مرتبطة بقصص ، ولكن مع مر الزمن نسيت القصص ، وبقيت الأمثال نرددها في أحاديثنا ، ونكتبها في كتاباتنا .

تري متى بدأ اشتغال العرب بالتأليف في الأمثال ؟

هذا ما نتعرف عليه في الفصل الثاني الذي يتعرض لتناول كتب الأمثال قبل أبي عبيد ، فيرجع المؤلف الاشتغال بالتأليف في الأمثال الى أوائل عصر الخلفاء الأمويين ، ويقال عن عبيد بن شربة الجرهمي وعلاقة بن كريم الكلبي وصغار بن عياض العبدى أنهم ألفوا كتباً في الأمثال ، ويظهر أن مؤلفاتهم قد فقدت منذ عصر مبكر . وقد جمعت صحائف في الأمثال في نهاية العصر الجاهلي قبل هؤلاء الرجال الثلاثة . غير أنه لم تصل أخبار مؤكدة عن كتب الأمثال ومؤلفيها الا من القرن الثامن الى القرن التاسع الميلادي أي النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة .

ويشير المؤلف الى أقدم مؤلف لكتاب في الأمثال وهو المفضل الضبي الكوفي من الذين عاشوا في عهد الدولة العباسية . كما يشير الى أبي فهد مؤرج بن عمرو السدوسي المجلي وله كتيب في الأمثال ، وإلى غيره من البصريين الذين ضاعت كتب الأمثال التي ألفوها .

ويتناول المؤلف حياة أبي عبيد ، وكتاب الأمثال الذي كتبه في الفصل الثالث من الكتاب . يقول عن كتابه :

« وصل إلينا كتاب أبي عبيد في الأمثال ، في عدة مخطوطات ، الأمر الذي لا يمد خريفاً في كتاب محبوب ومشهور كهذا الكتاب » .

وكان أبو عبيد قد جمع في كتابه أكثر من ألف مثل ، ومائتين وعشرين بيتا من الشعر ، ومائة وثلاثين حديثا مع قصصها في بعض الأحيان ، وقسم كتابه الى أبواب في صنوف المنطق ، وفي جماع أمثال الرجال ، والأقربين ، والجود ، والمجد ، والإخاء ، والأموال ، والمعاش ، والمسلم ، والمعرفة ، والجهل ، والبخل والذم ، وغير ذلك من الصفات . كما ذكر مصادر كتابه والرجال الذين روى عنهم مثل : الأصمعي ، وابن المثني ، والمفضل الضبي وسواهم . والأمثال عنده مرتبة ترتيبا موضوعيا في تسعة عشر قسما ، مقسمة في داخلها الى أبواب مبدوءة في كل منها بالبسملة ، ويبدأ أبو عبيد دائما - وهو لغوي - بشرح المثل شرحا لغويا وافيا ، بعد أن يسبق ذلك بذكر مصادره . وانتشر كتابه في الأفاق انتشارا واسعا - كما ذكر المؤلف - فقد شغل العلماء في العالم العربي ، ولا سيما في المغرب وأسبانيا .

ويخصص المؤلف الفصل الرابع لشرح البكري لأمثال أبي عبيد ، فيتناول حياة البكري ، ومخطوطاته ، وأسلوب روايته للكتاب ومصادر ترجمه ، وفضله في هذا الشرح .

ثم يتناول كتب الأمثال العربية القديمة بعد أبي عبيد في الفصل الأخير ، ومن بين هذه الكتب : كتاب أبي عكرمة الضبي ، وكتاب أبي محمد التوزي ، وكتاب يوسف بن السكيت ، وكتاب محمد بن حبيب ، وكتاب أبي اسحق الزياتي ، وكتاب الجاحظ .

ومعظم هذه الكتب غير موجودة الآن . أما الكتب الموجودة فمن أشهرها كتاب ( جبهة الأمثال ) للمسكري ، وكتاب ( مجمع الأمثال ) للميداني ، وكتاب ( المستقصى في أمثال العرب ) للزمخشري .

تلك اطلالة على تراث الأمثال عند العرب من خلال رؤية مستشرق ألماني أحب هذا النوع من تراثنا ، فدرسه ، وتمق فيه ، فكان هذا البحث القيم في أمثالنا العربية القديمة .

ولقد صدر الكتاب - وهو إضافة للمكتبة العربية في موضوعه - من دار الرسالة للنشر ببيروت .

عرض

الكتب

# الموسحات الأنليسية

بقلم الأستاذ  
مصطفى كمال منصور

الكتاب : من سلسلة عالم المعرفة وهي سلسلة كتب ثقافية شهيرة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت ، ويقع في ٣٢٠ صفحة من القطع المتوسط .

المؤلف : الدكتور محمد زكريا عناني الأستاذ بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة .

- وقد ولد الدكتور محمد زكريا عناني بمصر سنة ١٩٣٦ ميلادية .
- وتخرج في قسم اللغة العربية بجامعة الاسكندرية سنة ١٩٦١ ميلادية بامتياز مع مرتبة الشرف .
- تابع دراسته في جامعات الولايات المتحدة ، وفي فرنسا حيث نال درجة الدكتوراه سنة ١٩٦٨ ميلادية في النقد ، ثم دكتوراه الدولة في الآداب من جامعة السوربون سنة ١٩٣٦ ميلادية بمرتبة الشرف الأولى .
- عمل بالتدريس في الجامعات والمعاهد العليا بفرنسا ومصر .
- ظهرت له أكثر من خمسين دراسة في مجالات الأدب والنقد والتحقيق .

#### تمهيد :

وقد بدأ الدكتور عناني كتابه بتمهيد قال فيه : لاسم الأندلس في النفوس ايقاع شعبي عميق أسر ، يعمل في طياته أصدااء قرون من التوهج ، ويميد للخطائر أمجاد ملين لا تنسى : قرطبة ، غرناطة ، أشبيلية ، وذكرى أعلام خللوا على مر الزمان ، وصفحات مفعمة بالشجن لرايات تطوى ، وحضارة تنطفئ وتفتيب في ضباب الأيام .

انتهت الأندلس كاسطورة من الأساطير ، ولكن أطيافها لا تزال تهوم بين الحين والحين ، وصدى لحن قديم يسري فتهتز له النفوس ، وأسماء ومعالم لا تزول ما بقي النهر : الحمراء ماثلة كزينة لا ينطفئ منها العبير أبدا ، أزجال ابن قزمان بكل ما تنبض به حيوية وعذوبة ، والموشحات : نهر جياش يتدفق بالشذى والرؤى . ويقول المؤلف ان الموشحات قد شغلت أجيالا من المسلمين في الشرق



والغرب ، ولا تزال تفري بالبحث ، وتتكشف من حين لآخر جوانب وضوء من هذا الفن الذي اجتمعت له عناصر الأصالة والجدة ، وتمثلت فيه مبدئية الشاعر الأندلسي بكل ما فيها من غنائية وأخيلة واحساس بالغاية .

وقد قسم المؤلف كتابه الى أقسام ثلاثة : القسم الأول تحدث فيه عن مصادر دراسة الموشحات ، وتحديد ملامح نشأتها وتطورها وأقسامها ، ونظام الأوزان والقوافي التي سارت عليها .

أما القسم الثاني فيدور حول الموضوعات التي تناولها أديباء التوشيح ، وهي نفس الأغراض التي شاعت في الشعر العربي الكلاسيكي ، وإن كان الوشاحون قد استطاعوا إضافة لون من الجدة في التسيج الفني للموشحة .  
والقسم الثالث يجد فيه القارئ لمحات عن أكثر من مائة وشاح أندلسي ، لا يظن المؤلف أنهم ذكروا جميعا من قبل في كتاب واحد ، وقد استطاع أن يتلقط أخبارهم من مصادر شتى .

وفي نهاية المطاف يضيف الدكتور عناني ملحقا يضم منتخبات تمثل الموشحات في عصورها وألوانها المختلفة .

### الموشحات الأندلسية

#### بين النشأة والتطور

في القسم الأول من هذا الكتاب يتناول الدكتور عناني نشأة الموشحات الأندلسية وتطورها وأقسامها ولغتها ، ويبدأ هذا القسم بالحديث عن مصادر دراسة الموشحات .

#### ١ - مصادر الدراسة :

قسم المؤلف هذه المصادر الى مجموعتين : مغربية ومشرقية ، أما المصادر المغربية وتتضمن الأندلسية بطبيعة الحال فانها تمدنا أساسا بقدر وفير من النصوص ، ولكنها لا تتضمن الا معلومات ضئيلة عن البناء الفني للموشحات ، فكتاب (الدخيرة في معاني أهل الجزيرة) لا يذكر عن هذا الفن الا عبارات متناثرة ، ونص مؤلفه ابن بسام على أنه لن يتعرض لها في كتابه لأن أوزانها خارجة عن غرض الديوان .

أما عبد الواحد المراكشي صاحب ( المعجب في تلخيص أخبار المغرب ) فإنه يعتذر عن عدم ذكر الموشحات لأن العادة لم تجر بإيرادها في الكتب المخلدة .

ومن الذين ذكروا الموشحات من مؤرخي الأندلس والمغرب ابن دحية صاحب ( المغرب من أقطار المغرب ) ، ولكن هذا الفن لا يحتل الا منزلة ثانوية في كتابه .

وابن سعيد المغربي على الرغم من أنه اهتم بالموشحات في كتابه ( المغرب في حل المغرب ) ، فإنه لم يتناول الجوانب الفنية ، أو يسمى لابرار صورة جليلة من الموشحات .

والمقري في كتابه ( نفع الطيب ) و ( أزهار الرياض ) يكتفي بتقديم طائفة من النصوص المختارة من موشحات أهل الأندلس والمغرب ومن نسج على منوالهم من الشعراء المشاركة .

أما كتاب جيش التوشيح للسان الدين بن الخطيب فلا يضم سوى مختارات من الموشحات .

وهناك أيضا لابن بشرى الفرناطي كتاب عنوانه ( عدة المجلس ومؤانسة الوزير والرئيس ) ، اشتمل على أكثر من ثلاثمائة موشعة ولكنه لم يتضمن مقدمة ذات شأن في هذا الفن .

وينتقل الدكتور عناني بعد ذلك من المصادر المغربية الى المصادر المشرقية فيقول ان أهمها كتاب دار الطراز ، وهو كتاب صغير يقع في نحو مائة وخمسين صفحة ، ويضم أربعة وثلاثين موشعة أندلسية ومغربية أردفها مؤلفه ابن سناء الملك بخمس وثلاثين موشعة . من نظمه هو .

ومن بين هذه المصادر المشرقية التي ذكرها المؤلف كتاب المستطرف من كل فن مستظرف للأبشيبي ، والدركمسون لابن إياس ، وخلاصة الأثر للمجبي ، وما يوجد في كتب التراجم مثل معجم الأديب لياقوت الحموي ، والوالي بالوفيات للصفدي والمنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي لابن تفرج بردي ، وكل ما ذكر في هذه الكتب ملحوظات عن هذا الفن .

وهناك كتاب للصفدي عنوانه توشيح التوشيح يتضمن عددا من موشحات المغاربة وأهل الأندلس ، وموشحات شعراء مشاركة ، وفيه قدر وفير من موشحات الصفدي نفسه .

ومن الكتب التي لا تزال مخطوطة كتاب عقود اللآلئ في الموشحات والأزجال لشمس الدين النواجي ، وكتاب سجع الورق المنتخبة في جمیع الموشحات المنتخبة .

**نشأة الموشحات :**

الأراء حول نشأة الموشحات أكثر من أن تحصى ، وطالما تناولتها ولا تزال تتناولها الأقطام ، وهل بدأت هذه النشأة في المشرق أو في المغرب ، ويثور الجدل في الغالب كما يقول الدكتور عناني حول النص الشهير :

أيها الساقى اليك المشتكى قد دعوناك وان لم تسمح  
فهذه الموشعة نسبت في بعض الأحيان لعبد الله بن المعتز وهو شاعر  
مصري ، لا علاقة له بالأندلس من قريب ولا من بعيد .

ولكن هذا النص نفسه ينسب في العديد من المصادر للموشاح الأندلسي  
أبي بكر بن زهر المعروف بالمغفيد .

ولكن ليس معنى هذا الجدل واختلاف الآراء وتضاربها أن الموشحات  
ظاهرة مستقلة لا علاقة لها بالشعر العربي ، لمؤلفو الموشحات هم أولا وأخيرا  
شعراء عرب ، وهذه حقيقة. لم ينكرها حتى المستشرقون المنساقون بأن في  
الموشحات عناصر أسبانية محلية .

وقد اشتقت كلمة الموشح على الأرجح من المعنى العام للتزيين سواء  
كان ذلك وشاحا أم قلادة مرسمة ، أم غير ذلك . كما استعملت الكلمة في  
أحيان كثيرة للتعبير عن بعض المعاني البلاغية . ثم يستطرد الدكتور عناني  
قائلا : لكن الذي يميننا هنا منها دلالتها على قالب من قوالب الشعر العربي ،  
عرف على مدى الأيام باسم الموشحات أو التوشيح أو الموشح ، وعرف الناظم  
فيه باسم الموشاح . وان لم يؤثر عن واحد ممن برعوا في الموشحات أنه  
اقتصر على النظم فيها وحدها ، بل المعروف أن شعراء الأندلس كانوا  
يقترضون الشعر وينظمون الموشحات .

وفي كتاب الذخيرة أن أول ما صنع أوزان هذه الموشحات واخترع  
طريقها - فيما بلغني - محمد بن محمود القبري الضريير ، وكان يصنعها على  
أنشطار الأشعار على الأعارض المهملة في المستعملة .  
تركيب الموشعة :

ويتابع الدكتور عناني هذه الدراسة المجادة الخشنة للموشحات  
الأندلسية ، والتي أعتقد أن أحدا لم يسبقه إليها بهذه التفاصيل الدقيقة ،  
وذلك القومي الأدبي المتفتح ، يتابع هذه الدراسة بالمحدث عن تركيب  
الموشعة فيقول : ونحن نتحدث عن الموشحات سنمر بعدد من المصطلحات ،  
ومن الأفضل أن نتبين معالم هذه المصطلحات من خلال التطبيق على واحد من  
النصوص الشهيرة ، وليكن هذا النص موشعة للأعشى التطيلي ، وهو نص  
من أجمل ما وصل إلينا من موشحات الأندلس ، وهو أول الموشحات المذكورة

في كتاب دار الطراز ، وجعله مثالا للموشح التام • وهذا هو نص الموشح :

ضاحك عن جمان سافر عن بدر  
ضاق منه الزمان وعواه صديري

\*\*\*

أه مما أجد شغني ما أجد

\*\*\*

قام بي وقعد باطش مستبد  
كلما قلت قد قال لي أين قد

\*\*\*

وانثنى خوط بهان ذا مهر نضر  
عابثته يدان للمصبا والقطر

\*\*\*

ليس لك منك يد خذ فؤادي عن يد  
لم تدع لي جلد خير أني أجد  
سكرع من شهد واشتياقي يشهد

\*\*\*

ما لبنت الدنان ولذاك الثمن  
أين حيا الزمان من حيا الحمر

\*\*\*

بي هوى مضمر ليت جهدي وفقه  
كلما يظهر ففؤادي أفقه  
ذلك المنظر لا يداوي عشقه

\*\*\*

بأبي كيف كان فلكي دري  
راق حتى استبان عذره وعذري

\*\*\*

هل اليك سبيل أو الى أن أياسا  
ذبت الا قليلا حيرة أه نفسا  
ما عسى أن أقول سام ظني بمسى

\*\*\*

وانقضى كل شأن وأنا أستشري

خالصا من عنان جزمي وصبري

★★★

ما على من يلوم لو تنامي عني  
هل سوى حب ريم دينسه التجني  
أنا فيه أهيهم وهو بي يفتني

★★★

قد رأيته عيان ليس عليك ما تدري  
ما يطول الزمان وسنتي ذكري

★★★

وإذا طبقنا المصطلحات التي استعملها ابن سناء الملك في مقدمة كتابه  
( دار الطراز ) قلنا أن هذه الموشعة ما يطلق عليه اسم الموشح التام .  
ونص قوله أي ابن سناء الملك : الموشح كلام منظوم على وزن مخصوص ،  
وهو يتألف في الأكثر من ستة أفعال وخمسة أبيات ويقال له التام ، وفي  
الأقل من خمسة أفعال وخمسة أبيات ويقال له الأقرع ، فالتام ما ابتدئ  
بالأفعال والأقرع ما ابتدئ فيه بالأبيات .

ويشرح الدكتور حنائي في آثارة ودقة ما ذهب إليه ابن سناء الملك  
حتى يسهل على القاري فهم الأفعال والأبيات فيقول : ووفقا لهذا الحكم  
يكون مطلع الموشعة :

ضاحك عن جهان سافر عن بسدر  
ضاق عنه الزمان وحواه صدري

وهذا المطلع هو القفل الأول من أفعال الموشعة ، ويعود إلى ابن سناء  
الملك فيقول أنه عرف الأفعال بأنها « أجزاء مؤلفة ، يلزم أن يكون كل  
قفل منها متفقا مع بقيتها في وزنها وقوافيها وعدد أجزائها » . والقفل  
كما تقدم يتردد في الموشح ست مرات في التام ، وخمس مرات في الأقرع .  
والقفل في موشعة الأعمى التطيلي السابقة يتركب من أربعة أجزاء بنيت  
على قافيتين .

ويأتي بعد ذلك البيت ، والبيت في الموشعة غير معناه في القصيدة  
التي يأتي فيها البيت مكونا من شطرتين .  
والبيت الأول في موشعة الأعمى التطيلي هو :

آه مما أجند شفتي ما أجند

قام بي وقعد      باطش      مســــــتبـد  
كلما قلت قد      قال لي أين قد

وعرف ابن سناء الملك الأبيات بقوله أنها أجزاء مؤلفة مفردة أو مركبة ، يلزم كل بيت منها أن يكون متفقا مع بقية أبيات الموشح في وزنها وعدد أجزائها لا في قوافيها ، بل يحسن أن تكون قوافي كل بيت منها مخالفة لقوافي البيت الآخر ، والبيت السابق يتركب من ثلاثة أجزاء مركبة ، أي أن كل جزء يضم فقرتين .

وقد لا يبدأ الموشح في بعض الأحيان بالقفل بل بالبيت مباشرة ، وفي هذه الحالة يطلق على الموشح اسم الأقرع .  
وآخر هذه المصطلحات في تركيب الموشحة هو « المخرجة » كما جاء في مقدمة كتاب دار الطراز . والمخرجة هي القفل الأخير من الموشحة . غير أن هناك بعض المصطلحات ترددت في بعض المصادر الأخرى الهامة ، ومن هذه المصطلحات « المركز » و « الأخصان » و « الأسماط » ، ويرجع الدكتور عناني أن المقصود بالمركز هو القفل ، أما الأسماط فليس بعميد أن يكون المراد منها أجزاء الأقفال ، وأما الأخصان فيرجح أن تؤدي معنى أجزاء الأبيات .

#### أوزان الموشحات :

ويتحدث بعد ذلك المؤلف عن أوزان الموشحات فيقول أن ابن سناء الملك قسم الموشحات في كتابه دار الطراز إلى قسمين :  
الأول : ما بني على أشعار العرب -  
والثاني : ما لا علاقة له بهذه الأوزان -  
وقال أن ما بني على أشعار العرب من الموشحات ينقسم بدوره إلى

#### قسمين :-

الأول : وليس فيه من حيث الوزن أي اختلاف عن الشعر العادي ، وأنه بالمخمسات أشبه منه بالموشحات ، ولا يفعله إلا الضعفاء من الشعراء ، ولكنه استثنى من الدم ما كانت قوافي القفل فيه مختلفة مثل :  
يا شقيق الروح من جسدي      أهوى بي منك أم لم  
فأجزء الأول من هذا القفل على قافية الدال ، أما الثاني فعلى قافية الميم ، والجزءان معا من بحر المديد بدون أي تغيير ، ومثل موشحة :  
أيها الساقى إليك المشتكى      قد دهوناك وإن لم تسع

أما القسم الثاني من هذا النوع فهو ما تخللت أفعاله وإيماته كلمة أو حركة ملتزمة كسرة كانت أو ضمة أو فتحة ، تخرجه من أن يكون شمرا صرفا وقريضا مضما ، وضرب ابن سناء الملك مثلا لذلك قول ابن بقي :

صبرت والصبر شيمة المصاني

ولم أقل للمطيل هجراني بمدبي كفاني

فلولا الزيادة التي تتمثل في كلمتي « مدبي كفاني » لكننا أمام نص من بحر المنسرح .

وقد يحدث التغير عن طريق ادخال قافية أخرى مثل :

يا ويح صيب الى البرق له نظير

وفي البكاء مع الورق له وطنر

فهذه الفقرة يمكن أن تعطينا بيئا عاديا كما في الشعر التقليدي لو أنها جعلت :

يا ويح صب الى البرق له نظر

وبذلك يصبح من بحر البسيط .

**لغة الموشحات :**

وانتقل الدكتور عناني بعد ذلك الى لغة الموشحات ، فقال ان لغة الموشح تعد في مجموعها لغة صحيحة تتفق وقواعد اللغة العربية ، وتتسم بالرفقة والمدوبة والصفاء ، حتى يمكن قراءة مجموعة كاملة منها دون أن تصادف فيها لفظة تستمعي علينا ، أو تركيبا فيه لون من ألوان التعقيد .

وصنيع الوشاحين الأندلسيين يأتي امتدادا لما سار عليه الشعراء المحدثون من أمثال أبي نواس وأبي العتاهية وابن المعتز ، وإذا كان من الشعراء العباسيين من حرص في مدائحه على الديباجة القديمة والجزالة العربية ، فإن الموشحات بحكم قالبها الجديد وموضوعاتها ، وفنائيتها كانت في غنى عن الديباجة الفاخرة ، والأساليب التي تتسم بطابع البداوة .

ويذهب الدكتور عناني الى القول بأن لغة الموشحات في شفافيتها وتدفقها وأمرها ساعدت على تدعيم مكانة القصص ، لأنها أضافت هذه اللغة الجميلة بين الناس ، ومن ثم حالت دون سيطرة العامية ، وجعلت للزجل مكانة ثانوية في الأدب .

#### **أفراض الموشحات**

فإذا تركنا القسم الأول من هذا الكتاب القيم الذي تحدث فيه الدكتور عناني عن نشأة الموشحات وتطورها ، ولملأه أهم قسم في مؤلفه

لأنه دراسة تحليلية مستفيضة تتميز بقدرة الأديب والناقد والباحث المتمكن الذي لا يترك صغيرة أو كبيرة إلا وتحدث عنها وحلها في صبر وإناة - - نقول إذا تركنا هذا القسم الأول وانتقلنا مع المؤلف إلى القسم الثاني وهو أغراض الموشحات ، نجد أنه يذكر أن الموشحات قد تناولت عدة أغراض هي : الغزل والحمريات والوصف والمديح والثناء ، ثم الموشحات الدينية والصوفية .

ويأتي الدكتور عناني لكل غرض من هذه الأغراض بأمثلة عديدة من الموشحات ، ويبدأ هذه الأغراض بالغزل فيقول إن الموشحات الغزلية تحتل المكانة الأولى من حيث الكثرة العددية ، وأن الجانب الأعظم من هذه الموشحات الغزلية لا يمس لنا صدقا عاطفيا ، ولا تحس فيه بلوعة المشاعر وعمق الأحاسيس ، ولكن الوشاحين استطاعوا في أحايين كثيرة التغلب على هذا الضعف من طريق اصطلاح الألفاظ الرقيقة ، والصور الشعرية الأسيرة ، والموسيقى المتدفقة الموحية . ومن أمثلة هذه الموشحات موشعة ميادة بن مام السماء التي يقول فيها :

من ولي في أمة أمرا ولم يمدد  
يسزل الا لحاظ الرضا الأكمل  
وموشعة أبي بكر بن زهر التي يقول فيها :  
حي الوجوه الملاحا وحي يغسل الميرون



هل في الهوى من جناح  
أو في نديم وراح  
رام التبصيح صلاح  
وكيف أرجو صلاحا بين الهوى والمجون  
أبكي الميرون البواكي  
تذكرك أخت السماك  
حتى حمام الأراك

بكى شجونى وناحا على فروع النصفون  
أما الغرض الثاني وهو الوصف فيشكل بصورة عامة عنصرا أساسيا من عناصر الموشعة الأندلسية ، وهو يأتي فيها ممتزجا بالغزل والحديث عن الحمر - ولعل من أجمل الموشحات في وصف الطبيعة موشعة أبي جعفر ابن سميد :



ذهبت شمس الأسيل فضة النهر

أي نهر كالدامة

صير الظل فدامة

نسجته الريح لامة

وثنت للفصن لامة

فهو كالغضب الصقيل حن بالسر

والغرض الثالث هو الخمریات ، وهذا الغرض كثير الشيوع في  
الموشحات ، وبخاصة ما دار منها حول موضوعات الحب والوصف ، مثل  
موشحة ابن بقي :

ادر لنا أكواب ينسى بها الوجد

واستحضر الجلاس كما اقتضى السود

ويأتي بعد ذلك المديح فيقول : الدكتور مصطفى عوض الكريم في  
كتابه فن التوشيح : كانت الموشحات في أول الأمر وقفا على الغناء ، فكانت  
تمالج موضوعات الغزل والخمریات ووصف الطبيعة ، ثم ما لبثت ان صارت  
مطية ذلولا للأمداح ، حينما استفلها الوشاحون للوصول الى عطايا الملوك  
والأمراء وهباتهم . ومن أمثلة موشحات المديح موشحة الوزير أبي عامر  
بن يني ، وأولها :

مراج مسدك يزهر قد عم كل المباد

ونور وجهك يهبر سقاء للخلق ياد

★★★

انت العزيز الأبى والملك ملك الأنام

انت المراج الوضي والبدر بدر التام

ليث اذا ما الكمي قد هاب روح الحمام

أما الغرض الخامس وهو الرثاء فلم يؤثر عن الوشاحين الأندلسيين  
أنهم كرسوا للمراثي منأية تستحق الذكر ، ولم تشتمل المجموعات  
المروفة على موشحات ما في موضوع الرثاء ، ولكن كتاب « المغرب في حل  
المغرب » يمدنا بموشحة لابن حزمون قالها في رثاء أبي الحملات قائد الأمانة  
بيلنسية وقد قتله النصاري ، يقول ابن حزمون :

يا عين بكى المراج الأزهر الثريا اللاح

وكان نم الرتاج فكسرا كي تنثرا مداع

ويختتمها بالمرجة قائلا :

يا قلبي المهتاج تصبرا      زان الثرى مدافع  
ابن أبي الهجاج فهل ترى      لما جرى مدافع

وفي نهاية هذه الأغراض تأتي الموشحات الدينية والصوفية ، ويقول الدكتور عناني أننا لا نعرف متى بدأ النظم في هذا اللون من ألوان الموشحات ، وأقدم ما هنالك منها ما ينسب لابن عربي ، وهناك وشاح يدعى ابن الصباغ الجذامي خلف عددا من هذه الموشحات ، منها موشحة في المديح النبوي يقول فيها :

لأحمد بهجة كالقمر الزاهر      في أبرج السمند  
علاؤها يسبي بنوره الباهر      كل سنا مجد  
ويتضمن ديوان ابن عربي عددا كبيرا من الموشحات التي تسبح في الرموز الصوفية من قبيل الموشحة التي تبدأ بقوله :  
تدرع لاهوتي بتاسوتي      وحصل موسى اليم تابوتي  
ومن هذه الموشحات واحدة جاءت على نسق موشحة ابن زهر : أيها الساقى اليك المشتكى ؟ يقول ابن عربي في هذه الموشحة :

عندما لاح لعيني المتكا      ذبت شوقا للذي كان معي  
أيها البيت العتيق المشرف      جارك المبد الضعيف المسرف  
عيته بالدسع شوقا تدرف      ليس محمودا إذا لم ينفع  
خرقة منه وسكر فالبكا

#### وشاحو الأندلس والمغرب

وإذا انتقلنا من القسم الثاني الى القسم الثالث من كتاب الموشحات الأندلسية نجد أن الدكتور عناني قد أفرده لوشاحي الأندلس والمغرب ، فتحدث عن الجيل الأول الذي ظهر في طور النشأة ، أولهم محمد بن حمود القبري الضرير ، ثم مقدم بن معالي القبري وابن عبد ربه صاحب العقد الفريد .

ثم يأتي بعد ذلك الجيل الثاني من الوشاحين ، ومنهم يوسف بن هارون الرمادي وعبادة بن ماء السماء وابن عبادة القزاز وأم الكرم بنت المتصم وهي أول شاعرة أندلسية يذكر أنه كان لها اسهام في تأليف الموشحات .  
أما عبادة بن ماء السماء فيقول عنه ابن بسام في كتابه الدخيرة في

محاسن أهل الجزيرة : أنه كان في ذلك العصر شيخ الصناعة وأمام الجماعة ، سلك في الشعر مسلكا سهلا ، فقالت له غرائبه مرحبا وأهلا ، وكانت صنعة التوشيح التي نهج أهل الأندلس طريقتها ، ووضعوا حقيقتها غير مرموقة البرود ، ولا منظومة المقود ، فأقام عبادة هذا متأدبا ، وقوم ميلها وسنادها فكانها لم تسمع بالأندلس إلا منه ، ولا أخذت إلا عنه •

وأما ابن عبادة القزاز فيقول عنه ابن بسام : أنه من مشاهير الأدباء الشعراء ، وأكثر ما ذكر اسمه وحفظ نظمه في أوزان الموشحات ، وهو ممن نسج على منوال ذلك الطراز ، ورقم ديباجه ورصع تاجه ، فأما ألفاظه في التوشيح فشاهدة له بالتبريز والشفوف •

وذكر الأملم البطليوسي أنه سمع ابن زهر يقول : كل الوشاحين عيال على عبادة القزاز في ما اتفق له من قوله :

بدر تم شمس ضحى  
فصن نقا مسك شم  
ما أتم ما أوشعا  
ما أوقا ما أنم  
لا جرم من لحا

قد عسقا قد حرم

وتأتي بعد ذلك فترة النضج والازدهار فتضم مجموعة من أشهر الشعراء الوشاحين في الأندلس وقد رتبهم المؤلف على التسق التالي :

● ابن عمار « ذو الوزارتين » أبو بكر بن محمد المهدي الأندلسي الشلبي ، ويعدده الصفدي في كتابه توشيح التوشيح من بين كبار وشاحي الأندلس •

● ابن زيدون الوزير الشاعر الكاتب ، صاحب الرسائل الهزلية والجديدة ، والقصائد الوجدانية ذات الشهرة المدوية •

● ابن رافع رأسه ( أبو بكر محمد ) •

● ابن اللبانه ( محمد بن عيسى بن محمد أبو بكر اللخمي ) •

● ابن لبون ( أبو عيسى ، لبون ) •

● ابن الزقاق ( أبو الحسن علي بن إبراهيم بن عطية ) •

● ابن جاح ( الصباغ البطليوسي ) •

● ابن الأرقم ( أبو الأصبغ حيد العزيز بن محمد النميري ) •

● ابن الفرج ( ذو الوزارتين أبو حامر ) •

- المحصري ( أبو الحسن علي بن عبد الغني الفهري الضريع )
- الأعمى التطيلي ( أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن هريرة القيسي )
- الأبيض ( أبو بكر محمد بن أحمد الأنصاري الأشبيلي )
- ابن رحيم ( ذو الوزارتين ، المشرف ، أبو بكر محمد بن أحمد )
- ابن ماجه ( أبو بكر محمد بن الحسين )
- ابن بقي ( أبو بكر يحيى بن عبد الرحمن )
- المرسي الشباز ( أبو الوليد يونس بن عيسى )
- ابن يثق ( أبو عامر محمد بن يحيى بن محمد بن خليفة الطبيب الوزير )
- ابن سميد ( أبو جعفر أحمد بن عبد الملك )
- ابن قزمان ( أبو بكر محمد بن عيسى بن عبد الملك بن عيسى الأصغر )
- مدغليس ( عبد الله بن الحاج )
- ابن مسلمة القرطبي ( أبو الحسين )
- ابن الصيرفي ( أبو بكر يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري )
- عصا الأعمى ( أبو القاسم بن أبي طالب الحضرمي المنيعي )
- اليكي ( أبو بكر يحيى بن سول )
- ابن مهلهل ( أبو الحسن علي الجيلاني )
- الإدريسي ( محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس )
- البشربي ( محمد بن محمد القرطبي )
- ابن الزيتوني ( علي )
- ابن الهازي ( إبراهيم )
- المرسي ( أبو بكر )
- ابن حمديس
- ابن شرف ( أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل )
- السرقسطي الجزار ( أبو بكر يحيى )
- ابن مالك السرقسطي ( أبو بكر أحمد الأنصاري )
- نزهون ( بنت الوزير القليعي )
- ابن مؤهل
- ابن خلف ( الجزائري )
- ابن خرز البجائي
- ابن مردوس ( أبو الحكم أحمد )

- ابن الفرس ( عبد الرحيم الفرناطي ) •
- ابن حبيب ( القصري الفيلسوف ) •
- ابن حزمون ( أبو الحسن علي )
- المنتاني ( أبو العباس أحمد ) •
- ابن زهر الحفيد ( أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن مروان الاشبيلي ) •

وهذا العدد الضخم من الوشاحين الذين ذكرهم الدكتور عناني في فترة النضج والازدهار يعد دليلا على انتشار الموشحات وازدهارها ازدهارا كبيرا في تلك الفترة • ولقد كان الدكتور عناني وهو يذكر هؤلاء الوشاحين حريصا اشد الحرص على أن يغطي القاريهم نبذة كاملة عنهم ويقدم امثلة كثيرة من موشحاتهم لتكون بين كل من يريد أن يعرف أو يدرس هذا اللون من الأدب ، ولعل أبدع موشحة وأرقها هؤلاء الوشاحين هي موشحة ابن زهر الحفيد التي جاءت مزجها من الموسيقى والصور الموحية والتلميحات البسيطة الشفيفة والاقتراب من أخيلة الشعب ، والتي يبدأها :

كل له هواك يطيب أنا وهاذلي والرقيب  
وهي موشحة تدور حول الحب ، وفي نهايتها :  
لم يدر عاذلي وريقي  
أن الهوى أخف ذنوبي  
وأنت يا عذاب القلوب  
كم تشتهي اليك القلوب وأنت معرض لا تجيب  
قالت علي أنت ملول  
فقلت : ودك المستحيل  
فأنشد النصوح يقول  
من خان حبيبه حبيب الله يماقبه ويثيب

وينتقل الدكتور عناني بعد ذلك الى وشاحي القرن السابع الهجري فيذكر منهم ما يقرب من أربعة وعشرين وشاحا ، ويسلك في الحديث عنهم ما سلكه في الحديث عن وشاحي فترة النضج والازدهار •

ثم ينتقل بعد ذلك الى وشاحي القرنين الثامن والتاسع الهجريين فيذكر منهم ما يقرب من ثلاثة عشر وشاحا ويسلك معهم المسلك نفسه ، ثم ينتقل الى بعض وشاحي المغرب في المصنوع المتأخرة والى وشاحين تصدروا تحديد العصر الذي عاشوا فيه فيذكر من هؤلاء هؤلاء عددا كبيرا بالمنهج الذي التزمه وسار عليه نفسه •

ويختتم الدكتور محمد زكريا عناني هذا المؤلف القيم بل المرجع الحافل في الموشحات الأندلسية بملاحق يضمنها نماذج من الموشحات ونصوصا تتعلق بالموشحات وتاريخها ، وأهم المصادر والمراجع التي استعان بها على هذا الجهد الشاق المصني الذي يستحق عليه كل تقدير واعزاز .

ولعل أجمل ما تختتم به هذا المرض لذلك الكتاب الدسم أن نختار إحدى الموشحات وهي لابن عيسى المرسي الحجازي في النصف الأول من القرن السادس الهجري :

### ★★★

من لي بظبي ربيب	يصيد أسد الغياض
لوى يديني لما	أملت له للتقاضي
جملت حظي منه	بين الرجاء والتمني
بل قلت يا قلب صنه	لديك من سوء ظني
وانت يا نفسي ذوبي	ويا مطيل اعتراضي
نفد بما شئت حكما	اني بهجكك راضي

### ★★★

ما حال قلب لديك	لا تنقضي حمراته
يشكو جواه اليك	وليس تجدي شكاته
مهلا فني راحتك	حياته ... وماته

### ★★★

يا ممرضني وطبيبي	بقيك يرم المراض
ومك قد ذبت سقما	فلتقض ما أنت قاض

### ★★★

يا من ينافر ظلمي	من ليس عنه بصابر
ما خسر إذ ذبت سقما	لو لم تكن لي هاجر
رفقا فبي منك ألي	وسنان ساجي النواظر

### ★★★

رام بسهم مصيب	من المصباح المراض
يرنو فيرسل سهما	والقلب في الاعتراض

من مقالات حسین بھرحان

# کتاب آراء

بقلم

د. محمد بن سعد بن حسین

هذا هو عنوان الكتاب الذي أصدره النادي الأدبي بالرياض من سلسلة كتاب الشهر فهو العدد الثالث عشر من هذه السلسلة وصدر في محرم ١٤٠٠ هـ - نوفمبر/ديسمبر ١٩٧٩م وطبع في مطابع الفرزدق بالرياض ويقع في ٧١٦ صفحة من القطع المتوسط . وهو مجموعة مقالات للأستاذ حسين سرحان نشرها في الصحف المحلية فقام الأستاذ يحيى ساهاتي بجمعها من مقائنها حتى كون منها هذا السفر .

ويحيى ساهاتي من شبابنا النشط الذي أقبل على العلم ووقف نفسه في خدمته حتى أن تخصصه كان في المكتبات ، وقد ولد في عام ١٣٦٦ م ونال الليسانس من كلية الآداب بجامعة الرياض سنة ١٣٨٩ هـ . ثم حصل على الماجستير في المكتبات سنة ١٣٩٦ هـ . وله مجهودات طيبة في مجال المكتبات وتصنيف الكتب وله في ذلك كتابات .

والأستاذ حسين سرحان هو أحد رجال الطليعة في بلادنا ورائد من رواد الفكر في الكتابة والشعر وقد ولد بمكة المكرمة سنة ١٣٣٢ هـ وتلقى علومه بمدرسة الفلاح وتقلب في أعمال حكومية كثيرة وقد صدر له ديوانان أولهما ( أجنحة بلا ريش ) وثانيهما ( الطائر الغريب ) أصدره النادي الأدبي بالطائف - وهو ممن ترجم له : وحى الصحراء ، وشعرام الحجاز ، والموسوعة الأدبية ، وشعرام جزيرة العرب في العصر الحديث وغيرها ، وهو من الشعراء الجيدين عرف بأصالة فنه لغة وأسلوبا .

أما مقالاته التي نحن بصدد عرضها فانها خمس وخمسون مقالة .

وأولها نقلت من « أم القرى » الجمعة ٢١ ربيع أول ١٣٤٩ هـ ، ١٩٣٠م ، وأخرها من مجلة العرب حمادى الأخيرة سنة ١٣٨٨ هـ ولكون هذا الكتاب مجموعة مقالات فقد تطول وقفنا معه فيها .

فأما المقال الأول فكان من اثنين من المعمرين الذين أدركهم الشاعر في مكة وليس في حديثه عنهما ما يختلف عن صيغ الأخبار المجردة وكان في إمكان كاتبنا أن يطلق لقلمه العنان في التحليل النفسي لمبادئ وتقاليدهذين الرجلين وبخاصة أنه أدركهما وتحدث اليهما . أما المقال الثاني فمن الأسماء المستعمارة والذي يدعو له الأستاذ فيها أن يطرح الأديام تلك الأسماء المستعمارة التي تسترهم عن قرائهم وأن يصبرحوا بأسمائهم لأن الأمة الناشئة في ميدان الفكر - كما يقول حسين سرحان في هذا المقال - « يحتاج جمهورها



الى التعرف على أدياء أمته « وأذكر أنني قرأت قصيدة نظمها صاحبها في مطلع النصف الثامن من هذا القرن في وصف «المرضة النجديّة» وهي قصيدة رائقة غير أن صاحبها لم يصرح باسمه وإنما رمز لنفسه «بالفتى النجدي» وهو أستاذنا حسين سرّحان ولقد استخدم الرمز في أكثر من موضع فلفله كان يرى ترك الرمز في مطلع حياته ثم أحس بضرورة ذلك أو الاحتياج إليه فاستعمله .

ولا نريد أن تغادر المقالات الأولى لحسين سرّحان دون أن نسمعك طرفاً من أحداها لتتبين أسلوبه في أول جهده بالكتابة كما توضّح لك طرق تفكيره واتجاه آراءه ! ففي ثالث مقال في هذه المجموعة نقل من صوت الحجاز «الثلاثاء ٤ صفر ١٣٥٤ هـ» تحدث الكاتب عن جريدة صوت الحجاز في جهدها الجديد وانك لتعجب فبرته على الأدب وحرصه على سمعة الأدياء وإقباله على ما تنتجه أقلام الكاتبتين وحرصه على أن تمثل الصحف كتابتها ، تمثيلاً صادقاً ، انك لتعجب ذلك كله تتلّقى به كلماته وتوحي به عباراته وإن كان لا يزال إذ ذاك كاتباً ناشئاً . غد مثلاً قوله في صدر هذا المقال ص ١٤ الآن صدرت ( صوت الحجاز ) منفصلة تمام الانفصال مما مضى لها من عهد خابر فعقيق بالشباب المثقف أن يقابلها بالترحاب ويهد إليها يد المؤازرة والتشجيع ذلك لأنها في موقعها الحاضر تدمو إلى الرزانة في التفكير وتحض على التسامي بالأدب في وقت واحد وما أحب الينا - نحن القراء - من أن يفكر أدياؤنا ويمملوا في إخلاص للأدب وحرية في الرأي فنتذوق من أديهم الحسي شهداء مشتاراً يفيدنا نحن ويرفعهم إلى درجة الخلود » .

ثم يختتم مقاله هذا بقوله في ص ١٧ « والجريدة لا تؤدي رسالتها وتجلو صدا الأذهان إلا إذا حافظت على مبدئها وتحررت من الشوائب واختطت سبيلها في رزانة وتمقل واستقامة ولم تقف موقف الطفل الغريب كل من جام لعب به واستهواه » . والآن وقد دخلت « صوت الحجاز » في طور جديد طور التقدم فعل محرريها الأفاضل أن يمتنوا بالدقة فيما ينشرون ويحرصوا على الاجادة فيما يختارون فها تان المزيّتان بلاريب مما يكتل للجريدة رفعة مكانتها ويحببها إلى قرائها ويقيّل من عثاها ويوسع من دائرة شهرتها .

وليمعل كل أديب في نشاط وإخلاص تاركاً لزملائه الأدياء مسبلهم وآراءهم والانسان موفق مجدود ما استمر على منهاج قويم » .

فانت ترى أسلوبه سهلاً هادئاً ، وأفكاره هادئة تنضج بالصدق ،  
وكلماته سهلة ميسرة لا تحتاج الى عناء .

وقد تلوح البساطة على لفته وأسلوبه في مقالاته الأولى وهذا ليس  
بغريب فكل ناشئ يكون كذلك ، بل ان ما قدمه في مقالاته الأولى يدل على  
ثقافة واسعة وحسيلة لغوية جيدة وأصالة ونزاهة في الفكر واللفظ  
والموضوع . وذلك اذا قيس بأترابه . . . وإذا أردت أن تعرف كيف يتطور  
أسلوب حسين سرحان ويرتقي وكيف يهذب مناهجه وأفكاره فتقرأ فيه كاتباً  
غير ما قرأت في المقالة الأولى فاقراً كلمته « كيف أتمنى أن أرى ابن آدم »  
ص ٤٤ وهي من « البلاد السعودية » سنة ١٣٦٥ هـ ويخيل لي أن الأستاذ  
حسين سرحان في هذا المقال يحكي صورة من صور طفولته جعلتها الحقيقة  
والمهارة في التحليل النفسي العميق رائحة من روائح أدبنا ، وما روائعه  
بالقليل .

ولمكك تريد أن تسمع أو تقرأ شيئاً من روائع حسين سرحان  
بعد ما اشتد واستوى على سوقه وأني لمختار لك هذا النموذج الذي يكشف  
فيه عن شيء من خلاله ويحمل فيه أيضاً على أديم الأدب الذين يظنون أنهم  
دخلوا عالم الأدب والأدياب بطباعة ديوان أو نحوه وقد لا يكون هذا المطبوع  
مستحقاً للقراءة . . يقول الأستاذ « حسين سرحان » تحت عنوان « النشر  
والطبع وأشياء أخرى » : « للأدب وقدة تلذع العقل ، فتغل بتوازنه  
أو تكاد ، ولا سيما عند ما يكون الأديب في مراحل الأولى التي لابد له من  
اجتيازها . وهذه المراحل الأولى لازمة ، فان كل شيء لا ينتهي الى  
آخره الا مجتازاً بأوله ، الا فكيف يكون له آخر ؟ . وقد اجتزت هذه  
المراحل . وأنفي من الرغام ، وان كنت ومازال أعتقد أنني في أواخر هذه  
المراحل الأولى التي تجمع دائماً بين السخف والغثاثة والثقل . وقد لا يسمح  
أديب لنفسه أن يعترف بذلك ، ويريد أن يقول - بالفعل أو بالكلام أنه  
أصبح الآن في رأس الذروة ، ولكن ذلك لا يعني ، فانه ليس أحق  
ولا أجهل ممن يخالف في الواقع الذي يكاد يفق عينيه » .

وبعض أدبائنا الآن يحسب أنه تصدر القسافة لأنه نشر له ديوانا  
أو ألف كتاباً ، وهذا الحسبان يقوم على شيء كبير من الوهم والهوج وقصر  
النظر . وما من سبيل الى القياس « الصحيح » اذا كان كل أديب يتخذ لنفسه  
القياس الذي يريده ، ويذهب راكباً رأسه على غير طائل .

والمقياس الصحيح الذي توجه به أبسط مسائل ( البداية ) أن يقاس  
الأثر - من نثر وشعر - بجلوته ولذته وجدواه لا بكثرته أو قلته ، فإن  
هناك أدباء مصريين وغير مصريين نشروا عشرات الكتب ، ولكننا لو تصفحناها  
لوثقنا من الغلاف الى الغلاف بنظرة واحدة .

وحيث تجد الأدب النزر تجد الاندفاع الى تسلق الشهرة قبل أوانها ،  
فهناك يامطبعة ، اخلطى البياض بالسواد وهاتي أوراقا مجموعة بين دفتين ..  
ثم اذا هي مملقة على واجهات المكتبات كأنها النشرات التي تقلد من  
الطائرات للانداز والتخويف .

هذه الحالة مرت علي قبل سنوات عشر أو أكثر ، فهيأت ما كان عندي  
من الشعر في أربعة دواوين - أو أكواخ - وصميتها - ليحفظها الله -  
الأغاريذ ، وحادي الميس ، وهدهد سليمان ، والزبد - بفتح الزاي والباء -  
لا الزبد بضم الزاي وسكون الباء - حتى لا يبادر القراء الى لمس  
شفاههم ..

جمعت هذه الدواوين الأربعة وكنت استعمل النشر والطبع وأرد  
لو طبعتها على طائفة ؟! ومضى زمان كنت أعتقد فيه أن الناس - ما ألقى  
الناس - سيهابون بخسارة عظمى ان لم يقرأوا شعري وأن كان لم يبلغ  
بي هذا الغرور المضحك الى أن أصدر دواويني برسومي الجميلة .

خفت سورة الحمى وبردت حرارتها ، بل هبطت الى ما تحت الصفر  
زمهريرا والله الحمد فاقتنعت على فترات ان كل ذلك باطل الأباطيل وقبض  
الريح كما يقال .

وأحرقت شعري وأثاري الاولى ، وأرحت الناس ونفسي من شرها  
وركاكتها ، فإن الناس لا يزدادون على ما بهم ، فلعل الله يملطف بمباده .

واليوم يسألني كثير من الناس : لماذا لا أنشر شيئا من شعري  
وقصصي ؟ ويمقتون علي ، وان لهم لاستمتبا ، لو كنت أملك أمري ، وأجمع  
شملي ، وأجازف بنشر حماقتي عليهم ، واذا كانت الحماقة أहित من  
يدأويها كما يقول الشاعر : فاني قادر على مداواة حماقتي بحبسها في نفسي  
وكتمتها عن غيري ، وهو علاج بسيط ، ولكنه لا يوجد في « سيدلية »  
كل أديب .

ويروق للأستاذ حسين أن يصور بعض عاداته بمثل قوله في صدر  
موضوع تحت عنوان « شهرة الكلام » : « وأين مني هذه الشهوة اللذيذة ،  
والناس يملعون أنني كالحويان الأعجم لا أتكلم الا ذاما ؟ »

وشهوة الكلام هنا - فيما أرجح - محصورة في هذا الكلام المادي أو غير المادي الذي تتطلق به السنة الناس ، وتهذر كما تهذر الفحول ، وما بها ، « تعلم » كما يقول المتنبي » .

وترى حديثه من خلاله وعاداته مبعثرا هنا وهناك مثل قوله من حديث بعنوان « ذيل الطاووس » تحدث فيه عن الشهرة وتباهي الناس وفرحتهم بها وسميهم من أجلها فهو موضوع اجتماعي أخلاقي تحدث فيه كاتبه بصدق حتى عن نفسه أنه لم ينكر جنوحه للشهرة بل أنه عاب على مدعي العزوف عن الشهرة قولهم ، وهو حديث شيق لطيف نقتطف منه قوله ( للشهرة ثوب مثل ذيل الطاووس يراق اللون لماح الأوفاء كلما انمكست عليه أشعة الشمس ازداد ألقا وجمالا ، وللطاووس - أو للمشهور مثلا - ألف حذر عندما ينظر الى ذيله ويثني عطفه ، ويرجع الطرف مرة بعد مرة الى هذا الذيل - أو الثوب - دون أن يمل رؤيته أو يشبع منها .

وكلنا يريد الشهرة بكل وسيلة من الوسائل ، وانه لكاذب كاذب ذلك الذي يدعي أنه يمتقتها أو يزهد فيها ، وقد كنت من عشاقها المدهلين قبل أن يخضر هذاري ياله من عذار - فلما اسود هذا المذار أو ابيض - لا أدري أصبحت بعد ليلة واحدة مشهورا على الأقل في وطني وبين عشيرتي والحق أنني نلت الشهرة من أبوابها الخلفية أعني من الأبواب الخيالية التابعة التي لا تستطيع الا أن تربط على بطنك حجرا لو أنك اكتفتيت بها لبلوغ عيشك ، أو اتخذتها ذريعة لازدراء لقمته ، وأعني بالأبواب الخفية ، أبواب الأدب والشعر والفن ، وكل ما تنفضه هذه الريشة الحماقم مما يقال عنه أنه غذام للأرواح وزاد للمقول وامتناع للقلوب !

ولم أستطع أن أبلغ الشهرة من أبوابها الأمامية المرعبة فأنني أخيب ما أكون مشهورا في الثروة أو سعة النفوذ أو حسن الإدارة أو جلال الشخصية ، كلا ، لست هناك مادام دون ذلك صراع وهول ومكايده وانزلاق على الرغام ، وسحب على التراب كما فعل ( أخيل ) ببطل طروادة ( هكتور ) بعد أن جندله .

ولم أصبح مشهورا لكتاب ألفته ، ولا لديوان أصدرته فأثار ضجة في الأوساط الأدبية وأثنت عليه الصحف وتبادر الكتاب والنقاد الى تقيظه . فأنني لأميز وأتكل من ذلك وأنني لكما يتسول رئيس تحرير هذه الجريدة ( أقف على المحطة ، والفتيان المجاج قد ركبوا وفاتوني . ) فلله دره ، لقد أحسن في وصفه وأسأما الى موصوفه .

ولكنني نلت ذيل الطاووس بدليل أن كثيرا من الناس يسألونني من رأيي في كتاب صدر أو ديوان طبع أو شاعر أشرق نجمه ، وقد يركبني شيء من الغرور ، وقد أنظر طويلا الى ( ذيل الطاووس ) في خيلاء ودلال وأقول رأيي الذي هو القول الفصل كما أقال وأترقب مؤلفا كيسا « مثل الميداني » ليجعل من أقواله ( مجمع أمثال ) آخر .

ويحمل الأستاذ على الأديب ويصفه بأوصاف لو وصف بها الحمار الذي كان يركبه اذذاك لقلد به جانب الطريق فيقول « ان الأديب حيثما كان لمخلوق تافه ، وان طريقته في تفكيره وتناوله للأشياء لحقيقة أن تقوده الى الجنون الوشيك . فأين يقلد بنفسه هذا الذي ما يفتأ يكثر رأسه ويملا ذهنه بالآلاف الألفاظ والعبارات الجوفاء حتى يكاد يتفجر مثل القنبلة الذرية ، ولكنه لا يحطم الا نفسه بدلا من أن يدمر مدينة يابانية مثلا . »

هناك من يملا فتاه بكرائم الأنعام والسيارات ، وهناك من يملا بيته بنفائس الطنافس ، وهناك من يترع خزائنه بأحلاق الذهب والفضة ، فأين يذهب هذا الأديب المعمق المرزوم ؟

الألفاظ يسحبها الأديب من بطنه مثل المنكبوت ثم يمد رواقها على نفسه ، فاذا هو محبوس فيها يحور ويدور ، ولا يقدر على الانفكاك منها .

فما أعظم فجيعتنا في أعمارنا حينما اعتصرناها في اصطلياد هذه الألفاظ الأوابد .

ان الانسان الذي يملك سيفا مذهبا مرصعا بفرائد اللآلئ ولا يعرف للسيف الا هذا الاسم فقط ، لهو أحمق وأرشد بلا ريب من الأديب الذي يحتفظ للسيف مائة اسم من أمثال المهند والجراز والمضب والصمصام الى آخر هذه التفاحات ا وهو لا يملك قطعة من الفضة ا .

ولكن لا تفرنك مقالة الأستاذ فان مستور المعنى فيها ينطق بغير هذا . ويتعني أن الأستاذ هدف الى تصوير آراء بعض الناقمين على الأدب والأدباء ، أولئك الذين حرموا الشفافية والرقه واللفظ في الاحساسات والمشاعر كما حرموا القدرة على التسامي عن الجانب المادي من الحياة فحيل بينهم وبين أن يعلقوا بشيء من المتعة العقلية التي تدرمها الروحانية على الأديب الأصيل مثل أستاذنا ( حسين سرحان ) وحين أقول لكم انكم كلما أوغلتكم في كتاب « مقالات سرحان » كلما بدا لكم أنه أكثر عمقا فصدقوني ، وان لم تصدقوا فخذوا هذا المطلع لمقالة « الصياد والسحكة » المنقول عن صحيفة « البلاد السعودية » عام ١٣٦٧ هـ يقول الأستاذ « ما من شك في أن الانسان عندما يكثر الاختلاط والامتزاج بشيء معين ، فانه يكتسب مع الاستمرار مشابهة

باطنة أو ظاهرة من ذلك الشيء ، وتبدو عليه سمات واضحة بالشكل أو خفية بالمعنى من كل ما يتوفر عليه أو يمتزج به أو يصغيه وقته أو يبذل فيه جهده ، فالحداد مثلا ترى من ثيابه ووجهه صدا الحديد ، فان كان يتأق في هندامه بعض الشيء فستجد آثارا حديدية في عقله أو في روحه أو في سلوكه أو في عباراته على الأقل ، والمار لطلو الفه للحمير وخدمته لها واختلاطه بها لن تعدم فيه شية حمارية [عالية] في بعض ما يبدو منه من حركة أو سكون أو قول قاصدا أو غير قاصد • لكن ترى الأستاذ بعد هذا في مقاله يخفق الى حد ما في تطبيق هذه النظرية على شكل الصياد حيث يقول « ولكنك لو رأيت [مسمودا] سائد الحوت لملت أن عناصر المخلوقات مهما تباعد بها التناقض فاتها تتصل وتتشابه أتم التشابه ان لم يكن في البين الظاهر ففي الخفي المكنون »

ان مسمودا - سبحان الخالق - بعد أن خبرت عليه أربعون سنة في اصطياد الحوت أصبح سمكة ناطقة تسير على قدمين آدميتين ، ولها مثل وجه الأدمي أيضا مع بعض الانحراف المحسوس الى عرض الوجه بدلا من طوله ، حتى لكأنك أمسكت رأسه بيد ودقته بيد ثم ضغطت ضغطة جيدة ، وأمسى أملى رأسه سطرًا. مستويا ، لو رأيت - عن عرض - أهله وغاب عنك أسفله ، لبادرت ولو لم تكن صياد حوت الى الشبكة واحتويته فيها •

ان شكل الوجه وسائر أجزاء الجسم لا يخفى على الأستاذ أنه يتكون قبل الولادة بوجه عام فكيف تركت الحرفة فيه أثرها ولو أن الأستاذ قال ان حرفة أبيه ساعدت على هذا التشكيل ربما كان أقرب للصواب ، وظني أنه أراد حمز شخص يعينه على أسلوب أدباء السخرية كالمازني وأمثلة غير أن هذا لا يكون من طريق نظرية وتطبيقها ولست أخفي أثر الحرفة على صاحبها وبخاصة في أخلاقه وما ظهر من صفاته كالخشونة والنعمية والليونة في الخلق والملبس والأديم ، أما أن تؤثر في تكوين الجسد أو بعض أعضائه كمرض الوجه أو استطالته فلا •

ويعمد كاتبنا حيناً الى نقد أخلاق الناس وعاداتهم ومحاولة توجيهها الوجهة الصالحة فلا يجرؤ على مصارحتهم بل يجعل من نفسه كبش فداء ، أي أنه ينسب هذه الأخلاق الى نفسه قاصدا في ذلك انتزاعها من نفوس الآخرين اقرأ في ذلك ان شئت حديثه ( أنا لست يفاضل ) ص ٨٥ •

وحين يقصد الى النيل من شخص فانه يناله من طريق لا يستطيع أحد ان يقول عنه أنه مسف ولكنه مؤلم أقصد الايلام وأي ايلام أقصد من تهمة

التصير في الواجب العام المرتبط بمصالح المجتمع ، هذا هو الطريق الذي يسلكه « حسين سرحان » اذا أراد أن يظعن في خصم ، وقرأ ان شئت في ذلك مقالته ( لماذا تستفونا ) ص ٩٣ . وهو لا يصرح بالأسماء ولكنك تكاد تسمع صوت من يتحدث عنه حين تقرأ حديثه عنه ووصفه له وهذا كثير في كلامه ومنه مقاله « جوابات آوانه ص ١٠٠ » والطموح الذي اتسم به قلم سرحان ظل يصعد بأسلوبه وفكره حتى سما سموا بحسده عليه كل من يتوق الى أن يكون ذا قلم ناجح يستوى في ذلك عنده اللفظ والأسلوب والفكرة ثم المعنى أي أن سموه كان في الشكل والمضمون على حد سواء ، واذا اردت دليلا على ذلك فافرا على سبيل المثال مقالته ص ١٢٦ التي قال انها رد على رسالة من ( عبد الفني قستي ) وما هو في حقيقته الا حديث عن القباب تحس فيه تحسر الأديب من انصرافهم عن القراءة والكتابة حتى صاروا أقل من انصاف مثقفين وما ستلاحظه وأنت تقرأ هذه المقالة ، شكوى الأديب من الكساد الفكري والثقافي ، ذلك الكساد الذي صرفه عن جمع قصائده ومقالاته واكمال ما نقص منها ونشرها ، وهذه مسألة كثيرا ماوردت على لسانه في هذا الكتاب صراحة أو ضمنا ولعله بذلك يبحث عن مجتمع يشبه المجتمع الذي نفا فيه وهو مجتمع في هذه الناحية مثالي ولكن هل تساعد أوضاع حياتنا اليوم وظروف معيشتنا على وجود مثل ذلك الفراغ الذي كان عند ذلك الجيل .

لقد تدفقت المادة وكثر الثراء . ولكن الوقت ضاع في همار حياتنا الجديدة ومتطلباتها وجر في أذياله بعض الماديات الطيبة كالقراءة واللقاءات ومجالس الذكر والفكر فأين يومنا من أمسنا ؟

ويمالغ مشكلتي الغلام والفقس فيتحدث عنهما بأسلوب الأديب لكنه يمزج حديثه بالفكاهة والسخرية ولكنها الفكاهة والسخرية المحتشمة ، استمع اليه يقول في ص ١٤١ [ وأحسست بجوع فذهبت الى مطعم متواضع وطلبت طبقين أو ثلاثة ، وليس معقولا أن تقدم اليك الأطباق خالية فمن المفروض . - أو المحتمل - أن يكون الطعام المطلوب موجودا في الأطباق ، وشككت وخامرني وهم عجيب ، على أنني في النهاية استطلعت أن أحده موضع الأكل من الأطباق وعثرت عليه كما عثر [ أرشميدس ] على مفقوده المستعصي فأما الأرز فتستطيع أن تمدده واحدة واحدة ، وأما اللحم فأنك تحصى قطعه الثلاث على بعد أميال ، وتحدد تضللك الفزير من علم [الحساب] وأكلت مثل السنور مفضضا عيني ودمست يدي في جيبتي ، وقلت كم الحساب ؟

وكان صاحبي هذه المرة [ أندونيسيا ] فاصفرت أسنانه ، وارتعشت شفتاه . ووضع كلتا يديه على صدره ، تلك الطريقة التي يحسنها سكان الجنوب من شرقي آسيا ، وقال أربعة ريلات ١ .

وكان يخرج الدين [ الحلقية ] من أقصى حنجرته على تكلف واستكراه ولم أستطع أن أقول شيئا على الرغم من خواء بطني المحتج ونبذت اليه بالريالات الأربعة وسمعتة يقول - وأنا خارج - : « العودة ان شاء الله » ولم يسمعتني وأنا أقول : كلا لن أسود ٢٠ لا يمكن أن يموت الانسان مرتين في ضحي يوم واحد ١ ] ، وقد تلحظ أيها القارئ الكريم أنني أكثرت ايراد النصوص من مقالات حسين سرحان ، والحق أقول لك ، أنني لو انسقت وراء رغبتي في أن تصحيتني وأنا أقرأ مقالات سرحان لقدمت لك جل ما احتواه هذا الكتاب ، ذلك أن لأسلوب سرحان حلاوة وطلاوة هي السحر الحلال بحق ولا هراة في ذلك ولا بدع أوليس الأديب الأصيل ؟ ٩

ويكتب في رثاء « زكي مبارك » فتراه ينسل الى أعماق نفس الأديب الراحل يتلمس خلاله وسجاياه في أساليبه التي يتماثل بها مع أمدائه وأصدقائه على حد سواء ويتحدث عنه حديث الأديب عن الأديب ٢٠ حديث يدفعه الوفاء والاحجاب لا الملق والرياء والمجاملة ٠ أما حديثه عن ابتسامات الأيام لابن بليهد فانه حديث باء فيه بالاثم - أستغفر الله ، فقد مرت العدوى من أسلوبه الي - أقول لقد قال في ديوان ابن بليهد قولاً رده كل من تحدث عنه بعد ذلك وخلاصته أن شعره العامي أقوى أمكن في الأصالة وأسباب الاجادة من شعره الفصيح ٠ ولن أسأل أستاذنا سرحان أقرأ قصائد ابن بليهد التي لم يحوها ديوانه ولكن هل نظر في جميع قصائد الديوان فقرأ مثل قصيدته :

أرقت لبرق سـاهـر متألـق  
أراقبه كالفرم المتشوق

٠ وهي في الديوان ص « ٢٣٢ » وعلى أي حال فربما جر لهذا الموضوع حديث آخر ٢٠ قلنا من قبل أن الأستاذ سرحان اذا أراد أن يطن في شخص ويهجو في كتابته فانه يمدد الى التلميح لا التصريح ولكنه يدلك على صاحبه بأسلوب كأنك من خلاله تضع يدك على كتفه ، وفي مقالة ص « ١٦٤ » ترى هذا الرمز في الهجاء يبلغ من العمق الى أن سمى صاحبه وأجوداده بأسماء نباتية فاسمه « كراث بن ليمون الفطحي » وعن هذا الصاحب تحدث بأسلوب



ذلك على أن كراثا هذا رجل ثرثار يقحم نفسه في كل ميدان عرفة أو لم يعرفه ليقال انه عالم وان كان هذا العلم أوضح دليل على جهله ، يقول سرحان عن صاحبه كراث « ولكن بني فجل بطن من بطشون قبيلة ( كزبرة ) فهو كزبري ملاوة على لثة فجلي مردوده الى بطنه ، وكان متعلما أحذق تعليم ومربي أدوع تربية ، وله أشياخ حديدون في كل فن وعلم ، وتسمى فوق ذلك تنشئة ( الحلية ) التي هي في الخصام خير مبین ، بيد انه كان مبينا في حرفته الخاصة ، وهذه الحرفة موجزها أنه يتحدث في مسائله الخاصة فيبين فيها كل بيان ، فيتكلم عن مزارعه واهله النجيبة وعرسه الكوكاكولا الكريمة ، ثم ينطق بأسماء شركات وهمية ، أو حقيقية لديك أي مدى بلغ نفوذه فيها . وكان مع هذا كله يتكلم عن الطب في الأدب ، ويتحدث عن الأدب في الطب ، وينفض عن الصناعة في الزراعة ، وهكذا كان صاحب نقائض وأحبا مفارقات ، ورب متباينات ، وبمثل هذا الأسلوب يمكننا أن نحكم على سرحان بأنه كاتب رمزي ساخر هازل ، ولو تلمسنا أسباب هذا الاتجاه عند أديبنا لأمكن أن نرجعه الى أسباب ثلاثة ..

أولها : أن هذا اللون من الأساليب يجتذب القاريء اليه وفي هذا كسب كبير لمن يهدف الى اصلاح ما اوجع أو فسد من أوضاع المجتمع ، ولا شك عندنا أن هذا من أهداف أديبنا كما تشهد به مقالاته الاجتماعية الكثيرة التي حوى هذا الكتاب جزءا كبيرا منها .

وثانيها : أنه يجد في هذا الأسلوب متنفسا يقذف من خلاله ما تضطرم به نفسه ازام تصرفات بعض الأفراد .

وثالثها : أنه كثيرا ما أودع في تلك المقالات الساخرة آلام نفس سمت بها عزتها وانفتها عن الثثرة في المجالس ، وعن محاوره الآخرين فيما يصدر منهم في حقها من أخطاء .

وإذا قلنا أن المقالات الأدبية والاجتماعية هي الصيغة العامة لهذا الكتاب « من مقالات حسين سرحان » فانا نود أن نشير الى أن اللقصة فيها نصيبا إذ أن هناك ثلاث قصص في الصفحات ٤٠ و ١١٧ و ١٩٠ ، وأكثر من مقالة صاغها الكاتب في أسلوب قصصي أو شبه قصصي .

وقصصه كلها اجتماعية هادفة منها مايمالج به كسل الموظفين واهمالهم كأولوي والثانية ، ومنها ما يقوم فيه مقام الواقع ولكن بأسلوب لبق جذاب كالثالثة .

وعندي أن ما قدمه أديبنا في ميدان الأقصوصة جيدا جدا لو احتداه

كتاب القصة عندنا لأتوا في قصصهم بما يرضي ولأراحونا من هذا الغثام الذي يخلب على انتاج أدبائنا في هذا الفن .

وإذا كنا نمد الأستاذ حسين من النقاد الاجتماعيين فانا نسجل هنا أنه لم يجرؤ على أن يجبه مجتمعه صراحة بما فيه من عيوب ، بل كان يعمد الى الأسلوب الهازل والقصص الخيالية يرمي فيها الى ما يريد ويلمح ولا يصرح ، وإذا أردت أن تبين ذلك فأقرأ مقاله « حلم غريب » ص ١٨٢ .

انه يريد أن يقول أن الاكراه في الزواج ظاهرة يجب أن تختفي ، لكن المجتمع لن يتقبل منه ذلك ، أو على الأقل عامة الناس ، وجل خاصتهم ، من هنا صاغ فكرته في رؤيا خيالية جعل صاحبها فيها يرى أنه صار « أذن حمار » وحين ذهب الى مفسر الأحلام قال له « أنك ستتزوج على رغم أنفك » . أما حسين سرحان الناقد الأدبي فانك تقرأه في بعض المقالات القليلة منها : -

١ - مقالات من الشعر البدوي ص ١٢١ .

٢ - ابتسامات الأيام ص ١٠٨ .

٣ - الأسس الضائع ص ١٧٦ .

٤ - اللفتات الذهبية في شعر ابن لمبون ص ٢١١ .

ونحن وإن كنا ننوي أن نخص هذا الجانب عنده بحديث خاص إلا أنا نود أن نشير هنا الى أن نقده الأدبي يدل أول ما يدل على ثلاثة أمور :  
أولها : أن الرجل ينزع من منزع أصيل في لفته وأهدافه ويتجلى لك هذا في فصاحة لفظه ومعانة أسلوبه وجزالة تركيبه وسمو معانيه .  
وثانيها : ثباته في وجه تيار المخالفات الأدبية التي أسلاها حب الشهرة ولو من طريق مخالفة الأصول الثابتة حتى لكأنما الأدب عند أرباب تلك الرهبات معرض أزياء أو متجر « مكياج » .

وثالثها : أنه رغم قدرة الرجل الكلامية تراء مهذباً ، لبقاً ، يضع الكلمات في موضعها بلباقة وأدب ، ولما كانت الحقيقة في نظر الناقد قد تؤذي حيناً ، « أو على الأقل لا تريح » فإن سرحان يمزجها بشيء من المزاح أحياناً ، وهذا المنهج يظهر جلياً في نقده ديوان حسن قرشي « الأسس الضائع » ولا بأس من أن نتأمل فتورده من ذلك المقال ما يشهد على صبغة ما قلناه ، يقول حسين سرحان ( وما من « أسس ضائع » في « ظلال الرحي » . لو توخينا الانسجام حتى فضول الكلام ، ولكن هدايا الألفاظ غير هدايا ( الدمقس المقتل ) من شعبي مطية ( امرئ القيس ) وحظ المداري أدمس وأنفع . ولا ريب من حظنا . مع الفارق في الحاليتين .

ورأيي على العموم في شعر الصديق القرشي ، أنه شعر عصري مناسب لمكانه في مراتب الشعر الحديث ومكانه من الشعر ليس بالمكان القليل ولا الضئيل في مثل هذا العصر الذي يجري كل شيء منه على عجل .

ولا يعيب مثلاً أن تجمع فيه الصفات على غير قياسها فيقال المرمم بدلاً من المرم ، وما يشبه ذلك ، أو يمد فيه ضمير المتكلم ( أنا ) أكثر مما ينبغي ، أو أن تبدو في بعض المأاني فهاهة وعجز في مثل هذين البيتين :

كلما شمت في حياتي نبما

سحر النبع لي فكان مرابي !

أو تنورت في مسيري طريقاً

رہضت ناره على أعتابي ا ء

ولم أرتج لمناقشة آراء الأستاذ حسين التي اختلفت معه في وجهة نظره فيها وبخاصة ما كان منها في أول عهده بالكتابة ليقيني أن كل شاد تكثر هفواته حتى يشتد عوده ، وإن كنت أمتثني الأستاذ حسيناً من هذا المصوم إذ أن هفواته عندي أقل كثيراً من هفوات مزائنيه من أتباعه حتى إذا ارتفعت إلى الرجل قد نضجت ثقافته واتسعت واستوى فكره على سوقه أخذت في مناقشة الحساب فيما اختلف معه فيه .

ويعجب سرحان بالشعر البدوي المتأخر فيدفعه إعجابه به على حمل مفرداته وجل عباراته على التصحيح وذلك في قوله في ص « ١٢٥ » فأما المفردات وأهلب العبارات فإنها عربية صحيحة ويدخل بعضها تعريف طفيف « وهذا قول يحمل شيئاً من المبالغة ، وإن كانت مبالغة ربما ساغ انتحال بعض المبررات لها ولكنها مغالاة على أي حال . فالشعر العامي لا جدال في أنه يمتزج بكثير من الألفاظ العامية التي لا أصل لها في اللغة أو التي اهتمها من التحريف ما قلب أمرها رأساً على عقب ، وما أظن هذا يخفى على أستاذنا الأديب الكبير ولكن « حين الرضا عن كل عيب كليلية » ولكن أيسوغ هذا من حين رضا الأديب الرائد ؟ وفي هذا البحث الذي كتبه من الشعر العامي أثنى على قصيدة عامية لابن بليهد وأورد مطلعها ، غير أن روايته لها تختلف عما رواه لي مانع أبو الصلا الذي روى له القصيدة كاملة مع خبرها ، فأما رواية سرحان ص ١٢٥ فهي :

أشوف الأيام تقدح بأملها قدح المشاميب

وقد تفرير ولا أدري ويش ينطل في عسابه

وأما رواية أبي الملام فهي :

أشوف الأيام تقدح مثل قدحات المشاميب

وقت تفير ولا أدري ويش ينطل من عقابه  
ولم اطلع على رواية أستاذنا حسين مرحان الا بمسند طبع كتابي  
« الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد وآثاره الأدبية » ، والا لأثرت اليها  
أو حققتها على ضوء مقابلة روايتيهما .

وحين تقرا الكثير من مقالات حسين مرحان وبخاصة تلك التي عالج  
فيها بعض أمراض المجتمع تجد أن حديثه يمتزج بسخرية لازمة ولكنها  
مترفة لا تسف الى حد اضحاك الناس وإنما هي من ذلك النوع من السخرية  
التي تنبه العقل بما يشبه الصدمة الكهربائية . ثم تجده في حديثه عن  
المازني الأديب الساخر يتحدث عن السخرية والساخرين حديث من يمت  
هذا اللون فهو يقول في ص ١١٢ ( كل انسان مهما كان . . يركب نقصه  
المجبول عليه ، ولكنني أعتقد أن [ الساخر ] من الضعف البشري وأوضاع  
الحياة وحماقات الناس ، يحمل في نفسه أكثر من مركب نقص واحد ، وإن  
كان هذا الساخر فيلسوفا عميقا أو شاعرا .

والمازني غفر الله له - كان ممنوا بالشبه الكثير من مركبات النقص  
الظاهرة فضلا عن الباطنة فالقزامة في القامة ، وانحدار العين من دماثة ،  
ورجله المهيضة ، التي ما يفتأ يشير اليها في مقالات عديدة وأطوار الاملاق  
التي اضطرته الى بيع مكتبته ، وأكلها وشربها - كما يقول - . . فهل يعد  
هذا تناقضا أم أنه يسخر ولا يدري أنه يسخر ؟ أم ماذا ؟

لعل أستاذنا حسين مرحان مد الله في عمره يتحدث لنا عن هذه الظاهرة  
فيما كتب . وكان يحسن بمراجع الكتاب عند طبعه أن يضع تطبيقا لما وقع  
من أخطاء وبخاصة تلك الأخطاء التي قد تغلب المعنى أو تسيء الى فهم مقاصد  
الكاتب كمثّل كلمة « اهراب » الواردة ص ١٢٤ في العبارة الآتية « وشر  
ما في هذا الشعر انعدام الاهراب فيه » وصوابها « انعدام الاهراب فيه »  
لأن الرجل يتحدث عن الشعر العامي ويشكو من خلوه من الاهراب .

ومما تلحظه في ردوس الموضوعات عند مرحان أنه كان فيها موقفا  
يخيل لك أنه تألق في اختيارها حتى جاءت معيرة ، توحى بمضمون ما وضعت  
له ، ولكنه ايهام لا يحسه الا من منحه الله مثل ما منح مرحان من دقة  
ملاحظة ورهافة احساس وخبرة قوية متينة بالمربية وأساليبها . . اقرأ مثلا  
هذه الماوين لبعض كلماته « جواب فات أوانه » « وجرى الفتيان كالنخل »  
و « أنا لست بشاغل » و « لماذا تستقرنا » وهكذا . .  
وإذا وجدت من ردوس موضوعاته ما يفتقد تلك الدقة فاعلم أنه مما

كتب في أول عهده بالكتابة ومن ذلك عنوان أول مقال ورد في الكتاب وهو  
أسبق ما اثبت له وفيه وهو ( الممرورون ) .

فانت حين تقرأ هذا العنوان يرد الى ذهنك أن الرجل اما أن يتحدث  
اليك من المعمرين بوجه عام . ويتلمس الأسباب التي مياها لهم الله ليكوتوا  
كذلك .

أو أن يروى لك سيرة جملة من أولئك المعمرين أو أن يجمع بين هذا  
وذاك . حتى اذا ما قرأت مقاله هذا وجدته يتحدث من رجلين فقط أحدهما  
كان جارا له والثاني ييسدو أنه كان خادما ، ولو أنه قال « ممران »  
أو « من المعمرين » لكان أدق .

وتظهر لك ثقافته فيما كتب على نحو لا يوحى باجتراح تلك الثقافة  
لسد الفراغ وانما تأتي في صورة شاهد أو برهان أو حجة يسوقها في ميدان  
حديثه وإذا شئت أقرب مثال لذلك فاختر أي موضوع له وليكن « ترى  
الفتيان كالنخل » ص ١٠٣ .

ولقد أسفت كثيرا على الخراج الكتاب المعتمد فيه على التسلسل  
التاريخي ذلك أنه ربما كان سببا في صرف بعض الكاتبتين الذين لم يعرفوا  
الأستاذ حسينا من مثالية أسلوبه في هذه المقالات التي يرتقي فيها أسلوبه  
شيئا فشيئا حتى يبلغ الذروة — وتمتيت لو أن الكتاب صنف حسب الموضوع  
وتوحي مصنفة أن يجعل من صدر الكتاب ما يمثل أستاذنا الكبير « حسين  
سرحان » تمام التمثيل . ولعل جامع هذا الشعر يقول أنني لا أقدمه الا لكل  
رجل لا يحكم الا بعد الاستقراء أو أقول ان هذا قول حسن ولكن أترى قومنا  
كلهم من هذا الطراز ؟ انني لا أشك في حصافة آراء أدبائنا وأنهم لا يصدرون  
الحكم الا بعد اقتناع ينتج من فحص كامل للأثر ولكن لا أريد أن يصدم  
قاري مقالات حسين سرحان بأضعف ماكتب لأنه كان اذ ذاك في بداية المشوار  
الثقافي والفكري وهو في السابعة عشرة من العمر .

وأود أن أنبه هنا الى أنه قد فات جامع هذه المقالات الأخ يحيى اثبات  
مقالات أخرى فيها ماورد ذكره فيما أثبت الجامع في هذا الكتاب كمثال  
[ العقلية العامة ] التي أشار اليها حسين سرحان نفسه في صدر مقالته  
[ هل يكتب شعري ] ص ٧٨ من الكتاب بقوله « على أثر نشر مقالتي بالبلاد  
السعودية بعنوان [ العقلية العامة ] » .

ومع أن مزامتي الأستاذ حسين كان فعولهم يجنحون في كثير من أعمالهم  
الأدبية الى تحري الألفاظ الغريبة حينما لا تكفي ذلك عند أديبنا سرحان

الا نادرا كمثل « يتوفل الذرى المالية » « أي يصمد » في ص ٢٢ ، وكمثل « مشاهم » التي فسرها هو بأنها جمع مشية ص « ١٠٦ » على أن هذا النور اليسير القادر يأتي في أسلوب سرحان كالمشهيات في الطعام ، ولست أعني بذلك أن أيراد مثل هذه الألفاظ غريب يؤخذ على الكاتب وإنما أعني أنها تكون مأخذا على الأديب إذا جاءت نائية في موضعها ، ولا يسكون ذلك الا نتيجة تكلفه وما كان سرحان في يوم من المتكلفين .

ثم أنني أرتاح كثيرا لبعض ألفاظ اللغة العربية التي باتت رهيئة المجمع حين صرف عنها الكاتبون والشعراء ، غير أن هذا البحث لابد من أن يكون مصحوبا بطرح ولباقة حين استعمال الكلمات حتى لا يولد نبوها استهجانها والمزوف عنها .

والآن وقد فرغت من قراءة هذا السفر النفيس وهرسه ، أجدني أرفعه الى مكانه في مكتبي ونفسي تتازعني لاعادة قراءته لما فيه من أصالة وصديق فني ولأنك وأنت تقراء لا يمتريك شيء من ذلك الملل الذي يولده حينما طول صحبتك للكاتب ، وما أسفت على شيء بعد قراءتي هذا الكتاب سوى أمرين ، أولهما - أن استأذنا سرحان أحرق جملة من أعماله التي لا أشك في أنها في مستوى مقالات هذا الكتاب .

وثانيهما : أنه كان يمكن الأستاذ سرحان أن يفيد أمته وبخاصة من يهمهم أمر الأدب بما هو أقدر عليه وأعرف به منا ، ولكنه فعل الأولى ولم يفعل الثانية سامحه الله في الحاليتين .

ومهما يكن من أمر فإن هذا الكتاب قد سد فراغا كبيرا كان يشكو منه الدارسون لأدب أمتنا في عصرها الحديث فهل يحتاج لنا من يجمع أعمال فحول أدباؤنا الذين نأى بهم تواضعهم وتورعهم عن ميادين النشر والطباعة من أمثال حسين سرحان ، وعبد الوهاب آشي ، ومحمد سميد عبد المقصود وأتباعهم .

ولقد اهتمت صحفنا « وإن اختلفت في ذلك » اهتماما حسنا بأخبار هذا الكتاب وتحدث عنه بعض المحررين .

ولست الآن بصدد الحديث عن تلك التعليقات ، لكنني لا أود أن يفوت تطبيق نشر في صفحة « أدب وأدياء » بجزيرة « الرياض » منذ فترة . . . فلقد ورد فيه « وبطبيعة الحال لا يمكن أن تقاس معظم المقالات التي جاءت في هذا الكتاب بالمقالات الحديثة لأنها تعتبر إرماسات جيدة لنشوء فن المقالة

في الحجاز ومن ثم في المملكة العربية السعودية » .

ومن يقرأ هذا القول ثم ينظر الى ما في صحفنا اليوم من مقالات ولم يكن قد كتب له أن يقرأ « مقالات حسين سرحان » فانه سيؤدري هذا الكتاب لا محالة مادام أن أسلوب المقالات فيه أقل مستوى مما في صحفنا اليوم . ولكوني قد تحدثت في هذا البحث عن مقالات حسين سرحان كثيرا فاني سأترك النص الثاني لمحري صنعة أدب وأدباء بصحيفة الرياض ليوضح للقارئ مقصد صاحبه في العبارة الأولى بقول المحرر : « ومن ناحية أخرى تجد أن الكاتب يكشف لنا التطور البطيء الذي المحرر : » ومن ناحية أخرى تجد أن الكاتب يكشف لنا التطور البطيء الذي طرأ على الصحافة السعودية من ناحية المقالة القصيرة فبعد أن كانت تلتبس وجودها من خلال الأدب أصبحت ذات وجود مستقل يمكن أن تصل الى القارئ دون عكاز اللفة » .

اذن فميزة صحفنا اليوم أنها ألقت عكاز اللفة وتخلصت من العبارات والألفاظ التراثية ، كما يلح على ذلك محرر الرياض فيما لم أورده هنا . ولكن لا بأس فمن الظواهر المألوفة في أيامنا هذه اضطراب المفاهيم واختلالها وأني لأخشى على لغة صحفنا من مضاعفات هذا الجموح ! » .



انوارِ رمی  
والمصطلح العلمی  
فی کتابہ  
مفاتیح العلوم

للمستاذ / سعید زاید



الخوارزمي الذي نقصده هنا ، هو أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن يوسف الكاتب البلخي الخوارزمي ، وهو باحث من أهل خراسان وقد قال عنه ابن خلكان في « وفيات الأعيان » والمقريري في « خطط المقريري » أنه محمد بن أحمد بن يوسف ، وأنقره المقريري بإضافة لقب « البلخي » بدلا من قوله « الخوارزمي » . وهو عالم آخر غير أبي عبد الله محمد بن موسى الخوارزمي ، الرياضي المعروف ، والذي عاش في النصف الأول من القرن الثالث الهجري . إذ أن عالمنا هذا عاش في القرن الرابع الهجري . وألف كتابه الوحيد وأهداه إلى أبي الحسن عبيد الله بن أبي العتيبي الذي كان وزيراً من وزراء نوح الثاني الساماني ، فقد كان يشغل منصبا إداريا في بلاطه بنيسابور من سنة ٣٦٦ حتى سنة ٣٨٧ هـ .



وبقدر ما زخرت المراجع العامة بأخبار محمد بن موسى الخوارزمي وإفاخت في ذكر أخباره وكتبه ، فقد ضنت على محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي ، فلم يذكر أغلبها عنه شيئا ، والذي ذكر عنه لم يزد على مقتطفات هزيلة ، وكذلك الحال بالنسبة للمراجع الأجنبية التي حفلت بذكر أخبار العالم الأول ، فقد تال شهرة عظيمة عند الأفرنج ودخل اسمه المراجع الأفرنجية فقبل : *Algorismus, Guarismo, Algorithm* . وقد تعلم أهل الغرب علم الحساب من كتابه في الحساب بعد أن ترجم إلى اللاتينية ومن كتب أخرى بنيت على هذا الكتاب ، وقد نشر فردريك روزن النسخة العربية لكتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي سنة ١٨٣١م ، وطبعها في لندن ونشر معها ترجمة انجليزية له مع تعليق باللغة الانجليزية ، وبعد ذلك ترجم « مار » الفصل الخاص بالمساحات معتمدا على النسخة التي حققها روزن . وفي سنة ١٩١٥ نشر كاربنسكي ترجمة من النسخة اللاتينية التي ترجمها روف أوف تشستر من الأصل العربي . هذا ، وقد حقق الكتاب المرحوم الدكتور على مصطفى مشرف سنة

والدكتور محمد مرسى أحمد عن نسخة محفوظة بأكسفورد ، ونشر هذا التحقيق في القاهرة سنة ١٩٣٧ م . وللخوارزمي هذا غير كتاب الحساب وكتاب الجبر والمقابلة كتاب في تقويم البلدان شرح فيه آراء بطليموس . وكتاب رابع جمع بين الحساب والهندسة والموسيقى والفلك . ( الدليل البليوجرافى ، ط . مركز تبادل القيم الثقافية ، ص ٣٢٠ ، القاهرة ١٩٦٥ )

ويقول فان فلوتن G. Van Vloten الذي نشر كتاب «مفاتيح العلوم» في ليدن في يناير سنة ١٨٩٥ وقدم له باللغة اللاتينية ان الخوارزمي ( ابا عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف ) حل علم تام باللغة الفارسية فقد كان يرجع الكلمات العربية الى أصلها الفارسي . ومن المحتمل أنه كان يعرف شيئا من اللغات اليونانية والسريانية والسنتسكريتية . ومما لا شك فيه أن معرفته بهذه اللغات أفادته من مؤلفات العلماء أمثال اقليدس ونيقوماخوس وهيرو وفيلون . غير أنه لم يكن من عادته ذكر أسماء المراجع التي اعتمد عليها الا فيما ندر ، عدا ما يتعلق بالخليل بن أحمد الذي جاء ذكره في كتابه ثلاث عشرة مرة ، وذكر أيضا أسماء بـنـ درستويه والأصمعي وابن المقفع ورسائل اخوان الصفا .

ولم تذكر المراجع تاريخ مولد الخوارزمي ، واتفق أغلبها على ذكر تاريخ الوفاة ، فقد ذكر المستشرق فيدمان F. Wiedemann في دائرة المعارف الاسلامية ، وحاجي خليفة في كشف الظنون ، وفان فلوتن في مقدمته لمفاتيح العلوم ، وبرو كلمبان في التاريخ الاداب العربية ، وجورج سارتون في المدخل الى تاريخ العلوم Introduction to the History of Science

أن الخوارزمي توفي سنة ٢٨٧ هـ . ولكن البغدادي في كتابه ( تاريخ الصارفين ) قال إنه توفي حوالي سنة ٣٨٠ هـ . وفي رأيها أن التاريخ الأول هو الأصح اذ أنه ظل يمسك في بلاط نوح الثاني الساماني من سنة ٣٦٦ هـ حتى سنة ٣٨٧ هـ .

## ٢ -

وقبل أن نتحدث عن « مفاتيح العلوم » نذكر كلمة من المصطلح العلمي Scientific Term المصطلح العلمي هو اللفظ الذي يتفق عليه العلماء ليدلوا به على شيء محدود ، ويميزوا به معاني الأشياء بعضها عن بعض . وهو جزء من المنهج العلمي وركن أساسي في كل علم ، ف « العلم لغة أحكم وضعها » كما قيل قديما . فهو لغة التفاهم بين العلماء ،

وهو الذى يعين على حسن الأداء ويدور عليه تبادل الآراء والأفكار ، وهو أيضا النافذة التى يطل منها العلماء على غيرهم من الدارسين والمثقفين والأساس الذى يتبلور فيه التعاون بينهم ، اذ هو من ضرورات العلم واحدى وسائل الهامة في التعليم ونقل المعلومات . فبالمصطلحات العلمية تقرب المسافة ، ويختصر الطريق ، وتوضح الدلالة ، وتستساغ الحقيقة العلمية .

والمصطلحات العلمية تتبع بالضرورة تقدم العلوم وازدهارها ، بما يصاحبها من اكتشافات واختراعات . فليس من شك في أن التقدم والتطور في مجال العلوم - تنتج عنه أشياء جديدة تقتضى مسميات فيصطلح العلماء على تسميتها تسمية توائم بين المعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحى الذى يختارونه أو لا توائم ، فإن العالم هو في اختيار اللفظ الذى يؤدى به الحقيقة العلمية . اذ من البديهي أن علماء كل علم هم ذوو الاختصاص المباشر في وضع مصطلحات علمهم ، وهم - فوق ذلك - قد يطلقون لفظا واحدا في علم واحد على معنيين مختلفين ، ما داموا قد ارتضوا ذلك واصطلحوا عليه ، وهم كما يستمدون لفظا من القصص فانهم يستمدون آخر من العامية ، وكما يستعينون باللغة الحية فانهم يستعينون باللغة الميتة .

والمصطلحات العلمية قديمة قدم العلم ، عرفت أيام قدماء المصريين وأيام ازدهار حضارة اليونان والرومان ، وقد عرفها العرب قبل ظهور الاسلام بقدر ما كان لديهم من علوم محدودة تدور في ذلك محدود وتتناسب مع حياتهم داخل الجزيرة العربية . وازدهرت بظهور الاسلام وما أتى به من نظم تفللت في حياتهم الخاصة والعامية ونظمت العلاقات الفردية والعلاقات العامة - فوضعت أسس المعاملة في داخل الأمة ، بل الانسانية جمعاء ، وما ينبغي أن يسير عليه الفرد بالنسبة لربه وما تقتضيه العبادات من شروط وأحوال . فكما شرع الرسول صلى الله عليه وسلم أسس الاحكام الدينية ، فقد شرع أيضا أسس الاصطلاح واستعمال الألفاظ ، فنبتت على يديه بذور الاصطلاحات الفقهية في القرن الأول للهجرة ، وذلك بنقله بعض الألفاظ من معانيها اللغوية الى حقائق عرفية شرعية . وقد ظهرت آثار هذا النبت وأينعت في القرن الثالث الهجرى بفضل المدنية التى ازدهرت من أواخر القرن الثانى الهجرى فأثرت فى كل شيء بما فى ذلك تفكير الناس وتمييزهم ، وبفضل التدوين ، فإن التدوين يستلزم تحديد المعانى في الألفاظ تدون للدلالة عليها ، ويقتضى صيغ الاحكام بالمصنفة

العلمية • ولقد كان للاختلاف بين فقهاء الحجاز وفقهاء العراق أثره الواضح في ايمان النظر في أدلة الأحكام ومصادرها وتحديد ما يدل عليه الدليل وتمييزه من غيره • وقد أدى ذلك الى وضع كثير من المصطلحات التي كونت ثروة ضخمة ظهر أثرها جليا في دراسة العلوم القانونية باللغة العربية •

وكما أثرت مدنية الاسلام في الدراسات الفقهية ، فقد ظهر أثرها أيضا في العلوم الأخرى فنشأت دراسات أسفرت عن علوم واضحة المعالم منهجية الأسس في اللغة والدين والقرآن والحديث والشرعية بصفة عامة ، علوم تداولها العلماء وعلموها طلابهم وزخرت بالمصطلحات العلمية •

ولقد كان لمدرسة المفكرين الأحرار في الاسلام ، وهي مدرسة المعتزلة بحوث عقلية هدفها الملامة بين العقل والنقل • فكان من الطبيعي أن تظهر في كتاباتهم مصطلحات واضحة ذات مفهوم محدد ، استعملوها في مجادلاتهم وسجلوها في كتبهم ، مثل كتاب المغنى لشيخهم القاضي عبد الجبار الهمداني الذي نشرت أجزاءه التي تم العثور عليها منذ مدة قريبة بالقاهرة • فمن أصولهم الخاصة اصطلاحات العدل والتوحيد ، والوحد والوحد ، وما يتبعها من الصلاح والأصلح والحسن والتبجح العقلين والجبر والاختيار وما الى ذلك ، ثم المنزلة بين المنزلتين ، والقول بالمعروف والنهي عن المنكر •

وقد تبنى الفلاسفة المسلمون ، بعد ذلك ، كثيرا من مصطلحاتهم مثل الجرم الذي لا يتجزأ أو الجوهر الفرد ، والجوهر والعرض ، والحركة والسكون ، والجسم والروح ، وهي كلها ألفاظ عربية اختيرت في دقة متناهية بما يلائم المعاني التي يراد التعبير عنها •

أما عصر الترجمة فقد مر بدورين : دور النقل المعجل اشباعا للثمن العقلي ، وقد كان من الطبيعي أن تتسلل في هذا الدور بعض المصطلحات الأعجمية مثل : هيولي ، وأسطفس ، وفنطاسيا ، وناموس ... الخ • ودور التمييز والاتقان فيما ترجم ويترجم ، وفيه ظهر العقل العربي ماردا جبارا مستبصر المداير مستنير الملكات ، فراجع ما نقل في هدوء ، ووضع مصطلحات عربية خالصة بدلا من المصطلحات الأعجمية ، بل جدد وزاد وأبدع •

وقد نقل المسلمون عن العبرية والسريانية والفارسية والهندية واللاتينية واليونانية • وترجموا بعض الكتب عدة مرات ، وفقا للاصول التي عثروا عليها • وغدت مدارس الأسكندرية وجند يسابور وحسran المسلمين بالكتب والمترجمين من مسيحيين ويهود وصائبة وهنود وفرنس •

وقد تكونت بفضل الترجمة مصطلحات علمية في الطب والكيمياء والفلسفة والمنطق والسياسة وجميع العلوم التي ترجمت - واعتمد المترجمون في هذا المجال على اللغة العربية أولا ، فاستعملوا المجاز باستمارة ألفاظ ذات دلالات لغوية معروفة ، وشاموا لها تأدية معاني جديدة ، ولجأوا في بعض الأحيان الى العلوم الأسبق تكويناً مستعملين بعض مصطلحاتها للتعبير عن المعاني الجديدة ، وبذا ظهر بعض المصطلحات المشتركة بين العلوم المختلفة عند المسلمين ، كما أشار الخوارزمي وكما سنبين ذلك في جزء لاحق من هذا الفصل ان شاء الله .

ولم يقف العرب عند هذا ، بل نحتوا ، واشتقوا ، واستعملوا المصدر الصناعي . فقالوا بالهوية والمادية وما الى ذلك ، وضموا « لا » النافية لينشئوا لفظاً جديداً ، فقالوا بالآدرية واللائهائية ، وهو ما يسمى بالتركيب المزجي .

وهكذا نرى أن العرب قد لجأوا في مصطلحاتهم العربية والدخيلة الى المجاز والاشتقاق والترجمة والتعريب ، ولم يستعملوا بالنحت الا في النادر ، ولجأوا أيضاً الى التركيب المزجي .

وهناك كتب كثيرة تناولت المصطلحات العربية ، منها كتب عامة تعرضت لمجموعة من العلوم ، وكتبت خاصة تخصصت في فن معين . ونذكر منها على سبيل المثال - لا الحصر - كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوسي المتوفى سنة ١١٥٨ هـ ، وكلديات العلوم لأبي البقاء الحسيني المتوفى سنة ١٠٩٤ هـ ، والتعريفات للجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ هـ ، والبصائر النصيرية في علم المنطق للسادى المتوفى سنة ٣٨٠ هـ . وكتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي .

- ٣ -

لم يدلنا أى مرجع من المراجع العامة التي تحدثت عن الخوارزمي أن له كتاباً آخر غير كتاب مفاتيح العلوم . وقد نظر الكتاب في القاهرة سنة ١٣٤٢ هـ ، أى منذ خمسة وخمسين عاماً ، في مائة وخمسين صفحة من الطبع الكبير ، وذيل بفهرس عام في أربع صفحات . ولم يكتب على خلافه الا المبارة التالية التي تقول « عني بتصحيحه ونشره للمرة الأولى سنة ١٣٤٢ هـ ادارة الطباعة المنيرية » . وقد قام النشر على نسخة خطية مكتوبة بخط نسخ منقوط وأضح القراءة ، على ما يبدو من احدى ورقات المخطوط التي صورت وظهرت في أول الكتاب . ومن أسف ، لم يكشف الناشر عن اسم المخطوط ولا عن المكان الذي حفظ فيه . هذا من جهة ،

ومن جهة أخرى ، فإننا لا نستطيع القول بأن هذا النشر محقق ، فهو لا يبدو أن يكون طبعا للمخطوط كما هو بدون تعليق أو شرح أو حتى تصحيح .

وليس صحيحا أن هذا النشر هو الأول ، كما ذكرت طبعة القاهرة ، إذ أن كتاب مفاتيح العلوم طبع طبعة علمية أخرى منذ أكثر من سبعمائة عام في ليدن ، بتحقيق فان فلوتسن في يناير سنة ١٩٨٥ م ، معتمدا في نشره على خمس مخطوطات \* متخذة مخطوطة ليدن أساسا ، ومراجعا لها على أربع مخطوطات أخرى : ثلاث مخطوطات في المتحف البريطاني ، والرابعة هي مخطوطة برلين التي توجد ضمن مجموعة لاندبرج وقد قدم له الناشر مقدمة ضافية ، وإن لم يذيله بفهرس عام ، كما فعلت نشرة القاهرة ، اكتفاء بالتقسيم الذي ذكره المؤلف في أول الكتاب للمقالات والأبواب والفصول . وقد وقعت نشرة فلوتن في ثلاثمائة وثمان وعشرين صفحة من القطع الكبير ، منها مائتان وست وستون صفحة للنص ، وثلاث وخمسون صفحة للمصطلحات التي وردت في الكتاب ، وتسع صفحات لأسماء البلدان ، عدا مقدمة باللفة اللاتينية في سبع صفحات .

هذا ، وقد نشرت الألفاظ الاصطلاحية التاريخية التي وردت في الكتاب في المجلد السابع من المجلة التاريخية المصرية سنة ١٩٥٨ مضبوطة بحققة بمعرفة الدكتور يحيى الخشاب والمرحوم الدكتور الباز الميرني ، ومقدما لها بقلم المرحوم الأستاذ محمد شفيق غربال . وقد انقرد الدكتور يحيى الخشاب بضبط الفصولين الأول والثاني من الباب الثاني من المقالة الأولى المختص بعلم الكلام : وموضوع الفصل الأول « في مواضع متكلمي الاسلام » ، وموضوع الفصل الثاني « في ذكر أسماء أرباب الآراء والمذاهب الاسلامية » . وأورد شروحا على ما ورد فيها من مصطلحات من كتب : كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي ، وكتاب تبصرة العوام في معرفة مقالات الأنام للسيد المرتضى ، والترجمة العربية لكتاب بيان الأديان ، وكتاب الملل والنحل للشهرستاني ، والترجمة العربية لكتاب شرفنامه ، وكتاب اليزيدية ومنشأ نعلتهم لأحمد تيمور ، وكتاب تاريخ اليزيدية وصل عقيدتهم لمباس المزاي ، وكتاب مختصر كتاب ( الفرق بين الفرق ) للبغدادي ومختصر كتاب الفرق بين الفرق للبغدادي بقلم عبد الرازق بن رزق الله الرسفني ، وكتاب الفهرست لابن النديم ، وكتاب أصل الشيعة وأصولها للشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، وكتاب تنسر ترجمة يحيى الخشاب

عن الفارسية ، وكتاب التبصير في الدين للاسفرائينى وكتاب ناصر خسرو  
( بالفنسية ) ليحيى الخشاب ، وغير ذلك من المراجع .

واشترك الدكتور يحيى الخشاب مع الدكتور الباز العرينى في ضبط  
وتحقيق الفصل الخامس من الباب الثانى من المقالة الأولى أيضا ، وعنوانه  
« في أسامى أرباب الملل والنحل المختلفة » والفصل السادس الذى يتكلم من  
« عبدة الأصنام من العرب وأسماهم أصنامهم » ، والباب الرابع بأكمله ويحتوى  
على ثمانية فصول تتناول الكلام عن الألفاظ التى تستعمل في كتابة الدواوين  
كديوان الخراج وديوان الخزن وديوان البريد وديوان الجيش وديوان  
الضياع والتفقات وديوان المام ، ومواصفات كتاب الرسائل ، وكذلك  
الفصول : الأول والثالث والسادس والثامن والتاسع من الباب السادس الذى  
يتكلم في الأخبار فيذكر ملوك الفرس وألقابهم وملوك اليمن في الجاهلية  
والقباية ، ويذكر بعض الألفاظ التى يكثر جريها في أخبار الفرس وأخبار  
عرب الاسلام وملوك عرب الجاهلية وملوك الروم . وقد قام الدكتور يحيى  
الخشاب بضبط وتحقيق الألفاظ الفارسية ، وقام الدكتور الباز العرينى  
بضبط وتحقيق الألفاظ العربية معتمدين على بعض المراجع العامة .

قلنا ان الخوارزمى كتب كتابه للوزير أبى الحسن عبيدالله بن أحمد  
المتنبى . وقد بين ذلك في المقدمة القصيرة التى قدم بها الكتاب . ومفاتيح  
العلوم — كما يتبين من اسمه — يمد مدخلا للعلوم ومفتاحا لأكثرها .  
ويتحدث عن الألفاظ المصطلح عليها في كل علم ، والتى تواضع عليها  
العلماء واتفقوا على معانيها والمجال الذى تستعمل فيه ، وهى ألفاظ — كما  
يقول الخوارزمى — خلت منها أو من جملها كتب اللغة . وقد تحرى فى  
مصطلحاته « الإيجاز والاختصار ، وتوقى التطويل والاكثار ، وابتمد عن  
ذكر المشهور والمتعارف بين الجمهور ، وكذلك الغامض الغريب الذى يحتاج  
الى شرح طويل وتفسير كثير » .

وقد قسم الخوارزمى « مفاتيح العلوم » الى مقاليتين : تحتوى المقالة  
الأولى على ستة أبواب ، فيها اثنان وخمسون فصلا ، وتحتوى المقالة الثانية  
على تسعة أبواب ، فيها واحد وأربعون فصلا ، وبذلك يكون الكتاب كله  
يحتوى على خمسة عشر بابا ، فيها ثلاثة وتسعون فصلا .

وقد خص المقالة الأولى بالعلوم الأدبية أو ما يغلب عليها روح الأدب  
من فقه وعلم كلام ونحو وكتابة دواوين وشعر وعروض وأخبار . وخص

المقالة الثانية بالعلوم التي تطلب فيها روح العلم من فلسفة ومنطق وطب وحساب وهندسة وعلم النجوم وموسيقى وحيل وكيمياء .

ويبدأ الخوارزمي كتابه بالحديث عن الفقه في الباب الأول من المقالة الأولى ، فيتكلم في أصول الفقه والطهارة والصلاة والصوم . والزكاة والحج وشروطه والبيع والنكاح والدييات والفريضة والنوادر . فهو في أصول الفقه يذكر أنها ستة أصول : ثلاثة متفق عليها وهي الكتاب والسنة والاجماع وثلاثة مختلف فيها وهي القياس والاستحسان والاستصلاح ، وهو في كل ذلك يضع شروحا وتعميمات توضح السبيل لمن يشتغل بعلم الأصول . أما فيما يتعلق بالطهارة ، فيعرف الخوارزمي الماء المضاف ، والماء المطلق ، والماء المستعمل ، وسور الكلب ، والتعري ، والاستنثار . وفي فصل الصلاة والأذان يعرف التثويب والترجييع والتحريم والتشهد . ويتحدث عن الصوم فيعرف القلس والامتكاف ، والفجر الأول ، والفجر الثاني . ثم يعرف - عند الكلام على الزكاة - الورق ، والنصاب ، والركاز ، والكسبة ، وما الى ذلك من أوزان ومكاييل تستعمل في مجال الفرض الثالث من فروض الاسلام . وعندما يتكلم عن الحج يعرف القرآن ، والتمتع ، والافراد ، والاستلام ، والهدى ، والتجوير . وفي الفصل السابع يتكلم عن البيع والشركة ، فيعرف بيع المرابا ، وبيع الغرر ، وبيع المزانة ، وبيع المحافلة ، وبيع النجش ، وبيع المضاربة . ثم يتناول الكلام عن النكاح والطلاق في الفصل الثامن ، فيعرف زواج الشغار ، وزواج المتعة ، وطلاق الطهار ، والايلاء ، والملاحة ، والقرء ، والاستبراء والمحلل . ويتكلم عن الدييات في الفصل التاسع ، فيعرف الغرة والقسامة ، والأرض والشجاج . وفي الفصل العاشر يتكلم في الفريضة فيعرف العصبية ، والكتلة ، والأكدرية ، ثم يعرف التناسخ في مجال الوراثة . وعندما يتكلم عن النوادر في الفصل الحادي عشر يعرف اليمين ، والنكول ، والجرح والعجر والتدبير ، والمكاتب ، والتمجيز ، والرقبي .

وهكذا يسير الخوارزمي فيما يتعلق ببقية أبواب وفصول المقالة الأولى من كتابه ، فيعرف المصطلحات التي ترد في علوم اللغة والكلام والنحو والشعر والمروء والأخبار .

أما المقالة الثانية من « مفاتيح العلوم » فهي - كما قلنا - تتناول الفلسفة والمنطق والطب وعلم العدد والهندسة وعلم النجوم وعلم الموسيقى وعلم الحيل والكيمياء . ويبدأ الخوارزمي مقالته هذه بالكلام في الفلسفة



وقد اعتبرنا من علوم المجم وهي العلوم التي وقف عليها هذا الجزء من كتابه ، وقد قسم الباب الخاص بها الى ثلاثة فصول : تكلم في الفصل الاول من أقسام الفلسفة وأصنافها ، وفي الفصل الثاني من « جمل ونكت من العلم وما يتصل به » ، وفي الفصل الثالث من « ألفاظ ومواضعات يكثر جريها في كتب الفلسفة » . أما فيما يتعلق بأقسام الفلسفة ، فيسبدا الخوارزمي الكلام فيها بأن كلمة الفلسفة مشتقة من كلمة يونانية وهي ليليا سوليا وتفسيرها محبة الحكمة . « ومعنى الفلسفة علم حقائق الأشياء والمعل بها هو أصلح » . ثم قسمها قسمين : جزء نظري ، وآخر عملي والنظري له ثلاثة أقسام : قسم يخص فيه عن الأشياء التي لها عنصر ومادة ويسمى علم الطبيعة . وقسم يخص فيه عن ما يخرج عن العنصر والمادة ويسمى علم الأمور الالهية ، وقسم يخص فيه عن أشياء موجودة في المادة لا عن أشياء لها مادة مثل المقادير والأشكال والحركات ويسمى العلم التعليمي والرياضي . وهذا القسم متوسط بين العلم الأعلى وهو الالهى وبين العلم الأسفل وهو الطبيعي . ثم يتناول الخوارزمي الفلسفة العملية فيقسمها الى ثلاثة أقسام أيضا : القسم الأول هو علم الأخلاق ، والثاني تدبير المنزل ، والثالث السياسة . ويرجع المؤلف مرة أخرى الى الفلسفة النظرية ليذكر الفروع التي تقع تحت أقسامها ، فيذكر أن العلم الطبيعي يندرج تحته علم الطب وعلم الآثار العلوية وعلم المعادن والنبات والحيوان وجميع طباع الأشياء التي تقع تحت فلك القمر ، وكذلك صناعة الكيمياء ويذكر أن العلم التعليمي والرياضي ينقسم الى أقسام أربعة : الأريثماتيقي أي علم العدد والحساب ، والجويطريا أي علم الهندسة ، والأسطرونوميا أي علم النجوم ، وعلم الموسيقى . هذا فيما يتعلق بأقسام العلم الطبيعي والطبيعي والعلم التعليمي . أما العلم الالهى فقد أفرد له الخوارزمي فصلا خاصا به سماه « في جمل العلم الالهى » ، فذكر أن « الله تبارك وتعالى عز وجل هو موجود العالم وهو السبب الأول والملة الأولى وهو الواحد والحق ، وما سواه لا يخلو من كثرة من جهة أو جهات ، وصفته الخاصة أنه واجب الوجود ، وسائر الموجودات ممكنة الوجود » . ثم عرف العقل الفعال بأنه القوة الالهية التي يهتدى بها كل شيء في العالم العلوي والسفلي من أفلاك وكواكب وجماد وحيوان وإنسان . وعرف أيضا العقل الهيولاني ، والنفس ، والنفس الكلية ، والنفس العامة . ويخلص الخوارزمي بمسد ذلك الى الفصل الثالث الذي خصه بالألفاظ التي تذكر كثيرا في الفلسفة

فعرف الهيولى ، والصورة ، والاسطقس ، والكيفيات الأولى ، والمكسان ، والخلام ، والزمان ، والمدة ، والجسم الطبيعي ، والجسم التعليمي ، والتجزؤ الطبيعي ، والتجزؤ التعليمي ، وفتطاسيا التي قال فيها انها القوة المخيلة من قوة النفس وهى التي يتصور بها المحسوسات في الوهم وان كانت هائية من الحس وتسمى القوة المتصورة والمصورة . وعرف أيضا الأرواح عند الفلاسفة ، ورأى أنها ثلاثة أقسام : الروح الطبيعية وتشارك بين الحيوان والنبات ، والروح الحيوانية وتشارك بين الحيوان الناطق وغير الناطق ومكانها القلب ، والروح النفسانية وهى تخص الانسان ومكانها الدماغ ثم عرف الكمون والاستحالة والارادة والمحال والكيان والنواميس .

أما الباب الثانى من المقالة الثانية فقد خصه الخوارزمى بالكلام في المنطق وقسمه الى تسعة فصول : تكلم في الفصل الأول من ايسافوجي أي المدخل ، والثانى عن قاطيفورياس أي المقولات والثالث عن بارى ارمينياس أي العبارة ، والرابع عن أنولوطيقا أي القياس ، والخامس عن أفودقطيقي قطبقى أي البرهان ، والسادس عن طويبقى أي الجدل ، والسابع عن أي البرهان ، والسادس عن طويبقى أي الجدل ، والسابع عن بيوطيقي أي الشمر . ويلاحظ أنه اتبع التقسيم التقليدي لأجزاء المنطق الذى عرف منذ أرسطو وسار عليه فلاسفة الاسلام ، وما كان له ان يفعل غير هذا ، وهو الذى لا يهتم بالموضوع بقدر اهتمامه بالمصطلحات الواردة في العلم .

وقد تناول المؤلف في الباب الثالث من هذه المقالة موضوعات الطب في سبعة فصول : فتكلم في الفصل الأول من التفسير كما حالج الاسراض والأدواء والأغذية ثم الأدوية المفردة والمركبة وأوزان الأطباء ومكاييلهم في بقية فصول هذا الباب . وقد عرف الشرايين والمروق والمضلات والأعصاب والمشيمة والشبكية والقرنية والاثنى عشر وغيرها ، كما عرف من الأمراض السمنة والهبرية والبهق والصفى والقوباء والجذام والسحج والسرطان والصرع واليرقان ، كما تكلم عن الأدوية المفردة فقال : انها اما نباتية وهى ثمر أو جذور أو زهر أو ورق أو قضبان أو أصول أو قشور أو عصارات أو اللبن أو صمغ ، واما معدنية ، واما حيوانية ، وشرح الأفاقد والسنبيل الهندي والميعة والساذج والضرو والمنطايانا والبيروج وعصا الراعى وعنب الثعلب ولسان الثور .

وفي الباب الرابع تعرض الخوارزمي لموضوعات الأريثماتيقي ، فعرف  
الكمية المفردة والكمية المضافة والأعداد والنسبة وحساب الهند وحساب  
الجمل ومبادئ الجبر والمقابلة •

وتناول في الباب الخامس الهندسة وعالج موضوعاتها في أربعة فصول  
الاول في مقدسات الصناعة والثاني في الخطوط ، والثالث في البساط ،  
والرابع في المجسمات •

وتحدث في الباب السادس عن علم النجوم ، فعرض أسماء النجوم  
السيارة والثابتة وصورها وتركيب الأفلاك وآلات المنجمين كلاسطرلاب  
وأنواعه المختلفة من هلالى وكروى وزورقى وصدفى وغيرها •

وخص الباب السابع بالموسيقى وآلاتها وإيقاعاتها •

والباب الثامن بالحيل من نحو جر الأثقال بالقوة الهسيرة وآلاته ،  
وآلات الحركات •

وختم الخوارزمي كتابه بالباب التاسع من المقالة الثانية وخصه  
بالكيمياء وقسمه الى فصول ثلاثة : فصل في آلات الصناعة ، وآخر في  
المقايير والأدوية من الجواهر والأحجار ، وثالث في تدبيرات هذه الأشياء  
ومعالجتها •

والخوارزمي في جميع فصول كتابه يعرف المصطلحات تعريفات مختصرة  
أحيانا ، أو تعريفات تقرب من الشروح أحيانا أخرى ، وإن كان الى المنهج  
الأول أميل • وهو في تعريفاته على العموم يراعى الدقة والإيجاز ويضع  
اللفظ في مكانه المناسب ويستخدم التعبيرات العلمية •

ومما لا شك فيه أن الخوارزمي في كتابه « مفاتيح العلوم » يعد من  
العلماء المستقرئين ذوي الإطلاع الواسع والقراءة الشاملة ، فقد اطلع على  
ما كتبه غيره من علماء وفقهاء وفلاسفة ومتكلمين ، واستخلص تعريفاته  
من مجالات استعمالهم لها ، وهذا شأن من يريد أن يبرز المصطلح العلمى في  
العقل الثقافى . فهو يهتم أساسيا بما تواضع عليه علماء كل علم وبحسب  
اصطلحوا عليه ، وباللفظ الذى نال حياء في كتاباتهم ، ثم يسجل هذا كله  
في قاموس مصطلحاته • فالمهمة الأساسية لواضع القاموس الاصطلاحي هي  
التسجيل بالاضافة الى الثقافة الواسعة والتزام المنهج العلمى في التبويب ،  
وهو ما نلاحظه في كتاب مفاتيح العلوم وما يبدو واضحا في فصوله المختلفة  
فانه يذكر المصطلح الواحد في أماكن متفرقة في كتابه حسب التبويب الذي  
سار عليه ، ويفرق - بالطبع - بين استعماله عند طائفة من أهل العلم وبين

طائفة أخرى غيرهم . فهو في الفصل الأول من الباب الثاني من المقالة الأولى الذي خصه بالكلام عن « مواضع متكلمي الاسلام » يذكر تعريف الشيء عند المتكلمين بأنه « ما يجوز أن يخبر عنه وتصح الدلالة عليه » . وفي مكان آخر من الكتاب يذكر أن « الشيء في كلام أهل الجبر والمقابلة هو الجذر المجهول » ، وذلك في الفصل الخامس الذي كان عنوانه « في وجوه الحسابات » من الباب الرابع من المقالة الثانية عند الكلام في الأريثماتيقي .

ويعرف « المعلوم » - عند المتكلمين - بأنه « ما يصح أن يقال فيه هل يوجد ، والمعلوم هو المنتفى الذي ليس بكائن ولا ثابت » ، ويقول بصدده - في مجال الكيمياء - أن الخارصيني جوهر غريب شبيه بالمعلوم » .

ويعرف « الجوهر » عند المتكلمين - بأنه « المحتمل للأحوال والكيافيات المتضادات » ويعرفه - عند الفلاسفة - بأنه « كل ما يقوم بذاته كالسماء والكواكب والأرض وأجزائها والماء والنار وأصناف النبات والحيوانات وأعضاء كل واحد منها » .

ويذكر معنى « الاسم » - عند النحويين - بأنه أحد أجزاء الكلام الثلاثة . ثم يذكره - عند المنطقيين - بأنه « كل لفظ مفرد يدل على معنى ولا يدل على زمانه المحدود ، كزيد وخالد » .

ويعرف « الخط » - عند المتكلمين - بأنه « المجتمع من الجواهر طولاً فقط » ، ويقول - عند الكلام في الأعداد المسطحة والمجسمة - « أن الواحد بمنزلة النقطة لأنه لا ينقسم ، الاثنان بمنزلة الخط لأنهما لا ينقسمان إلا مرة واحدة ، كما أن الخط لا ينقسم إلا طولاً » . وفي مجال علم الجغرافيا يعرف خط الاستواء قائلاً : « أن خط الاستواء من الأرض هو الخط الذي يقابل معدل النهار ، وهو حيث يرى القطبان الجنوبي والشمالي ملاصقين للأرض ، والليل والنهار مستويان فيه أبداً » . وعند الكلام « في آلات التنجيم » يقول : « أن خط الاستواء هو الخط المقسوم الأخذ من المشرق إلى المغرب المار على مركز الصحيفة - وخط نصف النهار هو الخط الذي يقطع خط الاستواء على زوايا قائمة وابتداءً من العروة » .

يعرف « الرجمة » - عند الشيعة - بأنها عند بعضهم « رجوع الإمام بعد موته » ، وعند بعضهم الآخر « رجوعه بعد غيبته » . ويقول عنها عند علماء الفلك - « بأن رجوع الكواكب ورجعتها هو سيرها طولاً على خلاف نضد البروج » ويعرفها - في الفاظ ديوان الكتابة - بأنها « حساب يرفعه المظلي في بعض العساكر بالنواحي لطمع واحد إذا رجع إلى الديوان

و « الرجعة الجامعة يرفعها صاحب ديوان الجيش لكل طمع من صنوف  
الاتفاق » .

ويعرف « الردف » - في علم العروض - بأنه « حرف لين قبل  
الروى مثل ياء ... » ويعرفه - في علم الأخبار - بأنه « هو خليفة ملك  
الحيمة وكان له المرباع من الغنائم وكان يجلس على يمين الملك ويشرب  
بعده قبل الناس كلهم ، والردافة هي الخلافة » . ويقول عنه - في المنطق  
بأن « النتيجة ما ينتج من مقدمتين كقولك : كل انسان حى ، وكل حى  
نام ، فنتيجة ما بين المقدمتين : كل انسان نام ، ويسمى الردف أيضا » .

ويعرف « الضرب » - في علم العروض - بأنه « الجزء الاخير من  
البيت » ، ويعرفه - في الأريثماتيقي - بأنه « تضعيف أحد العددين بأحد  
الأخر » .

ويعرف « العرض » - في الفلسفة - بأنه « ما يتميز به الشيء من  
الشيء لامن ذاته ، كالبياض والسواد والحرارة والبرودة ونحو ذلك »  
ويعرفه - في علم الكلام - بأنه « أحوال الجواهر ، كالحركة في المتحرك ،  
والبياض في الأبيض ، والسواد في الأسود » .

ويعرف « القلس » - في الفقه - بأنه « ما خرج من العلق ملء  
الغم أو دونه » ، ويعرفه - في علم الحيل - بأنه « الحيل الفليظ السدى  
تقصد به السفن وغيرها » .

ويعرف « القول » - في الفقه - بأنه « ما روى عنه صلى الله عليه  
وسلم انه قال » ، ويعرفه - في المنطق - بأنه « ما تركيب من اسم » .

ويعرف « الوضع » - عند كتاب ديوان الجيش - بأن « يخلق على  
اسمه فيوضع من الجريدة » ، وهو - في المنطق - « اسم للمقولة السابعة  
ويسمى النسبة وهى مثل القيام والقعود ... » .

هذه بعض المصطلحات التى وردت في كتاب « مفاتيح العلوم » والتى  
تستعمل في علوم مختلفة ، سقناها للدلالة على مدى الدقة التى وصل  
اليها المصطلح العلمى عند القدماء ، ومدى وضع المعنى الاصطلاحى في  
تعبير موجز دال ، ومدى أهمية كتاب الخوارزمى في محاولة دراسة شاملة  
للمصطلحات العلمية عند العرب . وان المتأمل فيها ليروجه تلك العقليّة  
الفذة التى كان لها اثر واضح في كل مجالات العلم الموضوعية وكيف  
امتد هذا الأثر الى المجال الاصطلاحى .

## منتخبات من الكتاب

١ - في أصول الفقه : أصول الفقه المتفق عليها ثلاثة : كتاب الله عز وجل ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإجماع الأمة .  
والمختلف فيها ثلاثة : القياس ، والاستحسان ، والاستصلاح . فأما كتاب الله سبحانه ، فإن سبيل الفقيه أن يعرف تأويله ووجوه الخطاب فيه من الخصوص والعموم ، والناسخ والمنسوخ ، والأمر والنهي ، والاباحية والحظر ، ونحوها مما شرح في التفاسير وكتب الدين . وأما سنة الرسول صلى الله عليه وسلم فهي ثلاثة أضرب : أحدها القول ، والثاني الفعل ، والثالث الإقرار . فالقول ما روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال . والفعل ما روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه فعله . والإقرار ما روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه أقر عليه قوله ولم ينكره عليهم . ثم من الأخبار ( خبر التواتر ) وهو ما رواه جماعة من الصحابة وقد اتفق عامة الفقهاء على قبوله ، ومنها ما هو خبر الواحد وهو ما يرويه الرجل الواحد من الصحابة وأكثر الفقهاء يقولون بقبوله على شرائط يطول الكلام بذكرها . ومن الحديث ما هو متصل ، وهو الذي رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم واحد من آخر من غير أن ينقطع ، والمرسل والمنقطع ما يرويه أحد التابعين الذين لم يروى النبي صلى الله عليه وسلم ، مثل الحسن البصري وابن سيرين وسعيد بن المسيب ، ويقول : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من غير أن يذكر من حدث به عنه - وقد قبله كثير من العلماء وزينه بعضهم . وأما الإجماع فهو اتفاق الصحابة من المهاجرين والأنصار ، وكذلك اتفاق العلماء في الأمصار في كل عصر دون غيرهم من العامة . وأما القياس فقد قال به جمهور العلماء غير داود بن علي الأصفهاني ومن تبعه . والقياس نوعان : قياس حلة ، وقياس شبه . فقياس الحلة أن تجمع المقيس والمقيس به حلة ولكن يقاس به على طريق التشبيه . وكثير من الفقهاء لا يفرقون بينهما . وطرد الحلة هو أن تجعل مطردة في جميع معمولاتها . وأما الاستحسان فهو ما تفرد به أبو حنيفة وأصحابه ، ولذلك سماه أصحاب الرأي : ومثال ذلك جواز الحمام وإن كان ما يستعمل فيه من الطين والماء مجهول المقدار . وقيل : الاستحسان هو قياس ، لكنه خفي غير جلي . وأما الاستصلاح فهو ما تفرد به مالك بن أنس وأصحابه ومثاله ما أجازه من تعامل الصيارفة وتبايعهم الورق بالورق والمعين بالمعين بزيادة ونقصان ، وإن كان ذلك محظورا على غيرهم لما فيه من الصلاح للعامة .

٢ - أيس هو خلاف ليس • قال الخليل بن أحمد : ليس إنما كان لا في أيس ، فأسقطوا الهمزة وجعلوا بين اللام والياء ، والدليل على ذلك قول العرب : ايتنى بكذا من حيث أيس وليس •

٣ - في ذكر أسامي أرباب الآراء والمذاهب من المسلمين وهى سبعة مذاهب : أحدها المعتزلة ويتسمون بأصحاب العدل والتوحيد وهم ست فرق • والمذهب الثاني الخوارج وهم أربع عشرة فرقة • والمذهب الثالث أصحاب الحديث وهم أربع فرق ، والمذهب الرابع المجبرة وهم خمس فرق • والمذهب الخامس مذهب المشبهة وهم ثلاث عشرة فرقة • والمذهب السادس المرجئة وهم ست فرق • والمذهب السابع مذهب الشيعة وهم خمس فرق •

٤ - في وجوه الأهراب على مذهب فلاسفة اليونانيين - الرفع عند أصحاب المنطق من اليونانيين واو ناقصة : وكذلك الضم وأخواته المذكورة والكسر وأخواته عندهم ياء ناقصة • والفتح وأخواته عندهم ألف ناقصة وان شئت قلت الواو الممدودة اللينة ضمة مشبعة والياء الممدودة اللينة كسرة مشبعة والألف الممدودة فتحة مشبعة وهى هذا القياس • الروم والاشمام نسبتها الى هذه الحركات كنسبة الحركات الى حروف المسند واللين أعنى الألف والواو والياء •

٥ - قانون الخراج أصله الذى يرجع اليه وتبنى الجبابة عليه وهى كلمة يونانية معربة الرزنامج تفسيره كتاب اليوم لأنه يكتب فيه ما يجرى كل يوم من الخراج أو نفقة أو غير ذلك • الموافقة والجماعة حساب جامع يرفعه العامل عند فراقه من العمل ولا يسمى موافقة ، ما لم يرفع باتفاق بين الرافع والمرفوع اليه فان انفرد به أحدهما دون أن يوافق الآخر على تفصيلاته سعى محاسبة •

٦ - القيم ما يؤخذ من أرض العنوة ••• الخراج ما يؤخذ من أرض الصلح ••• المعشر ما يؤخذ من زكاة الأرض التى أسلم أهلها عليها والى أحيائها المسلمون من الأرضين أو القطائع •• صدقات الماشية هى زكاة السوائم من الإبل والبقر والغنم دون العوامل والمعلوفة •

٧ - التسبيب أن يسبب رزق رجل على مال متعذر ليعين المسبب له العامل على استخراجها فيجمل وردا للعامل وإخراجا الى المرتزق بالعلم

الحبة سدس سدس مثقال ، وان شئت قلت ربع تسع مثقال ، والدينار ست وثلاثون حبة ، والشميرة ثلث الحبة ، والدينار مائة وثمان شميرات والشميرة ثلث ربع تسع مثقال ، وقد تختلف هذه المقادير باختلاف البلدان لكن ذكرت ما هو أهم وأشهر .

٨ - الترصيع أن يكون الكلام مسجماً متوازن المباني والأجزاء التي ليست بأواخر الفصول مثل قول أبي البصير : حتى عاد تمرضك تصريح وتمرضك تصحيحاً ... التضريس هو ضد الترصيع وهو أن لا تراعى توازن الألفاظ ولا تشابه مقاطعها ... المضارعة أن يكون شبيهاً بالاشتقاق ولا يكونه ، كما قال بعضهم ما خصصتني ولكن خستني .

٩ - المروض هو الجزء الأخير من النصف الأول من البيت وهي مؤنثة ، وبها سمي علم المروض لأنه ان حرف نصف البيت سهل تقطيعه . الضرب هو الجزء الأخير من البيت ... السبب الخفيف حرفان أولهما متحرك والثاني ساكن مثل قد وعلامته ١٥ والسبب الثقيل حرفان متحركان مثل أر وعلامته ٥٥ وذلك أن علامة الحركة عند المروضيين حلقة كالهاء وعلامة الساكن خط كالآلف .

١٠ - المرازبة جميع المرزبان وهم من وراء الملوك ، وهم ملوك الأطراف ، ومرز هو الحد بالفارسية مرزبان وهو صاحب الحد ، وكانت الفرس تسمى صاحب النهر أعني جيحون مرز توران أي حد الترك . وكان أهل خراسان يسمونه مرز ايران أي حد العراق .

١١ - الله تبارك وتعالى وعز وعلا هو موجد العالم وهو السبب الأول والعلّة الأولى وهو الواحد والحق وما سواه لا يخلو من كثرة من جهة أو جهات وصفته الخاصة أنه واجب الوجود وسائر الموجودات ممكنة الوجود ... العقل الفعال هو القوة الإلهية التي يهتدي بها كل شيء في العالم العلوي والسفلي من الأفلاك والكواكب والجماد والحيوان غير الناطق والإنسان لاجتلاب مصلحته وما به قوامه وبقاؤه على قدر ما تنهيا له وعلى حسب الامكان ، وهذه القوة التي في الأشياء التي في العالم المادي الطبيعي تسمى الطبيعة ... العقل الهيولاني هو القوة في الإنسان وهي في النفس بمنزلة القوة الناطقة في المين : والعقل الفعال لها بمنزلة ضوء الشمس للبصر ، فإذا خرجت هذه القوة التي هي العقل الهيولاني إلى الفعل تسمى العقل المستفاد .



١٢ - الشرايين هي المروق النابضة ، راحدها شريان ، ومنبتها من القلب تنتشر فيها الحرارة الفريزية أى الطبيعة وتجرى فيها المهجة وهى دم القلب . وأما المروق غير النابض فمنبتها من الكبد ويجرى فيها دم الكبد . ومن الشرايين الأبهريان وهما يخرجان من القلب ثم يتشعب منهما سائر الشرايين .

١٣ - الترياق مشتق من تريون اليونانية ، وهو اسم لما ينهش من الحيوان كالأفاعى ونحوها ويقال له بالعربية أيضا الدرياق... السكنجبين هو المركب من الخل والمسل ثم يسمى بهذا الاسم وإن كان مكان المسسل سكر ومكان الخل رب السفرجل أو غيره .

١٤ - علم النجوم يسمى بالعربية التنجيم وباليونانية اصطنوميا واصططرو النجوم ونوميا هو العلم .

١٥ - علم الهيئة هو معرفة تركيب الأفلاك وهيئتها وهيئة الأرض... فلك البروج هو الدائرة التى ترسمها الشمس بسيرها من المغرب الى المشرق في سنة واحدة وهو مقسوم اثني عشر قسما ويسمى البروج .



# ما وراء اللغز

للدكتور: يحيى عبدالرؤف جبر

تسمى بهذه العبارة ما تنبئ عنه اللقمة من خلال التعبير في العلاقات القائمة بين الفاظها وميلولاتها ، من أمور كانت وما تزال موضوع مناقشات شتى ، كاختلاف حول ما إذا كانت اللغز توقيفا أو اصطلاحا ، الأمر الذي تجده في مصنفات ابن فارس ، وابن جني وغيرهما . وابن نقف العربية من « اللهجات » السامية بل من « لغات » كثير من الأمم . إلى غير ذلك من الأمور ، وسننقل إلى مستطاب هذا الموضوع عبر البحث في الفاظ الجهات الرئيسية ودلالاتها والعلاقة بينها .

لقد تنبأ المتكلمون إلى جوانب من العلاقة بين الإنسان والكون ، يحسن أن توصف بأنها خيبيية أو حلسية ، ذلك أنها قائمة على مفارق سطحية ، منها نظرية العناصر الأربعة والأمزجة الأربعة ، ويعتذر لهم بقصور عصرهم عن بلوغ مستوى هذا العصر في التسويع العلمي والفكري . ومنهم من ذهب إلى أن العالم ، آك الكون هو صورة أخرى للإنسان وأن الأجزاء في كليهما متناظرة ( المقدسي في البدء والتاريخ ) فالعينان والشمس هما سبيلا الرؤية ، واليدان من الإنسان هما القطبان من الكون ، والقفا هو المغرب والتراب هو اللحم والجسارة تناظر العظم ، والماء الدم ، وغير ذلك مما لا يغفى عن طلبه . وسنكشف فيما بعد ، من حقيقة ترشح هذا المذهب .

وإذا كان الزمان فصولا أريمة ، وكان بين الفصول ما ينسب في طبعه الى طبيعة الفصلين اللذين يمتد بينهما ، وكان الزمان ذا حدود وعلامات دقيقة من ثانية الى دقيقة فساعة فيوم فاسبوع فشهـر فعام ... وإذا كان نهاره غير ليله في طبعه ، فإن المكان أقسام ونواح أربع هي المشرق والمغرب والشمال والجنوب ، وبين كل جهتين متواليتين جهة ، بل جهات فرعية تنسب الى كلتا الجهتين تبعا الى قربهما من احدهما . ويقسم المكان درجات طولاً وعرضاً ، يحدد بها وتقوم علامات عليه كاجزاء الزمان . وإذا كان ما بين حدي كل فصلين متواليين من فصول الزمان تسعين يوماً ( أو تسعين وحدة زمنية ) فإن ما بين حدي كل جهتين متواليتين تسعون درجة ( أو وحدة مكانية ) .

وقل مثل ذلك في الانسان حيث تليه أربع اتجاهات هي القبـل والدبر واليمين وبـالاحـظ القارئ أننا أهـفـلنا جهتي الفـوق والسـفل من الكون ، ومن الانسان ، كما أهـفـلنا مثل ذلك في الفصول ، حيث هي ستة أيضاً ، ذلك أن التقسيم الشائع قاصر على طبائع الجو نهاراً ، أما ترى أن ليل الصيف كنهـار الربيع ، وليل الربيع كنهـار الشتاء الخ ... ولتوضيح ذلك نقول : ان الشمس تمر في ثلاث « محطات » تطوق الأرض مرضا هي المداران وخط الاستواء ، فتكون الطبائع الأرضية في « حال ما » عند مرورها بأحدى المحطات ، فهي اذا « ثلاث أحوال » غير أن هذه الأحوال ليست لكل الكرة ، إنما هي للنصف الطولي المشرق . فإذا احتسبنا النصف الآخر ، كانت ست أحوال ، أي ستة فصول .

وسبب هذا الأهـفال ، أن الكون كروي ، وليس في الكرة فوق وتحت ، ثم أن الجهات الأربع تحدد بعلامات تقوم عليها هي المشرق والمغرب وما من يمين ممتد ما بينهما وما من شماله ، على المكس من الجهتين الآخرين ، حيث لا يقوم الدليل عليهما الا بالحساب . وسبب أهـفالنا فصلين ، راجع الى أن الشمس تمر « بمنحطة » خط الاستواء مرتين يتجم عنهما أربع أحوال كل اثنتين منها متشابهتان ، الأمر الذي يـسـوـغ أهـفال اثنتين . وقل في الانسان ما يقال في الكون ، حيث أن انتقاره على الأرض كروي أيضاً .

وأن التناظر والترابط بين الأربعـات السابقة واردة ، وتوجيه ذلك على النحو التالي :

الصيف : العامل فيه الشمس المشرقة (المشرق) = قبل الانسان وميناء .

الخريف : العامل فيه ميل الشمس عن سمت المكان ( جنوب أو شمال ) =  
جنب الانسان .

الشتاء : العامل فيه ابتعاد الشمس أكثر عن سمت المكان ( غرب ) :  
قفا الانسان ، حيث انها تكون كالفاربة عنه .

الربيع : العامل فيه عودة الشمس الى وضعها في الخريف ( شمال  
أو جنوب ) : جنب الانسان .

وتختلف طبائع الفصول ، وكذلك طبائع الجهات ووجهات الانسان ،  
وفي بلاد العرب تلتقي معظم الطبائع ، فالشتاء بارد الا أن تهامة تكون دافئة  
فيه ، والصيف حار ، الا أن المنطقة من الطائف الى عدن تكون معتدلة فيه ،  
وامطار الشتاء تهطل على شمالها الى وسطها ، وامطار الصيف تهطل على  
جنوبها الى وسطها أيضا ، ولذلك ، رأيت أهل وسطها ، ولا سيما أهل مكة  
يتجهون للتجارة في الشتاء جنوبا الى اليمن ، وفي الصيف شمالا الى الشام ،  
ليس اتقاء للمطر أو البرد أو الحر وحسب ، ولكن طلبا للمعاصيل التي  
تنتجها تلك البلاد ، عقب موسم المطر السابق على أوان الرحلة ، ولذلك من  
الله عليهم أن سخر لهم تلك الطبائع في قوله : « لايلاف قريش ايلافهم ،  
رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا رب هذا البيت ، الذي أطعمهم من جوع  
وأمنهم من خوف » صدق الله العظيم .

أما اختلاف طبائع الجهات ، فليس أدل عليه من ملاحظة ما يحدث فيها  
فالشرق مبعث الضوء والنور من الشمس والقمر على التوالي ، ومبعث المرفة  
والالهام والوحي والفلسفة التي تضيء الروح وتسمو بالانسان . والغرب  
مغرب الشمس ، ومصدر الظلام ومصدر المادية التي تجذب الانسان الى  
الأرض .

أما الشمال والجنوب ، فالاختلاف بينهما ظاهر في تقاطيع الأرض  
وتضاريسها فالإباسة في نصف الكرة الجنوبي أقل بكثير من الماء فيه ، ومن  
اليابسة في النصف الشمالي ، وطبائع الأرض اوالبحر هنا وهناك ليست  
واحدة ، أما ترى العلماء يقولون : إن حيتان نصف الكرة الجنوبي لا تنتقل  
الى نصفها الشمالي . أما السماء ، فنجوم النصف الجنوبي غير نجوم النصف  
الشمالي ، سواء في توزيعها أو في لوانها أو غير ذلك . وقل مثل ذلك في  
طبائع الجهات ، ولنأخذ مثلا لذلك بلاد العرب وهي مقصودة بهذا الأمر دون  
غيرها ، حيث نجد أن جنوبها خير من شمالها في طبيعته ، وأن الرياح التي تهب

من جنوبها خير من التي تهب من شمالها ، وهذه مسألة أتبناها وأدافع عنها  
بالدليل الخامس .

أما جوانب الانسان الأربعة فهي كسابقتها في اختلاف طبائنها وفي  
ما أوجده الله فيها من جوارح . ففي قلبه عيناه ؛ وهما شمس ، ومعظم  
حواسه ، وسبيلاه الى التناسل والبقاء . وفي قفاه « مقرب » شمس حيث  
لا يرى ولا يرى ما يليه ، الا يمرأ تكون كالقمر اذا حجب الأفق الغربي  
الشمس . وفي شقه الأيمن كبده ومرارته بينما قلبه في شقه الأيسر ، ويمناه  
( جنوبه ) خير من شماله ( شماله ) على نحو ما ستفصله فيما بعد .

والفصول والجهات والطبائع أمور نسبية ، فما هو الى الشمال منك  
يكون إلى الشرق من غيرك أو الى الجنوب منه ، وهكذا ، وما هو عن يمينك  
يكون ، كذلك ، عن يسار غيرك أو من ورائه ، والصيف هنا ربيع هناك .  
وشتاء هنا وصيف هناك ، وحر هنا وبرد هناك ؛ وهكذا . وكذلك الزمان  
سمثلا في جزئه الأعظم ، وهو اليوم ، بليله ونهاره فالساعة الآن السابعة  
صباحا ، هنا ، وهي السابعة مساء ، هناك ، أو أقل ، أو أكثر . فالآن  
ليل ونهار ، وما الزمان الا ليل ونهار متحركان أبدا . وسبب انتظامهما  
وازدواجهما هو أنهما يتحركان على محيط دائرة ( الكرة ممددة ضخم من  
الدوائر ) ولولا ذلك لكان الزمان أكثر من يوم وليلة . وأنت ترى أن بين  
كل اثنين متوالين من الفصول أو الجهات أو الليل والنهار ، أو الطبائع  
ما ينسب اليهما ويأخذ منهما كالحال آخر النهار الى دخول الليل ، وآخر  
الليل الى ارتفاع الشمس فوق الأفق الشرقي ، حيث لا يكون الضوء خالصا ،  
ولا الظلمة خالصة ، وإنما هي ظل من ضياء وظلمة . ويمكن القول عتب  
ذلك كله ان لكل من الأربعات السابقة حدين اثنين وحسب ، وما لاثنان

الأخران الا حلقتي وصل بينهما ، فيهما من طبائهما ما يجمعهما وسطا  
بينهما ، غير أنهما تتدرجان في طبيعتهما بالنسبة الى مبدأ الحركة فيهما تجاه  
ما يليهما . ويسهل تصور ذلك بالتمثيل بالليل والنهار أي الظلمة  
« الخالصة » والضوء « الخالص » ، حيث يربط بينهما ظل الفجر الى الشروق ،  
وظل الطفل الى الغروب . والظل خليط من الضياء والظلمة ، غير أن بداية  
ظل الفجر أدنى الى الظلمة ، وبداية ظل الطفل أدنى الى النور ويزداد الضوء  
في ظل الفجر كلما دنا الشروق ، وكذلك الظلمة في ظل العشى كلما دنا  
الغروب حتى يستحيل الأول ضياء ، فيكون النهار ، والآخر ظلمة فيكون  
الليل .  
وستعقب فيما يأتي ، الألفاظ التي تعبر عن الجهات الأربع ،

وما يناظرها في بدن الآدمي ، وما توحى به العلاقات القائمة بينها وبين  
نظائرها ومدلولاتها من علم وحقائق .

الفاظ الجهات هي الشرق ، أو المشرق والغرب أو المغرب ، والشمال  
والجنوب ونظائرها في الخلق الآدمي القبل أو القدام والظهر أو الخلف والجنب  
الأيمن والجنب الأيسر أو الأضام .

وقد ظهرت الألفاظ التي يعبر بها عن الجهتين المعلم عليها بالشمس  
قبل غيرها ذلك أنها تعكس دالتين تقعان على حدثين ليس أجل منهما في  
أثرهما ، وهما الى ذلك يمثلان الحياة والموت ، وتقصده بهما الشروق  
والغروب . وأنت ترى أن اثنتين منهما صيقتا في مبنى اسم المكان . حيث  
يعلم بالموضع أو الاتجاه الذي يكون منه شروق الشمس ، على جهة الشرق ،  
وبالموضع أو الاتجاه الذي يكون فيه غروبها على جهة الغرب . وكل مادة  
تبدأ بشين فراء فهي تنصرف لدلالة تقع على معنى الخروج والظهور ، وكل  
مادة تبدأ بفين فراء أو غين وحسب فهي لدلالة تنصرف لمعنى الاحتجاب  
والاختفاء ، ولك أن تقلب ما في ذاكرتك من المفردات لتقف على هذه  
الحقيقة .

ولما كان اعتماد الانسان قديما على حسه أكثر من عقله ، وكان الشروق  
والغروب يدركان بحاسة البصر ، وكانت هذه الحاسة أشد الحواس توجيها  
للانسان وتأثيرا على معارفه وعلموه ، فقد أدى ذلك الى ظهور تلك الألفاظ  
في اللغات منذ أمد بعيد وقبل الألفاظ التي يعبر بها عن الشمال  
والجنوب (١) .

وكان الناس والعرب أقصد ، يعبرون عن جهتي الشمال والجنوب  
دائما وغيرهما أحيانا بالظروف المبهمة مضافة الى علم ما ، كان يقولوا : دون  
كذا ، أو قبل كذا ، وتلقام كذا ( تلقام مدين ) وشطر كذا « شطر المسجد  
الحرام » وعن يمين أو شمال كذا . الخ ، ويدلنا على هذا ، أن أدب  
الجاهلية وصدر الاسلام ، والقرآن الكريم جاءت خالية من الفاظ مفردة  
يعبر بها صراحة عن تينك الجهتين ، على العكس من الجهتين الآخرين . ذلك  
أن الشمال والجنوب انما يدركان بالحساب ، ثم أنهم كانوا يعبرون عنهما  
بذكر الجدي أو الحوت ، للشمال ، وسهيل للجنوب ، كان يقولوا شق الجدي ،  
أو اتجاه الحوت أو نحو ذلك ، غير أن هذا الأسلوب قد ظهر عقب الاسلام ،  
وأكثر وروده في كتب الحساب والرحالة من الجغرافيين . وقد يبادر قارئ  
فيقول : « ان كلمتي « الشمال والجنوب » كانتا معروفتين عند العرب

قديمًا ، فاقول نعم ، لكن لدالتين مختلفتين ، الأمر الذي منبث في فيما بعد . وقد استخدم العرب في التعبير عن الجهتين اللتين يعبر عنهما بطولوح الشمس وغروبها الألفاظ التالية :

( ١ ) « شرق » وقد وردت منسوبًا إليها في القرآن الكريم حيث قوله تعالى : « وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا » ( ٢ ) .  
 ( ب ) « غرب » وقد وردت منسوبًا إليها في القرآن الكريم أيضا ، حيث قوله تعالى : « وَمَا كُنْتُمْ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِلَّا قُضِينًا إِلَى مُوسَى الْأَمْرِ » ( ٣ ) .  
 ( جـ ) « المشرق والمغرب » وقد وردا في قوله تعالى : « وَفِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فَأَيُّمَا تَوَلَّوْا فَوَجْهُهُ أَقْبَا ، إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَالِيمٌ » ( ٤ ) أي مافيهما .  
 ( هـ ) « المشرقين والمغربين » وقد وردا في قوله تعالى : « رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ » ( ٥ ) ، وقد قيل هما مشرقا الشمس ومغربها صيفا وشتاء .  
 وقيل : « بَلْ هُمَا مَشْرِقَا الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَمَغْرِبَاهُمَا » ( ٦ ) .

( زح ) « المشارق والمغارب » ، وقد وردتا في قوله تعالى : « وَأَوْزَنَّا الْقَوَامَ الثَّالِثَ كَأَنَّا نُسْتَضْمِقُونَ مَقَارِقَ الْأَرْضِ وَمَقَارِبَهَا » ( ٧ ) ، قيل هي مشارق الشمس ومغربها في أيام السنة وتكون ما بين مشرقها الصيف والشتاء ومغربها ، وهي نحو من ثمانين ومائة مشرق ومغرب ( ٨ ) ، وقد كثر استخدام هذه المفردات بعد الإسلام تأثرا بالنص القرآني ، ولا سيما عقب اتساع الدولة الإسلامية ، ومن ذلك قول أسماء بن خارجة الفزاري : ( سريح ) ما أصبحت في شر أخبية

ما بين شرق الأرض والغرب ( ٩ )

ومن ذلك قول حوف بن معلم يمدح المأمون : ( رجـ )  
 وابن الذي دان له المشرقاً م ن طرا ، ودان له المهربان  
 وينظر المشرق في العبرية « *מזרח* » مزارح ، وإزاء قريسا من « مسرح » بجهز السنين لغزائم شدة الضوء ، أي حيث تبدأ الشمس سروحها ، وفي التقرية « *Chargu* » وهي سوام والشرق . أما « المغرب » فيناظرها في العبرية « *מערב* » مغراف ، وفي السريانية « *ܡܡܪܝܬ* » مغربا ، وفي هذا التناظر إشارة إلى اتفاق الساميين في اشتقاق الكلمات الدالة على تينك الجهتين من مادتي « شرق وغرب » في معظم لغاتهم .

أما الكلمتان : شمال وجنوب فلم تعرفا لدالتيهما على الجهتين اللتين تتعاون تجاه القطبين متعامدتين مع جهتي المشرق والمغرب — إلا بعد القرن الهجري الثاني بعد ما اتسمت رقعة الدولة الإسلامية ، واستقر العرب في البلدان المفتوحة ، ونشطت حركة الترميم والترجمة ، الأمور التي أدت إلى ضرورة البحث عن لفظين يخصصان بتينك الجهتين ، سوام كان ذلك ناجما

من حاجة الناس اليهما في تحديد المواقع ، أو نتيجة لازدهار علم الفلك .  
وقد تمخض عن ذلك التحول الى استخدام الكلمتين ( شمال وجنوب )  
لدالتين تجاوزان دلالتيهما على الريحين اللتين تهبان من قبل الشام واليمن .  
**الشمال والجنوب ( الريحان )**

لم ترد هاتان الكلمتان في شعر الجاهلية وصدر الاسلام لدلالة على غير  
الريحين اللتين تهبان من قبل اليمن والشام . ولم تزد في القرآن الكريم  
قط . وأول ما وردتا لدلالة على الجهتين في أنواء ابن قتيبة المتوفى سنة  
٢٧٦هـ . وإنما كان عرب الجزيرة يميزون عن تينك الجهتين بمنسوب  
أو ذي علاقة لفظية بالشام واليمن . وقد تفيرت دلالتا الكلمتين ، وانفتح  
اطارهما فأصبحتا تستوعبان الجهتين الى جانب الريحين المذكورتين ، ذلك  
لملاقة الظرفية ، حيث أن الجهتين هما مهابهما . وكما عبروا عن الجهات  
بذي علاقة بالشام واليمن ، ثم باسمي الريحين ، فقد عبروا عن الريحين  
بذي علاقة بالشام واليمن ، فقالوا نسبة : شامة ويمانية ، وهما نعمتان  
أقيما مقام موصوفيهما وسترد شواهد ذلك فيما بعد .

وقد قرن العرب بين ريح الشمال وما يتشامم به ، وبين ريح الجنوب  
وما يتفاحل به . وأسوق فيما يأتي جملة من الشواهد توضح ذلك ، قال  
أبو كبير الهذلي : ( طويل )

إذا كان حام مانع القطر ريحه سبا وشمال قره ودهور (١١)  
حيث عد الشمال في الرياح ، ومنه قول عدي بن زيد : (خفيف)  
وحبي بصد الهدو تزجيه م شمال كما يزجي الكسير (١٢)  
حيث أسند سوق السحاب للشمال أي لريح الشمال ، ومن ذلك في ريح  
الجنوب قول حميد بن ثور : ( طويل )  
ليالي أبكار الغواني وطرفها الي ، واذ ريحي لهن جنوب (١٣)  
ومنه أيضا قول عدي بعد البيت السابق :  
فاستدردت به الجنوب على ال م حوزة فاشنو ، سيه مقصور  
حيث أسند مرى السحاب واستدرد المطر للجنوب .

وأنت تلاحظ أن الشواهد الأربعة السابقة تنطق بحقيقة تتمثل في  
ربط ريح الشمال بالقطط وسفر السحاب ، والبرد ، بينما لم تذكر ريح  
الجنوب إلا مع ما ينسب الى الخير والغوث ، لذلك نعت حميد بن ثور ريحه بأنها  
جنوب ، كناية عن المواتاة ، ولذلك أيضا ، قال عدي بن زيد « فاستدردت به  
الجنوب » حيث شبه فعل ريح الجنوب بالسحاب بفعل الرجل إذا استدرد الناقة



لخليها • ونحن نعلم أن المطر كان - وما يزال - أبرز العوامل التي تعكست في حركة الانسان وتوزيع جماعاته ليس في الجزيرة العربية وحسب ، ولكن في شتى بقاع المعمور •

ومما يؤكد مذهبنا اليه قول لبيد بن ربيعة العامري : ( كامل )  
مرت الجنوب له الرباب بوابل ومجلجل قرد الرباب مديم (١٤)

حيث أسند مرى السحاب الى الجنوب ، ومما يدل على ذلك أيضا ، أنهم سموا بناهم بتلك الريح لاقتنائها باللين والخير • ومن ذلك جنوب بنت المجلان (١٥) ، وجنوب الهذلية الشاعرة (١٦) ، وجنوب صاحبة عبد الله ابن سلمة الغامدي ، وقد ذكرها في شعره حيث قوله : ( والى )

كان بنات مخر رائعات ، جنوب ، وغصنها الفض الرطيب (١٧) •

ومن الشواهد التي تعكس موقفهم من ريح الشمال ، ذلك الموقف المقترن بالكراهية والتشاؤم - قول طرفة بن العبد البكري : ( طويل )

فانت على الأدنى شمال عرية شامية تزوى الوجوه بليل (١٨)

حيث شبهه في اضراره بأقربائه يريح الشمال الباردة التي تقشع السحب وتحول دون المطر ، وتضطر المرم الى أن يزوى وجهه اتقاء لها •

وتوجيه ذلك جغرافيا ، أن ريح الشمال تهب شتاء ، وتكون باردة ، وغالبا ما يصاحبها القسط والجذب ، ذلك أن السحب التي تغطيها ، ما أن تبلغ أطراف الجزيرة الشمالية ، حتى تكون قد هراقت ماءها على السواحل الشرقية الجنوبية من البحر المتوسط فيخف السحاب ، وتنخرق الريح مسرعة ، فيزداد البرد ، ويتأزم الحال ، ذلك أنها تضيف الى شح المطر يردها شديدا •

أما الجنوب ، فهي على العكس من ذلك ، حيث تهب صيفا ، أي في الفترة التي تهطل فيها الأمطار الموسمية على جنوب الجزيرة العربية ، الى مكة المكرمة (١٩) • فبالإضافة الى ما يصاحبها من مطر عادة ، فهي تطفئ الجو •

غير أن العرب قد تسبوا الفضل في المطر الى الرياح ، ذلك أنها تأتي بالسحب فذهبوا الى أنها تستدرها ، بل لقد ذهبوا الى أبعد من ذلك حيث اعتقدوا أن الرياح تلتصق السحاب ، ومن ذلك الرياح اللواقح ، وهي التي تسبق المطر ، والرياح المعقيم ، وهي الشديدة التي تسفر السحاب ، وما ذلك الا من من المجاز ، وقد ورد شيء من ذلك في القرآن الكريم حيث قوله تعالى : « وأرسلنا الرياح لواقح » (٢٠) وقوله : « وفي عاد اذ أرسلنا عليهم

الرَّيْحَ الْعَظِيمَ ، (٢١) ومن قبيل ذلك أنهم نمتوا الرياح بما تنمت به الماشية في هذا المجال ، فقالوا : ريح حائل ، والحائل من الإناث التي لم تَمُتْ وقد انصرف أوان النزول . قال الطرماح بن حكيم : ( مجزوء الكامل )  
 قَلْبِي لِأَقْسَانِ الرِّيحِ مِ لَلْأَقْبَحِ مِنْهَا وَحَائِلُ (٢٢)  
 وَقَالَ النَّابِغَةُ الذَّيْبَانِي : ( كامل )  
 مَرُّ الدَّهْرِ مَعَ الشُّهُورِ تَنْوِبُهَا وَمِنَ الرِّيحِ لِقَاحُهَا وَعَقِيمُهَا (٢٣)  
 وَقَالَ كَثِيرٌ عِزَّة : ( طويل )  
 إِذَا مُسْتَنَابَاتُ الرِّيحِ تَنْشَمَتْ وَمَرَّ يَسْتَفَافِرُ التُّرَابُ عَقِيمُهَا (٢٤)  
 ريحا الشمال والجنوب ، والإنسان :

لهاتين الريعين ، بل للريح بعامة علاقة بالانسان ذات شعب كثيرة ، وأبرز الرياح أثرا في حياة العرب في جزيرتهم ، هما تاتك الريحان ، وإن أخطرها يكشف علاقة الريح بالانسان ، هو ما يعبر به عن الانسان من أسما هي في الواقع مشتقات مما يعبر به عن الريح من مواد اللغة .  
 فالإنسان روح :

والريح أصلا « روح » ثم قلبت الواو ياء ، بدليل الجمع « أرواح » حيث تصدق في جمع الروح والريح . قال النمر بن قُؤْلِبٍ في جمع الريح :  
 ( كامل )  
 وَبَوَارِحُ الْأَرْوَاحِ كُلُّ عَشِيَةٍ هَيْفَ تَرَوْحُ وَسَيْهَكَ تَجْرِي (٢٥)  
 أي : الرياح الحارة التي تهب في النصف الثاني من النهار . وقال رؤبة ابن العجاج : ( رجز )  
 تَتَفَحَّ الْأَرْوَاحُ وَالْبَرْقُ الْقَرِي (٢٦)  
 أي تسوقه من مكان إلى مكان آخر .  
 والإنسان نفس والريح نفس :

يقال في التعداد سبع أنفس ، ونحو ذلك . وقال اسحق بن خلف البهراني في الريح : - ( مجزوء الكامل )  
 وَكَأَنَّمَا ذَرُ الْهَبَاءِ عَلَيْهِ أَنْفَاسُ الرِّيحِ (٢٧)  
 أي : كأن الرياح قد أثارت عليه الغبار الدقيق ، وإضافة الكلمة للرياح من قبيل إضافة الشيء الى مرادفه أو ما هو في معناه .  
 والإنسان نسمة والريح اللطيفة نسيم أو نسمة :  
 ومن ذلك في الريح قول الشاعرة : ( طويل )  
 وَهَبَتْ لَهُ رِيحُ الْجَنُوبِ وَأَنْشَرَتْ لَهُ رَيْدَةً يُحْيِي الْمَوَاتَ نَسِيمُهَا (٢٨)  
 وأنشert : هبت مسام . ريدة : لطيفة طيفة . وقال الطرماح :  
 ( مديد )

لييلة ، هاجت جمادية ذات صر جريها التمام (٢٩)  
أي : ريج شمالية باردة الأنسام .

ولا غربة في الأمر ، اذ ما الريح والنفس والتسيم والأهواء متحرك ،  
والهواء المتحرك في مجراه من الجهاز التنفسي هو سر الحياة . وما أشبه الروح  
بالهواء ( الريح ) في اللطف والحفة والأهمية . الهواء لا يكون ريحا  
الا بالحركة ، والانسان لا يكون ذا روح الا بالهواء المتحرك في مجراه الطبيعي  
منه . وليس الهواء تسيما ولا نفسا الا بالحركة ، وكذلك الانسان فهو  
لا يحيا الا بهما ما تحركا في مجراهما تخرج روح الانسان اذا لم تتحرك فيه  
الريح .

وتخرج روح الانسان فلا يعود نفسا مالم تتنفس فيه الريح ،  
أو يتنفس هو الريح وتخرج روح الانسان فلا يعود نسمة مالم تجر فيه  
الأنسام .

وهذه الحقائق ترتد بنا الى ما شبه بعض المتقدمين الانسان به ، حيث  
قيل انه نظير الأرض وماحولها . فالعينان شمس ، والأرض بطنه ، ومايليه  
تحت ، وهكذا الأمر الذي يسوغ القول أن حيز الفلاف الفازي - رثاه  
والهواء المتحرك روحه ، والفضاء فوق ذلك هو الفجوة حول عنقه ، أو عنقه .  
والهواء اللطيف العناصر الأربعة ، والروح اللطيف ما في الانسان ، وكذلك  
نفسه .

وارتباط دلالات المفردات السابقة بمعنى الحركة ، يكشف عن حقيقة  
فطرية ذلك أن الهواء الساكن مرهان ما يفسد فلا يعود صالحا ، ويفقد صلاحيته  
للاستنشاق واستمرار الحياة . ولذلك كانت التهوية ضرورية جدا ،  
وما التهوية الا « تحريك » الهواء باستبداله . وكل متحرك ذاتيا حي (٣٠) ،  
أو صالح للحياة ، من حيوان أو نبات أو نحوهما والماء المتحرك - الجاري -  
لا ينجس ولا يتغير ، أما الراكد فانه مرهان ما يتغير والانسان المتحرك  
والمجتمع المتحرك يحملان الدليل على حيويتهما .

ولست أظن أن الانسان هو الذي رسم ماسبق أن وضعت من علاقة  
بينه وبين الهواء المتحرك ، أو أنه هو الذي قام بتوجيه تسمية الروح والنفس  
والنسمة أو أن الصدفة كانت من وراء ذلك . ربما كان له أثر في بعضها ،  
لكننا نستبعد أن يكون له أثر في بعضها الآخر .

وتبرز العلاقة بين الانسان والهواء في كلمة أخرى ولي دلالتها ، وهي  
الجشأة (٣١) وتعني الريح التي تهب قبل شروق الشمس ، آخر الليل . كانه

تجشأ بها - وجشأة الانسان تخرج من ظلمة جوفه ، وهذه خارجة من ظلمة الليل - خير أن هذه الكلمة لا تشير الى أبعاد عميقة كتلك التي أشارت اليها المفردات السابقة ، ذلك أنها مجازية الدلالة -

وبما يوضح أهمية الهواء للانسان - ونحوه - هو أن الهواء يمثل المجال الرئيسي الذي يستطيع الانسان أن يتحرك وييثر عمله فيه ، كما أنه المجال الرئيسي الذي تبأثر أخطر الحواس نشاطها فيه ، أعني السمع والبصر والشم ، فهي ، ولا سيما الأوليان ، لا يمكن أن تعمل عادة الا في الهواء -  
ريعا الشمال والجنوب ومايرادفهما :

تسمى العرب ربح الجنوب « اليمانية » وأكثر ماوردت في آثارهم هو أن تنسب للسرعة وقد تكون ، كذلك ، قبيل المطر ، أو بعده -  
قال أبو ذؤيب الهذلي :

ولا متعبر باتت عليه ببلقعة يمانية نفوج (٣٢)  
أي مريمة ، وباتت عليه : اما بالمطر أو بما تذروه عليه من قمص الأرض ودقاقها - وقال شبيب بن البرصاء : ( طويل )  
وحتى رأيت الحى تدرى عراضهم يمانية تزهى الغمام دروج (٣٣)

أي تثير الغبار - وتزهى الغمام : تذهب به بعد أن أراق مائه -  
دروج : سرعة وإنما سميت يمانية - نسبة الى اليمن ، لأنها تأتي من قبله ، وهذا من باب نسبة الشيء الى جهته -

وكذلك الحال بالنسبة لرياح الشمال ، حيث سموها شامية ، حيث تهب على بلاد العرب من قبل بلاد الشام (٣٤) - كما تسمى أيضا ، «الشمل» ومن ذلك قول مالك بن الريب : ( متقارب )  
ثوى مالك بببلاد الصدو وتسفى عليه رياح الشمل (٣٥)

أي تسفى عليه الرمل والتراب - وهي الشمال ، ومن ذلك قول الكندي : ( طويل )  
فتوضح فالقراءة لم يعف رسمها - لما نسجتها من جنوب وشمال (٣٦)

أي : أمنت آثارها بما جاءت به ريحا الشمال والجنوب من غبار - وهي الشامل أيضا ومن ذلك قول أحد بني النخيل في نخلة : ( طويل )  
تدعى وتسمو في السماء برأسها وان هب يوما شاملا لم تجل (٣٧)  
أي : ريح شمال ، وخصها لشدها ، وفي ذلك بيان قوة النخلة وقدرتها

على المقاومة وأنت ترى أن المفردات التي يعبر بها عن الريح التي تأتي من قبل بلاد الشام وهي ( الشمال ، وشمل ، وشامل ، وشمال ) من مادة واحدة ، بإسقاط الهمزة من الأخيرة إن كان ذلك هو الصواب ، وسنناقش هذه المسألة فيما بعد .

وأود هاهنا أن أشير إلى العلاقة اللفظية بين الألفاظ السابقة وكلمة « الشمال » التي تطلق على اليد اليسرى ، فهي جميعا من مادة « شمل » فيما قد يبدو . وينظر هذه العلاقة اللفظية علاقة دلالية معنوية بينها . فقد تبين أن العرب كانت تكثر ربح الشمال وتتشامم بها ، ولم تذكرها بخير ، ذلك أنها تسفر السحاب ، وتأتي ببرد شديد وقلما تجيء بالمطر ، كما تكثر الشمال وتعتبر بها من المعاني المكروهة كما سترى .

أما الجنوب ، فكانت محبة إليهم ، وقد سبق أن ذكرت شواهد لذلك ، واضيف هاهنا دليلا آخر على تيمنهم بالجنوب ومكانتها القريبة من أنفسهم ، ويتضح ذلك في إطلاقهم عليها اسم « النمامى » وهو مشتق من المادة « نعم » ومنها النمة والنمومة والنميم ، وهي لمعان محبوبة ، أما تراهم يسمون بناتهم : « نيمة » ، بل أما ترى الله أسمى نفسه ( المنعم ) ؟ قال أبو ذؤيب الهذلي في سحابة : « وافر »

سَمَرَهَا النَّمَامَى فَلَمْ تَمْتَرَفْ خَلَّافَ النَّمَامَى مِنْ الشَّامِ رِيحَا (٣٨)  
أي : استدرت ربح الجنوب تلك السحابة ، ولم تمرض لها ربح غيرها ، قادمة من قبل الشام فتسفرها .

ومن أسماء الجنوب : الْحَزْرَج (٣٩) ، وقد وردت لعلاقة بالمطر في شعر أبي ذؤيب الهذلي ، وهي « الْأَزْبَب » بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى رِيحَا اسْمُهَا الْأَزْبَب » ، وهي فيكم الجنوب « (٤٠) » والأزيب : الرجل الناشط إلى عمله (٤١) .

**الشَّامَ وَالْيَمِينَ :**

تتصرف كلمة « شمال » في العربية إلى دلالة تقع ما ينسب إلى شق البدن الأيسر ، ما كان منه ، أو فيه ، كاليد ، أو يليه من الأجسام أو الجهات ، إضافة إلى الدلالة على ما يكره وما يكتنى به من الإثم والخسران ، ونحو ذلك ، أما اليمين فهي لمعكس ذلك في كل شيء . وليس هذا الأمر عند العرب وحدهم ، بل هو عند غيرهم من الشعوب ، وسنبين جانباً من ذلك في حينه ، والشواهد لذلك في العربية أكثر من أن تحصى واليك تفصيل ذلك في القرآن الكريم وأثر العرب :

#### (أ) شواهد ارتباط اليمين بالفلاح والحق والخير :

قال تعالى : « وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين » (٤٢) حيث جاء بعده قوله « في سدر مخضود\* وطلح منضود\* وظل ممدود\* ولملم مسكوب\* وفاكهة كثيرة\* لا مقطوعة ولا ممنوعة\* وفرش مرفوعة\* الى آخر الآيات ، الأمر الذي يشير الى فلاحهم وأنهم أريد بهم خيرا .

واليمينه هي اليمين ، مفعلة منها ، اسم مكان ، ومنه قوله تعالى : « فأصحاب المينة\* ما أصحاب المينة\* » (٤٣) « اذ المقام لبيان مكانتهم عند الله ... وبمعنى أصحاب البركة والسعادة ومن ذلك قوله تعالى : « فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم » (٤٤) « كناية عن السعد وحسن العاقبة .

#### (ب) شواهد ارتباط اليمين بالقوة :

قال تعالى : « والسهموات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون » (٤٥) . المراد باليمين القدرة ، والقوة ، لأن اليد - اليمين ( هي أداة القوة ومن ذلك قول الشماخ بن ضرار ، يمدح عرابه الأوسي : « وأفر »

إذا ما راية رفعت لحرب تلقاها عرابة باليمين (٤٦)

(ج) ونتج عن ذلك أن انصرفت « اليمين » الى معنئ الحلف والقسم ، ذلك أن القسم إنما يكون تأكيداً للمعزم . والقوة سبيل انقضاء ذلك ، واليمين اليد هي الأداة ، ويرشح ذلك ، بل يؤكد ، أن العرب كانت تبسط إيمانها عند التحالف أو الحلف والقسم .

أما الشمال فهي لمكس ذلك في العربية ، ويكنى بها عن الخسران ، بدليل قوله تعالى : « وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم أوت كتابه » (٤٧) لأنه يعلم أن ما فيه شهادة بقصوره وباستحقاقه المذاب الأليم ، فهو يمتنى لو لم يتسلمه .

ثم أما ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر يتناول الطعام والشراب باليمين دون اليسرى ( الشمال ) لأن الشيطان يستخدمها في ذلك ، والشيطان رمز الشر . وأنه نهى عن استخدام اليمين في الاستنجاء والاستجمار ، وأنه حذر النوم على الشق الأيمن دون الأيسر ، وأنه أمر بتسجئة الميت عليه ، أيضاً . ثم أنك إذا صليت داخل الكعبة استقبلت ركنها اليماني ، دون سواء . أو ما ترى أن القلب في الشق الشمال ، وأنه كما يقال - مصدر العاطفة وهي القائد الى المراتع الوحيمة مالم توجه . وأن الشارع أمر بقطع يمين السارق لا يسراه ، لأنها كانت أداته في سرقة . وأن الناس تنكر

## العسر في الأيدي وتعدده هيا .

ومما يرجح ما أسلفت أن العرب كانت تتطير بالبارح من الطير ، وهو ما جاء عن ثيمالك ، وتتفاعل بالسائح ، وهو ما جاء عن يمينك . والبارح في مبنى الفاعل من ( برح ) لدلالة تقع على معنى الشدة والكرامة ، والسائح في مبنى الفاعل من ( سئح ) لدلالة تقع على معنى المواتاة ، ولهذا فقد كنى العرب بطير الشمال عن المكروه ، وما يمتناه المزم لمعدوه ، ومن ذلك قول أبي ذؤيب الهذلي :  
( طويل )  
رَجَرْتُ لَهُ طَيْرَ الشَّمَالِ فَإِنْ تَكُنْ هَوَاكَ الَّذِي تَهْوَى يُمَيِّبُكَ اجْتِنَابُهَا (٤٨)  
أي أردت به مكروها . فان كانت تُؤَبِّكُ حقاً ، فإِنَّهَا لَنْ تَبْخُلَ حَلِيكَ ، وستواتيك . وقد عبر عن ذلك بالاجتناب ، أي . هبوب ريح الجنوب ، كناية عن المواتاة .

نخلص مما سبق الى تقرير مايلي :

- (أ) الشمال : ريح مكروهة وليس لها فضل الجنوب .
- (ب) الشمال : هي اليد يكتى بها عن الحسران ، وليس لها فضل اليمين .
- (ج) كلتا الكلمتين مشتقة من المادة ( شمل ) فيما يبدو . وسنناقش هذه المسألة فيما بعد .
- (د) الجنوب : ريح ذات فضل ، والعرب تتفاعل بها .
- (هـ) اليمنى ( اليمين ) : هي اليد التي يكتى بها عن الحق والخير والقوة ، ويتفاعل بها .

وتقفنا الدراسة المقارنة بين العربية وبعض الساميات في مجال الألفاظ التي تخص بالجهات ، حيث التناظر قائم بينها جميعاً ، وبإستثناء كلمة « شمال » . وينظر الشمال في العبرية ܫܡܠܐ : سمول ، وفي السريانية ܫܡܠܐ : سولو . وينظر اليمين في العبرية ימין : يمن وفي السريانية ܝܡܝܢ : يمنا . أما الجنوب ، الجهة وليس الريح ، فقد استخدمت كلمتا : « تيمَن وتيمنا » في بعض النصوص الجغرافية العربية للدلالة عليها ، ومن ذلك أن الهمداني (٤٩) أطلق على الجهة التي تهب منها ريح الجنوب اسم التيمنا . وقال اليمقوبي (٥٠) : « ومهب الجنوب القبلة - وهو مطلع سهيل الذي يسميه الحساب التيمنا » . يريد سمت قبلة أهل العراق ، وأراد بالحساب الفلكيين والمنجمين . ولعل في ذكره الحساب إشارة الى أثر الترجمة ، والى أن هاتين الكلمتين في صورتيهما تينك من العرب . وينظرهما في دالتهما اليمين وهي جميعاً من مادة واحدة هي ( يمن ) ، ومنها ، لذلك ،

اليمن واليمين . اذا ، هل اليمين واليمين علاقة بما أوضحنا مما تمتاز به ريح الجنوب التي تهب من قبل اليمن ( أو اليمنية في بعض النصوص ) وما تمتاز به اليد اليمنى من فضل على الشمال ، واتصاف بما يستحب ويتفادى به ؟ اليس «اليمين والمفردات السابقة» «اليمن واليمين واليميناء» مشتقة من المادة ( يمن ) ؟ اليس « اليمن » هو الجامع اللفظي والدلالي بينها جميعها ؟ ذلك أنه ينصرف للدلالة على البركة والفضل والقال الحسن ، وأنها لمعان تدور في إطار تلك الدلالة .

لكن ما العلاقة بين « الجنوب » الريح ، والجنوب « الجهة » ، واليمين واليمن واليمين واليمين ؟ لقد سبق أن أوضحنا أن العلاقة المعنوية قائمة على نحو بين وجذري وقد بينا فضل اليمين من قبل في بضع نقاط ، أما اليمن ، فهو مهب ريح الجنوب - وقد بينا فضلها سابقا - وقد كان - وما يزال - بلدا طيبا خصبا . وقد سماه الاغريق باليمن السعيد . وفي القرآن أخبار عن طيبة حيث قوله تعالى « لقد كان لسبا في مسكنهم آية \* جنتان حنّ يمن وشمال \* كلوا من رزق ربكم واشكروا له \* بلدة طيبة ورب غفور » ( ٥١ ) وفي الأخبار والسير والتراث الأدبي العربي مما يشهد بذلك كثير . ولذلك كانوا يقصدونه للتجارة شتاء . وما يذكر من فضل اليمن تنوع الطبائع الجوية فيه في الوقت الواحد . فتهايمته حارة رطبة ، والجبل معتدل ومايليه شرقا حار نهارا ، معتدل ليلا ، هذا في فصل الصيف . أما شتاء فتهايمه معتدلة والجبل بارد ومايليه بارد ليلا ، معتدل نهارا ، الأمر الذي يهيء فرصا كثيرة لتنوع الزراعة واستمرار النشاط على مدار العام . أما العلاقة اللفظية فلا تنتظم سائر المفردات - فالجنوب من المادة ( جنب ) والمفردات الأخرى من مادة ( يمن ) - وسنجهده - غير متكلفين - في البحث عن العلاقة بين اليمين والجنوب فيما يلي هذا .

لماذا اتفقت الساميات في الألفاظ التي يعبر بها عن « اليمين » تماما ، وعن الجنوب الى حد كبير ولماذا لم تتفق في الألفاظ التي يعبر بها عن جهة الشمال ، إلا للأولين ارتباطا باليمن ؟ ولأن للشمال ارتباطا بالشؤم ؟ اني أرى ذلك استنادا لما سبق أن بينته من تفاضل بين شقي البدن وفضل ريح الجنوب على ريح الشمال ، وفضل جنوب الجزيرة العربية على شمالها .

وقد جرت العادة على أن يذكر مايتفادى به ، ومايستحب من الأمور بلفظه صريحة ، ولذلك كان الاتفاق بين تكلم اللغات في اللفاظ «الجنوب» ،



وأن يكتفى عما يتشامم به أو كان مكروها أو ينمى الى الشر ، الأمر الذي يدعمه قانون « التابو » أو تسمية الشيء بضده أو بمخالف لا يحمل ما يشير الى سوء في الدلالة أصلا . وأمثلة ذلك في العربية ، وغيرها من اللغات كثيرة جدا .

وقبل الابتعاد عن « الجنوب واليمين » والملاقة اللفظية بينهما ، أود أن أقف مع الطبيب على الشق الأيمن من البدن ( الركن اليماني ) والشق الجنوبي ( الجنب الأيمن ) لأسأله : أليس في خلوه من يمض الجوارح ( القلب ، الطحال ، البنكرياس ) ما يجعله مختلفا اختلافا كبيرا عن الشق الأيسر ؟ ليست اليمين هي مناط القوة والتحمل والاستخدام الأكثر أهمية وتأثيرا ؟ ليس النوم على الجنب الأيمن أصح وأن الانسان ميال اليه بطبيعته ؟ اني أرى أن اشتقاق « الجنوب » من الجنب - الأيمن إنما كان بمقد أن خصت كلمة « جنب » في الاستخدام بالجانب الأيمن لأنه أخص من الأيسر من حيث أهميته وكثرة استخدامه . وهاتان الحيتان كافيتان لجعل قصر الدلالة في المشتق الجديد أمرا ممكنا . وبهذا تكون دائرة الملاقة اللفظية غير المباشرة ، والمنوية المباشرة بين الجنوب واليمين واليمين والجنب الأيمن قد أحكم حبكها واستمر مريها . والآن أسأل : هل هناك فضل لجهة على أخرى كفضل ريح الجنوب على ريح الشمال وفضل اليمين على اليسرى ؟ .

لقد ذهب بعض القوم الى أن بعض الجهات أشرف من بعض ، وأظهر ما يتضح ذلك في « تهافت التهافت » ( ٥٢ ) حيث قال ابن حزم « ان الأرض ليس لها سبب في أن كانت تهوى الى أسفل الا صفة الأرضية ، وليس للنار سبب في أن تلو الى فوق الا نفس طبيعتها وصورتها ، وبهذه الطبيعة قيل انها مضادة للأرض ، وكذلك الفوق والأسفل ليس لهما سبب به صارت إحدى الجهتين أعلى والأخرى أسفل ، بل ذلك بمقتضى طبيعتهما ، وإذا وجب اختلاف الجهات لأنفسها واختلاف الحركات لاختلاف الجهات فليس هنا سبب يعطى في اختلاف الحركات الا اختلاف جهات المتحركات ، واختلاف الجهات لاختلاف طبيعتهما ، أعني أن بعضها أشرف من بعض ( ٥٣ ) . مثال ذلك : ان الانسان اذا أحس الحيوان يقدم في الحركة إحدى رجله من جهة بدنه ثم يتبع بها الأخرى . فقال : لم كان الحيوان يقدم هذه الرجل ويؤخر الأخرى دون أن يكون الأمر بالمعكس ( ٥٤ ) . لم يكن هناك سبب يوفى - في ذلك الا أن يقال انه لا بد في حركة الحيوان من أن يكون رجل يقدمها ورجل يعتمد عليها ، وذلك يوجب أن يكون للحيوان جهتان يمين ويسار ، وأن اليمين هي التي

تقدم ابتداء لقوة تخص بها وان اليسار هو الذي يتبع ابتداء في الأكثر -  
اليمين ، لقوة تختص بها ، وانه لم يمكن أن يكون الأمر بالعكس . أعني  
أن تكون جهة اليمين هي جهة اليسار ، من طبائع الحيوان تقتضي ذلك  
اما اقتضام أكثرها وأما دائما . وكذلك الأمر في الأجرام السماوية ،  
اذ لو سأل سائل فقال : لم تتحرك السماء من جهة دون جهة ؟ قيل : لأن  
لها يمينا ويسارا ، وبخاصة اذ قد ثبت من أمرها أنها حيوان ، الا أنها  
يغصها أن جهة اليمين في بعضها هي جهة اليسار في البعض . وهي مع هذا  
الجزء الواحد منها تتحرك الى الجهتين المتضادتين كالرجل الأيسر الأيسر ، فكما  
أنه لو سأل سائل فقال : ان حركة الحيوان كانت تتم لو كان يمينه يساره ،  
فلم اختص اليمين بكونه يمينا واليسار بكونه يسارا لقليل له : ليس لذلك  
سبب الا أن طبيعة الجهة المسماة يمينا اقتضت بجوهرها أن تكون يمينا  
ولا تكون يسارا ، وطبيعة اليسار اقتضت بجوهرها أن تكون يسارا  
والا تكون يمينا ، وأن الأشراف للجهة الأشراف .

وكذلك اذا سأل سائل لماذا اختصت جهة اليمين في الحركة العظمى  
بكونها يمينا ، وجهة اليسار بكونها يسارا ، وقد كان يمكن أن يكون الأمر  
بالعكس ، كالحال في افلاك الكواكب المتحركة (٥٥) ، لم يكن له جواب الا أن  
يقال : الجهة الأشراف اختصت بالجرم الأشراف ، كالحال في اختصاص النار  
بفوق والأرض بأسفل .

وجاء فيه تأييدا لذلك ، قوله : « والبسيط (٥٦) بالمعنى المقول  
على الأجرام السماوية لا يبعد أن توجد أجزاء مختلفة بالطبع ، كاليمين  
والشمال للفلك ، والأقطاب ، والكرة بما هي كرة يجب أن يكون لها أقطاب  
محدودة ومركز محدود به تختلف كرة عن كرة (٥٧) » . وهذا يعني أنه  
لا بد من يمين وشمال للجسم أيما كان وأينما كان ، وأن الجهة اليمينية أشرف  
من اليسرى ، وسعروض لكيفية توجيه كل جهة والتعليم عليها في الصفحات  
التالية .

الآن أسأل : اليس في الكرة الأرضية ما يشير الى ماذهب اليه ابن حزم ؟  
بل اليس في الكائنات المختلفة مايرشح ذلك ويرجعه ؟ أماترون الى الاختلاف  
في تركيب السطح بين نصفى الكرة شمال خط الاستواء وجنوبه من حيث  
الطبائع والمكونات ؟ أما ترون أن حيتان نصف الكرة الجنوبي لا تتجاز خط  
الاستواء شمالا ؟ .

أما ترون أن قطب المغناطيس الشمالي هو السالب ، والجنوبي هو  
الموجب ، وأن خطوط المجال المغناطيسي إنما تتجه الى القطب الجنوبي ؟ ذلك

في كل أنواع المغناطيسية بما فيها المغناطيسية الأرضية تماما كما تفصل يدك الشمال أثناء العمل ، تقدم العون لليمنى وتناولها ، وليس العكس .

ونستطرد بعض الشيء في بيان تفاضل الجهات ، حيث يتضح لك فضل « قبل » الانسان على « دبره » وفضل يمينه على شماله . ثم ، أما ترى أن الله قد خلق الانسان قواما ؟ ما هو « فوق » في مكانه « فوق » في رتبته كان الفوقية في الجهة والمكان فوقيه في « المكانة » . فتري عقله ، وهو أسمى ما فيه فوق « محل عاطفته » أن صدق القول أن القلب محلها ، وذلك فوق محل غذائه وهو بطنه ، وهذا فوق محل شهوته وهو فرجه . . . وأن الله لما أراد بالحيوان ما أراد ، ولم يجعل له مكانة الانسان ، فلم يجعل فرقا كبيرا بين مواضع تكلم الجوارح والفرائض فجعل خلقه الحيوان أفقية بحيث يستوى رأسه موضع عقله ، وصدرة وبطنه وفرجه . ولذا كان من الحق أن يوصم الانسان بأنه حيوان ، اذا استوى عقله وعاطفته وخريزته وشهوته .

ولما لم يكن الانسان كرويا ، فقد تميزت في ذاته الجهات الأربع ، أما الأرض ، فلم تمتاز فيها الا جهتان وهما الشمال والجنوب ، أي الجهتان اللتان ينزع إليهما طرفا المحور الذي تدور عليه ولذلك ، كان لا بد من الاستعانة بالشمس أو نحوهما في تحديد الجهتين الآخرين . وقد خصت الشمس لأن العلاقة الدورية بينها وبين الأرض تتأطر في نحو ٣٦٠ يوما ، هي عدة زوايا الدائرة المتثلة في خط الاستواء أو فلك البروج .

إن العلاقة بين الشمال والجنوب ( السالب والموجب ، الخير والشر ، النور والظلام ) تكمس الجانب الذاتي في الانسان في تفاعله مع نفسه ، أي حياته ، أما ما بين الشرق والغرب من علاقة ، فتعكس الجانب الزمني وتعامل المرء مع غيره ، ومع الكون . واني أدعو العلماء الى القيام بدراسات مركزة ، للوقوف على مفارقات جوهرية بين الجنوب والشمال ، والموجب والسالب ، ونصف الكرة الجنوبي ونصفها الشمالي ، واليمين واليسار ونحو ذلك مما يتفق معه ، وأنا على يقين من أنهم سيقفون - آخر الأمر - على حقائق جليلة تكفل عن ادراكها أفهام معظم الناس .

وفي كثير من اللغات ما يشير الى أن ثمة علاقة أكيدة بين اليمين وما يستحب وبين الشمال وما يكره . وأن الكلمة التي تطلق على ما يكره كثيرا ما يميز بها عن الشمال والتي تطلق على اليمين يميز بها عن الجنوب . ومن أمثلة ذلك في :

★ الفارسية : دست راست : اليمين ، راست : الحقيقي ، الصادق  
دست چپ : اليد اليسرى ، چپ : شرير ومنهجا جب كردن وتعني

« الشيوعيين والأشرار » .

★ وفي البشتو ، حيث تستخدم الكلمة التي يعبر بها عن اليسار في الدلالة على ما يكره والتي يعبر بها عن اليمين للدلالة على ما يستحب : ( جب لاس ، بنى لاس ) .

★ وفي الألمانية : Recht : يمين Recht : حق .

★ وفي التقرية : ادمان : اليد اليمنى ، وتمنى الصدق . اد كلب ، ويتشاهم بما يكتى عنه بها .

★ وفي الفرنسية : droit (e) : يمين ، يمينى droit : حق

★ وفي الانجليزية : right : يمين ، يمينى right : حق ، صحيح

★ وفي اللاتينية : dextera : اليد اليمنى

dextra : عهد مقدس ، ميثاق جليل ، القوة الجهد

dexter : يمين ، في المتناول ، حاذق ، حسن الحظ ، مرض ،

- سمح النفس ، بشير ، صحيح ، مستقيم .

sinister : أيسر ، شمال

sinistra, sinistrum : الجانب الأيسر ، اليد اليسرى ، مغطى ، غير صحيح

غير مرض ، غير معق .

★ وفي اليونانية :

يمين ، على اليمين ، اليد اليمنى ، القوة ، الجهد

سميد ، مظلوظ ، قال ( حسن ) إضافة الى جميع

معاني كلمة dexter اللاتينية .

طير أيمن ، حظ سميد

شعالي ، أيسر ، لليسار

اليد اليسرى ، شؤم

فأنت ترى أن الألفاظ التي يعبر بها عن اليمين واليسار في هذه اللغات يعبر بها عما يعبر بنظائرها في العربية عنه ، ولبيض هذه المفردات استخدام تحمل فيه دلالة معاكسة ذلك . لاختلاف طبيعة المستوى اللغوي الذي يستخدم فيه . ففي لغة المرافين الرومان تنصرف كلمة

( اليد اليسرى ، غير صحيح ) بمعنى ميمون ، سميد : مبشر بالنجاح ، ذلك أن الكهنة الرومان كانوا يتجهون نحو الجنوب عند ممارستهم النبوة ، وبذلك يصبح الجانب الشرقي أو الخير ، عن يسارهم . . . غير أنهم كانوا يتمنون التقاليد اليونانية أحيانا فتحمل الكلمة عندئذ دلالتها الأصلية على معنى غير ميمون ، غير سميد . . . . .

وفي اتجاه الكهنة الرومان نحو الجنوب ، إشارة الى فضل تلك الجهة سواء كان ذلك للجهة ذاتها ، أم كان الأمر اكبارا للبحر جنوب بلادهم .  
وفي اعتبارهم جهة المشرق نظرا للبحر ، ودليلا عليه ، فذلك لأنها الجهة التي تشرق منها الشمس ، أي لأنها توازي في الباطن ابتداء الحياة .  
وسنأتي على شيء من هذا القبيل عند المصريين القدماء فيما يأتي .  
وكان المراف الاغريقي يتجه شمالا عند ممارسة الكهانة وبذلك يكون المغرب من يساره ومن هنا كانت الدلالة على الشؤم ، وكان الارتباط بينهما ، حيث يناظر الغروب الموت في الباطن .

وقد استخدم المصريون القدماء كلمتين مشتقتين من المادة ( يمن ) وهذا يشير الى العلاقة بين المصريين واللغات السامية من ناحية ، وبين المصريين والساميين من ناحية أخرى - هما « يمتنى » و « ايمتنى » ٧٣٤  
للدلالة على جهة الشرق ، كأنهم كانوا يتجهون أو ييمنون وجوههم عند ممارسة الطقوس في اتجاه مجرى النيل ، أي شمالا ، ذلك لما له من أهمية في حياتهم ، وبذلك تكون جهة المشرق من يمينهم ، والشرق واليمن من الخي ، والرابطة بينهما قوية في الظاهر والباطن .  
ولا يخيب عن البال هنا أن المصريين قد عبدوا الشمس « الاله رع » .  
واعتقد أن كلمة « يم » السامية الحامية بمعنى « نهر » انما اكتسبت دلالتها العامة بعد دلالة خاصة كانت تقصر على نهر النيل دون غيره ، وهذا ما يشرحه ويرجعه الاستخدام القرآني لهذه الكلمة ، حيث لم ترد فيه الا في خبر موسى مع فرعون وأهل مصر - ثم ان في دلالة المادتين ( ام ويم ) في العربية ما يؤكد ذلك ، حيث تنصرفان لمعنى ( اتجه ) .

ومثل ذلك فعل سكان شمال السودان ، فقبائل « المحس » التي تعيش قريبا من دنقلة قرب النيل ، ما تزال تستخدم القباطا تنفق وما أسلفت ، حيث تنصرف كلمة « آر » الى المعاني « شرق » ، نهر النيل ، « يمن » وبهذا تكون العلاقة بين النيل واليم قد حبكت وفي ذلك ما يؤكد أنهم كانوا يتجهون شمالا عند ممارسة الطقوس . حيث يكون النيل والشرق من يمينهم ومن هنا جاز عندهم استخدام كلمة واحدة لليمين ، والشرق والنيل .

ونعود الآن الى لغتنا ، أم اللغات ، بالسؤال التالي : هل هناك علاقة بين الشمال والشمال ( الشام والشام ) والشؤم كتلك التي بين الجنوب واليمن واليمين - سبق أن بينا أن ربيع الشمال ليست بذات فضل على الجزيرة العربية ، بل لقد كان العرب يكرهونها ، وكذلك هي الحال

بالنسبة للشمال ، وما يكتن بها منه ، حسب ما تبين لك من قبل .  
 أما ما يتعلق بالشام والشام والشام فهي سواء من حيث الأصل اللغوي . ومن حيث الدلالة . وموقع الشام الى الشمال من بلاد العرب ، وعن شمالها اذا ما استقبلت الشمس لدى شروقها . وقد تسمى ربح الشمال ، شامية أو شامية نسبة الى الشام ، ذلك بما تهب من قبلها . والشامة جهة الشمال ، والكلمة حية لدالتها في لهجة الفلسطينيين الى يومنا الحاضر يقولون - شام - . والأشام الذي يقع عن شمالك ، وهي الشؤمي - أفضل فملى - والشام فعال منه ، والشام بتخفيف الهمزة .  
 قال المرقش : ( مجزوم الكامل )

فاذا الايمان كالآلهام ثم والأشائم كالأيمان  
 كناية عن التباس الخير بالشر والحق بالباطل ( ٥٨ )  
 وقال القطامي التغلبي :  
 ( طويل )

فخر على شؤمي يديه فدادها بأظما من فرع الدؤابة أسعما ( ٥٩ )  
 أي : على يده الشمال . لكن ، هل من علاقة بين الشام والشؤم غير العلاقة اللفظية السابقة كتلك التي بين ربح الشمال والشؤم ؟ وهل الشمال والشمال من مادة ( شمل ) أصلا ؟

ورد في الاختيارين قول أحد بني المنبر في نغلة ، ( وقد سبق ) ( ٦٠ ) :  
 تدعى وتسمو في السماء برأسها وان هب يوما شامل لم تحل  
 حيث تعني كلمة ( شامل ) ربح الشمال ، التي تهب من جهة الشام . وفي هذه الكلمة ما يمكن أن تناقشه على النحو التالي :

ما أصل هذه الكلمة ؟ هل هي منحوتة من شام وشمل لدالتيهما ؟ أم أنها من مادة رباعية ( شامل ) ؟ أم أنها مركب اضافي أصله شام - ال ، بمعنى الله يكره أو يتشامم ، ( ان كان يجوز اسناد التشاؤم الى الله ) فهي في ذلك مثل : يسعم ال اسماعيل ، وعبد ال ، « عبد ل » : عبد الله ونحوها .

وعندئذ ، أليس يمكننا أن نقول : أن هناك علاقة مكانية ولفظية بين هذه الكلمة وبين مملكة « الشمال أو الشامل\* » التي ورد ذكرها في النقوش التي ترجع الى عهد الملك سليمان ، تلك المملكة التي كانت تقع بين حلب ونصيبين ، أي في شمال بلاد الشام ؟ كانت هذه المملكة كثيرة الحروب وبخاصة مع الآشوريين لذلك كانت في حلف دائم مع ممالك الشام . ويطلق عليها في العبرية اسم سمال أو شمول وفي السريانية **Ume** وتعرف في المراجع العربية باسم شمال ، وشامل ، وشمال . ويطلق عليها في الآشورية **Sumela** وقد ذهب بروكلمان الى أن اسمها مشتق من « شام » لعلاقة بالشؤم ، وهذا يرجح ما أسلفت ، نظرا لكثرة الحروب التي

كانت تسببها وتعرف في مراجع الآثار باسم « سند شرلي » \* .

وقد يقال ان العلاقة بين الشام والشوم غير واضحة في ماعدا الجانب اللفظي وقد يحتج علينا بما في الشام من خيرات ، وبالأية الأولى من سورة الامراء « سبحان الذي امرى بعبد ليل من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله » حيث تشير عبارة « باركنا حوله » الى ما لا يتفق مع الشوم ، كما قد يحتج علينا بما يروى من الحديث « بارك الله في شامنا وفي يمننا » وبالحديث « بارك الله في الشام من فحس الأردن الى رفح (٦١) » وغير ذلك مما يشبهه فاقول : ان في الآية المذكورة تخصيص ، حيث نمت المسجد الأقصى بقوله « الذي باركنا حوله » أي بما يقع حوله ، وهذا النعت أول ما يكون بفلسطين ، بل ببعضها ، وهذا ما يؤكده الحديث الآخر ، حيث ان في عبارة « من فحس الأردن الى رفح » تحديدا للمنطقة المباركة ، وهي منطقة بيت المقدس وما يليها مما يقع بين فور الأردن - فحس الأردن - ورفح . وهي منطقة مقدسة وفيرة الخيرات . ولعلها المقصود بالشام المبارك في غير هذه المواضع ، ثم اننا نحتج لذلك بمسألة أخرى حيث نرد على المتدبر بخيرات الشام « بمفهومها العام » بقولنا : ان أنعام كثيرة من تلك البلاد لم تكن مسمورة حتى العصر الأموي ، وأخص بالذكر حماة وحمصاها ، حيث لم تكن قد أنشأت قبل سنة ٦٨ هـ ، ثم انه ليس لتلك المنطقة ما لفلسطين من فضل في ذلك ، وليس في الشام الا حوطتها « حوطة دمشق » ، والطريق اليها من بادية الى بادية ، فهي على العكس من اليمن في ذلك ، اذ تمتد الطرق اليه عبر أراضٍ يختلف المناخ فيها اختلافا يتيح للذهاب اليه أن يختار لنفسه الطريق التي تلائمه . فان سلك تهامة فهي حارة صيفا ، معتدلة شتاء ، أو سلك الحجاز فهو بارد شتاء معتدل صيفا أو سلك البادية من يسار الحجاز ، فهي على نحو مختلف . ويضاف الى ذلك كله ، أن الأراضي المؤدية لليمن من الحجاز أراضٍ دائمة الخضرة كثيرة المراعي ، وفيرة الماء الى حد كبير ، وهذه أمور لاغنى للمسافر منها ، حيث يجد فيهما ما يلزمه ويلزم راحلته . أما الشام فطريقه عبر حرار شمال الجزيرة ، ثم عبر صحراء النفود ، فبادية الشام ، فحرار حوران عبر بلاد قليلة الماء كثيرة الفبار قليلة المرمى . وهذه الصفات قد تكون كافية لأن تجعله مشغوما ، بالرغم من أن بعض حاجاتهم تقضي فيه . ويضاف الى ذلك أن البرد يأتيهم من قبله وأن المطر قليل من ناحيته .

وإذا كان هناك من يصر على أن العلاقة بين الشام والشوم غير واردة في المعنى مستندا إلى ما فيه من خيرات ، وهي أقل من خيرات اليمن — فأننا نجاريه في ذلك لتجرده سلاحا ضده ، فنقول : نعم ، إن الشام بلاد يسر وغير ويسار لكن ليست اليد الشمال أي الشؤمي ، التي تقابل بلاد الشام ، هي التي يقار بها لليسار ، وهي اليسرى ؟ وهو الأيسر كالأشام . أو ما ترى أن لليسر علاقة بالشوم ؟ وأن كلمة الأيسر تتبع بـ « أيسر » مرادفة لها وإن الناس تكره « اليسر واليسر » في الأيدي . أما ترى أن المادة ( ي س ر ) تنصرف أصلا إلى معنى القلة ، والقلة نقص ، والنقص أدخل في الشوم منه في غيره . ومن ذلك قولهم : النزر اليسر ، أي القليل . ثم أن في دلالة الكلمة على « وفرة المال وأسبابه » من زينة الحياة الدنيا ، ما يرشح علاقة الكلمة بما يكره ، ذلك أن المال — الكثير منه على وجه الخصوص — غالبا ما يؤدي بصاحبه إلى ما يكره .

اتني أرى أن المادة « ي س ر » تنصرف أصلا لمعنى الشيق والشدّة ، وما يكره — ومن ضمن ذلك معنى القلة معاقبة في ذلك المادتين « ا س ر » و « ع س ر » لفظا ومعنى . ونظرا لعلاقة « الشمال » بالشوم ، فأننا نجد اللغات السامية مختلفة في الألفاظ التي يعبر بها عن تلك الجهة ، ذلك أن المفردات التي تدل على ما يكره وما يسوء الناس ذكره — غالبا ما تختلف من مستوى لمستوى ، ومن لهجة لأخرى ، ومن جيل لجيل . فالشمال في العبرية

794 « تسفون » وفي السريانية **حدله** كريبو . وكثيرا ما تكتنى الناس عما تكره بالفاظ تنصرف أصلا لدلالات مستعبة ، يقولون في الأسود : أكحل ، وفي القمح بياض ، وفي العبرية ، مثلا ، تستخدم بارك بمعنى لمن . وفي اللهجة الفلسطينية يقولون : رأيت « بسم الله » يقصدون « عفريتاً أو شيطانياً » ، والأمر كله خاضع لنظرية « التابو » حيث تكره الناس استخدام المفردات ذات الدلالة السيئة ، وتصدل إلى الكناية بما يستحب ، تفاؤلا بالخير ، وأعراضا عن الشر . أعني بذلك ، أن كلمة « يسار » لمعنى الشمال قد تكون من هذا القبيل ، ذلك إذا أخذنا بأن « اليسار » لدلالة أصلية على « الخير المادي » وليس على القلة . فيكونوا بذلك ، قد سمو الشمال يسارا تملأ كما يسمى كثير من العرب المصريين واللبيين القمح بياضا ، وكما استخدم العرب « السليم للديخ » ، وكما يستخدم عرب ليبيا كلمة « بصير » في مقام « أسمى » .

إذا ، هناك علاقة لفظية ومعنوية بين ربح « الجنوب » و « اليمانية » التي تأتي عادة بالمطر — وهو جوهر الحياة — وجهة الجنسوب « التمين »



وما يقع في الجنوب « اليمن » ، واليمن ، واليمن من البدن ، واليد اليمنى ، وما يكتنى بها عنه .

وهناك علاقة لفظية معنوية بين ربح « الشمال أو الشامية » : حيث تأتي بما يكره ، وجهة الشمال (الشامة) وما يقع في الشمال ( الشام – الشام ملكة الشمال الشامل ) والشؤم ، والجانب الاشم «الشمال » أو « اليسار » من البدن .

غير أن الظروف « شمال ، وشمال وجنوب ويمن » مبهمة الى حد ما ، وفي بعض الأحوال . فهي بحاجة الى ما يخصصها أو يفرقها . ثم أنها نسبية متغيرة لما هو عن يمينك قد يكون الى الشمال منك الآن ، وإلى الجنوب فيما بعد ، أو الى الشرق أو غير ذلك ، الأمر الذي تتحكم فيه قبلتك ووجهتك . إذا كيف تم تثبيت هذه المفردات لتلك الجهات والبلدان ، وتثبيت تلك الأسماء لتلك المسميات ؟؟ وكيف كان التوافق الطبيعي بين الجهة وريحها التي تهب منها والبلد الذي يقع فيها ، وطبعه ، وأحد شقي البدن وأحد معنيي الخير والشر ، وأحد قطبي المغناطيس وأحد طبقي التيار الكهربائي : سالب ، موجب .

وإجابة عن السؤال الأول نقول : أن أقل ما يحدد به الاتجاه أمران هما ما يأخذ فيه وما يبدأ أو ينتهي اليه . ولما كانت الاتجاهات تأخذ في كل « اتجاه » ولا تبدأ في مكان بعينه أو تنتهي عنده (لكروية الأرض) فإن ذلك يوجب أن يكون التعليم عليها بما له مكانة عظيمة عند الإنسان . وقد كان ذلك – حيث حُلم بالشمس – عند شروقها ، لأن الشروق علامة الحياة وأوضاع الظواهر الطبيعية – وبالإنسان نفسه ، غير أن تحرُّكه وتغيُّر وجهته يتعارض مع الفاية . ذلك أن الثابت ( الجهة ) لا يحدد بمتحرك ( الإنسان والشمس ) ولذا ، فقد تم التعميد – تحديد الجهات – في مكان ثابت وهذا المكان يجب أن يكون ذا مكانة عظيمة تقابل عظمة الشمس ، إنه الكعبة المشرفة . الشمس منبع الضياء المادي ، والكعبة موئل الضياء المعنوي . فما كان عن يمين الواقف فيها أو عن يمينها عند شروق الشمس ، فهو « اليمن » وموضع اليمن والجنوب = استنادا الى العلاقة بالشرق الأيمن = الجنوب ، ومهب الريح الطيبة التي تأتي بجوهر الحياة على الأرض – المطر – وهي جميعا ذات علاقة باليمن وباليدين اليمنى ( لفظا ومعنى ) . وما كان من شمالها أو شمال الواقف فيها فهو « شام » وموضع « شؤم » وشمال ومهب الشمال التي تسفر السحاب وتأتي بالبرد والغيار (٦٢) .

أما التوافق الطبيعي بين تينك الجهتين وماذكر في السؤال الثاني ،  
فذلك مالا يعقل أن يتم نتيجة لتواضع واتفاق أجمع عليهما العرب ، إلا أن  
يكون بينهم وبين الطبيعة توافق ، وهذا أمر ترشحه فطرتهم . وهذا أمر  
- نفي أم ثبت - يؤكد أن اللغة أو بعضها توقيف من الله تعالى لا اصطلاح ،  
وأذكر هاهنا بقوله تعالى « وعلم آدم الأسماء كلها » ولا أخوض في هذه  
القضية التقليدية رادا من أراد ذلك إلى المصنفات التي عرضت لها (٦٣) .

ونتساءل بعد ذلك كيف جاءت الكلمات « تيمنا » السريانية ، و « تيمن »  
العبرية و « اليمين » العربية ، لدلالاتها على الجنوب ، سواء أكانت هذه الدلالات  
مباشرة أم غير مباشرة ؟ هل تواضع العرب والآراميون والعبرانيون على  
ذلك ، فاصطلحوا عليه أم أن الكلمتين في تينك اللغتين ذخيلتان من العربية ؟  
اليس في ذلك إشارة إلى أن الكلمة « الحمد المكاني للتعليم على الجهات لنقى  
الاشراق » كانت مقدسة عند جميع الشعوب السامية منذ أمد بعيد يرجع إلى  
الوقت الذي كانوا يعيشون فيه قبائل رعوية أو قبل ذلك ؟ أوليس فيه إشارة  
إلى أن بلاد العرب هي موطن الساميين الأصلي ، بل المنبع الذي صدر منه  
الناس كافة ؟ ألم يقل تعالى « كان الناس أمة واحدة » ؟ . ان في لغاتهم  
المعاصرة بقايا مما تشير إليه كلمة « واحدة » . كثير هي القسوم التي  
سمعتها تعبر عن نعم بالصوت «ج» بإخراج نفرة من جانب اللسان ، وعن  
« لا » بالصوت « تس » بإخراج نفرة حادة من مقدم اللسان . وكما هي  
المفردات المشتركة ، وأسوق أمثلة بأها وماما وأبو من لغة الطفل . وطريف  
أن كلمة أبو تعني الماء باللغة السنسكريتية وهي مستخدمة لذلك في لغة  
الأطفال ببلاد الشام ومصر ، وفي لغة بقايا البربر والطوارق ، وفي لغة  
الهوسا في وسط غرب إفريقيا . ثم ان في دلالات « يمين ويسار أو شمال »  
على ما يستحب ويكره بالترتيب لدليلا على أنهم جميعا قد صدروا في ذلك  
من فكر واحد لمجتمع كان يوما واحدا . ان حفريات القبور القديمة وأشكالها  
توحى بشيء من هذا التوافق غير الناجم عن مصادفة .

ان الجزيرة العربية مؤهلة لأن تكون مهد الانسان ووطنه الذي ارتحل  
منه إلى جميع البلدان ، ذلك بما تتمتع به من مناخات مختلفة في الوقت  
الواحد ، ولما يهطل عليها من مطر صيفا وشتاء يتناسب مع طبيعة الحياة  
البداية والرعوية . ثم انها متصلة بإفريقيا بواسطة جزر باب المندب

(جنوباً) وبواسطة شبه جزيرة سيناء شمالاً « غريباً » . ولقد كانت متصلة بها قديماً حين كان ساحلاً البحر الأحمر رتقا ، قبيل الزمن الجيولوجي الثالث (٦٤) . وإن هذين الساحلين متشابهان في أكثر من ٨٠٪ مما يشهد أنه من طباع بشرية وألوان ومن بيئة طبيعية ، وأسلوب معاش ، ومنتجات ونباتات وغير ذلك .

وتتصل بأسيا عن طريق مضيق هرمز ، وعن طريق العراق ، وتتصل بأوروبا عن طريق الشام ، فهي ، بحق بؤرة العالم . ومكة بؤرتها والكمبة بؤرة مكة ، وإن هذا ليتفق مع ماذهب اليه بعض المفسرين من أن ابتداء دحو الأرض وبسطها كان من موضع الكمبة ، كان الأصل شبيهاً بحجر على الماء . فكان ذلك الموضع مركز الأرض . وإذا كانت هي مهبط الوحي من السماء ، فهي إذا مبدأ التكوين ، وهل مكة ، وبلاد العرب مؤهلة لذلك ؟

لعل فيما أسلفت من مميزات لجزيرة العرب ما يؤهلها لأن تكون كذلك دون غيرها . وقد جاء في كتاب « منامرات لغوية » لعبد الحق فاضل ، قوله : « ان كلمة اليمين حجازية المنبت في عقيدتنا ، ولنا في نشأة اليمين واليسار رأي ليس هنا مقام شرحه » (٦٥) . ولا شك في أن صاحبنا واقف على حقيقة تدعم مذهبنا اليه .

كما نشر في مجلة العربي (٦٦) تحت عنوان « دراسة تثبت أن مكة مركز الياحسة ما نصه : قام الدكتور حسين كمال الدين ، أستاذ المساحة بدراسة أثبت خلالها أن مكة هي مركز الكرة الأرضية . وكان هدفه في البداية الوصول الى وسيلة تساعد أي مسلم في أي مكان على تحديد القبلة .

إلا أنه توصل أثناء بحثه الى ما يشبه النظرية الجغرافية بأن مكة هي مركز لدائرة تمر بأطراف جميع القارات ، فقد اتجه الى رسم خريطة للكرة الأرضية تحدد عليها اتجاهات القبلة فبعد أن رسم خريطة تحسب أبعاد كل الأماكن على القارات الست وموضعها من مدينة مكة ، ثم أوصل بين خطوط الطول المتساوية « مع بعضها » (٦٧) ليعرف كيف يسكون اسقاط خطوط الطول وخطوط العرض ، فتبين له أن مكة هي بؤرة هذه الخطوط ، ثم رسم خطوط القارات وسائر التفاصيل على هذه الشبكة ، واستعان في بحثه بالعقل الإلكتروني لتحديد المسافات ، والارتفاعات المطلوبة ، ولاحظ أنه يستطيع أن يرسم دائرة يكون مركزها مكة وحدودها خارج القارات الأرضية ومحيطها يدور مع حدود القارات الخارجية ، وتوصل من نظريته الى منغى الحكمة الإلهية في اختيار مكة مكاناً لبيت الله » .

بهذا تكون الأدلة الدينية واللغوية والعلمية متفقة على مكانة مكة وبلاد العرب وبهذا تتضح بعض الجوانب الميتافيزيقية في اللغة بعد أن تبين لك مدى التوافق الطبيعي بين الإنسان ولفته وبيئته .

ان في الكون لمبرا كثيرة لمن أراد ، ولن تدبر وتفكر ، كل يمين موجب ، في الجسم ، وفي بلاد العرب ، بل في المسالم بأسره ، وفي الرياح . وفي المغناطيس ، وفي الدرة ، وفي الكهرام . وكل شمال الى شؤم ، وكل شمال سالب ، الالكترونات السالبة تتحرك مندفعة من مداراتها حول نواة الدرة فيتم الدمار . والشعر يطغى على الخير فيكون الدمار ، والظلمة تزاخم الضياء فيكون المسمى .

وتبارك الله الذي خلق الكون الأصغر فجعله في هيئة الكون الأعظم : - الانسان - الشمس هيناء ، وحقله المذبر من فوقه ، وأذنائه القمر بما هما دون المئين في الادراك ، تماما كالقمر دون الشمس في الكشف أو هما قطبا الأرض ، أو المداران . وقبله مشرق ، ودهزه مغرب ، ويدها القطبان الأعظمان ، أو قطبا الأرض ، فالشمالي منها سالب غالبا ما يشهد ما يكره والجنوبي منها ميمون . وبلاد العرب بطن الأرض ورحمها التي زودت أنعام الأرض المختلفة بالناس ، ومكة سرتها ، منها ابتداء الخلق المادي أو التكوين المادي للكرة ، وعبرها كان يتنزل الوحي المخرج من الظلمات الى النور .

ليس في الأرض الا جهتان هما الشمال والجنوب . أما المشرق والمغرب والفوق والتحت فتسبب الى الشمس والحساب . فالأرض كرة وأظهر ما في الكرة محورها . واتجاهها اللذان يأخذ فيهما من مركزها هما الشمال والجنوب .

ورقة الانسان هي الفضاء الخارجي ، والصدر والرئتان هي الغلاف الغازي وبقية جسمه هو الأرض ، والتراب من التراب الى التراب . اني أدمو العلماء الى البحث في خصائص القطبين وأوجه التفاضل

بينهما ، وإلى البحث في أوجه التفاضل بين الشمال والجنوب ، وبين شقي البدن ، وإلى البحث في ماوراء اللغة ، فهي كتاب الحضارة وأداة الخلق . واني على يقين من أنهم الى نتائج باهرة لابد واصطون .

• يعينى عبد الرؤوف جبر

## الهوامش

- ١ - ناقشنا هذه الفكرة في مقالنا « المين بين العلم واللغة » المنشور في عدد ديسمبر سنة ١٩٧٨م من مجلة الثقافة العربية .
- ٢ - مريم من الآية ١٦ ، وانظر نعت الزيتونة في سورة النور ، الآية ٣٥ .
- ٣ - القصص من الآية ٤٤ .
- ٤ - البقرة من الآية ١١٥ ، وانظر مثله البقرة ١٤٢ ، ١٧٧ ، ٢٥٨ والصفراء ٢٨ والمزمل ٩ والكهف ٨٦ .
- ٥ - الرحمن ١٧ وانظر الزخرف ٢٨ .
- ٦ - ابن قتيبة - الأنواء - ١٤١ .
- ٧ - الأعراف ١٣٧ وانظر مثله المارج ٤٠ والصلوات ٥ .
- ٨ - انظر هـ ٦ سابقا .
- ٩ - الأصمعيات ٤٩ .
- ١٠ - أحمد فريد رفاعي - عصر المأمون - ٤٧٧/١ .
- ١١ - ابن قتيبة - الأنواء - ١٦٥ .
- ١٢ - المزلوني - الأزمنة والأمكنة - ٣٤٣/٧ .
- ١٣ - ابن الأنباري - شرح الفضليات ط لندن - ٧٧١ .
- ١٤ - ليبد - ديوانه - ١٨٥ .
- ١٥ - ابن يمين - اتفاق المباني والفرق المعاني ، بتحقيقنا - ص ٤٣ .
- ١٦ - النظر مجموع أشعار هذيل .
- ١٧ - ابن الأنباري - الفضليات - ١٠٤ .
- ١٨ - طرفه بن العبد - ديوانه - ٥٢ .
- ١٩ - ينزل النظر على مكة ونواحيها صيفا وشتاء لأنها في منطقة تصل إليها الرياح الشمالية الغربية فتهب ، والرياح الموسمية صيفا .
- ٢٠ - الجور - الآية ٧٧ .
- ٢١ - الداريات - الآية ٤١ .
- ٢٢ - الطرماح بن حكيم - ديوانه - ٣٣٥ .
- ٢٣ - النايقة الشيباني - ديوان - ١١١ .
- ٢٤ - كثر فزة - ديوانه - ١٧٥/١ .
- ٢٥ - النمر بن تولب - مجموع أشعاره - ٦٨ .
- ٢٦ - رؤبة - ديوانه ٥٨ .
- ٢٧ - المبرد - الكامل في نهاية الأرب - ٢٤٦/١ .
- ٢٨ - أبو علي القالي - الأماني - ١٨١/٧ . وانظر ماورد من بيان لطبع الجنوب في الصناعات السابقة .
- ٢٩ - الطرماح ٤١٢ .
- ٣٠ - لذلك ذهب بعض الفلاسفة المسلمين إلى اعتبار الأجرام السماوية كائنات حية لأنها تتحرك .
- ٣١ - انظر لدلالاتها اللسان ( جشا ) .
- ٣٢ - السكري - شرح أشعار هذيل - ط القاهرة - ص ١٧٢ .
- ٣٣ - ابن الأنباري - الفضليات - ١٧٠ .
- ٣٤ - انظر قول طرفه هـ ١٨ .
- ٣٥ - مجموع شعر مالك بن الربيع ص ٥٣ ومثله لابن مقبل - ديوانه - ٢٣٣ .

- ٣٦ - ابرو القيس - ديوانه - ٨ .  
 ٣٧ - الاخفش الأصغر - الاختيارين ، تحقيق فخر الدين قباوة - ط دمشق سنة ١٩٧٤  
 ص ١٧٨ .  
 ٣٨ - المنكري - فرج الشعر الهلاليين - ١٩٩/١ .  
 ٣٩ - نفس المرجع ١٣٠/١ .  
 ٤٠ - ابن الأثير - النهاية في فريب الحديث ، والنسبان ( زيب ) .  
 ٤١ - ابن فارس - معجم القبايس - ( زيب ) والكلمة لدلالاتها على النشاط سامية  
 مشتركة ، ( انظر : دراسات مقارنة في المعجم العربي - للسيد يعقوب بكر « زيب » ) .  
 ٤٢ - الواقعة : ٢٧ وانظر لفظة الخدر : ٣٩ .  
 ٤٣ - الواقعة : ٨ ، ٩ .  
 ٤٤ - الاسراء : ٧١ ، وانظر لفظة العاقلة ١٩ والانشقاق ٧ .  
 ٤٥ - الزمر : ٦٧ .  
 ٤٦ - الشعاع بن ضار - ديوانه - ١٨١ .  
 ٤٧ - العاقلة : ٧٥ .  
 ٤٨ - اللسان ( فعل ) - وراجع الفصل الاخر من المجلد الرابع من الفصل في  
 تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي .  
 ٤٩ - الهمداني - سفة جزيرة العرب - ١٥٤ .  
 ٥٠ - ابن واضح اليعقوبي - البلدان - ٣٦٨ .  
 ٥١ - سبا : ١٦ .  
 ٥٢ - ابن حزم - ط الكاثيريكية بيروت ص ٤٨٨ - ٤٩٠ .  
 ٥٣ - يتضح ذلك باستقراء ما سبق ، وباستقراء طبائع الجهسات ولا سيما  
 ( شمال وجنوب ) .  
 ٥٤ - تذكر ان المغرب العسكري يخالف من يبدأ السير برجله اليسرى عند اليعازر  
 « الى الاصام سر » ؟ .  
 ٥٥ - يقصد السيارة -  
 ٥٦ - يقصد المنصر أو الاسطس أو واحد الاجرام العلوية .  
 ٥٧ - ابن حزم - تهافت التهافت - ٢٤٢ .  
 ٥٨ - جواد علي - الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام - ٤٣٦/٤ وانظر للبيت  
 ديوان المرقشي .  
 ٥٩ - القطامي الثقلي - ديوانه - ١٨١ .  
 ٦٠ - انظر هـ ٣٧ .  
 ٦١ - المعجم المهرس للالفاظ الحديث ( حصص ) .  
 ٦٢ - سمعتم في تهامة سبع يقولون للمتيجه شمالا : شام او شام وللمتيجه جنوبا  
 يمن اي اتجه قبل الشام ، وقبل اليمن . كل ذلك جنوب مكة المكرمة .  
 ٦٣ - راجع ما ذهب اليه ابن فارس وابن جني في مصنفاتهما ، وما اورده السيوطي  
 من ذلك في مزهره .  
 ٦٤ - بروكلمان - تاريخ الشعوب الاسلاميه - ترجمة منير البعلبكي ١/١ .  
 ٦٥ - عبد الحق فاضل ١٢٦ .  
 ٦٦ - المسند ٢٣٧ شعبان ١٢٩٨هـ ، أغسطس ١٩٧٨م ص ٧١ ( استطلاع  
 مكة المكرمة ) .  
 ٦٧ - هكذا وردت .  
 \*\* انظر بحث ليد سبارسكي في :

Kelilinschriften und das alte  
 Tertament, s. 179 f.

# الحِسْبَةُ وَدَوْرُ الْمُحْتَسِبِ فِي الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ

بِعَنَانِ  
الْأَسَازِ مُحَمَّدٍ الْبَرْهَانِيِّ

مِنَ الْمُصَنِّفِ: مُحَمَّدُ الْبَرْهَانِيُّ الْإِسْلَامِيُّ  
الْقُرْآنِيُّ الْإِسْلَامِيُّ الْإِسْلَامِيُّ الْإِسْلَامِيُّ  
لِلْإِسْلَامِيِّ الْإِسْلَامِيِّ الْإِسْلَامِيِّ الْإِسْلَامِيِّ

فقد كان من الضروري وجود من يقوم بالاشراف على التعامل في الأسواق وتنظيم المعاملات التجارية ، سواء بين التجار أنفسهم ، أو بينهم وبين المشتريين ، ولذا وجد منصب الحسبة ، وأسند الى المحتسب القيام بهذا العمل ، يساعده في ذلك الأئام والعرفاء - فالحسبة وإن كانت في أساسها وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه ، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله (١) ، لقوله تعالى : ( ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ) (٢) ، إلا أننا لن نتعرض هنا لأحكام الحسبة إلا فيما له صلة بالمعاملات التجارية خاصة فيما يتعلق بالفش والتدليس والماطلة في دين من الديون ومنع المنكرات في الأسواق ومراقبة الأسعار والتجارات والمعاملات ، والاشراف على تنظيم الأسواق (٣) - وقد تغطت الحسبة بهذا المعنى الديني الخلفي من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الى واجبات عملية مادية تتفق والمصالح العامة للمسلمين ، واعتبرت خدمة اجتماعية واقتصادية تعمل على تحقيق حسن المعاملات بين أفراد المجتمع في نطاق التعاليم الدينية والشرعية ، إذ هي تمنى في التشريع الاسلامي بشكل عام ما يطلق عليه المصلحة العامة في التشريع المصري (٤) - وإلى جانب ذلك أيضا تعتبر وظيفة ادارية قضائية في آن واحد ، إذ أن المحتسب كان مكلفا بالفصل في بعض القضايا التي لا ينظرها القاضي (٥) ، كما أن الحسبة أشمل في الموضوعات التي نفاها النظر فيها ، وهي من ناحية أخرى أشمل في تسميتها من كلمة أحكام السوق (٦) -

وختلف المؤرخون حول منشأ الحسبة ، فذهب البعض الى أن الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) كان أول محتسب لأنه نهى عن الفش وقال : ( من فشنا ليس منا ، وذهب البعض الى القول بأن « عمر بن الخطاب » هو المحتسب الأول في الاسلام ، فقد كان يطوف بالشوارع والأسواق حاملا درته معه ، ومتى رأى غشاشا أو مدلسا خففه بالدرة مهما يكن شأنه ، وربما أوقف بضاعته ، على حين ذهب آخرون ، وبصفة خاصة من الكتاب المحدثين الى أن الحسبة قد عرفت في عهد الأمويين ، أو أنها نشأت في العهد العباسي (٧) - وعلى أية حال ، فقد تدهمت معالم الحسبة منذ القرن الثالث الهجري ، إذ حفلت المدن الاسلامية بالمراكز التجارية والصناعية والأسواق ، وزخرت بطوائف التجار وأهل الحرف والصناعات ذوي الميول والاتجاهات السياسية المتعارضة والمذاهب الدينية المختلفة ، مما جعل الدولة الاسلامية



تنزع الى فصل الحسبة عن القضاء ، وجعلها أداة رقابة وضبط وتنفيذ سريع ، حتى لا يضطرب الأمن وتختل أصول المعاملات التجارية وتمم الفوضى (٨) .

وقد قامت الحسبة في بلاد المغرب والأندلس على نفس الأسس والأصول التي وضعت لها ولتحقيق الأغراض نفسها ، إذ كانت خطة الحسبة في الأندلس يتولاها أحد القضاة (٩) ، وكثيرا ما كان يلقب بقاضي الجماعة ، وبالوزير تفخيما لشأنه وتمظيما لقدره ، وينسدرج تحت اختصاصاته الاشراف على أعمال الحسبة (١٠) ، فقد كانت من الوظائف الهامة والمرموقة التي يتطلع اليها رجالات الدولة (١١) . وتمتبر كتب الحسبة مصدرا رئيسيا لدراسة تاريخ الاقتصاد في البلدان الاسلامية والقام الضوء على الحياة الاجتماعية والنشاط التجاري (١٢) .

أما عن المحتسب الذي يقوم بتنفيذ واجبات الحسبة ، فقد كان يشترط أن تتوفر فيه عدة شروط أهمها : معرفة أحكام الشريعة والتفقه في أمور الدين ، وأن يكون حازما في تنفيذ الأحكام الشرعية على المغالين ، بعيدا عن الرور والتفاخر والبهاة بالمنصب أو السلطة ، عفيفا عما بأيدي الناس من أموال ، متورعا عن قبول الهدية أو الرشوة ، كما يشترط فيه حسن المظهر والهندام وأن يتصف بالرفق ولين القول ، وعلاقة الوجه وسهولة الأخلاق (١٣) .

وقد أوضحت كتب الحسبة ، سواء المشرقية أو المغربية ، أعمال المحتسب وواجباته وقد اتفقت في مضمونها مع بعضها البعض ، إذ أن الحسبة هي إحدى النظم الاسلامية التي طبقت في دول العالم الاسلامي مشرقه ومغربيه . وقد تضمنت واجبات المحتسب عدة أغراض منها الاشراف على الآداب العامة والفواحي الدينية ، والأسعار ، والأسواق ، والباعة والمعاملات ، وكشف الفس والتدليس والمراقبة عليه (١٤) . وكذلك حمل الناس على المصالح العامة في المدينة والأسواق ، والاشراف على المكاييل والموازين والعمل على ضبطها ، واجبار المساطلين على دفع ديونهم طالما كان في إمكانهم ذلك ، وإلى جانب ذلك معرفة حيل الباعة في أمور التدليس أو الفس وكشفها والقضاء عليها ، وتنظيم الأسواق التجارية بصفة عامة (١٥) . هذا وإن كانت قد أسندت الى المحتسب أعمال أخرى ، ولكنها لا تندرج تحت ما نحن بصدد من أعمال المحتسب في الأسواق والمعاملات التجارية . ويصور لنا « المقرئ » نقلا عن « ابن سعيد » صورة حية نابضة بالحركة عن كيفية مباشرة المحتسب

لأعماله في الأسواق ، فقد كان يسير في الأسواق راكبا دابته ، ويصحبه في ركبته أهواته حاملين معهم الموازين والمكاييل لمعايرة أوزان الباعة ، والتأكد من وزن الخبز بالذات ، إذ كان وزنه معلوما ومسعرا ، حتى لا يكون هناك مجال للتلاعب في أوزانه ، أما اللحم فكان يشترط عليهم وضع ورقة مكتوب عليها الأسعار التي أحدها المحتسب ، كما اتبع المحتسب بعض الأساليب « التي مازلنا نستعملها حتى اليوم » في اختبار الباعة ومدى التزامهم بالأوزان والأسعار فقد كان يدس عليهم صبيا أو جارية ليبتاع منهم ثم يقوم باختبار الوزن ومراجعة السعر ، فإن وجد نقصا في الوزن أو مخالفة لما حدده لهم من الأسعار ، قاس على ذلك حالهم مع الناس في التعامل ، ويقوم بتوقيع العقوبة الفورية على المخالف ، والتي تبدأ بالتوبيخ أو الضرب والتجريس والتشهير في السوق ، أو النفي من الأسواق ، بل من المدينة بأسرها ، وكل ذلك يجري وفق أحكام العسبة وقواعدها التي يدرسها المحتسب ويعلمها للباعة (١٦) .

وكان على المحتسب مفاجأة الأسواق والباعة في أوقات الغفلة عنه ، كما يتخذ له فيها عيونا يوصلون إليه الأخبار وأحوال السوق (١٧) والاشراف على تنظيم الأسواق ومنع الجلوس في طرقاتها ، أو إخراج الباعة لمصاطب الدكاكين حتى لا يضايق المارة كما يمنع أحمال المظب والتبن وأحمال الخلفاء من دخول الأسواق حتى لا تلحق الضرر بالمارة ، ويحمل أيضا على أن تكون حوانيت المطارين والبازين هميدة ممن كانت صناعته تحتاج إلى وقود نار كالحباز والطباخ والمداود حتى لا يحدث ضرر بينهم لعدم التجانس ، والعمل على نظافة الأسواق (١٨) .

وكانت واجبات أحمال المحتسب في الاشراف على الباعة وأصحاب الصنائع في الأسواق متعددة ومتشعبة ، فقد كان عليه أن يشرف على الفرانين والحبازين ، فيقوم بتفريقهم على الدروب والمحال وأطراف البلد لما في صناعة الخبز من أهمية ويأمرهم بإصلاح المداخل ، وتنظيف القرن من اللباب المحترق والرماد المتناثر حتى لا يلتصق بالخبز ، إلى جانب نظافة الفرانين وأدواتهم المستعملة في المعجن ، كما فرض عليهم وضع علامات مميزة على أطباق المعجن إذا كثرت عنده حتى لا تختلط مع بعضها البعض (١٩) ، أما بالنسبة للجزارين فقد فرض عليهم اتباع الأصول الشرعية في عمليات الدبج بذكر اسم الله ، واستقبال القبلية ، وعدم استخدام السكين كالة ( أي غير مستونة ) وكذلك عدم نفخ لحم الشاة بعد المصلح حتى لا تتغير نكهة اللحم ، كما

اشترط على القصابين عدم بروز اللحم عن حد مصاطب الحوانيت ، وعزل لحوم الماعز عن لحوم الضأن وتمليق أذئاب الماعز على لحومها الى آخر البيع حتى لا يختلط الأمر عند المشتري ، وكذلك بيع الآليات مفردة عن اللحم ، ولا يخالطها جلد ولا لحم ، الى جانب اتباع النظافة الشخصية للمحل أيضا ، كما يختبر الدهانج اذا شك فيها ، بالقائها في الماء فان طفت فهي ميتة ، وان رسبت فهي مذبوحة ، واتباع هذه الطريقة في اختبار صلاحية البيض (٢٠) .

كما تولى الاشراف على صناعات المأكولات المختلفة مثل صناعات الزلابية ( نوع من الفطائر التي يدخل في عملها العسل واللوز ) (٢١) ، والشوائين ، اذ يقوم بوزن الحملان قبل ادخالها في التنور ويكتبها في دفتره ، ثم يعيد وزنها بعد اخراجها ، فاذا نقص وزنها الثلث فقد تنامي نضجها ، والاعادها الى التنور مرة اخرى حتى يتم نضجها (٢٢) . وكذلك الرواسين ( أي بانمي الرووس والكوارج ) حيث يأمرهم بتطبيقها ، وعدم خلط رموس الماعز بالضأن ، بأن يجعلوا في أفواه رموس الماعز كوارعها لتمييزها (٢٣) ، كما تناولت وظيفة المحاسب الاشراف على الصيدلة الذين كانوا يبيعون أنواعا من الأعشاب الطبية والأدوية الجافة ، وأيضا الشرابين حيث كانوا يصنعون الأدوية السائلة والمركبة والمجامين والمراهم ، وكذلك المعطارين الذين كانوا يبيعون العقاقير الطبية ، خاصة أن هذه الأنواع من السلع كانت عرضة للفش بوسائل كثيرة يصعب اكتشافها (٢٤) . وتناولت أعمال المحاسب أيضا الاشراف على البزازين ( بانمي الثياب ) ، والحاككة ( من ينسج الغزل ) ، والخياطين ، والقطائين (٢٥) ، والكتائين ، والحرييين ، وأيضا الصباغين . وقد وضعت لهم شروط وقواعد لممارستهم لهذه الأعمال ، والابتعاد عن الفش أو التدليس (٢٦) . وكذلك الاشراف على الأساكفة (صانعي الأحذية) ، والصاغة ( صانعي الحلبي المصنوعة من الذهب والفضة ) ، والنحاسين والحدادين ( صانعي الأدوات النحاسية أو الحديدية ) ، ومنهم من الفش أو التدليس فيما يقومون بصنعه (٢٧) . كما تناولت أعمال المحاسب أيضا الاشراف على البياطرة ، وما يقومون به من علاج الدواب المختلفة ، وضرورة معرفتهم بعملها وطريقة معالجتها ، وكذلك الاشراف على الفصادين (٢٨) والحجامين (٢٩) والأطباء والكحاليين (٣٠) والمبجزين (٣١) ، والجراثيمين (٣٢) ، ويختبرهم ويراقب أعمالهم ويلزمهم باتباع القواعد المتعارف عليها وفق الأصول العلمية المعمول بها (٣٣) . وهذه الأعمال وإن كانت تتسم بالصنفة الطبية مما يجعلها تبدو بعيدة عما نحن بصدده من تناول أعمال المحاسب في الأسواق ، ولكنها في الحقيقة وثيقة الصلة بموضوع الدراسة ، حيث أنها تعتبر نوعا من المعاملات ولها سمة التعامل التجاري لما تتضمنه من اتفاق نقدي بين القائمين عليها والمتنفعين بأعمالهم .

ولم تقتصر واجبات المحتسب على الأعمال السابقة ، بل تناولت أيضا الاشراف على نخاسي العبيد والدواب ، ومفاجأة أسواقهم ، ومراقبة مدى تنفيذهم للقواعد التي تتبع في تعاملهم في بيع العبيد والدواب ، كما وضعت الأسس التي تنظم هذه العملية (٣٤) . كما تولى المحتسب تحصيل الجزية من أهل الدمة طبقا لما تقرر عليهم (٣٥) وقام المحتسب أيضا بمدة أعمال اخرى تتصل بالنواحي الدينية والأداب العامة ، والمبادات ، وليس هنا مجال لذكرها لتشعبها وارتباطها بمجالات أخرى غير المجالات التجارية أو الاقتصادية ، وما يتصل بها من مراقبة الأسواق والباعة وضبط موازينهم ومكاييلهم ومنع الغش (٣٦) . كما أوضح « ابن عبدون » واجبات المحتسب التي أشرنا إليها ، وزاد عليها بعض الواجبات الملقاة على عاتقه في أمور الحسبة على القوارب التي تحمل البضائع والتجار ، ومراعاة عدم زهادة حملتها عن المقدار المحدد لها (٣٧) .

وقد بلغت وظيفة المحتسب وأعمال الحسبة في الدولة الإسلامية درجة كبيرة من الدقة في ضبط الأمور وتنظيم المعاملات في الأسواق مما دفع البيزنطيين الى أخذ نظم الحسبة ووظيفة المحتسب وتطبيقها عندهم ، وأضحت من الدقة والصرامة ، بحيث خشي بأسها التجار ، وكان من العسير عليهم تهريب السلع والبضائع ، أو التلاعب في أسعارها ، أو الإغلال بنظم الأسواق (٣٨) .

ولعل من أهمية هذه الوظيفة أنها انتقلت الى ممالك أسبانيا المسيحية ، وإن كان نفوذها قد تقلص عنها وصار حمل المحتسب مقصورا على مراقبة الأسعار والموازين ، ويسمى هناك بالاسم العربي نفسه *Almohtacen* . كذلك ظلت وظيفة المحتسب قائمة في المغرب حتى اليوم ، في الوقت الذي انقرضت فيه من المشرق ، وهذا دليل على أصالتها وضرورة الحاجة إليها في بلاد الغرب الإسلامي .

ولم تكن الدولة تتدخل في الحياة الاقتصادية المسامة ، ولكن قام أولو الأمر بمراقبة الأسواق والمعاملات التجارية مراقبة دقيقة لمنع الغش وضبط الأمور (٣٩) . ويطلق بعض المستشرقين على المحتسب اسم « مفتش الأسواق والبضائع أو السلع ، والمقاييس والمكاييل والأوزان » (٤٠) .

كما يطلقون على الحسبة اسم : الشرطة المدنية ، أو الشرطة المسئولة في الأسواق والأدب العامة (٤١) . وهذا مما يدل على أهمية الحسبة والمحاسب في حجم المعاملات التجارية والإشراف على الأسواق ، كما يدل على ما بلغت من الدقة والتنظيم مما ساعد على استقرار الأمور ، وأسهم في ازدهار النشاط التجاري .

#### الأهوان والعرفاء :

على الرغم من تعدد الواجبات الملقاة على عاتق المحاسب وتشعبها ، إلا أنه كان قادراً على مجابعتها ، والقيام بأعبائها ، وقد استعان على تنفيذ ذلك بالأهوان والعرفاء لمساعدته في تنفيذ مهام وظيفته ، ولهذا كان يختار بنفسه الأهوان الذين يعملون معه ، مراعيًا في ذلك أن تتوفر فيهم الأمانة والنزاهة ، ويحدد للأهوان أجره معلومة في اليوم حتى يتمكن للمحاسب أن يقطع لهم منها في تصرفهم بحسب ما مضى من النهار (٤٢) . كما اختار عريفًا من أهل كل صناعة أو تجارة ليكون مسئولًا أمامه عما يصدر من أهل حرفته ، ويلزم المحاسب معرفتها ، فقد روي عن النبي ( صلى الله عليه وسلم ) أنه قال : « استعينوا على كل صنعة بمصالح أهلها » (٤٣) ويشير القرطبي إلى وجود عريف على أبواب كل صناعة من الصنائع في كل سوق من أسواق مصر ، يتولى أمرهم ، كما يقوم أهوان المحاسب بالطواف على أبواب الحرف والتجارة ومراقبتهم (٤٤) .

العقوبات التي يوقعها المحاسب :

وقد سن للمحاسب نوعية العقوبات التي يوقعها على من يخالف وذلك حتى تكون له هبة في النفوس ، ويخشوا بآنته ، ويكون ذلك لهم رادعًا يمنعهم من ارتكاب المعالفات أو الأخطاء ، ولذا منح المحاسب سلطة تنفيذية في توقيع العقوبة الفورية على من يخطئ وهو ما عرف بالتميز ، كنوع من العقاب والتأديب على ذنوب لم تشرع فيها الحدود ، وتختلف باختلاف نوع الذنب المقترف وحال فاعله ، ويكون بالأعراض عن المخطئ جليل القدر ، أو بالتهديد والتخويف ، أو بالضرب والحبس (٤٥) ، والتميز يوافق الحدود من حيث أن الفرض منه هو التأديب والزجر بحسب اختلاف الذنب ، ويخالف الحدود من حيث أنه يجوز فيه الشفاعة أو العفو ، كما يختلف باختلاف منزلة ومكانة المخطئ ، إلى جانب أن تمزيه متروك للحاكم أو القاضي ، وإذا حدث تلف بسبب التميز فيجب ضمانه (٤٦) .

والتعزير وان كان نوعا من العقاب لم يقرره القرآن ، ولكن اتفق عليه في معظم البلاد الاسلامية ، ويشترط فيه عدم الزيادة عن الحدود ، ويجوز في التعزير أن يجرد من ثيابه ، الا ما يستر عورته ، ويشهر في الناس وينادى عليه بذنبه اذا تكرر ذلك منه ولم يقطع عنه ، ويجوز أن يحلق شعره ولا تعلق لحيته ، واختلف في جواز تسخير وجهه وان كان قد أجازته الاكثرية من الفقهاء (٤٧) - ويكون التعزير أيضا بالتوبيخ بالقول أو الضرب بالسوط المتوسط الغلظ ، أو بالدرة (٤٨) ، أو النفي من البلد ، أو التجريس والتشهير بأن يلبس المشهر به طرطورا من اللبد ، منقوشا بالحرق الملونة ومكلا بالودع والأجراس ويطاف به في الشوارع (٤٩) ، وتوقع هذه العقوبات تبعاً للذنب الذي يرتكبه المخطئ ، وعلى حسب مركزه الاجتماعي .

وقد قام الاشراف على الأسواق بدور ايجابي في استقرار المعاملات وانتماش العمليات التجارية ، وضبط أمور أصحاب الصنائع ، وذلك نتيجة لتطبيق قواعد المسبة ، وقيام المحتسب بواجبات عمله خير قيام ، يساعده في ذلك الأهوان والعرفاء ، الى جانب منحه سلطة تنفيذية في توقيع العقوبات الفورية على المخالفين كل حسب ذنبه ، وهذا أدى من جانب آخر الى زيادة هيبة المحتسب في نفوس الباعة وأصحاب الصنائع وجعلهم يلتزمون الدقة والابتعاد عن الفس والتدليس أو الإخلال بالكيل أو الميزان مما أدى في نهاية الأمر الى انضباط أمور المعاملات التجارية في الأسواق .



## الهوامش والمصادر

- ١ - أبو يعلى : الأحكام السلطانية ، ص ٢٦٨ ، وانظر أيضا الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ٧٠٨ ، ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٢٥ .
- ٢ - سورة آل عمران (٣) : آية ١٠٤ .
- ٣ - راجع أبو يعلى : الأحكام السلطانية ، ص ٢٦٩ - ٢٧١ ، الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ٧٠٩ وما بعدها ، النووي : نهاية الأب ، ج ٦ ، ص ٢٩٣ - ٢٩٥ .
- ٤ - د. ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية في المصور الوسطى ، ص ٥٥ .
- ٥ - راجع : ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٢٦ .
- ٦ - الكفائي : ( أبو ذكريا يحيى بن عمر ، الأندلسي ) : أحكام السوق ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، نشر فرحات الشراوي ، تونس ١٩٧٥ ، ص ٩ - ١٠ ، ص المقدمة .
- ٧ - د. الرافعي : حضارة العرب ، ص ١٣٧ ، وانظر أيضا : الشهابي : الحسبة في الإسلام ، ص ١٠٣ .
- ٨ - الأستاذ/ عبد الحميد المبادي : صور وبحث من التسلسل التاريخ الإسلامي ، ص ١١٢ - ١١٧ ، الشهابي : الحسبة في الإسلام ، ص ١٠٣ - ١٠٥ .
- ٩ - القرني : نفع الطيب ، ج ١ ، ص ٢١٨ ، وانظر أيضا : زيدان ( جوجي ) : تاريخ المدن الإسلامي ، ج ١ ، ص ١٩٠ .
- ١٠ - القرني : نفع الطيب ، ج ١ ، ص ٢١٨ وانظر أيضا : الأستاذ/ عبد الحميد المبادي : صور وبحث من التاريخ الإسلامي ، ص ١٦٤ .
- ١١ - النهائي ( أبو الحسن عبد الله ) : المرتبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، المنشور بمتون ( تاريخ قصة الأندلس ) نشر ليفي بروفنسال ، دار الكتاب العربي ، القاهرة - ١٩٤٨ ، ص ٨١ ، وانظر أيضا : ١٧ -
- Provencal : Histoire de L'Espagne Musulmane, T3, P. 457.
- Dozy : Spanish Islam, P. 457.
- ١٣ - ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٢٥ ، وانظر أيضا : الشيزي : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، ص ٦ - ١٠ ، القرني : نفع الطيب ، ج ٦ ، ص ١٦٨ - ١٦٩ .
- ١٤ - أنظر الكفائي ، كتاب أحكام السوق ، مقدمة الكتاب ، ابن الأخوة : معالم القرية في أحكام الحسبة ، ص ٣ ، ابن تيمية ( أبو العباس أحمد ) : الحسبة في الإسلام ، مطبعة المؤيد بالقاهرة سنة ١٣١٨ هـ ، ص ٥ وما بعدها ، الشيزي : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، ص ٤ - ٥ .
- ١٥ - أنظر : ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٢٥ ، ابن عيرون : رسالة ابن عيرون في الحسبة ، نشر ليفي بروفنسال في كتاب ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة ، المعهد العلمي الأندلسي بالقاهرة ١٩٥٥ ، ص ٣٥ - ٤٩ ، وكذلك : رسالة ابن عبد الرؤوف في الحسبة - والمنشورة في نفس الكتاب السابق ، ص ٨٤ - وانظر أيضا في كتاب ثلاث رسائل أندلسية : رسالة عمر بن عثمان الجرسيني في الحسبة ، ص ١١٩ - ١٢٠ .
- ١٦ - القرني : نفع الطيب ، ج ١ ، ص ٢١٨ - ٢١٩ .
- ١٧ - الشيزي : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، ص ١٠ .
- ١٨ - ابن الأخوة : معالم القرية في أحكام الحسبة ، ص ٧٨ ، الشيزي : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، ص ١١ ، ١٤ .
- ١٩ - الشيزي : نهاية الرتبة ، ص ٧٧ - ٧٤ ، ابن الأخوة : معالم القرية ، ص ٩١ - ٩٢ .
- ٢٠ - الشيزي : نهاية الرتبة ، ص ٢٧ - ٢٨ ، ابن الأخوة : معالم القرية ، ص ٩٣ ، وانظر أيضا ابن عيرون : رسالة ابن عيرون في الحسبة ، ص ٤٣ ، وكذلك

- ابن عبد الرووف ( أحمد بن عبد الله ) : رسالة ابن عبد الرووف في آداب  
 الصبية والمعتصب ، نشر ليفي بروفسنال ، ص ٩٢ - ٩٥ .  
 ٢١ - الشيزدي : نهاية الرتبة ، ص ٢٥ - ٢٦ .  
 ٢٢ - المصدر السابق ، ص ٣٠ .  
 ٢٣ - نفسه ، ص ٣٧ .  
 ٢٤ - الشيزدي : نهاية الرتبة ، ص ٤٢ - ٥٨ .  
 ٢٥ - القطانون ( مفردا : قطان ) وهو الذي يقوم بئدق القطن ويقابله في العصر  
 العالمي المنجد ( الشيزدي ) : نهاية الرتبة ، هامش ١ ، ص ٦٩ ) .  
 ٢٦ - الشيزدي : نهاية الرتبة ، ص ٦١ - ٧٧ .  
 ٢٧ - المصدر نفسه ، ص ٧٣ ، ٧٨ .  
 ٢٨ - المصدر : شق العرق لاستفراغ الدم منه ، اما لرداءته ، واما خوفها من حلو  
 أمراض نتيجة كثرة الدم ( انظر الشيزدي ) : نهاية الرتبة ، هامش ١ ، ص ٨٩ ) .  
 ٢٩ - الحجامه : امتصاص الدم الفاسد أو الزائد ( انظر الشيزدي ) : نهاية الرتبة ،  
 هامش ٢ ، ص ٩٥ ) .  
 ٣٠ - الكمال : طبيب أمراض العيون .  
 ٣١ - الجبرون : هم أطباء المقام في تلك المصور .  
 ٣٢ - الجرائعون : هم أطباء الجراحة ( انظر : الشيزدي : نهاية الرتبة ،  
 هامش ١ ، ص ٣ ، ٤ ، ص ٩٧ ، من الكمالين والجبرين والجرائعين ) .  
 ٣٣ - الشيزدي : نهاية الرتبة ، ص ٨٠ - ٩٧ .  
 ٣٤ - المصدر السابق ، ص ٨٤ ، ٨٥ .  
 ٣٥ - المصدر السابق ، ص ١٠٦ .  
 ٣٦ - تجهيد الاشارة الى أن ( ابن الاخوة ) في كتابه معالم القرية قد تناول أعمال  
 المعتصب ، وإن كان قد أخذ الأبواب الأربع الرئيسية التي تناولها « الشيزدي » في كتابه  
 « نهاية الرتبة في طب الصبية » وأضاف إليها بعض الأعمال الدينية والاجتماعية التي  
 استلقت الى المعتصب ، وبلغ كتابه سبعين بابا .  
 ٣٧ - ابن عيرون : رسالة ابن عيرون في الصبية ، نشر ليفي بروفسنال في « ثلاث  
 رسائل انطيسية في الصبية » ، ص ٣٩ وما بعدها .  
 ٣٨ - د. العلوي : الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ، ص ١٢٧ .  
 ٣٩ - د. زياغة : محلات من تاريخ العرب ، ص ٢٥٥ .  
 ٤٠ -  
 — Dozy : Supplement Aux Dictionnaires Arabes, VI, P. 85.  
 ٤١ - د. شلبي : السياسة والاقتصاد في التفكير الاسلامي ، ص ١٧٧ .  
 ٤٢ - ابن عيرون ( محمد بن احمد النجيب ) : رسالة ابن عيرون في القضاء  
 والصبية ، نشر ليفي بروفسنال ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ١١ .  
 ٤٣ - الشيزدي : نهاية الرتبة في طب الصبية ، ص ١٢ .  
 ٤٤ - القريني : احاطة الامم بكشف القمة ، الطبعة الثانية ، ص ١٨ ، وانظر  
 ايضا : د. زياغة : محلات من تاريخ العرب ، ص ٢٥٥ .  
 ٤٥ - الماوردي : الاحكام السلطانية ، ص ٣٠٥ ، الشيزدي : نهاية الرتبة في طب  
 الصبية ، ص ١٠٩ ، ابن الاخوة : معالم القرية ، ص ١٨٤ - ١٨٨ .  
 ٤٦ - الماوردي : الاحكام السلطانية ، ص ٢٠٦ - ٢٠٧ ، ابن الاخوة : معالم القرية  
 في احكام الصبية ، ص ١٩٠ - ١٩٥ ، الشيزدي : نهاية الرتبة ، ص ١١٠ ، وانظر  
 ايضا : د. شلبي : السياسة والاقتصاد في التفكير الاسلامي ، ص ١٧٨ ، وكذلك :  
 الشهابي : الصبية في الاسلام ، ص ١٤٦ - ١٥٠ .  
 ٤٧ - الجريسقي : رسالة في الصبية ، نشر ليفي بروفسنال ، ص ١٢٧ - ١٢٨ .  
 ٤٨ - اللرة : تصنع من جلد البقر أو الجمال .  
 ٤٩ - الشيزدي : نهاية الرتبة ، ص ١٠ ، وانظر ايضا : د. ماجد : تاريخ الحضارة  
 الاسلامية في المصور الوسطى ، ص ٩٥ .



رسائل علمية

# شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام

قدمها : الأستاذ محمد علي الهرفي  
عرض : عصام ضياء الدين

قدمت هذه الأطروحة بجامعة الاسكندرية - كلية الآداب قسم اللغة العربية واللغات الشرقية - في ٢ ذي الحجة ١٣٩٨ وتال الباحث بموجبها درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الأولى . وكانت لجنة المناقشة تضم كل من :

الأستاذ الدكتور محمد زكي العشماوي - نائب رئيس جامعة الاسكندرية : رئيسا .

الأستاذ الدكتور حسين محمد نصار - وكيل كلية الآداب بجامعة القاهرة للدراسات العليا : عضوا .

الأستاذ الدكتور محمد مصطفى هداره - أستاذ الأدب العربي بالكلية - عضوا ومشرفا على الرسالة .

وكان موضوع الرسالة « شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام » .  
يرمي الباحث من وراء هذه الرسالة الى اثبات عدة حقائق :

اولها تأكيد ارتباط الشعر بالحياة ، وتأكيد معنى الجهاد وقيمته في  
حياة المسلمين في تلك العصور التي عرف عنها بأنها عصور تغلف وانحلال .  
فأثرت الحروب الصليبية في حياة المسلمين وشعرهم فنعكس شعر الجهاد هذا  
التأثير برؤيا جديدة لحياة الجد والايمان في مواجهة عصر الانحطاط .

الحقيقة الثانية : تأثير شعر الجهاد في ألوان الشعر الأخرى التي كانت  
سائدة في هذه العصور فانهصر شعر الفزل والهيجام وشعر الحمر واللمو ،  
بينما انتعشت فنون أخرى تتواءم مع طبيعة الجهاد مثل شعر الزهد والحكمة  
وكل ما يحض على الفضيلة والأخلاق .

الحقيقة الثالثة : أهمية شعر الجهاد بوصفه وثيقة تاريخية سياسية  
اجتماعية تؤكد ما تناولته صفحات التاريخ من ممارك الاسلام في مواجهة  
الصليبيين . وتكشف في الوقت نفسه دوافع كثيرة وحقائق ربما أهملتها  
روايات المؤرخين .

الحقيقة الرابعة : دعش شعر الجهاد ما تناولته كتب التاريخ من مظاهر  
التمرد والخلاف بين الأقطار الاسلامية ، فبرهن على حقيقة مشاعر الوحدة  
الاسلامية حينما تنادي الشعراء المسلمين في كل مكان . فدرس الباحث شعر  
ابن القيسراني وابن منير الطرابلسي وأسامة بن منقذ والقشهاب الحلبي  
وملائع بن رزيق وابن سناء الملك . قضت أطروحته مجموعة كبيرة من  
نصوص شعر الجهاد تجتمع لأول مرة في بحث متكامل . كما أنه أضاف  
الجديد باستخراجه لقائد من كتب مخطوطة غير منشورة .

وكان من الطبيعي أن يتناول الباحث دراسة تحليلية لشعر الجهاد من  
حيث عناصره الشكلية فقام بتحليل لفته وموسيقاه وصوره الفنية وزخارفه  
البديعية ونهج قصيدة الجهاد حيث لجأ الشعراء الى الابداع والتجويد دون  
التكلف والتصنع المقيت والتقليد .

ولقد قسم الباحث رسالته الملمية إلى أربعة أبواب ومقدمة تمهيدية  
حرص فيها على إيضاح السبب في اختياره لمنطقة الشام كي تكون محل  
دراسته لشعر الجهاد . فرد ذلك الى ما لأهمية هذه المنطقة من الناحية الدينية  
والناحية الاستراتيجية الأمر الذي حدا بالصليبيين الى الاستيلاء على الأماكن  
المقدسة في فلسطين وامتلاك الموانئ البحرية التجارية في بلاد الشام عموما .

وأخيرا كان من الطبيعي وهو بصدد تناوله شعر الجهاد أن يؤصل لفكرة الجهاد ومعناه في الاسلام ويبين أهميته والثوبة التي وعد بها الله المجاهدين في الحياة الأخرى .

تناول الباب الأول الحديث عن تاريخ الحروب الصليبية وآثارها في بلاد الشام ، وقسمه الى فصلين بحث في الفصل الأول الصراع بين الاسلام والصليبية ابتداء من سقوط بيت المقدس عام ٤٩٢هـ وانتهاء بطرد الصليبيين عام ٦٩٢هـ . بينما تناول الفصل الثاني الآثار الثقافية والاجتماعية التي خلقتها تلك الحروب في بلاد الشام .

ويأتي الباب الثاني من القسم في فترة الحروب الصليبية . وقسمه أيضا الى فصلين الأول منهما عن الشعر بصفة عامة وظواهره الفنية واستخدام الحسنة اللفظية التي تبعد الشعر عن هياته الأساسية . أما الفصل الثاني فتناول شعر الجهاد من الناحيتين التاريخية والأدبية ، فتميز بالجدية والالتزام فكان للشعراء هدف يسعون اليه وغاية نبيلة يرجون تحقيقها فارتفعوا بشعرهم لغة وأسلوبا ومعنى .

أما الباب الثالث فتناول دراسة تحليلية لشعر الجهاد في فترة الحروب الصليبية . وقسمه بدوره الى فصلين ، الأول منهما حرص فيه على تبيان اختلاف موضوعات هذا الشعر عما كان سائدا من موضوعات الشعر الأخرى آنذاك ، فجاء هذا الشعر مع بداية تلك الحروب . أما الفصل الثاني فخصصه لدراسة الظواهر الفنية لشعر الجهاد فتحدث عن لغة الشعر وموسيقاه وبين أن شعراء الجهاد كانت لديهم القدرة الكافية على استيعاب المعاني وصياغتها بلغة عربية فصيحة . هذا فضلا عن استخدامهم الصيغ البديعية خاصة الجناس والطباق . كذلك أبرز الصور الفنية التي تشمل التشبيه والاستعارة وأوضح الصور القديمة والجديدة المستخدمة . وأخيرا إذا كان الشعراء قد اقتبسوا بعض المعاني والصور من سابقيهم لا سيما « المتنبي » و « أبا تمام » إلا أنهم تفرّدوا بذاتيهم الخاصة في صورههم ومعانيهم وبالجملة لم يلتزموا بنهج القصيدة العربية القديمة .

ويأتي الباب الرابع والأخير الذي عرض فيه تراجم لأهم شعراء الجهاد وقسمه الى فصلين أيضا . تناول الأول تراجم « ابن القيسراني » و « ابن الطراپلسي » و « أسامة بن منقذ » و « الشهاب محمود الحلبي » . أما الفصل الثاني فلقد حرص الباحث على تناول تراجم بعض الشعراء المسلمين من غير بلاد الشام خصوصا مصر .

# تعليق على رد الدكتور محمد السليمان السديس

السلامة على ما كتبه الدكتور عبد الرحمن الشريف في العدد الرابع من البنية الجغرافية (الدارة) بعنوان "معمولي براسات في جغرافية المملكة العربية السعودية" على (الصفحات ٢٩٥ إلى ٢٩٨) بدأ على ملاحظات نقدية كتبها تحت العنوان نفسه في العدد الثالث من البنية نفسها من الدارة على (الصفحة ١٠١ إلى ١٠٢) التي تم نقاله في طرانة دراسات في جغرافية المملكة العربية السعودية (عدد ١٠٠) في الجاهلي بجمعية مدون الكاتب الزميل الباحث وتقبله للتقديم بروح الباحث التحرري للحقيقة المتمسك بأبواب الصواب فيما يتموضع له من مواضع وتقبلني لشكره التقديري الذي استغفرت من زكريا لمطوري رد ما يوحى بأنه كاذب مضيق وما ياكث من أخطاء تبيّن قديم الهمم الدقة، وأهاب الحيدة الموضوعية في الجوانب فاذن نقلته وتجاوز القول في صلب الموضوع المطروح للقائين وبإدراكي أن العديد من الخصائص وعدم التصاقها بالجغرافية، ويكرر ذلك لثقل بصره (الهمم) في المصطلحات كانت قوية، وإن حاولت تصنيفها في فئات (مبتدئين) كما ذكر، فكانت يبرهن الإحصاء بأن لا شيء منها لهذا السبب على وجه ولا دخل له بها.

إلى المصنف (١٠١) الذي أقر - فلا أحالة منطقيا في معنى موضوع القائين (١٠٢) من مدونات محمد بن عبد الوهاب في الحديث عن الكاتب وختم القول في (الكثير) فهو أن ليس لأحد حق في أن يقيم أي قارئ من قراءة أي موضوع وتقبله وتداوله ثم يتسببه، إن شاء تصنيفه (١٠٢) في تصنيف الدارة على ذلك ولكن الوهم لا سيما وأن

الدراسات الانسانية حلقات مترابطة .. والوشائج بينها وثيقة .. بل انها كالجسد الواحد ذي الجواس والأعضاء المتعددة . ثم اني لم اكن باعتري الزميل أول امريء غير جغرافي صار في دروب الجغرافية ، كما أن ما شجمني على ذلك أن مقالتي التي نعن بصددها كانت عن ( بلاد بهسا نيلت علي تمانسي ، وأول أرض مس جلدي ترابها ) ولابد لمن كان كذلك أن يملق في ذهنه كثير أو قليل من أحوالها الطبيعية والتاريخية والاجتماعية وغيرها . يضاف الى ذلك أن كثيرا من الهفسات الجغرافية الواردة فيه ظاهرة لكل ذي عينين .

وأما أن جميع الملاحظات كانت لغوية فالحق أن الأمر بخلاف ذلك : وبوسع القاريء الكريم مراجعة مقالتي والتحقق من صدق مقولتي ، ولو كانت كذلك لما أوردتها في تصنيفات متعددة ، اذ كفى بالأخطاء اللغوية ملخذا .

ويضطرب كلام الدكتور الشريف في معرض ذكره الملاحظات والمساخذ فاذا به تارة يصنفها بأن ( معظمها ) كانت أخطاء مطبعية ، وتارة بأنها ( كلها ) مطبعية .. ثم يتجنب بيان ذلك قائلا انه لا يريد أن يمدد تلك الملاحظات ... ولا اخال أحدا أيها الزميل الكريم سيقنع بهذا . وليس من الموضوعية وتقبل النقد النزيه في شيء وصف تلك الأخطاء على تنوعها ، ومنها ما هو خطأ تركيبى وصياغى ومنها ما يعود الى عدم الدقة في استقصاء المعلومات والاستفادة منها ، بأنها من اقراف الآلة الطابعة .. وهي مقولة قد تتقبل لو حددت الأهلط . ولقد ذكرت في مقالتي أنني غضضت النظر عن كثير من الأخطاء التي بدا لي أنها تطبيعية .. ولم أذكر مما ظننت من ذلك الضرب سوى عشرة .

ثم يقول الدكتور الشريف ( في ص ٢٩٦ ) : « غير أنه أبدى - مع الأسف - بعض الملاحظات اللغوية دون وجه حق ، ومن ذلك أنه اخترض في ص ١٢١ س ١١ على استعمال لفظ « العام » بصيغة المذكر ومرتين بصيغة المؤنث في ص ٢٦١ س ٥ ، ٦ ، ٧ على التوالي . مع العلم أنها كتبت في المرة الأولى بصيغة المذكر لأنها تصف اسما مذكرا هو « المخطط العام » وكتبت في المرتين الآخرين بصيغة المؤنث لأنها تصف اسما مؤنثا في الحالتين هما « النظافة العامة » و « الصحة العامة » ا.هـ .

وقد وهم أخي الدكتور الشريف هنا .. ومن يراجع ماقولته في مقالتي يتبين أن اعتراضى لم يكن نحويا اذ قلت في معرض الحديث عن ( أسلوب البحث ) : « وأعيد ذكر لفظ ( العام ) في الأسطر ٥ و ٦ و ٧ من الصفحة

نفسها بصيغة المذكر في س ٥ وبصيغة المؤنث في س ٦ و ٧ • • • لقد كان الاعتراض على تكرار كلمة ( العام ) في حيز قصير • • وأشرت الى التدكير والتأنيث لازالة ما قد يتبادر الى الظن من أنهما كلمتان مختلفتان • • ولو كان اعتراضى نحويا لسقته في اطار حديثي عن « الأمور اللغوية والنحوية » • كما أنني بينت ما أقصده بعد ذلك بسطر واحد •

ومن الأساليب الركيكة التي أشرت اليها قول الدكتور الشريف في مقاله : « الاحتلال المصري التركي عليها » وقلت في مقالتي بأن الصحيح : « احتلال الأتراك والمصريين اياها » لكن الدكتور الشريف يقول في رده ( ص ٢٩٦ ) : « واستعمال الاحتلال التركي المصري - ويعطف « عليها » هذه المرة - إشارة الى حملة ابراهيم باشا ابن والي مصر من قبل الأتراك على نجد • فالتعبير لا يعني تحالفا تركيا مصرية في الحملة نقول : « احتلال الأتراك والمصريين » • وهذه الحملة بالمناصفة غير واضحة المعنى ، ولعل صحة آخرها : « لنقول : احتلال الأتراك - الخ » • فأقول : كمل هذا تكون صحة الحملة الأصلية : « الاحتلال التركي - المصري لها » لا « عليها » • وهنا يتضح أن الاعتراض لم يكن على تعبير « الاحتلال التركي - المصري » وأنه نحوى •

ان التعابير التي أبديت تفضيلها في الاستعمال دون غيرها مما جام في المقال هي الأسلم والأصح والأقوى وان لم يرق لكاتب المقالة الكريم أن يتفق معي حولها ، وكونه لا يرى غيرها من استعمالها كما وردت في النص لا يعني البتة أن استعماله لها كان صحيحا • ومعلوم من استعماله لها أنه لم يجد بديلا عنها • • لكن بوسعه ذلك لو بذل المزيد من المحاولة •

وكيلا أطيل بلا كثير طائل أضع البراعة هنا ، ولكن قبل ذلك لايفوتني القول أن الدكتور الشريف يستحق الشكر على اهتمامه بالملكة وبجغرافيتها ، والحق أنه عمل واجتهد وأصاب كثيرا ، وربما لم يصيب أحيانا كبني جنسه جميعا فاستأهل نيل الأجر في كلتا الحالين •

• • محمد السليمان السديس

# ملخص الأبحاث بالإنجليزية

in the second part of the book. This Kind of writing started with the earlier Omayyad caliphs. The oldest book written in Arabic proverbs was by Al-Mufadhdhal Al-Dhabbi Al-Kufi who lived in the Abbaside period.

On the famous book about the Arabic proverbs written by Abu 'Ubaid the author says in the third part of his book :

" It reached us in a number of manuscripts, a matter not strange for such a very popular and famous book. "

In his book Abu 'Ubaid collected more than one thousand proverbs, two hundred and twenty verses, one hundred and thirty sayings together with their back stories. He classified his book into parts, each for a separate subject such as logice, men's proverbs, liberality, glory, fraternity, learning, knowledge, ignorance, avarice, and many others. He mentioned his sources and acknowledged his references.

In his book proverbs were classified by subject in nineteen parts, and these were subdivided into sections. As a philologist Abu 'Ubaid always started by giving a detailed explanation of the proverb after acknowledging his references. His book was so widespread that it drew the attention of all Arab scholars in the Arab world especially Morocco and Spain.

In the fourth part of Zelheim's book the author comments on Al-Bakri's explanations of Abu 'Ubaid's proverbs: He surveys Al-Bakri's life, examines his manuscripts, judges his narrative technique and the sources of his explanations.

The author, in the last part, moves to survey the books on the old Arabic proverbs after Abu 'Ubaid. Most of these books are not available now. Those available are the most well - known : "Gamharat Al-amthal" by al-Askari, "Majma' Al-amthal" by Al-maydani and "Al-mustaqsi fi Amthal al-A'rab" by Al-zamakhshari.

This very quick survey is meant to be a bird's eye look on the legacy of the Arabic proverbs from the viewpoint of a German orientalist who acquired profound knowledge of our cultural heritage in general and of this branch in particular. Thus he has been able to introduce his valuable book to us.



" a product of editing a verified paper on the book titled " Proverbs " by Abu 'Ubaid al-Qasem ibn Sallam. He adds that his book pretends no perfection for the simple reason that its subject has been studied by so many philologists and dealt with in so many books. "

Zelheim's book is divided into five parts each dealing with one aspect of the subject.

The first part deals with the Arabic proverbs and their back stories. Some Arab scholars defined the meaning of the Arabic proverbs .... al-Zamakhshari said "To the Arabs the proverb means the similar or the equivalent." al-Farabi said " The proverb is a saying whose words and meaning are accepted by all people high and low." Abu 'Ubaid al-Qasem ibn Sallam said "The Arabic proverbs epitomise the wisdom of the Arabs in pre - Islamic times .... They have three characteristics ; conciseness in words, appropriateness in meaning, and good allegorizing. "

The author was careful to have his book include a collection of our old Arabic proverbs.

Examples are : ( Two swords never meet in a sheathe ) ( I hear much noise but see nothing ) and many others.

Most of these Arabic proverbs have equivalents in European proverbs, which might be related to acculturalization and mixing of peoples.

The Arabic proverbs are divided by the author into three classes according to their age : the old proverbs, the new proverbs - collected and added to the former since the fourth century Hijira — and the modern proverbs compiled and published by Europeans and others in the 19 th and 20 th centuries. They were taken from Egypt, Syria, Palestine and other Arab countries.

Every Arabic proverb has a story behind. These stories were told by the Arabs in their books on proverbs. But the back stories gradually sank into forgetfulness while the proverbs remained alive in our talks and in our literature.

Now the question arises : when did the Arabs start writing their proverbial sayings ? The answer is given by the author

# **The Classical Arabic Proverbs**

BY  
ABDUL-RAHMAN SHALASH  
TRANSLATED AND ABRIDGED BY  
SAID ABDUL AZIZ ABDALLAH

It is the title of a vigorous objective study of our classical Arabic Proverbs.

The author is the German orientalist Rudolf Zelheim, a scholar deeply concerned with Arabic studies. He published his book in 1954. It was translated into Arabic by Ramadan Abdul Tawwab, one of the best in the field of research and translation. Now we give a quick survey of the book.

In his introduction the translator describes this kind of folklore :

"Proverbial sayings, in all peoples, are an expression of the folk - consciousness, and clearly reflect their manners and customs in their rise and decline, and cast light upon their misery and comfort, their arts and their languages. In his book "Al-aqd Al-fareed" Ibn 'Abd Rabbu defines proverbs as "The ornamentation of speech, the essence of words, and the decoration of meanings .... The Arabs selected them, the Persians introduced them, and they were widespread everywhere and at all times .... No wonder that they outlived poetry, were honoured more than orations. Nothing was ever more popular or commonly used." Abu - al - Hassan ibn Wahb adds that "The wise men, the scholars, and the writers used to make proverbs, and to expound life misfortunes through proverbs. They saw in them a more successful means to touch the hearts. In this way the ancient took care to enrich their literature with proverbs and with stories about past peoples."

As for the Arabs the translator says :

"The Arabs have reached unsurpassed level in applying proverbs to point out moral values. Their talk never missed a proverb. They embellished their arts of speech with them. No wonder, then, that the Arab philologists were keen on collecting a great deal of proverbs since the early history of the Arabic language, and on explaining them. They even left us the factual stories of these proverbs, pointed out their historical origin and place, and classified them in various categories and orders."

In his introduction the author describes his book as

Al-Madina was boiling with anger, dissension and the call to revenge the old caliph's murder. Some provinces supported the new caliph while others opposed him. The deposed rulers refused to give up their positions for the new ones appointed by the new caliph. The newly appointed governors could not carry out the caliph's orders and returned back to "Al-Madina". Some notable companions of the Prophet left "Al-Madina" in protest against Ali and persuaded 'Aisha (the Mother of the believers) to join them in Al-Basra city where they could find help of men and provisions to take up arms against Ali. In the year 36 Hijra the Battle of the Camel took place between the two camps. This led to the subsequent events of bloodshed and the emergence of the "Kharidjtes" or dissenters. Ali accepted arbitration as a final solution while those dissenters refused it. The majority of the muslim community did not accept the arbitral decision and the split became wider and deeper, until Ali was assassinated in the year 40 Hejira. Thus the first Islamic caliphate came to a close.



with the Islamic conquests during the reign of " Abu Bakr " where the moslem flag crossed the borders of Arabia.

— In the third part the author studied the period of " Umar Ibn Al-Khattab ", his domestic policies and his organisational talents in administration and in judicial fields. This Part also dealt with the sources of revenue in the new Islamic state ; the head tax "Djizya", the land tax "Kharadj" and alms tax "Zakat".

The question of justice got great attention from caliph "Umar". Equality and justice prevailed. All sorts of oppression disappeared.

The author concluded this part by the reforms, security measures and construction works which caliph "Umar" ordered to be carried out in Al-Medina. He built and lighted mosques, formed government bodies, attended to the city markets, made people feel safe and ordered roads to be guarded. He was the first to use police guards in the Islamic state.

In the fourth part the foreign policy of caliph "Umar" was discussed. The author dealt with the conquests he completed. Caliph "Umar" died as martyr, He was assassinated on his way to dawn prayers.

The fifth part concentrated on the problems faced by "Uthman", the third caliph, and the difficulty a historian meets in making out honest, accurate and objective judgments. So many questions needed answers : the murder of "Umar" the attitude of " Al-Madina " city from the murder, the question whether non-Arab agents took part in the crime; the people's dissatisfaction with "Uthman's" Policy towards his governors in different provinces, and with his deposition of the governors of Egypt, Al-Basra, and Al-Kufa. This part also showed how the situation developed from bad to worse in a general revolt against "Uthman" and how the conspirators infiltrated into Al-Madina and treacherously killed him.

In the sixth part we see how the fourth caliph was nominated amid an atmosphere of conflict, terror and split. The author discussed the attitude of some notable companions of the Prophet towards the choice of Ali as caliph (Talha and Al-Zubair). Caliph Ali took over and faced problems impossible to solve whether in the capital city itself or in the provinces.

community chose this system of government in their general conference immediately on the Prophet's death. The moslems voted For Abu Bakr as successor. Moslem jurisprudents and legislators defined the principles of the nomination of caliph. They said it might be done through a general agreement of giving a pledge of allegiance, a "bai'a" to the right man. The caliphate, to them, was a pledge between the governor and his subjects.

Abu Bakr had an advisory council - not an appointed one. In his decisions he consulted both the Meccan emigrants "Al-Muhajirun" and Al-Madina Followers "Al-Ansar." Before his death Abu Bakr persuaded the moslem leaders to accept his pledge to Omar as second caliph.

The assassination of " Uthman " the third caliph, was the beginning of a series of serious troubles and bloodshed that cut deep in the new state. The case of the murdered caliph contributed to the fall of the early caliphate. A revolt broke out in Iraq and Al-Sham under the pretence of revenging the murdered caliph.

The fourth caliph, " Ali " tried hard to avoid bloodshed and so accepted arbitration (tahkim) to decide who should take over as caliph, he or his opponent Mu'awiya. From that time onwards the subject of Islamic caliphate became a field of conflict among moslems. It continued so through the Omayyad, the Abbaside and the Fatemide periods. It brought split and bloodshed.

— In the second part of her book the author dealt with the reign of Abu Bakr and how difficult it was to steer the moslem ship in a sea of troubles. First he had to decide the question of succession, then came the serious threat of the apostatic movements in different parts of Arabia. Many tribes violated their obligations as moslems towards almsgiving "Zakah", Third " Abu Bakr " had to carry further the Islamic conquests started by the Prophet. Before all " Abu Bakr could " calm the moslem fears after moslems were greatly taken by the surprise of the Prophet's death. He delivered his famous speech including his memorable saying : " Those who worship Mohammad must Know that Mohammad is dead and those who worship God Know for sure that God is immortal. "

The author also discussed some views on the apostatic movement as one with economic and social ends. she also dealt

# **A study on The Age of the Orthodox Caliphs**

BY  
Dr. FATHIA A. AL-NABRAWI  
REVIEWED BY  
KHALID S. AL-DREES  
TRANSLATED AND ABRIDGED BY  
SAID ABDUL AZIZ

The subject of Orthodox Islamic Caliphate has got much interest From Moslem historians, jurists and political writers as well as non-moslem scholars. Its importance arises from the fact that it came after the Prophet's time and prior to the Omayyad and Abbaside ages. It was also the period when the newly formed moslem community had to face internal and external hostilities and develop its own codes of life within the rules of the holy Quran and Sunna. Moslems had to prove they had the spirit of continuity after the Prophet's death, and to fight in defence of their faith and unity.

The caliphate or Imamate was a term given to the Islamic government after Prophet Mohammad. A number of rules governed the nomination of the caliph, his prerogatives and even his deposition. These rules were laid down by moslem jurists.

The Problems faced by the first Islamic caliphate were numerous. On the domestic level two major issues arose

1. The Controversial question of the caliph's nomination.
2. The apostasy from Islam led by some Arab tribes.

On the external level the equally serious problems were the big hostile powers of Persia and the Romans.

However, the first caliph, Abu Bakr, could unite the moslem different views and crush the apostatic movement.

The second caliph, Omar, laid down the administrative foundations of the community and furthered the Islamic conquests begun by Abu Bakr.

But a serious intrigue led to dissension and civil strife with the reign of the third Caliph, Uthman Ibn Affan. This developed with the fourth caliph, "Ali Ibn Abi Talib". A tragic civil war split the moslem unity.

The author, in some details, devoted the first part of her book to the birth of the Islamic caliphate. The moslem



# ADDARAH

## **Notice :**

- All Correspondence should be directed to the Editor in- Chief  
P. O. Box 2945 — Riyadh
- Articles are arranged technically, regardless of the writers' prestige.
- This English section contains summaries of some of the essays written in Arabic.

## **— Price :**

- a) **In Saudi Arabia :**
  - 2 Riyals a copy.
  - 15 Riyals per annum.
- b) **In Arab Countries :**
  - The equivalent of 50 S. piastres a copy.
  - The equivalent of 15 riyals per annum.
- c) **Non Arab Countries**
  - \$1 a copy.
  - \$6 per annum.



طابع وزعائم الشریف  
الطبعة ١٩٨٩

# **ADDARAH**

**QUARTERLY JOURNAL**

by

**King Abdul Aziz Research Centre  
Concerned with**

**the Intellectual and Historical Heritage  
of the Kingdom and the Islamic World.**

\*\*\*\*\*

**EDITOR IN CHIEF  
MOHAMMAD HUSSEIN ZEIDAN**

**EDITORIAL BOARD  
ABDULLAH BIN KHAMIS  
Dr. MANSOUR AL-HAZIMY  
ABDULLAH BIN IDRIS  
ABDULLAH AL-MAJID**

*Technical Supervisor*

*Mohammad Abu El. Fetouh El. Khayat*

SHAWWAL 1400  
SEPTEMBER 1980  
P. O. B. 2945  
TEL : 4038646

SIXTH YEAR  
NO ; 1  
RIYADH  
KINGDOM OF SAUDI ARABIA



# ADDARAAH



QUARTERLY JOURNAL by KING ABDUL AZIZ RESEARCH CENTRE  
VOLUME 1 (8) 1400 A.H./1980 A.D.

## IN THIS ISSUE

- A study on The Age of  
The Orthodox Caliphs
- The Classical Arabic  
Proverbs



مطابع وإصدارات الشريف  
الرياض ب.س.ج. ١١٦٧ ت. ٥٠٢١٨٧١



# الدائرة

مجلة ربع سنوية تصدر عن دائرة الملك عبد العزيز  
العدد الثاني/ السنة السادسة/ ربيع اول ١٤٠١هـ/ يناير ١٩٨١م

## من محتويات العدد

- أهمية ثغرة جسة في النصف الأول من القرن العاشر الهجري.
- النشاط التجاري في البصرة الأخرى في العصر العثماني.
- البصرة الأحمدية بين حربين ١٩١٩-١٩٣٩.
- الأمن العسري والصراع الاستراتيجي في منطقة البحر الأحمر.





# الدائرة

مجلة ربع سنوية تصدر عن دائرة الملك عبد العزيز  
تعنى بتراث وفكر المملكة والجزيرة العربية  
والعالم العربي والإسلامي ماله صلة بالجزيرة العربية

رئيس التحرير  
محمد حسين زيدان

هيئة التحرير  
عبدالله بن خميس  
الدكتور منصور الحازمي  
عبدالله بن إدريس  
عبدالله الماجد

العدد الثاني / للسنة السادسة  
ربيع أول ١٤٠١هـ / يناير ١٩٨١م

ص ٢٩٤٥  
٤٠٣٨٦٤٦ تلفون

الرياض  
المملكة العربية السعودية

# بسم الله الرحمن الرحيم

## فهرس المحتويات

رقم الصفحة

- الافتتاحية . . . . . لرئيس التحرير ٤
- الرومان والبحر الأحمر . . . . سيد أحمد علي الناصري ٨
- الأمن العربي والصراع  
الاستراتيجي في منطقة البحر  
الأحمر . . . . . د- علي الدين هلال ٥١
- موقف بريطانيا في البحر الأحمر  
في الحرب العالمية الأولى . . . . محمد محمود السروجي ٦٧
- أهمية البحر الأحمر كجبهة  
سلام عربية . . . . . للأستاذ محمد أبو الفتوح  
الخياط ٨٥
- النشاط التجاري في البحر الأحمر  
في العصر العثماني . . . . . عبد الرحيم عبد الرحمن  
عبد الرحيم ٨٩
- البرتغاليون والبحر الأحمر . . . . سمح زخلول عبد ربه ١٠٨

● قيمة المده في الداخل ريالان والافتراق السنوي خمسة عشر ريالاً وفي البلاد العربية  
مايعادل خمسين قرشاً سعودي للمده او مايعادل خمسة عشر ريالاً للسنة . في جمهورية  
مصر العربية خمسة وعشرون قرشاً . في خارج البلاد العربية دولار للمده الواحد



رقم الصفحة

- تجارة البحر الأحمر في عصر  
المماليك الجراكسة \* \* \* د. محمد أمين حافظ ١٢٥
- أمن البحر الأحمر بين ميثاق أمن  
جدة عام ١٩٥٦ ومؤتمر تمز  
١٩٧٧ \* \* \* \* \* د. رأفت هنيمي الشيخ ١٤٧
- أسس تحول عدن من قاعدة بحرية  
إلى قاعدة جوية ١٩٢٧-١٩٢٩ \* د. جاد محمد طه ١٦٨
- أهمية ثغر جده في النصف الأول  
من القرن العاشر الهجري (١١٦م) \*  
د. فائق بكر الصواف  
د. مصطفى محمد محمد  
رمضان ١٩٩
- اطلالة على الصراع السياسي  
البريطاني الإيطالي في البحر  
الأحمر خلال فترة الحرب العالمية  
الأولى \* \* \* \* \* عصام ضياء الدين السيد ٢٢٦
- البحر الأحمر بين العربيين  
١٩١٩ - ١٩٣٩ \* \* \* \* \* د. محمود متولي ٢٣٩
- أمن البحر الأحمر بعض الملاحظات  
الجيوپوليتيكية \* \* \* \* \* د. ابراهيم صقر ٢٦٤

ترسل الاشتراكات باسم امين حمام الدائرة إما المبالغات واليهود للفرسل باسم  
رئيس التحرير - الرياض ص.ب ٢٩٤٥ ترتيب المواضيع داخل العدد يفضح لاسباب  
قنية لا علاقة لها بمكانة الكاتب \* آراء الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة



# افتتاحية

---

ولست يصده أن أكتب بحثاً عن البحر الأحمر فقد  
اكتفى بهذه البحوث التي نشرت في هذا العدد كتعريف  
مبسّط بكانته وأهميته فإن تشعبت الأحداث حوالیه  
فقد جعلت له أهمية خاصة مع أنه في كل التاريخ  
ذو أهمية مما تظهره البحوث المنشورة بعد هذه المقدمة  
وانما سأكتب بمریضا لا تنساق به العاطفة الى حد  
لا يعقله عقل ، فأصدق التاريخ عقل لا يجسور على  
العاطفة ، وعاطفة لا تقصي العقل .

إن البحر الأحمر كان أرضاً برا كانما هو قد جعل  
جزيرة العرب أفريقية ، بل وعلى الأصح قد جعل من

# الحدود

## لرئيس التحرير

شرق افريقيا ارضا عربية . كان برا اتصلت به آسيا  
بافريقيا فاذا الانشطار يحدث به هذا الخليج : بحرنا  
الأحمر ، وكأنما برزخ السويس قد كان الإشارة  
أو العلامة لتلك الصلة فعين كان برزخ السويس لا يعد  
البحر الأحمر إلا خليجا عربيا ، وحين تم فتح قناة  
السويس أصبح مضيقا عربيا ، لا يملك أي شبر من  
سواحله الآسيوية الافريقية إلا أهله العرب ، وإن أخذت  
المبشة بعض سواحله ، فعين كان خليجا عربيا لم تكن  
هناك جنود اقليمية داخل البحر تعدد بالأميال ، بل  
كله كان اقليما عربيا ، ولكن قناة السويس جعلته بخرأ  
ترتفق به التجارة العالمية ، فهو ممر للتجارة وليس ملكا  
لأحد غير أهله .

أن البحر الأحمر قد أصبح أخطر مواضع الصراع حين جلب بعض المالكين لسواحله القوى الخارجية تتخذ من سواحله مأمناً لأساطيلها كأنما هو الخطر من هذه الأساطيل قد جلبوه الى أنفسهم وإلى جيرانهم ، وبعض الخير من الشر يثبت ، فلعل من ذلك أن يعرف العرب هذا الخطر فيعدوا أنفسهم بقوة تدفع عنهم الخطر ( وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ) \*

فإن كان بعض القوة رباط الخيل فإن كل القوة للبحر الأحمر رباط الأساطيل ، وهاتان حين أكتب هذه المقدمة أسمع اليشاطر بأسطول سعودي تفتتح له قاعدة الملك عبد العزيز بالجيبيل وأرجو أن يكون أسطولنا قوة تضاف إلى قوة أخرى للأساطيل العربية كلها تتعاون في حدود التضامن لا في مجازفة فرض الامبراطوريات فإن الامبراطورية العربية أصبحت غير ذات موضوع ، وإنما هو التعاون والتضامن \* ولعلني أذكركم كيف نهج صلاح الدين الأيوبي يصنع أسطولا في البحر الأحمر حين علم بأن الأمير الصليبي ( أرنولد ) الذي يسميه تاريخنا أرناط قد هدد بأنه سسيغزو الحرمين فاعد صلاح الدين السفن واقسم أن يقتل أرناط بيده ، وقد اجاب الله دعوته حين أقسم فإذا الصليبي أسير يقتله الكردي الكر كوكي الدمشقي المصري صلاح الدين كأنما

هذه النشأة له وهذا الانتساب يجعله يمثل أمة الاسلام  
وأمة العرب .

ان هذا الخطر في البحر الأحمر أن أسعى أحصل على  
هذه المقالات بعوثا أصليت في ندوة القيمة في مصر  
وبعوثا طلبناها ، ولولا الأسراع في أن يصدر هذا العدد  
خاصا عن البحر الأحمر لكلفنا الكثير من العلماء أن  
يزيدوا البحوث بعوثا وأن لم يكن ذلك اليوم فإن غدا  
لناظره قريب .

واسأل الله التوفيق .

# الرومان والبحر الأحمر

الدكتور سيد أحمد علي الناصري  
أستاذ المساعد بكلية الآداب جامعة القاهرة

« ليس هناك أعداء دائمون ، ولا أصدقاء دائمون ، ولكن هناك مصالح دائمة » ، هذا القول المأثور المنسوب الى ونستون تشرشل ينطبق الى حد كبير على تاريخ العلاقات بين الدول الواقعة حول البحر الأحمر من ناحية ، وبين علاقتها بالرومان من ناحية أخرى ، لأننا نجد هذه العلاقات تتغير نتيجة لتغير موازين القوى السياسية والبحرية والاقتصادية ، أي أنه لا توجد علاقات ثابتة بين الأمم ولا قوة دائمة الى الأبد .

فلو استمرضنا التغيرات السياسية في حوض البحر الأحمر منذ مطلع الرومان إلى الاستيلاء عليه حتى قيام السيادة الإسلامية على جانيه ، نجد عدة تغيرات متشابهة بدايتها تدهور نفوذ الدولة البطلمية في البحر الأحمر وتزايد نفوذ الأنباط على حسابها ، ثم احتدام الصراع على البحر الأحمر بين الأنباط والبطلمية ، ثم قيام الدولة السبئية - الحميرية في اليمن كمنافس جديد وتحالفها مع الأنباط ضد البطلمية ، بينما تحالف البطلمية مع دولة العرب اللحيانيين وديانة الملا الحجازية ، ثم النشاط المحموم للبطلمية في البحر الأحمر بمد طردهم من سوريا عام ٢٠٠ ق.م لتعويض ما فقدهوه ، وتركيزهم على الساحل الأفريقي للبحر الأحمر الذي اعتبروه امتدادا لسواحل مصر على هذا البحر ثم يلي ذلك سقوط حكم الأسرة البطلمية ودخول مصر في حوزة الرومان عام ٣٠ ق.م حيث وصل الرومان إلى مياه البحر الأحمر لأول مرة ، وبدأوا يدخلون ميدان السباق فيه بهدف فرض هيبة الامبراطورية السياسية والاقتصادية وتطبيق السلام الروماني بالسلم والحرب ، ثم بدأت روما تضع حدا للقوى السياسية المتصارعة على البحر الأحمر ، وبدأت في إخضاعها لسلطانها واحدة تلو الأخرى . وظلت السيادة الرومانية لا تنافس حتى مطلع القرن الثالث الميلادي عندما بدأت الامبراطورية تضيف من الداخل . بينما حدثت تطورات سياسية في البحر الأحمر تمثل ظهور دولة أكسوم كمنافس جديد وظهور الدولة الساسانية في فارس والتي دعت إلى طرد الرومان من الشرق كله ، ولما انقسمت الامبراطورية الرومانية إلى شطرين بيزنطة في الشرق وروما في الغرب ، حاولت بيزنطة احياى النفوذ الروماني في البحر الأحمر على أساس استخدام نفوذها كمركز للمقيدة المسيحية ، وجمعت دولة أكسوم المسيحية قائدةها بينما انتشر في اليمن والجنوب العربي حركة تهويد بعد هجرة عدد كبير من اليهود من فلسطين إلى جنوب الجزيرة وإلى الحبشة ، وتماثلت الفرس مع الهنود والعرب المتهودين زوا على تماثل الأكسوميين مع بيزنطة ، ومن ثم تحيول الصراع الدولي بين القوتين الكبيرتين فارس وبيزنطة في القرنين الخامس والسادس الميلاديين إلى صراع ديني بين اليهودية والمسيحية ، إلى أن وضع الإسلام لذلك حدا وبرزت قوته لتفرض نفوذها على البحر الأحمر كله .

تلك نبذة تاريخية منذ مجيء الرومان إلى مصر ولتبدأ الآن في مطالعتها بشيء من التفصيل والتحليل .

بدأ اقتراب الرومان من البحر الأحمر تدريجيا بسبب تدبير قرطاج

وكونثا عام ١٤٦ ق.م وتحقيق سيادتهم على البحر الأبيض المتوسط بعدما بدأت روما تتعامل مع الممالك الهلينستية وتتطلع لنشر نفوذها في دويلات شرق البحر المتوسط خاصة في مصر همزة الوصل بين البحرين .

غير أنه من العدل أن نقول أنه لم يكن للرومان في البداية مخطط سياسي منظم من أجل السيطرة على البحر الأحمر ، وإنما تمرلهم على أنماط جديدة للحياة الشرقية هو الذي لفت أنظارهم اليه ، وقد بدأ هذا التعرف أثناء حملة لوكولوس في آسيا الصغرى في القرن الأخير ق.م ، ثم حروب سوللا في الشرق ووصول بومبي الى سوريا وضربها للرومان ، ثم التغفلل التدريجي للتفوذ الروماني في مصر حيث كانت تجارة البحر الأحمر تمر عبرها ، كل ذلك أدى الى تعرف الرومان على بعض طرق الحياة الهلينستية والشرقية التي اصبوا بها خاصة بعد تزايد موجة الرخاء في روما نتيجة للغانم والغرائب التي دفعتها الشعوب الشرقية المخلوبة ، ومن ثم أدى ذلك الى تغيير كامل في حياة الرومان ، اذ بدأت البساطة القديمة تختفي ، وحل محلها تسابق على سلع الشرق وكمالياته وترقه ، وتطورت في أذواقهم سوا في الطعام أو اللبس ، أو حتى في الشعر والأدب . وبدأت التوابل الشرقية التي كانت تعتبر قبل ذلك شيئا مقدسا باهظ التكاليف تصل الى الرومان عبر أسواق الاسكندرية ، وأصبح الطعام الروماني يعتمد على هذه التوابل لدرجة أنه لأول مرة يضع متخصص مؤلفا عن فن الطهي عند الرومان وهو مؤلف إبيكيوس Apicius الشهير والذي أصبح عناء المطابخ الرومانية (١) حتى القرن الثالث الميلادي (٢) ، وكنتيجة أيضا لوصول المطارة الشرقية ازدهرت مدرسة العقاقير والطب وبرز أطباء مشهورون يضعون التذاكر العلاجية التي تقوم على الأعشاب المستوردة من الشرق . كما انعكس ذلك حتى على الأدب اللاتيني نفسه اذ نجد في مسرحيات بلاوتوس (Plautus) وثيرتيوس تلتحيات الى أنواع البهارات والتوابل بأسمائها الشرقية الغريبة .

لم يكن الرومان بالشعب المفاخر المقرم بالخيال وحسب الاستكشاف ، بل كانوا شعبا واقفيا يتميز باليقظة العسكرية والقدرة الفائقة على خلق ادارة علمية منظمة وقوانين معقدة هي التي خلقت الامبراطورية وحقت السلام الروماني سواء في إيطاليا أو في الشرق الأوسط ، وفي خلال هذا السلام تهرعت التجارة العالمية ، ولقد ساهم إباطرة الرومان بمجهودات كبيرة من أجل خلق هيئة سياسية ، وثقة تعاملية في الامبراطورية خاصة من طريق



عملتها كما حرصت روما على اظهار حسن النوايا مع الأمم الأجنبية مادامت صديقة وحليفة ، وبفضل حكمة وذكاء وإخلاص أباطرتهم ، ونشاط تجارهم وحرصهم على سمعة بلادهم وتعاملهم الأمين مع غيرهم من الشعوب ، نجح الرومان في بناء هيبة لامبراطوريتهم في الشرق ، وحقت لهم الثقة والاحترام ظلت قوية حتى القرن الثالث الميلادي .

وبفتح أغسطس لمصر وبقيام السلام الروماني الذي وضع أسامه أغسطس ساد بين الرومان ميل شديد الى الكسب المادي بلا حدود (٥) مستغلين النظام السياسي الجديد ، وكان الدافع لتنشيط التجارة في البحر الأحمر عقب الاستيلاء على مصر دافعا ماديا بحتا ، وبمكس الحال أيام البطالة حيث كان للرومانسية والخيال العلمي وحب المعرفة والاكتشاف دور كبير في ارتياد سجاهل ذلك البحر ، ولعل الذي ساعد على ذلك هو ازدياد تدفق الثراء على روما بعد نهب خزائن الملكة كليوباترا ، فضلا عن استغلال مناجم الفضة والذهب في أسبانيا مما خلق عند الرومان روحا جديدة تتمثل في الاقبال على الترف والميل الى الاستهلاك الكمالي للسلع الشرقية مثل المعطور والإحجاز الكريمة والخزير والتوابل .

وبالرغم من هذا لم تكن الإمبراطورية الرومانية تميل الى احتكار التجارة لنفسها كما فعلت مصر في عهد ملوك البطالة ، بل آثروا ترك المشروعات حرة لمن يريد ، ولكنهم كانوا يتصمون ويحكمون التجارة خاصة الشرقية سواء بالنفود والسلام الروماني أو برأس المال ، أو كانت الدولة ممثلة في القانون الروماني تضمن معاملات الروماني أو المجتمع بالجنسية الرومانية ، وهذا أعطى الثقة للتجار الشرقيين والسكندريين أن يتركوا معهم روموس أموال رومانية ، وكانت السفينة التجارية عادة ملكا لصاحب رأس المال الروماني Negotiator الذي كان يؤجرها أو يوكل أمرها الى تاجر سكندري أو شرقي Mercator عادة له خبرة بتجارة الشرق والطريق البحري الى الهند ، أما طاقم بحارة السفينة فكانوا عادة من افريق مصر المتحصرين الذين يمزقون موانيهم مصر جيذا (٦) . وفي غنسل هذه الظروف الجديدة (٧) تفتحت روح المسيل والاكتشاف البحري من أجل الكسب ، وشهد البحر الأحمر نشاطا تجاريا مفعوما ، وعلى حد قول سينيكا « أن الرغبة في الكسب قد دفعت الإنسان الى الترخا الى كل أرض وبطيئة

يجوز كل بحر بحثا عن الكسب » (٨) ، لأن سطوة الامبراطورية الرومانية كما يقول بلييني الأكبر « قد حققت للعالم الوحدة ، كما يجب أن يتفق الجميع أن الحياة الانسانية قد استفادت كثيرا من جراء الاتصال بالعالم الذي أصبح سهلا وكذلك من الاستمتاع بثمار السلام » (٩) ولقد نقل لنا سويتونيوس حادثة طريفة عن ذلك وهي عندما تصادف أن تقابلت سفينة تابعة لتجار من الاسكندرية مع يخت الامبراطور أغسطس خارج ميناء بويتولي في صيف عام ١٤م أي قبل موت الامبراطور بقليل وعندما شاهد البحارة السكندريون الامبراطور أغسطس حتى أوقدوا البخور وغرؤا ساجدين هاتفين : يا من خلله نحيبا ومن غلاله نبحر ومن خلله نستمتع بالحرية والغرام !! » (١٠) هذه العبارة تلخص فضل الامبراطور أغسطس في خلق عهد جديد للتجارة في البحرين الأبيض والأحمر .

هكذا بقيام الامبراطورية وباستيلائها على مصر ورثت روما مقروعات الفراعنة والبطالة في البحر الأحمر وأصبح للامبراطور سياسة محدودة مع دول البحر الأحمر ، فقد رأى أغسطس ضرورة تحويل طريق التجارة في البحر الأحمر الى صالح الموانئ المصرية مثل بيريكي ( الهراس ) ، وميوس هورموس ( أبو شمر القبلي ) ، وأسيوطي ( السويس ) ووجدت الامبراطورية نفسها وهي تدخل بثقل مجال الصراع من أجل تحقيق سيادتها الكاملة على البحر الأحمر . فمئذ اللحظة الأولى بعد فتح مصر بدأ عهد جديد في تاريخ البحر الأحمر والتجارة مع الهند ، إذ فرض السلام الروماني في البحر الأحمر ، وشرعت الامبراطورية في تطوير ذلك البحر من القراصنة الذين استغل خطرهم منذ تدهور السلطة البطلمية ، وعندما كتب أغسطس مقاهرا في سجل أعماله « لقد ظهرت البحر من القراصنة » *Mare Pacavi & Praedonibus* (١١) فإنه كان يعني البحرين الأبيض والأحمر . ولكي يحقق ذلك وجد أغسطس أنه من المحتمل عليه أن يحقق السيادة البحرية وأن يضع أسطولا من السفن التجارية *clapia* بل وأن يمتلك قواعد بحرية ثابتة تكون في خدمة الخط الملاحي بين مصر والهند .

كانت استراتيجية أوكتافيموس أغسطس في البحر الأحمر تقسوم على تشديد القبضة على مصر لأنها هي حمزة الوصل بين البحرين الأبيض والأحمر ، فضلا عن أن مصر تمتلك مساحات شاسعة من سواحل البحر الأحمر ، ولقد سعى فزاعتها منذ الأسرة الخامسة الى ارتياد البحر الأحمر (١٢) خاصة أن

كان لمصر علاقات قوية مع الساحل الإفريقي ، ولهذا شقوا طرقا في الصحراء الشرقية تربط ما بين الموانئ المصرية على البحر الأحمر وبين موانئ النيل خاصة ميناء قفط الشهير ، بل حاول أحد فرعاة الأسرة السادسة والعشرين واسمه نيخو ( نخاو ) ٦١٠ - ٥٩٥ ق.م أن يشق قناة تربط بين النيل وخليج السويس تبدأ من تل بسطة ( Boubastis ) محافظة الشرقية مارة بمدينة بيشوم القديمة ( تل المسخوطة ) وعبر وادي الطميلات فالبحيرات المرة فخليج السويس (١٣) ، ولقد ذكر هيرودوت أن نخاو هجر المشروع بناء على نبوءة بعد أن فقد ١٢٠.٠٠٠ عامل ، وعندما احتل الفرس مصر عام ٥٢٥ ق.م قام الملك دارا بإكمال شق القناة التي بدأها نخاو ولم يخرج عما رسمه ، الفرعون المصري (١٤) ، ولما قامت أسرة البطالة في مصر أدرك بطليموس الثاني أهمية هذه القناة (١٥) فأعاد حفرها كيما تفهم من لوحة بيشوم الشهيرة والتي ترجع إلى العام السادس عشر من حكمه ، وقد كان من الطبيعي أن يعيد الإمبراطور أغسطس تطوير هذه القناة بعد أن أهملت في أواخر عصر البطالة حتى يعطي فرصة لتجارة البحر الأحمر. أن تجد طريقها إلى الاسكندرية عبر النيل ، غير أن استخدام هذه القناة في العصر الروماني أصبح أقل بكثير من استخدام طرق القوافل في الصحراء الشرقية خاصة طريق ميوس هورموس - قفط .

ولهذا اعتنى الإمبراطور أغسطس بمدينة « قفط » لأنها كانت مستودع لجميع وتوزيع البضائع الآتية من ميناء ميوس هورموس وبنينام بيرينيكى ، فأعاد بنائها ، وطور من مينائها ، كذلك اهتم أغسطس بمنطقة ميناء بيرينيكى لوجود عدد من مناجم الذهب وسخاير الرخام بالقرب منها ، وأس بان توخضع تحت أسرة ضباط يحمل لقب قائد بيرينيكى أو قائد جبل بيرينيكى Praefectus montis Berenitidis أو قائد الحاميات وجبل بيرينيكى Praefectus Praesidiorum et montis Berenicia وكان هذا القائد يتولى إلى جانب إدارة المنطقة والأشراف على المناجم والحاجر بمساعدة مشرف Procurator ، يتولى قيادة الحاميات التي وضعت لحراسة هذه المناجم ولتأمين طرق القوافل بين البحر الأحمر والنيل ، والعناية ببناء مناجم الذهب وحفر الأبار على جانبيه (١٦) .

وكما نرى بدأ أغسطس سياسته إزاء البحر الأحمر باستغلال موقع

مصر الاستراتيجية كثيرى كبير بين البلدان التي تقع على سواحلها ، وكان هدفه هو جني أكبر دخل مادي للإمبراطورية من الضرائب والمكوس التي فرضها على تجارة المرور من الشرق الى الغرب عبر الاسكندرية التي أصبحت مستودع التوزيع الأول لبضائع الشرق في البحر المتوسط حيث ازدهرت أسواقها بالبضائع والتوابع والسلع الشرقية مثل الحرير والقطن والماعز والجلود والعطارة والمطور واللؤلؤ والماس بل والعبيد الافريقيين ، ومن أشهر التوابل الشرقية التي كان عليها طلب شديد في الغرب الفلفل الأسود Piper والقرفة Cinnamon والحنظل Myrrh والزنجبيل Zinngabri والذي كان يصدر الى روما - كما يقول ديوسكوريدس - في جزار خاصة (١٧) وكذلك الكندر والطيب والبشور والقواقع المحمر المستعمدة في الصناعة ، لقد راجت التجارة في الاسكندرية بعد الفتح الروماني رواجاً متطوع النظر ، وكان هذا يعني أيضاً دفلاً وفيراً للإمبراطورية من ضرائب المكوس والجمارك encyclion التي كانت تصل أحياناً الى ٢٠% ، كما أن ازدهار الحال لسكان الاسكندرية قصد به اشعارهم بأن حكم الرومان آمنهم حالاً وأكفأ مقدرة من حكم ملوكهم السابقين الضعفاء .

ولقد قام بطرونيوس ثالث الولاة في مصر بالقيام بإجراءات أمنية هامة ضد النوبيين في الجنوب ، وكان هدفه من ذلك اجبارهم على عدم ازعاج الحكم الروماني لمصر وابقادهم عن التمرض لتجارة البحر الأحمر خاصة في المنطقة الساحلية الموازية لبلاد النوبة .

ولقد كشف المسح الأثري لصحراء مصر الشرقية من مدى الاهتمام الكبير الذي أبداه الرومان لهذه الصحراء الغنية بمعاجرها ومعادنها ، ولقد لاحظ الأثريون أن الطرق الرومانية في الصحراء الشرقية هي نفس الطرق التي بناها القراعنة وطورها البطالمة (١٨) ، وهي عبارة عن مديات صغيرة غير متصلة ، وعلى مسافات معينة أقيمت علامات لتحديد المسافات ومحطات لمياه العرب hydreumata وهي ذات نظام واحد عبارة عن بناء مربع له بوابة يملؤها برجان للحراسة (١٩) ، ولقد أثبتت الأبحاث الأثرية أن طريق ميوس هودبوس - فقط كان من أهم طرق نقل بضاعة البحر الأحمر خلال عصر الرومان ، بل كان لهذا الطريق طريق نميد صغير يربط بينه وبين محاجر جبل كلاوديوس ، حيث كانت المزريات تحمل الرخام والأحجار

المنحوتة عين هذا الطريق المعبد الى الطريق الغير معبد والذي كانت الجمال  
 أهم وسائل النقل لا تحتاج الى طريق معبد ، ويتراوح عرض ذلك الطريق  
 ما بين ١٥ و ٣٥ ياردة ، وقد قدر استرايون طوله بمسيرة ست أو سبعة  
 أيام (٢٠) ، كما نوه بلييني بمهاريح المياه ومحطات الاستراحة للتجارة  
 ونقاط الحراسة (٢١) ، بل حشر على أطلال معابد ترجع لمصور البطالة  
 والرومان مثل معبد سيرابيس وايزيس مما يدل على أن هذه المنطقة كانت  
 عامرة بالحركة والتجارة (٢٢) . وكانت المحطة التجارية في ميوس هورموس  
 ذات بناء محصن بأبراج مثل القلاع تماما وبجوارها معبد صغير ، وهذا  
 البناء يرجع في الأصل الى عصر البطالة ، لكن حجمه زاد في عصر الرومان .  
 كما كان هناك طريق يبدأ من ميناء بيرينيكى ويتجه الى قفط ، وقبل دخول  
 قفط كان هذا الطريق يلتقي بالطريق القادم من ميوس هورموس ، ويرجع  
 تأسيس ميناء بيرينيكى الى عصر بطليموس الثاني وهو يقع على مسيرة  
 أحد عشر يوما من قفط ، وكانت بيرينيكى الميناء الرئيسي أيام البطالة لكن  
 الرومان أدركوا بعدها النسبى عن التيسل ووهورة الكثبان الرملية عند  
 مداخلها وكثرة هبوب العواصف الرملية عليها ، فغضوا طريق ميوس  
 هورموس قفط والذي قدر طوله بمسيرة سبعة أيام . وبالرغم من هذا كان  
 ميناء بيرينيكى وميوس هورموس من أهم الموانئ التي استخدمت في الفترة  
 ما بين ٦ - ٦٢م (٢٣) . ونظراً لقلة الإشارة في العصر الرومانى الى مينائى  
 « ليوكوس لين » وفيلوتراس التابعين للإدارة العسكرية في طيبة فيرجح أن  
 استخدمهما قد قل بدرجة كبيرة بالرغم من أن مناجم الذهب بالقرب من  
 فيلوتراس لم تتوقف منذ عصر أغسطس حتى عصر أنطونينوس . وكان  
 هناك طريق يربط بين فيلوتراس ومدينة كايثوبوليس Kainopolis  
 ( قنا ) لكنه لم يكن بأهمية كبيرة ، كذلك أهمل ميناء أرسينوى بالقرب من  
 خليج السويس لأن الرومان اكتشفوا نتيجة لتقدم علم الملاحة البحرية  
 والجغرافيا يفضل علماء الاسكندرية أنه غير موات للملاحة .

ونلاحظ أن الرومان لم يقيموا أي موانئ جديدة على الساحل المصري  
 على البحر الأحمر لأنهم وجدوا أن مايتاه البطالة من موانئ يزيد عن الحد  
 المطلوب وأنهم فضلوا التركيز على مينائى ميوس هورموس وبيرينيكى بما  
 للتهرب من دفع المصارف ( Portoria ) ولهذا ركزوا جهودهم على تطوير  
 وتحسين هذه الطرق وتأمينها تحت إدارة ورقابة حازمة وتيسير حركة التجارة  
 وتقديم كافة التسهيلات للقوافل التي تحمل حاج أفريقيا وتوابل لبنان بلاد  
 العرب ولؤلؤ وحبرير وقطن الهند وسيلان .

وفي أعقاب فتح مصر قام ايليوم جالوس ثاني ولاية مصر ببناء أسطول في البحر الأحمر من نوع جديد من السفن الحربية أطلق عليه استرابون (٢٤) اسم Diorote والذي يعتقد المتخصصون في أنواع السفن القديمة أنه كان تطويرا للـ «كوارج» البطلمية الحربية ذات الأربع طوايق (Quadrirèmes) التي بناها بطليموس الثاني على أحدث ما أنتجت ترمساتات مصر الهلنستية (٢٥) ، غير أن ظهور الأسطول الروماني الحربي في مياه البحر الأحمر في أعقاب فتح مصر كان بمثابة إعلان قيام سيادة روما على البحر الأحمر وعلى الدويلات التجارية الواقعة على جانبيه وإعلان انتهاء مرسوم الصراع بين هذه الدويلات من أجل ملء الفراغ الذي تركه البطالة في ذلك المنز المائي الحيوي ، كما إن الأسطول الروماني حرص على تمقيب القراصنة الذين انتشر خطرهم في البحر الأحمر في أواخر عصر البطالة حتى أن الأسطول البطلمي كان يسير لحماية السفن التجارية حتى باب الميناء ، بل أن كل سفينة كانت تحتفظ بقوة مقاتلة للدفاع عنها ، وتتخاض السير قرب السواحل الشرقية للبحر الأحمر خوفا من أوكار القراصنة ، لكن ظهور الزوبان في البحر الأحمر أعاد للبحر الأحمر شيئا من السلام ولهذا استقرحت السفن في أجرامها الأمنية التي كانت تتغذها قبل ذلك وهذا خفض من تكاليف السلع الشرقية في أسواق الغرب .

وإذا ما تركنا السواحل المصرية على البحر الأحمر نجد بعض الموانئ الهامة التي لعبت دورا كبيرا في التجارة مثل ميناء أدوليس ( ميناء زولا قرب صيوع ) وهو الميناء الرئيسي لدولة أكسوم (٢٦) التي كانت لاتزال ناشئة في ذلك الوقت وكان هذا الميناء مركزا لتجارة الجلود والفواقع الحمراء المستخدمة في الصباغة ، وكذلك الفينيد وهاج . وحيث القرن وهاج الأفياح ، لأن صينيذول كانت على بعد مسيرة ثلاثين ساعة من كولوي Koloe ( Kohaito ) سوق الحاج القديمة في أفريقيا ، لكنها تبعد عن العاصمة أكسوم ( بالقرب من عطبرة ) حوالي ثمانية أيام ، وبالرغم من أن الدولة الأكسومية الناشئة كانت تفرض نكوسا عالية على التجارة ، إلا أنها لم تحاول أبدا تصدي روما أو تعطيل مصالحها ، بل حاولت اظهار حسن النوايا بملاقاتها التجارية مع مصر الرومانية حيث كانت تستورد القماش المصري والزجاج والزيوت والتميل والأسلحة والأدوات المعدنية (٢٨) ، ومن الواضح أن تقامنا معينا كان قائما بين الامبراطورية الرومانية وأكسوم يدلل أن ميناء عدول قد ورد ذكره في دليل الملاحة في البحر الأحمر كميناء معترف به .

وإذا ما مرنا جنوباً بمضمار الساحل الصومالي نجد عدة موانئ لمعبت دورها في حركة النشاط التجاري في البحر الأحمر في عصر الرومان مثل ميناء أوبوني opone في بلاد الصومال والذي كان يصدر القواقع المحرمة وأجود أنواع الرقيق (٢٩) والقرقة والمنظل واللبن خاصة من ميناء قريب آخر هو ميناء موندوس Mundus

وتحت مظلة السلام الروماني وصل التجار جنوباً حتى سواحل أوغندا حيث كان يقبع ميناء رابتا الشهير Rhapta وهو آخر ميناء عرفه دليل الملاحة لأنه بعده « يبدأ المحيط الذي لا يعرف مداه أحد » على حد قول الدليل (٣٠) ، وكان ميناء رابتا يمثل محطة الوصول الأولى للسفن القادمة عبر المحيط الهندي ومنه تتجه شمالاً لتدخل البحر الأحمر حتى ميوس هورموس ، وكانت هذه المنطقة من الساحل الأفريقي تقع تحت النفوذ المباشر للدولة السبئية - الحميرية في الجنوب العربي حيث هاجر عدد كبير من اليمنيين - ربما بسبب الاضطرابات السياسية الداخلية (٣١) أو تحت ضغط البارثين في شمال شبه الجزيرة العربية وحضرموت في القرن الأول الميلادي واختلطوا بالأفريقيين ، غير أن الرومان لم يسمحوا للدولة السبئية - الحميرية بأقامة أي وجود أو سيادة مباشرة لها على الساحل الأفريقي المواجه لمضائق البحر الأحمر حتى لا يعطي ذلك فرصة للملوك الجنوب العربي بعرقلة النفوذ البحري الروماني (٣٢) ، أما فيما عدا ذلك لم يكن للوجود السبئي - الحميري أي تأثير سياسي على الملاحة في البحر الأحمر . بالرغم من أن الرومان لم يتدخلوا في تجارتهم الأفريقية ، إذ ذكر دليل الملاحة أن خطأ ملاحياً دائماً كان يصل بين ميناء موزا في سبأ وميناء رابتا في أوغندا (٣٣) .

أما بخصوص سياسة الرومان مع الدولة الواقعة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر فقد تطلبت موقفاً إيجابياً ، إذ كان هناك قوتان واحدة في شمال شرق البحر الأحمر وهم الأنباط والأخرى في الجنوب الغربي منه وهو السبئيون - الحميريون . وكانت هاتان الدولتان تستمدان قوتهما وجودهما من التجارة خاصة دولة العرب الأنباط لأنها كانت قليلة السكان وبلاדם قليلة الأهمية إلا من طريق القوافل التي تمر بها (٣٤) . ويرجع الأنباط في الأصل إلى القبائل العربية الرحل التي تسللت في مطلع القرن السادس ق.م . من هضبة شرق الأردن واحتلت منطقة نبطية الصخرية الواقعة في الجنوب الشرقي من سوريا حيث كان يعيش فيها قبل ذلك الأدوميون

**Idumeans** وفي عام ٣١٢ ق م انتزعوها منهم حاصمتهم « سلح » اي « الصخرة » وهي التي ترجمت الى الاغريقية باسم Petra ( اي الصخرة ) ، وقد عرفت عند العرب باسم « الرقيم » ، وهي منطقة وادي موسى الحالية في الأردن ، وتقع البطرام فوق هضبة صخرية يبلغ ارتفاعها ٣٠٠٠ قدم فوق سطح البحر ، ولا تزال آثارها المنحوتة في الصخر تشهد بالروحة والجمال . على أي حال منذ أواخر القرن الرابع ق م بدأ الأنباط يتوسعون حول « البطرام » التي أصبحت مدينة حيوية ومركز تجميع وغلط وتوزيع وتسمير للبضائع القادمة من جرها والخليج وميناء أبو لجوس عند مصب الفرات عبر طريق القوافل المتجه الى البحر المتوسط كما كانت ملتقى لطريق القوافل الجنوبي القادم من سبأ وساحل البحر الأحمر ، وكانت قوافل الجمال تقطع هذا الطريق وهي تنقل البضائع حتى أن استرابون شبه هذه القوافل (٣٥) ، من كثرتها بالجيش . ولهذا كانت البطرام مقرا لعدد كبير من الأجانب (٣٦) . وقد ذكر ديود وروس الصقلي أن الأنباط كانوا أقوىاء ففي عام ٣١٢ ق م نجحوا في صد أنتيجونوس أحد المتصارعين على عرش الاسكندر . ومنعوه مرتين من احتلال البطرام .

ولما قامت الدولة البطلمية في مصر على أشلاء امبراطورية الاسكندر كان الأنباط من أشد المنافسين لهم في السيطرة التجارية على البحر الأحمر وقد بدأ هذا العداء واضحا منذ عصر بطليموس فيلادلفوس عندما شرع في احياء السيادة المصرية القديمة على البحر الأحمر ، وأرسل أسطولا من البوارج الحديثة ذات الأربعة طوابق (٣٧)

( *tetrerika skapha* ) *quadrimmes*

والسفن الصغيرة *trieremiolia* حاصرت سفن الأنباط ودمرتها في معركة بحرية ساحقة ربما في عام ٢٧٨ - ٢٧٧ ق م ، وقد زاد شكوك الأنباط عندما شرع بطليموس الثاني في ارسال بعثات استكشافية لسواحل البحر الأحمر الشرقية لاختيار مواقع لبناء موانئ ومستوطنات جديدة ، ووصل أحد المستكشفين واسمه أرسطون الى منطقة خليج العقبة (٣٩) . ربما ليختار مكانا لبناء ميناء يلقي أهمية ميناء ايلانا *Aelana* النبطي عند خليج العقبة ، ولقد اثار هذا التصرف من جانب بطليموس الثاني شكوك الأنباط الذين كانوا يحتكرون وينفردون بالتجارة بين موانئ سبأ في اليمن - حيث محطة وصول البضائع من الهند - وبين ميناء ايلانا ، بل كان ساحل الحجاز كله مليء بالمحطات التجارية وقد ذكر استرابون أن رحلة القوافل من مين *Minaea* في اليمن حتى ميناء ايلانا كانت تستغرق مسيرة سبعين يوما (٤٠) ، ولهذا السبب كان الأنباط يخافون من وجود حكم



قوي في مصر ويفضلون بقاها ضميعة - وجدير بالذكر أيضا أن بطليموس الثاني كان أول من أقام مستوطنات على الساحل الشرقي للبحر عندما دعى سكان ميليتوس - التي كانت جزءا من إمبراطوريته وقتذاك - لبناء مستوطنة لهم ، وبالفعل أقاموا ميناء أمبيلوني Ampelone الذي يمتد « تارن » أنه كان يقع في شمال الحجاز بالقرب من ميناء جدة الحالي ، حيث يسهل الوصول إلى خليفتهم ديدان ( الملا ) برا وإلى ميناء ميوس هورموس بحرا . ومنذ حملة بطليموس الثاني بدأ نفوذ الأنباط يتحصر سواء من الناحية الاقتصادية أو العسكرية أمام المد البطلمي ، ولهذا لم ينس الأنباط أبدا ذلك ، ولهذا نجدهم ينضمون إلى ملوك السلوقيين في حروبهم ضد البطالة حول جوف سوريا ، ولقد شجع السلوقيون حلفاءهم الأنباط لكي يقوموا بمقاومة نفوذ البطالة في البحر الأحمر نيابة عنهم ، وكرد على تحالف السلوقيين مع الأنباط شرع بطليموس الثاني في إقامة تحالفات مع مدينة ديدان ( الملا ) والعرب اللحيانيين الذين كانوا يربطهم صلات ثقافية وحضارية قديمة مع البطالة (٤٢) وصلت إلى قمته ما بين عام ٢٨٠ - ٢٠٠ ق م . وكانت ديدان والعرب اللحيانيون يحدون في الأسطول البطلمي حماية لهم من التوسع النبطي .

ولقد ظل ميزان القوى في صالح مصر حتى نجح السلوقيون في هزيمة البطالة وطردهم من سوريا عام ١٩٧ ق م . وبدأ الضعف والتحلل يبدان في أوصال الدولة البطلمية ، وبالتالي بدأوا يفقدون اهتمامهم بالساحل الشرقي لشبه جزيرة العرب وبدأوا يركزون على الساحل الأفريقي (٤٣) ، ونتيجة للانحسار البطلمي بدأ النبطيون يتوسعون على طول الساحل الشرقي ، واستولوا القبائل العربية التي كانت تسكن ساحل الحجاز ، كما استولى الأنباط على « الحبر » ( مدائن صالح ) وجعلوها قاعدة للانطلاق والتوسع ، وبالرغم من هذا تصدى اللحيانيون بمساعدة البطالة للتوسع النبطي والذي بدأ على يد ملكهم القوي الحارث الأول عام ١٦٩ ق م ، وبلغ أشده عندما تولى أريطاس الثالث المرش ( ٨٧ - ٦٢ ق م ) ، ويبدو أن الأنباط وصلوا إلى ميناء أمبيلوني بالفعل وغربوه وأعادوا بنائه أو بنوا بجوار ميناء جديدا لهم أسموه « ليوكي كومي » ( الحوراء ) أي القرية البيضاء ، ثم ربطوا بين مينائهم الجديد وبين مدينة يثرب التجارية بطريق قوافل وبذلك حولوا التجارة عن مدينة ديدان خليفة البطالة وكان ذلك ضربة اقتصادية كبرى للنفسود البطلمي في البحر الأحمر والذي تقلص تماما .

ولم تتوقف سياسة الأنباط عند هذا الحد بل سعوا الى اسقاط الحكم البطلمي ذاته بالتدخل في الصراعات الاسيرية حول العرش ، وليس من المستبعد أن يكون الأنباط قد اشتركوا مع جابينيوس والى سوريا الروماني في اعادة بطليموس الزمار الى عرش الاسكندرية رغم أنف أهلها ، ثم نجد الأنباط يتدخلون الى جانب كليوباترا السابعة ضد أخيها . ومن الواضح أن الأنباط قد ادركوا نفوذ الرومان المتزايد في مصر منذ منتصف القرن الثاني ق.م. وادركوا طمع الرومان في الاستيلاء عليها يوما ما لأنها كانت مصدرا هاما للقمح الذي لا غنى عنه لاطعام شعبهم ، ومن ثم لجأ الأنباط - مثلما فعل اليهود - الى سياسة جديدة وهي اقامة جسور من الصداقة مع الرومان وتحريضهم على القدوم الى الشرق الأوسط ، ولقد بدأت الصداقة الرومانية - النبطية في عهد أريطاس الثالث ( الحارث الثالث ٨٧ - ٦٢ ق.م ) والذي نجح في انتزاع سوريا الحالية من أيدي ملوك السلوقيين الضعفاء ، والذي في عهده ظهرت أول حملة لدولة الأنباط (٤٤) ، والذي في عهده أيضا فتح القائد الروماني بومبي سوريا ، وليس من المستبعد أن يكون ذلك قد تم بمساعدته ، وعندما حاصر يوليوس قيصر في الاسكندرية عام ٤٧ ق.م وجه الدكتاتور الروماني ندا الى ملك الأنباط الملك مالحوس Malchos لتقديم اللون اليه (٤٥) ، فأرسل اليه قوة من الفرسان هي التي ساعدت يوليوس قيصر على الافلات من هزيمة محققة ، ومن المؤكد أن الأنباط قدموا مساعدتهم لأوكتافيوس عندما قرر فتح مصر خاصة أنهم قاموا بحرق أسطول كليوباترا بالقرب من هيرونوبوليس ( تل المسخوطة وهي بيتوم الفرعونية ) حتى يمنعوها من الهرب جنوبا في البحر الأحمر ، وكانهم كانوا ينتقمون من تدمير بطليموس الثاني لأسطولهم عام ٢٧٨ ق.م (٤٦) . وبعد موت مالحوس تولى الملك عبادة الثالث Obadas III

( ٢٨ - ٩ ق.م ) والذي تعاون مع الرومان ايجابيا واشترك في حملة أيلبيوس جالوس ضد ملوك حمير وسبأ . ولهذا لم يضا أكتافيوس أغسطس أن يلحق أي أذى بالأنباط نظير خدماتهم الطويلة لروما ، لأن روما كانت لا تنسى أسدقائها . واستفاد الأنباط من ذلك الوضع الجديد فبقي ظل الحماية الرومانية وصلت دولة الأنباط الى أقصى اتساعها في عهد الحارث الرابع ( ٩ ق.م - ٤٠ م ) ، وقد سبب هذا التزايد ازعاجا لدى الامبراطور تيبيريوس ففكر في ضم الأنباط ضمما شاملا ، لولا صداقته بالحارث الرابع ، وحرصه على اتباع سياسة أغسطس وعدم الخروج عليها ، وبعد الحارث الرابع تولى الملك مالحوس الثاني الذي سار على نفس سياسة الصداقة مع الرومان ،

والذي ساعد تيتوس Titus بألف فارس و ٥٠٠ من المشاة لكي يهاجم اورشليم وتدير دولة يهودية (٤٣) - لقد وصلت البطرام الى أقصى اتساع لها في القرن الأول الميلادي لأن سياسة أغسطس وخلفائه كانت تهدف الى جعل دولة الأنباط دولة موالية للرومان ومازلة بين حدود الامبراطورية وبين دولة البارثيين ، وقد رضى الأنباط بذلك الدور لأنهم اعتقدوا أن الرومان سوف يكافئونهم بأن يطلقوا يدهم في تجارة البحر الأحمر ويتفردون بها ، لكن الرومان عندما وصلوا الى المياه الشرقية بدأوا يثيرون فكرتهم وظهر الأسطول الحربي الروماني في مياه البحر الأحمر ببوارجه الحديثة ، وبدأ الرومان يقتلمون أظافر حلفائهم حتى لا يتحولون الى خطر يهدد مصالحهم في هذه المنطقة ، وبالتالي بدأت دولة الأنباط تتكشف لتعود الى حدودها الطبيعية بعد منتصف القرن الأول الميلادي خاصة أن السلام الروماني كان قد استتب تماما في البحر الأحمر ووصلت روما الى اتفاق مع البارثيين ، ولم يعد هناك حاجة الى الأنباط بعد أن أصبح طريق الملاحة الى الهند آمنا وموثقا (٤٤) ، وربما اتخذ الرومان اجراءات أمنية ضد الأنباط فوضعوا حامية رومانية بقيادة قائد مائة Centurion في ميناء ليوكي كومي لجمع المكوس لصالح الامبراطورية (٤٩) وليس من المستبعد أن يكون الرومان وراة تغيير طريق القوافل بين الخليج الفارسي والبحر الأبيض ليس عبر مدينة بالورا بعيدا عن أرض الأنباط لأننا نجسد في نفس الوقت تقريبا طريق التجارة البرية على ساحل البحر الأحمر يتخذ طريقا أبعد نحو الداخل بعيدا عن نفوذ الأنباط في نفس الطريق الذي أقام فيه المشائيون خط سكك حديد الحجاز ، كل هذا لابد وأن يكون تخطيطا دقيقا لاضفاف الأنباط اقتصاديا ، وبالفعل بدأت دولة الأنباط تتدهور اقتصاديا وسياسيا في عهد آخر ملوكها رابيل الثاني ( ٧١ - ١٠٦ م ) الى أن رأى الامبراطور تراجانوس في عام ١٠٦م انهاء وجود دولة مستقلة للأنباط وتنفيذ مشروع تيبيريوس القديم في نفس العام الذي استولى فيه على بلاد البارثيين ودخل حاصمتهم طيسفون ( المدائن ) ، وهكذا تحولت بلاد الأنباط الى ولاية بلاد العرب الرومانية وينتهي بذلك سفر طويل من علاقات الرومان بالأنباط انتهى بالتخلص التدريجي منهم لتنفرد روما بالسيادة المطلقة على البحر الأحمر لأن سياسة الرومان الدفاعية لم تكن تسمح بوجود حليف قوي قد يتحول الى خطر عليهم مستقبلا وهي نفس السياسة التي جعلت روما تدمر قرطاجة وكورنثا وتزيلهما من الوجود عام ١٤٦ ق م -

واذا ما غادرنا ميناء ليوكي كومي ( الحوراء ) جنوبا في اتجاه مضيق

باب المندب وجدنا ساحل شبه الجزيرة الشرقي وعرا لا يصلح لرسو السفن وتساكن كهوفه عصافيات قراصنة البحار (٥٠) ، ولهذا كانت السفن تتجنب السير بحدام الساحل وتفضل أن تتخذ مسارها وسط البحر بل أن كل سفينة كانت تحرس على حمل قوة حراسة مسلحة للدفاع عنها ، مما يزيد من تكاليف نقل البضائع . ولقد رأينا كيف أن الأسطول الحربي في عصر البطالة اضطر لمصاحبة السفن التجارية حتى باب المندب وساحل حضرموت لكن بظهور الأسطول الحربي الروماني تغير الحال تماما حيث أصبح البحر الأحمر آمنا تماما .

ولقد روى استرابون نقلا عن صديقه ايليوس جالوس والي مصر الثاني أن ما يقرب من ١٢٠ سفينة أصبحت تمخر عباب البحر غداة الفتح الروماني لمصر وتقلع من ميناء ميوس هرموس في طريقها الى الهند بينما في أيام البطالة لم تكن سوى عشرين سفينة على الأكثر تجرؤ من الخروج من البحر الأحمر (٥١) ، ونفهم من دليل الملاح أن هذا العدد من السفن لم يكن سكندريا بل شمل قوميات أخرى مثل العرب والهنود (٥٢) ، ولم تمد السفن في حاجة الى تسليح نفسها كما كان قبل ذلك .

وإذا ما اقتربنا من باب المندب نشهد طبيعة الساحل فيصبح أقل وعورة وأكثر خصوبة حيث مطول الأمطار وتنمو الزراعة ويقوم العمران والحضارة وحيث كانت هذه امارات مثل المينية والقبتانية والسبئية والحضرموتية نجحت كل بدورها في توحيد اليمن وخلق الدولة المتحدة المنظمة .

وغير أنه بقدوم القرن السابع ق.م نجد إحدى هذه الامارات اليمنية وهي دولة سبا تخضع الدولة المينية وتفرض سلطانها على ساحل شبه الجزيرة الجنوبي والغربي كله . بل امتد ، سلطان السبئيين الى مراكز المينيين في الشمال ، وبذلك تحولت الى أيديهم زمام القوافل التجارية ، واتخذت الدولة السبئية مآرب حاضرة لها . غير أن نشاط بطليموس الثاني في البحر الأحمر عام ٢٧٠ ق.م . ألحق ضربة اقتصادية بالسبئيين ولهذا وقفوا مع السلوكيين ضد بطليموس الرابع في معركة رفع عام ٢١٧ ق.م كما نفهم من أحد النقوش اللحيانية والتي تبين أن اللحيانيين حلفاء البطالة تعرضوا لعدوان السبئيين خلال هذه الحرب (٥٣) . لكن دولة السبئيين سرعان

ما تدهورت على أيدي ملوك ريدان أصحاب ظفار والذين فرضوا سلطانهم على الساحل الجنوبي والجنوبي الغربي لشبه الجزيرة في عام ١١٥ ق م ، وسيطروا على طريق البخور القديم ، وقد عرفوا باسم الحميريين ، ولكنهم تمسكوا بإطلاق اسم السبئيين على أنفسهم ولهذا سمّاهم العلماء باسم السبئيين - الحميريين وهم الذين وجدهم الرومان يسيطرون على جنوب البحر الأحمر غداة فتحهم لمصر ، خاصة وأن كان لهم موانئ هامة مثل ميناء موزا Muza ( موزا الحالية ) على الساحل الجنوبي الغربي ، وكان هذا الميناء هاما لدرجة أن مؤلف دليل الملاحة أثنى عليه وعلى تجارته الرائجة (٥٤) . حيث كان يتجمع فيه محصول القرفة المطلوبة من الصومال ، وكان لهم ميناء آخر قرب باب المندب هو ميناء « أوكيليس » Ocelis والذي كان يتمتع بحزايا مثالية لرسم السفن التي كانت تتزود من مصادر مياه العذبة قبل اقلاعها الى عرض المحيط الهندي في طريقها الى شبه الجزيرة الهندية . وقد أثنى بليني أيضا على مزايا هذا الميناء (٥٥) . وعلى مسافة ليست بالبعيدة من ميناء أوكيليس يقع ميناء عدن ( Adana ) والذي منه كانت السفن تطلع مباشرة الى الهند . ولقد أطلق الكتاب الاغريق والرومان على ميناء عدن اسم بلاد العرب السعيدة Arabia Eudaimon - Arabia Felix وعمموا هذا الاسم على منطقة جنوب غرب شبه الجزيرة العربية كلها ، ولقد ذكر استرابون أن بلاد السبئيين كانت أكثر البلاد يمنا Eudaimonestate وأن سكانها كانوا أثرياء يحتكرون تجارة التوابل والكندر والقرفة والبلسم ويكنزون الذهب والفضة ويقتنون الأحجار الكريمة ، كما أن بلادهم كانت تربي كثيرا من التوابل (٥٦) . ولقد كان العرب اليمينيون تجارا مهرة مثل الفينيقيين ، تمتد تجارتهم من الهند شرقا حتى مصر شمالا ، كما أن موقع بلادهم أتاح لهم السيطرة على جنوب البحر الأحمر وساحل شبه الجزيرة الجنوبي حتى الخليج الفارسي شرقا ، كما سيطروا على ساحل أفريقيا المواجه لساحلهم من باب المندب شرقا حتى « رابتا » في أوغندا ، وإلى رأس « هار دافوي » جنوبا ، كما كان هناك خط ملاحى دائم بين ميناء موزا وميناء رابتا ، بل كان لهم مركز تجاري آخر في جزيرة سقطراي (٥٧) ، وكان اليمينيون أول من استخدموا الجمال كوسيلة لنقل البضائع عبر مداخل الصحراء وعبر طريق البخور القديم من تمتع Thomna جنوبا حتى غزة شمالا وهي مسافة قدرها بليني بحوالي ٢٤٣٧ ميلا رومانيا (٥٨) ويتخللها حوالي ٦٥ محطة تجارية (٥٩) وقد ذكر استرابون أن المكوس والضرائب كانت تجبى من هذه القوافل عند هذه المحطات حسب مواردها من نفوذ قبيلة الى أخرى مقابل حماية الركب (٦٠) .

وعندما سمع أغسطس الذي كان يقتني سيرة الاسكندر بثراء أهل اليمن قرر أن ينال للامبراطورية تمجيها من هذا الثراء ولكي يكمل سيطرة الامبراطورية على البحر الأحمر كان لابد من اخضاع هؤلاء العرب وهو أمر وعده به الاسكندر ولم يمش لتحقيقه عندما تحسّدوه ورفضوا الاذعان له (٦١) ، وارسل الهدايا مثل غيرهم من الشعوب ، كما هدف أغسطس الى كسر احتكارهم للتجارة الشرقية وتحويل مسارها الى صالح الموانئ المصرية (٦٢) التابعة رسميا للامبراطورية الرومانية ، وهذا ينطبق مع روح السياسة المادية البحتة للامبراطورية ، خاصة أن تجارة المعطّور والتوابل كانت في نظره يمكن أن تشكل مصدرا جديدا من مصادر الدخل المالي لصالح الامبراطورية من أجل العبور بها الى عصر الرخاء بعد الأزمات والحروب الأهلية التي قضت على اقتصادها ، فضلا عن ازدياد الطلب على المعطّور والتوابل والحريز وغيرها من المنتجات الشرقية بعد التغير الذي حدث في ذوق الشعب الروماني . وتمشيا مع السياسة الأوغسطية التي تهدف الى تقليل أظافر دويلات البحر الأحمر التي كانت تتصارع على ملء الفراغ الذي تركته مصر البطلمية قبل وصول روما الى مياه البحر الأحمر ، كان على أغسطس أن يقوم بعمل عسكري حاسم ضد الدولة السبئية - الحميرية خاصة أنه لم يكن لها أي اتصال أو صداقة أو تحالف بالرومان يشفع لها ويعيق غزوها ، هذا هو الدافع الذي جعله يخرج عن السياسة العامة التي وضعها وهي عدم التوسع .

ومن أجل ذلك عهد الى ايليوس جالوس ثاني ولايته على مصر ( ٢٦ - ٢٤ ق م ) لكي يقوم بحملة على اليمن ، وحشد الوالي عشرة آلاف جندي من بينهم فرقة رومانية مجهولة الاسم وبعض الوحدات المساعدة التي سحبت من القوات الرومانية المسلحة في مصر ، كما ساهم الملك عبادة الثالث ملك الأنباط وحليف الرومان بعشرة آلاف جندي وبعده من الأدلام يقودهم وزيره الحبث سيلايوس Syllaeus ونستشف من حديث سترابون مؤرخ الحملة أن القوات البطلمية اشتركت فيها على مضض لأن الحملة تعرضت للفشل والخيانة عدة مرات (٦٣) ، ومن المعروف أن الأنباط كانوا يتعاونون مع اليمنيين منذ زمن بعيد لاحتكار تجارة البحر الأحمر ، كما أن سيلايوس وجنوده كانوا يعلمون أن هدف هذه الحملة - إذا ما نجحت - هو سيطرة

الرومان الكاملة على تجارة البحر الأحمر وحرمانهم واليمنيين من مصدر ثرائهم الوحيد ، كما اشترك هيرودور الأكبر حليف الرومان أيضا بقوة قدرها ٥٠٠ مقاتل ، وكان جالولس قد بنى في عدد من البوارج الحربية الحديثة المطورة من البوارج البطلمية والتي أطلق عليها استرابون اسم Sikpota (٦٤) بلغ عددها ثمانون بارجة بنيت وأعدت في مصر بالإضافة الى ١٣٠ حاملة للجنود ، ومن الواضح أن الحملة قد غطت على مجل ودون دراسة لطبيعة حرب الصحراء ولم يتمتع الرومان من ذكرى هزيمة كراسوس في كارهاني ، وكان الحملة قامت على أساس الاعتماد الكامل على معاونة الأنباط .

وفي عام ٢٥ ق-م أقلعت الحملة من ميناء كليوباتريس ( قرب السويس ) وأقلمت مباشرة الى ميناء ليوكي كومي النبطي ، ومن اللات للنظر أن جالولس فضل أن يبدأ رحلته من الساحل الشرقي للبحر الأحمر ومن ميناء نبطي يبعد مايقرب من ٩٠٠ ميل عن أرض سبأ ، بدلا من أن يبدأها من ميناء بيريثيكي على الساحل المصري التابع للرومان في الساحل الشرقي للبحر الأحمر ، وهو المنافس للساحل المصري وموانئه وذلك لارهاب الأنباط والسبئيين معا لأن مخطط الحملة هو أن تسير أكبر قدر ممكن عبر أراضي الأنباط والعرب الجنوبيين ، وبعد خمس عشر يوما وصلت الحملة الى ميناء ليوكي كومي بعد أن تكبدت خسائر فادحة في السفن والأرواح بسبب صعوبة الملاحة في هذا الجزء من البحر الأحمر ، ومن ثم اضطر جالولس أن يستريح بقية الصيف وشتاء العام كله ، ولم يستأنف السير الا في ربيع عام ٢٤ ق-م ، وسلك دروب الصحراء مستخدما الجمال لنقل المياه والمؤونة والمعاد وبالطبع كان الأعداء النبطيون يرشدون الحملة عبر مجاهل الصحراء ، واستمر السير ثلاثين يوما في أرض الملك أريطاس وخمسين يوما أخرى في أرض الملك مايروس أحد ملوك البدو في نجد ، حتى بلغوا سهل تجران حيث تمكنوا من الاستيلاء على بعض المدن الصغيرة ، وبمسند أن تزودوا بالمياه استأنفوا السير نحو ماريابا Mariaba ( سد مأرب ) عاصمة السبئيين ومقر ملكهم الذي كان يدعى في ذلك الوقت اليساروس Iisaros والذي يعتقد البعض أنه « آل شرح يحضب » الذي ورد ذكره في نقوش السبئيين (٦٥) ، وضرب جالولس الحصار حول مأرب ، ولكنه فشل في الاستيلاء عليها بسبب نفاد الماء والمؤونة ، فاضطر الى فك الحصار عنها ، وعرف جالولس أنه على بعد مسيرة يومين من أرض أروما ( سهل حضرموت ، وبعد

مسيرة ستة أشهر تعرض خلالها لغدر الأديام والأنباط ومقاومة السكان ، قرر الانسحاب عائدا الى نجران ، ثم سار أحد عشر يوما أخرى حتى وصل الى منطقة الأبار السبعة ، ثم اخترق الصحراء والحضر حتى وصل الى ميناء أجرا على البحر الأحمر ومنه ركب البحر عائدا الى ميناء ميوس هورموس ، ثم عبر طريق القوافل حتى قفط ومنها ركب النيل الى الاسكندرية ، وقد استغرقت رحلة العودة ستين يوما بينما استغرقت رحلة الذهاب ما يقرب من ستة أشهر .

لقد أخفت حملة جالوس تماما من الناحية العسكرية لأنها تكبدت خسائر فادحة في الرجال والعتاد بسبب المرض والجوع والخيانة ، وفشلت في احتلال اليمن ، لكنها من الناحية السياسية والاقتصادية حققت نجاحا منقطع النظير . وذلك لأنها مزقت الحجب والغموض اللذان كانا يحيطان بشبه الجزيرة العربية وبدأ الاغريق والرومان يعرفون ويكتبون عن سكان شبه الجزيرة ، ويقول بلييني الأكبر « اننا بفضل هذه الحملة عرفنا شيئا عن المينييين والسبثيين والحميريين » ، ومن خلال وصف سترابون مؤرخ الحملة وصديق جالوس قائدها - نستطيع أن نتخيل أنها اندفعت وسط هضبة نجد والحجر الى حدود حضرموت واليمن ، وكما يقول أغسطس نفسه في اثر أنقرة أنه وصل الى حدود السبثيين وسد مأرب ، كما أن سكان الجنوب العربي رأوا الرومان لأول مرة وجها لوجه وأعجبوا بهم وبقوتهم ، وبدأ عهد جديد من الصداقة الوطنية بين الأباطرة وأمرام المشايخ العرب تبادلوا فيها الهدايا والوفود ، وعقدت اتفاقيات الصداقة (٦٦) . ومن الناحية الاقتصادية كانت هذه الحملة بداية عهد جديد للملاحة في البحر الأحمر ، اذ حققت السيادة الرومانية على جانبي ساحل البحر الأحمر ، وألغت القوى القديمة التي كانت تتصارع عليه وألغت احتكار العرب وحولت التجارة الى الموانئ الواقعة على الساحل المصري التابع لهم خاصة ميناء ميوس هورموس ، كما أعطت للرومان حقوقا في استخدام بعض الموانئ على الساحل كما رتب الموانيء حسب درجات صلاحيتها ووضعتها القانوني مع حكامها بالنسبة للإمبراطورية وذلك حسب اتفاقيات محلية عقدتها روما وكما سنرى ليس من المستبعد أن تكون الإمبراطورية قد فرضت مكوسا مقابل حفظ السلام في البحر الأحمر .

والحافا بهذه الحملة الفريدة من نوعها في تاريخ الإمبراطورية شرع أغسطس في العام الأول الميلادي في تنفيذ مشروع الاسكندر القديم وهو



استكمال الدوران حول شبه الجزيرة العربية من الخليج الفارسي حتى البحر الأحمر ، واتبع في ذلك أسلوبا علميا تطبيقيا واقميا لا يقوم على الخيال الرومانسي ، ولهذا قام بمسح واستكشاف جانبي الخليج الفارسي ، وقام بهذه المهمة ملاح اسمه ايسيدوروس من مدينة « خاراكس سياسيمو » عند الخليج ، ولا شك أنّ هذه الحملة قد تمت بالتفاهم مع البارثيين وربما كان من نتائجها هو تلك القارة السريمة المدمرة على ميناء عدن .

ولقد لاحظ العلماء أن الميناء الوحيد الذي أسقط مؤلف دليل الملاحة في البحر الأحمر ذكره من قائمة الموانئ القائمة وقت كتابة هذا العمل الشهير هو ميناء عدن ، والذي كان يعرف عند الرومان باسم بلاد العرب السعيدة Arabia Eudaimon . وقد ذكر مؤلف دليل الملاحة أن هذا الميناء كان ذات يوم مدينة هامة زاهرة بالتجارة والحركة قبل أن يدمره قيصر Caesar . ويتركه كما وجده مؤلف الدليل قرية ساحلية لا أهمية لها بالرغم من أن موقعها كان لا يزال وقتذاك مناسباً لميناء جيد مزود بمصادر مياه هذبة لتزويد السفن وتفوق في جودتها مياه ميناء أوكليلس Ocellis الذي انتقلت إليه الأهمية ، كذلك ذكر مؤلف الدليل أن في الأيام السابقة على عصره كان ميناء عدن محطة عالمية كبرى لتجارة أمالي البعاز بين الشرق والغرب .

ولقد دار جدل بين العلماء حول من هو « قيصر » الذي دمر ميناء عدن حتى أنه لم يعد له قائمة منذ ذلك التاريخ مثلما اختفت قرطاجة وكورنثا ، وحتى حدث ذلك ؟ وماهي الأسباب وراء ذلك العمل ؟ وقد قدم العلماء اجتهادات وافتراضات مختلفة . فقد رأى بعضهم أن تدمير عدن تم داخل الصراعات المحلية في اليمن ، وأن موقع عدن الاستراتيجي الهام المتحكم في مداخل البحر الأحمر - والساحل الصومالي - العربي المواجه له ، وكذلك الطريق الساحلي الطويل المتجه صوب عمان والخليج - هو الذي جر عليها حقد الموانئ اليمنية الأخرى فتأمرت عليها ودمرتها ، ويعتقد أصحاب هذا الرأي أن حكام ميناء « موزا » لهم يد في ذلك ، فضلا عن حقد المسيحيين من عدن وغيرتهم منها ؛ وقد اقترح الأستاذ شوف Schoff في نهاية تمليقه على هذه الفقرة من دليل الملاحة أن كلمة قيصر في النص اليوناني ترجمة خاطئة لكلمة ملك عند العرب (٦٧) . وهذا الملك الذي دمر هذا الميناء ربما هو شرجببيل ملك الحميريين الذي عاش في عصر الأسرة البوليوكلارديّة

( ٤٠ - ٧٠ م ) ، ويدلل « شوف » على رايه بأن أحداث التاريخ الروماني ومصادره لا تعرف ولم تسجل أي هجوم قام به أحد أباطرة هذه الأسرة على مدن ، وبالتالي فإن المقصود بكلمة قيصر هو ملك الحميريين المذكور ، غير أن الأدلة والمنطق التاريخي لا يؤيد هذا الرأي فليس من المعقول أن تقوم دولة عرفت بقيام الاتحادات بين أجزاء اليمن بتدمير أجود موانئها بل أن الأجدر هو الاستيلاء عليه ، كما أن موانئ اليمن كانت متعاونة فيما بينها من أجل احتكار التجارة ، كما أن افتراض أن المؤلف قد أخطأ تحميل أكثر من اللازم للنص وبالتالي فليس من المعقول أن يكون موقع عدن الممتاز السبب في تكتيتها على أيدي الحميريين .

وهناك رأي آخر يشكك في وقوع الحادثة ذاتها مدعين أنه لم يشر على أي آثار تدل على عمل عسكري روماني في الميناء أو آثار احتلال (٦٨) دائم قصد به كسر شوكة العرب التجارية في البحر الأحمر وبحر العرب لتسهيل التجارة لصالح عملائهم وتجارهم في مصر ، ويقولون أنه لو كانت مثل هذه الحملة العسكرية قد حدثت بالفعل لهلل الكتاب والشعراء والمؤرخون الرومان لأنه أمر بعيد الاحتمال أن يخيب مثل هذا الانتصار الروماني الباهر في بلاد العرب السعيدة عن الدعاية الرومانية التي كانت جزءاً من سياستهم العامة ، خاصة إذا كان قد ترتب عليه نتائج هامة ، في حين أن حملة جالوس ظلت تتردد في مؤلفاتهم ولم تنب عن أذهانهم أبداً ويقولون أنه إذا كانت هناك مثل هذه الحملة حقاً لما ذكر بليني الأكبر أن إيلْيوس جالوس كان الروماني الوحيد الذي قاد جيشاً إلى جنوب بلاد العرب . ومن ثم يخلص أصحاب هذا الرأي إلى أن مؤلف دليل الملاح في البحر الأحمر قد اختلط عليه الأمر ، إذ أنه قد سمع بلاريب عن حملة جالوس في بلاد العرب السعيدة والتي كان اسمها يطلق أيضاً على ميناء عدن فاعتقد خطأ أن الهدف منها كان الاستيلاء على الميناء وتدميره ، وافترض أصحاب ذلك الرأي أن النص يقصد عصر الأسرة البوليوكلاودية وبالأحرى عصر تيرون ، وبالفعل لم يحدث أي غزو روماني خلال حكم هذه الأسرة على عدن . غير أن العبارة التي ذكرها الدليل أن ميناء عدن كان قائماً حتى وقت « ليس يبعيد عن عصرنا » وإذا قبلنا الرأي العام أن دليل الملاح كتب ما بين ٨٠ - ٨٥م فإن الفاصل الزمني المناسب هو ثمانون أو خمس وثمانون سنة قبل تاريخ صدور هذا العمل ، أي عصر الإمبراطور أغسطس نفسه ، أي أنه من الأحرى أن نعتقد أن النص صادق فعلاً وأن تدمير ميناء عدن قد تم بفعل حملة سريعة وحاسمة بهدف « اذهب ودمر ثم عد » وذلك بأوامر صادرة من الإمبراطور أغسطس نفسه

وبتوكيل منه الى شخص وثيق الصلة به . وأن أقرب المقربين اليه في ذلك الوقت هو ابن ابنته جوليا من جنراله المخلص الراحل اجريبيا ، وبالتالي فإن كلمة « قيصر » وهي تعني جايوس قيصر أغسطس . وبالفعل فإن لدينا أدلة على أن جايوس قيصر أغسطس قد كلف في العام الأول الميلادي بقيادة حملة سرية لتدعيم مركزه كوريث مرتقب لأغسطس ، وأن السبب في تدمير عدن يتفق والاستراتيجية العامة لأغسطس بعدم التوسع مع السماح بالمحروب المحدودة الدفاعية ، وأن خوف الامبراطور من خطورة هذا الميناء على مصالح الامبراطورية الاقتصادية في البحر الأحمر وعلى السلام الروماني هي التي دفعت لمثل هذا التصرف قبل أن يستفحل خطره ، ويدعم من هذا الرأي الذي نميل اليه أن هناك سوابق تاريخية لأعمال مماثلة قامت بها الامبراطورية لتدمير موانئ تجارية في البحر الأبيض كانت تخشى ازدياد خطورتها على السلام والمصالح الرومانية ، وأن سبيمة كاتو الشهيرة « قرطاجة يجب أن تدمر » Delenda est Carthago تحمل هذه الفلسفة وكذلك دمرت الامبراطورية في عام ١٤٦ ق.م ميناء كورنثا بدون سبب في نفس العام الذي دمرت فيه قرطاجة .

أن الرأي القائل أن النص خلط بين جالولس وبين قيصر المجهول أمر بعيد الاحتمال لأن اليوليوس جالولس — وكما نفهم من نص استرابون لم يصل الى ساحل شبه الجزيرة الجنوبي حيث تقع عدن ، بل عاد قبل ذلك وكان على مسافة مسيرة عشرة أيام من « أرض الأروما » والمقصود بها سهل حضرموت وبالتالي نرفض ما جاء في الموسوعة البريطانية بأن الرومان عرفوا عدن واستولوا عليها عام ٢٤ ق.م (٦٩) .

أن هناك أكثر من دليل على أن قيصر أغسطس الذي كان العمر قد تقدم به وقتذاك . قد كلف جنديده الذي تبناه وأمهده للعرش بالاعتراف على تنفيذ مخطط استراتيجي مدروس هدفه دعم السلام الروماني في البحر ودعم المصالح الاقتصادية للامبراطورية ومن بينها كما يبدو مشروع الدوران حول شبه الجزيرة العربية والذي كان امتدادا لحلم الاسكندر القديم ، كما نعرف أن جايوس قيصر ذهب بأوامر من جده في العام الأول الميلادي في مهمة عاجلة الى الشرق الأوسط وأن الامبراطور الجديد كان قد كلف أحد الخبراء وهو مؤلف كتاب « وصف العالم » بجمع كل المعلومات الجغرافية والسكانية من هذه المنطقة لتكون في خدمة الحفيد قبل أن يبدأ رحلته الى أرمينيا وبلاد العرب (٧٠) .

وهناك دليل آخر يؤكد أن ميناء عدن قد دمر فعلا وأن الذي قام بذلك هو الحفيد جايوس وهو ما ذكره بلييني في كتابه الثاني عشر أثناء الحديث عن شبه جزيرة العرب وأهم النباتات التي تنمو فيها خاصة الكندر ( اللبان ) حيث ذكر أن جايوس كان أول روماني شاهد بنفسه شجر الكندر ودرسه من قرب وأنه نقل المعلومات التي جمعها من هذا النبات إلى ملك موريتانيا العالم جوبا ( ٥٠ ق م - ٢٣ ق م ) لكي يضمها في كتابه عن شبه الجزيرة العربية ، واعترافاً بذلك الفضل أهدى جوبا كتابه إلى جايوس ، وإذا كان ذلك كذلك فكيف يتأتى لجايوس أن يدرس عن قرب شجر الكندر ما لم يكن قد ذهب إلى سهل حضرموت حيث تقع عدن ، وهي منطقة لم يسبق لأحد من الرومان الوصول إليها . وهذا يؤكد بلاشك أن جايوس الحفيد هو الذي نفذ أوامر جده أغسطس بحرق ميناء عدن ومرافقه لأنه كان يشكل خطراً على مصالح الإمبراطورية الرومانية في البحر الأحمر وأن الثراء المتزايد لدى سكان عدن قد يدفعهم إلى توسيد صفوفهم ومقاومة الرومان في منطقة اشتهرت بأعمال المقاومة على طول التاريخ ، ولقد حققت هذه الحملة هدفها في ذلك ، بل وأصبح منذ تلك الحملة لروما نفوذ وجود مباشر على البحر الأحمر ، وحقت السيادة الكاملة عليه بل وبدأت في فرض مكوس على الموانئ التجارية الهامة فيه كنسختل جديد لخزائن الإمبراطورية (٧١) والدليل على ذلك ما رواه بلييني عن حكاية أحد عتقائه ثري شهير اسمه أنيوس بلوكاموس *Annius Plocamus* كان موكولا إليه جمع المكوس من موانئ البحر الأحمر لحساب الإمبراطورية (٧٢) ، ولم يذكر بلييني اسم ذلك الممتق الذي روى أن اصمصاراً حمله وألقى به وبسفينته إلى جزيرة سيلان ، وهذا يبين لنا إلى أي حد ذهب هذا الممتق في طلب المكوس من موانئ البحر الأحمر ، ولروعة التاريخ وتزواج النصوص مع الأدلة الأثرية عثر على اسم هذا الممتق محفوراً على إحدى الصخور في طريق بيرينيكى فقط في شكل نقش مكتوب باللاتينية ومشفوع بترجمة يونانية ويقول النقش :

Ανδρας Πονηλιος Ἀννίου Πλοκάμου  
ἦκω λαε καίθιρος ἐντιφ.η

LYSA. P. Anni Plocami Veni XXXV, III. Non. IVL.

« أنا لوساس عامل يوبليوس أنيوس بلوكاموس أتيت ( إلى هنا )  
العام الخامس والثلاثين من حكم القيصر ، الثامن من شهر أبيب ( الموافق  
السادس من شهر يوليو العام السادس الميلادي » (٧٣) .

إذا فبين حملة جايوس في العام الأول الميلادي وتاريخ وصول عامل  
أنيوس بلوكاموس لجمع المكوس في السادس من يوليو العام السادس الميلادي

خمس سنوات ، أي أن هذه الحملة حققت الوجود الفعلي للرومان في البحر الأحمر لدرجة فرضهم المكوس ، وهذه إحدى النتائج الأساسية التي حققها الامبراطور المعجوز قبل وفاته في شهر أغسطس في العام الرابع عشر بعد الميلاد . وقد ظل هذا الوجود قائما حتى حدثت تطورات هامة في القرن الثالث الميلادي سوف نمود للحديث عنها .

وقبل أن نستطرد في بحث التطورات السياسية خلال القرون التالية لابد أن نتوقف للحديث عن ذلك المؤلف الهام « دليل الملاحة في البحر الأحمر » . ومايمكن أن نستخرجه من نصوصه من معلومات تخص سياسة الرومان في البحر الأحمر .

تباينت آراء المؤرخين حول التاريخ الذي كتبت فيه هذه الوثيقة الهامة وقد ضمن لنا شوف قائمة كاملة بهذه الآراء حتى عام ١٩١٢ (٧٤) ، كما أنه بعد ذلك التاريخ حدثت اجتهادات وآراء جديدة (٧٥) لكن باستعراض هذه الآراء يمكن أن نقول أن الحد الأدنى للتاريخ المقترح لظهور دليل الملاحة هو عصر الامبراطور كلاوديوس ( ٤١ - ٥٤ م ) لأنه حتى عصر كلاوديوس لم يعرف أحد شيئا عن الرياح الموسمية ، ويقترح « شوف » ويوافقه على ذلك ورمينجتون Warmington تاريخا أبعد قليلا وهو مطلع عصر نيرون ( ٥٤ - ٦٨ م ) ( ٧٦ ) ، أما الحد الأقصى لهذه الآراء هو رأي الأنسة بيريـن Pirenne التي تقترح عام ١٠٦ ميلادية بعد ضم تراجان لمملكة العرب بالأنباط وخلق ولاية بلاد العرب غير أن الأنسة بيريـن ذهبت أبعد من اللازم لأن هناك ثلاث اشارات تؤكد أن التاريخ الذي كتبت فيه الدليل قبل ذلك بكثير . منها وصف مؤلف الدليل للبطرام حاصمة النبطيين وذكره أنها مقر ماخوس ملك الأنباط ، وقد سبق أن أشرنا وعرفنا أن المؤرخ اليهودي يوسف السكندري أن ماخوس ملك الأنباط هذا قد ساعد تيتوس في قمع ثورة اليهود في فلسطين ، وأنه تولى عرش الأنباط من ٤٠ - ٧١ م . وعندما تحدث المؤلف عن ميناء عدن ذكر أنه قد دمر في وقت « لا يبعد كثيرا عن وقتنا هذا » وبالتالي فإن هذا الوقت لا يمكن أن يزيد عن قرن من الزمان ، والاشارة الثالثة ماورد في الدليل من ذكر اسم الملك زوسكاليس Zoscales ملك اكسوم ( الحبشة ) والذي تعرف عليه علماء النقوش بأنه هو الملك زا - ها - كالي Za-Ha-Kale والذي حدد مولر فترة حكمه ما بين ٧٧ - ٨٩ م ، فضلا عن اشارات أخرى وردت فيه حوليات ملوك الهند والصين القديمة ، وبناء على كل هذه الأدلة فإن أغلب

المؤرخين يتفقون على أن الدليل كتب أو على الأقل صيغت نصوصه من نصوص وملاحظات سابقة ما بين ٨٠ - ٨٥ ميلادية وقد وصل الى هذه النتيجة ماكزنتيدال وسميث وميللار (٧٧) وغيرهم \*

أما عن هوية المؤلف فقد دار فيها أيضا جدل كثير ، فقد اقترح بعضهم اسم آيانوس حاكم كبادوكيا والأديب الشهير الذي عاش في عصر هادريانوس وهو أول من وصف الملاحة في البحر الأسود والذي منه طور العمل الشهير *Peripls Maris Euxini* دليل الملاحة في البحر الأسود (٧٨) وربما يكون مؤلف الدليل بحارا سكندريا كان اسمه آريانوس السكندري . لكن ذلك مجرد احتمال ، غير أن أغلب الظن يرجح أن دليل الملاحة حول البحر الأحمر لم يكن مؤلفا حاشا من فعل مؤلف ، بل كان أشبه بوثيقة رسمية خاصة كتبت كبحث حتى يرسم على ضوءه سياسة ومصالح الامبراطورية التجارية في الشرق ويحدد على ضوءها الأموال التي تأتي لخزينة الامبراطورية . أي أنها كانت وثيقة رسمية تابعة لإدارة الخزانة الرومانية أو بحث رسمي كلف أحد الخيبرام بعمله لصالحها . ومن هنا يكون استقاط هوية المؤلف أمرا معتمدا ، أو أنه ربما كان تقريراً اشترك في كتابته أكثر من خبير وبالتالي فإن اسم آيانوس هو إضافة أضافها النساخون الى النص في وقت لاحق ، ولما كان الأمر فإن كاتب هذا البحث بحار إفريقي الجنسية أو اللسان أغلب الظن من سكان مدينة الاسكندرية وذلك لأن الدليل يصف ويسجل مجموعة من الرحلات البحرية كلها تبدأ من الموانئ المصرية على ساحل البحر الأحمر وتنتهي بجنوب الهند ، وبذلك فهو أول وثيقة أصلية عن موانئ البحر الأحمر وشرق إفريقيا وجنوب الجزيرة العربية وسواحل الهند الشرقية والجنوبية أما السبب في أن الدليل حالي بسرعة هابرة منطقة الساحل الإفريقي جنوب أوهوني *Opone* في أوغندا ومنطقة الخليج الفارسي فهذا مرجعه الى أن هاتين المنطقتين كانتا خارج حوزة الامبراطورية وفي أيدي الحكام العرب الجنوبيين وليس لها ارتباط مباشر بخص مصر - الهند الملاحي (٧٩) \*

لقد وصف الدليل موانئ البحر الأحمر بالتفصيل العلمي الدقيق ، ورصد ظاهرة المد والجزر ومواقيت هبوب العواصف والأعاصير وكيفية التنبؤ بها ، ثم أحوال رسو السفن في هذه الموانئ ، ثم حجم التجارة في كل ميناء وطبيعة مكانه ومدى ما يتوقعه التاجر البحري من تعاون من السلطات الحاكمة فيها في ضوء العلاقات التعاقدية بين هذه الموانئ وبين الامبراطورية الرومانية ، ويذكر جنسية السفن التي تتردد على هذه الموانئ فالى جانب

سفن الإسكندريين كانت هناك سفن الهند والعرب ، ويؤكد الدليل أن أهم السلع التجارية في هذه الموانئ هي التوابل مثل الخنظل ( المر ) والكندر ( اللبان الذكر ) والقرفة Cinnamon والفلفل الأسود وعطر الناردين ، وكلها كانت تحملها السفن إلى موانئ مصر خاصة ميناء ميوس هورموس (٨٠) وكما هو واضح كان مؤلف أو مؤلفو الدليل على معرفة جيدة بالطرق الملاحية وتردد التجار الإسكندريين عليها ، ووجود روح التعامل والتفاهم بين القوميات المختلفة من الهريق ومصريين وعرب وهنود تحت مظلة السلام الروماني ، وأن حركة تجارية نشطة كانت قائمة من ميناء أرسينوى قرب خليج السويس حتى ميناء تاميل في جنوب الهند ، كما يمدد الدليل أسماء الموانئ والأسواق البحرية على طول جانبي البحر الأحمر وبحر العرب والمحيط الهندي وهو المجال الجنوبي للاقتصاد الروماني في الشرق . وذكر أن عدد هذه الموانئ يبلغ سبعا وعشرين ميناء لكنه يستفها إلى ثلاث فئات حسب علاقاتها التماهدية مع الإمبراطورية وهي :

١ - موانئ صالحة للاستخدام وتلتزم بالقانون وهي موانئ الدرجة الأولى التي تضمن فيها حقوق المتعاملين وتؤكد صلاحية هذه الموانئ للرسو والاقلاع وقد وصف الدليل هذه الفئة باسم  $\epsilon\upsilon\alpha\gamma\gamma\epsilon\iota\sigma\mu\epsilon\nu\alpha$   $\epsilon\pi\alpha\gamma\gamma\epsilon\iota\sigma\mu\epsilon\nu\alpha$  واللفظ يعادل باللاتينية *Lege et Vsu recepta* وهذه الموانئ هي ميوس هورموس وبزينيكي في مصر وميناء موسفا في حضرموت وهو أحد مراكز تصدير الكندر (٨١) .

٢ - موانئ ملتزمة بالقوانين  $\epsilon\pi\alpha\gamma\gamma\epsilon\iota\sigma\mu\epsilon\nu\alpha$  لكنها ليست في الخط الملاحي الدائم واللفظ اللاتيني لها هي *Legitimum* وتشمل هذه الفئة موانئ عدول ( زيل قرب مصوع ) على ساحل الحبشة ، وميناء موزا ( موزا ) في جنوب شرق الجزيرة العربية وميناء أبولوجوس *Apologos* عند مصب الفرات (٨٢) .

٣ - موانئ قائمة من الناحية الطبيعية والواقعية  $\epsilon\upsilon\theta\epsilon\lambda\epsilon\mu\epsilon\nu\alpha$  مثل ميناء كالينا *Calliena* الميناء الأول لمملكة أندхра *Andhra* في وسط الهند والقرب من بومباي (٨٣) وربما يعني ذلك أنه مرخص باستخدامها لكن على مسئولية البحار .

ويذكر الدليل أن هذه السفن التي كانت تتردد بين موانئ البحر الأحمر كانت تحمل إلى مصر لحاء القرقة من الصومال والفلسل والتوابل والحريير والقطن واللؤلؤ والأحجار الكريمة من الهند ، من الواضح أن الدليل لم يوضح على وجه الدقة الفروق بين هذه التسميات لكنها بلا شك تلمح إلى أوضاع قانونية ومعاملات ثنائية على درجات مختلفة بين هذه الموانئ وبين الامبراطورية الرومانية ، وبعض الضمانات والحماية التي تضمنها الامبراطورية عن طريق ممثلها في هذه الموانئ الذين كانوا أيضا يجمعون المكوس .

ومن الملاحظ أن الفئة الممتازة كانت موانئ مصر وهي موانئ معروفة منذ أيام البطالة ، وربما سمي البطالة إلى نفس الشيء لكن في حين محدود ، أما الموانئ التي كانت تقع خارج حدود الامبراطورية فنجد وضعها تحدده معاهدات ثنائية عقدتها الامبراطورية مع حكامها ، أما الهدف الأساسي من هذه المعاهدات هو ضمان الخط الملاحي التجاري بين ميوس هورموس وبيرينيكي في مصر وميناء موسنا في حضرموت ثم بين ميناء عدول ( مصوع ) وميناء موزا في اليمن وميناء أبولوجوس عند مصب الفرات وميناء كاللينا في وسط الهند . ويقول الدليل أن ملوك سبا وحميز صاروا أصدقاء للباطرة .

وبعد موت أغسطس ورث خلفاؤه امبراطورية ذات سيادة فعلية على البحر الأحمر وتتم بدخل اقتصادي كبير ولهذا سار الخلفاء على نفس سياسته ولم يأل أحدهم جهدا في دعم الاهتمام بطرق التجارة ، فمثلا أمر تيبيريوس بخلع ملك الأنباط لتشككه في نواياه ، وكان يزعم ضم بلاد العرب الأنباط ضما مباشرا إلى حوزة الامبراطورية وخلق ولاية بلاد العرب ولغرض السيطرة المباشرة على طريق القوافل الذي يربط بين ميناء ليوكي كوسي وبين البطرام ، غير أن هذا المشروع لم ينفذ الا بعد سبعة أعوام من موت تيبيريوس وعلى يد تراجانوس لكن الامبراطور العجوز الشحيح أبدى قلقه وعدم ارتياحه إزاء النزيف الاقتصادي للذهب الروماني المتجه إلى الشرق مقابل الكماليات خاصة الحريير الذي انتشر ارتداؤه بين الرومان سواء الرجال أو النساء ، ففي خطاب مفتوح موجه إلى السناتو ونقله لنا المؤرخ تاسيتوس لفت تيبيريوس نظر الأعضاء إلى المبالغة في الترف والاقبال على شراء الحريير - مما يسبب نزفا للذهب الذي يذهب « حتى إلى أقدام الامبراطورية » ( وهو هنا يقصد البارثين ) مقابل استيراد مواد ذات طيبة ترضي أذواق المختشين « ولهذا



وجه لومه للرجال والنساء على السواء (٨٤) ، وكان من بين سياسة أغسطس جعل واعتبار الدينار الروماني رمزا للسيادة وعظمة الامبراطورية بين شعوب العالم ولذا دُمّ التجارة بكميات كبيرة من الذهب الجيد الذي سك في شكل عملات وهو بذلك قد فعل مثلما فعلت الملكة اليزابيث في القرن السابع عشر مع شركة الهند الشرقية ، كما أن رغبة الشرقيين في اكتتار الدينار الروماني وقلة طلبهم على منتجات الامبراطورية وهبوط مستوى المعيشة بينهم حول ميزان المدفوعات - لو جاز لنا استخدام هذا التعبير الحديث - الى صالحهم (٨٥) - ولقد حاول تيبريوس وضع بعض الاجراءات للحد من استخدام الحرير والأحجار الكريمة لكنه لم ينجح في محاولاته . وفي عصر الامبراطور كلاوديوس نجد زيادة في الاهتمام بالطرق الصحراوية التي تربط بين ميوس هورموس وقفط (٨٦) ، وأصبح الميناء الرئيسي لتجارة مصر في البحر الأحمر ، فمثلا أعيد رصف الطريق وزود بالعلامات التي تحدد المسافات وحفرت الآبار وأقيمت خزانات المياه ونقاط الحراسة ومحطات استراحة للتجار ، كما أنه في عصر كلاوديوس استخدمت محاجر الصحراء الشرقية التي كانت تقع على بعد ثلاثين ميلا من ميوس هورموس وسمي أحد المحاجر باسم الامبراطور أي جبل كلاوديوس

كما بدأ في عصر كلاوديوس حركة استكشاف لنهر الأردن وحدود فلسطين وسوريا وشمال شبه الجزيرة العربية والطرق التي تمر عبرها الى بلاد ما بين النهرين وكان ذلك تمهيدا لضم مملكة العرب النبطيين لاكمال السيطرة المباشرة على البحر الأحمر (٨٧) ونتيجة لهذه الحركة الكشفية زادت الرحلات التجارية حول سواحل شبه الجزيرة وبدأت المطومات تتزايد عنها وعن طرقها وآبارها وأسرارها كما يظهر من وصف بطليموس الجغرافي (٨٨) .

ولقد أبدى نيرون اهتماما زائدا (٨٩) بالتجارة مع الشرق والعناية بالطرق التي كانت في خدمة هذه التجارة وكان هذا الاهتمام يلقى البحث العلمي والجغرافي عن الفرق ، والذي لم يتوقف منذ استرايون وصندور دليل للملاحة في البحر الأحمر ، بل استمر ولقي التشجيع من جانب الأباطرة . لقد كتب الأديب بليني الأكبر الذي عاش في عصر نيرون عن التوابل والمطور والنباتات الطبية التي وضع قوائم مطولة بأسمائها ومصادر إنتاجها ، بل وأسعارها وطريقة زراعتها وفوائدها . كما أعطانا صورة حية عن الترف والبدخ الذي عاش فيه الرومان خاصة القصر الامبراطوري ، والذي ينعكس

في استهلاك كميات كبيرة من المنتجات الشرقية من عطور وعطارة وحرير ولؤلؤ ، فقد حرق جثمان يويابا سابينا زوجة نيرون وسط أكداش من الأعشاب العطرية النادرة المستوردة من الشرق ، وقدرت كمية ما استهلك لهذا الغرض مايساوي الكمية التي تستوردها العاصمة من الشرق في عام واحد (٩٠) ولقد أبدى بلييني إعجابه بذكاء نيرون عندما خفض وزن الدينار الذهبي (الأوراويوس) *Aureus* . وقلل من وزنه فجعله  $\frac{1}{6}$  من الرطل الروماني بعد ما كان  $\frac{1}{4}$  في عصر أغسطس ، كما خفض وزن الدينار الفضي من  $\frac{1}{2}$  الى  $\frac{1}{4}$  من الرطل الروماني ، كما خلط فضة الدينار بمعدن أخرى ، وقد فعل نيرون ذلك بعد أن فشلت فكرة سلفه كلاوديوس في سك عملة رومانية ذات قشرة فضية فقط ، وقد أوقف نيرون هذه المحاولة واتخذ قراره السابق ذكره والذي كان يهدف الى محاولة وقف نزيف الذهب والفضة الى شبه جزيرة (٩١) العرب والهند والذي قدره بلييني - المعروف بدقته وحيه للأحصاءات والأرقام - بحوالي مليون مستركيس سنويا (٩٢) ، ومن الأشياء الهامة التي ذكرها بلييني أن حاكم قتيان في جنوب الجزيرة كان الرجل الوحيد الذي يهده تحديد أسعار القرفة عالميا ، ولم يكن أحد يستطيع تحديد سعر معين لها فقد وصلت حينئذ الى ألف دينار للرطل الروماني بحصة شحوب حريق في أشجارها أما في الأوقات العادية فكان الرطل يباع بنصف ذلك الثمن ، كما ذكر أن الاسكندرية كانت السوق الدولية التي يشتري منها الغرب توابل الشرق (٩٣) .

ومن أجل البحث عن طرق جديدة للتجارة مع الشرق أرسل نيرون بعثة استكشافية الى النوبة عام ٦١م عادت بخريطة مفصلة وتقدير شامل (٩٤) عام ٦٤م ، وقد قابلت السلطات النوبية هذه البعثة بالترحاب ويسرت لها مهمتها حتى بلغت النيل الأبيض إذ كان هناك علاقات صداقة بين أباطرة الرومان وملوك بلاد النوبة التي ذكر التقرير أنها في حالة انهيار شديد وأنها فقيرة السكان مليئة بغرائب المخلوقات ، ولقد تمددت الآراء حول الفرض من إيفاد بعثة الى النوبة ، فقال بعضهم أن نيرون كان يهدف الى نصر رخيص . وقال آخرون أنه أرسل هذه البعثة تنفيذا لرغبة سينيكا وبلييني لجمع المعلومات الجغرافية والنباتية والحيوانية ، وقال فريق ثالث أنها كانت تمهيدا لحملة رومانية للاستيلاء على النوبة ، لكن أفضل الآراء هو الرأي القائل بأن البعثة استعراض قصد به إظهار مملكة أكسوم التي كانت تهدف الى احتلال سواحل النوبة المطلة على البحر مما يهدد مصالح الامبراطورية التجارية خاصة أن ميناء عدول كان مركز تجارة الماج ، كذلك قصد بالحملة

تأييد معنوي للملك النوبة الأصدقاء ، ولقد وردت الإشارة الى أطماع أكسوم الحبشية لأول مرة في دليل الملاحه عندما ذكر مؤسسها المجهول الاسم أقام قبل عام ٦٠ ميلادية نصبا تذكارييا عند ميناء عدول تغليدا للذكرى انتصاراته وروى فيه كيف أنه بسط سلطانه شمالا من الحبشة حتى حدود مصر الجنوبية ، وجنوبا حتى ساحل الصومال ، بل ادعى أنه عبر البحر الأحمر واحتل الساحل الجنوبي الغربي لبلاد الحبشيين ووصل الى ميناء ليوكي كومي (٩٦) ، ولاشك أن الملك الأكسومي بالغ وهول من حجم انتصاراته لكنها أثارت قلق الرومان الذين توجسوا خيفة أن يكون هدف ذلك الملك البعيد هو غزو بلاد سبأ والتحكم في تجارة البحر الأحمر مما دعى الرومان الى اتخاذ خطوات ايجابية ، اذا فبمئة نرون الى النوبة كانت تصرفا منطقيا لاهتمام الرومان المتزايد بالتجارة في البحر الأحمر وحماية السلام الروماني فيه من خطر الدويلات المحلية المظلة على شواطئه ، ووقف أي تغيير في موازين القوى حتى لا يحدث أي خلل في الميزان العسكري . وأود أن أضيف الى ذلك الرأي ربما آخر هو أن نرون أرسل هذه البمئة للبحث عن مناجم الذهب لأنه كان أكثر الأباطرة قلقا على استمرار نزيف الذهب الروماني الى الشرق ، وهذا التفسير يتفق وتتهم الغرض من حملة مماثلة فيما بعد وهي حملة تراجان على داكيا .

من المعروف أنه منذ وصول روما الى البحر الأحمر ، كانت السفن التي تقلع الى الهند تسير بحدام الساحل بعد خروجها من باب المندب ، ومن ثم فقد كسبت بعض موانئ شبه الجزيرة العربية مثل أوكيليس Ocelis وموزا Moza وهدا جعل التجارة الشرقية في أيدي العرب وهو أمر أقلق الامبراطورية بالرغم من أن العرب كانوا مسلمين وأصدقاء للرومان (٩٧) غير أن تطورا هاما حدث أثناء حياة بليني وهو اكتشاف الرياح الموسمية بواسطة أحد البحارة السكندريين واسمه هيالوس الذي استطاع أن يرصد توقيت هبوبها على البحر الأحمر والمحيط الهندي اذ لاحظ أن من مايو حتى اكتوبر تهب الرياح من الجنوب الغربي في اتجاه الشمال الشرقي ، ومن نوفمبر الى مارس تهب عكس ذلك الاتجاه ثم استخدم ذلك في رحلة قام بها الى سواحل الهند ونجح فكان ذلك نقطة تحول بالنسبة لأحداث البحر الأحمر ، اذ أصبح بإمكان البحار أن يقلع مباشرة الى الهند دون أن يتوقف عدة مرات عند الموانئ العربية ويدفع المكوس مما يزيد من تكاليف السلع كما أن

الامبراطورية لم تمتد تخاف وتتربص الجنوب العربي لأن ذلك الاكتشاف الغني الكثير من أهمية هذه الموانئ كمحطات ومسول واقلاع ، كما أدى هذا الاكتشاف الى سرعة الاتصال بالهند اذ أصبح بإمكان السفينة أن تقلع مثلاً من مصر في شهر يوليو وأن تصل الى موانئ الهند في أواخر شهر سبتمبر ، وبعد أن تنتهي من التفرغ والشحن تقلع عائدة مستخدمة هبوب الرياح الشرقية فتصل الى أوكيليس أو عدن ثم الى ميناء ميوس هورموس ، أو تستمر شمالاً الى خليج السويس ثم تمر بقناة سيزوستريس الى النيل ، وعلى أي حال كانت العودة في شهر فبراير . لقد كسر هذا الاكتشاف احتكار العرب للتجارة وأصبحت روما تتاجر مباشرة مع الهند بلا وساطة ، كما أن سرعة الرحلة وعدم التوقف عند الموانئ العربية ودفع المكوس لها خفف من تكاليف السلع الشرقية فانخفض سعرها مما أدى الى كثرة الطلب عليها (٩٨) وبالتالي زاد الاستهلاك وزاد نزيف الذهب الروماني الى الشرق .

مكداء حقق هيبالوس - كولومبوس القرن الأول ق م - شهرة عالمية وتاريخية وأطلق اسمه على الرياح الجنوبية الغربية ، وعلى رأس عند الساحل الأفريقي وعلى جزء من بحر العرب بالقرب من الخليج الفارسي (٩٩) .

وقد لاحظ المختصون بدراسة العملة الرومانية وإمكان انتشارها وجود النقود الرومانية التي ترجع حتى عصر نيرون في جنوب الهند حيث يكثر اللؤلؤ والمرير والمطور والأحجار الكريمة ، ولكن بعد عصر نيرون تقل هذه العملة من جنوب الهند وتظهر في شمالها حيث مناسطق إنتاج القطن والبجوت مما يدل على أن إجراءات نيرون الحازمة للحد من السلع الاستهلاكية الكمالية قد نجحت الى حد ما والتي أكملها من بعده فسباسيانوس (١٠٠) .

كان فسباسيانوس ( ٦٩ - ٧٩ م ) يعرف الشرق الأوسط جيداً ، كما كان مدركاً لمشاكله ، فقد شغل منصب القائد الأعلى للقوات الرومانية التي سقطت ثورة اليهود ولهذا وضع حلولاً سريعة لمشاكله مثل توسع البارثين ومنع وصولهم الى سواحل البحرين الأحمر والأبيض ، كما قام بتأمين جنوب سوريا كجزء من تأمين البحر الأحمر فجنوب الأردن بشكل في تكوينه سهلاً منخفضاً يؤدي الى تنويع البحر الأحمر سواء الى ميناء ايلانا على العقبة أو الى طريق القوافل الذي يربط بين البطراء وميناء لوكي كومي .

أما بخصوص قضية النزف الدائم لاحتياط الذهب والمتجه الى دول

الشرق مقابل الكماليات فيبدو أن فسباسيانوس أكمل ما بدأه تيبيريوس ونيرون في الحد من ارتداد الحرير والأحجار الكريمة ، وقد سبق أن أقرنا إلى أن النقود الرومانية بعد عصر نيرون تقل في جنوب الهند بينما تظهر في شمالها حيث منطقة إنتاج القطن والجلود ، ولكن بالرغم من ذلك لم يتوقف استيراد التوابل بل زاد سوقها في روما حتى أن دوميتيانوس اضطر إلى بناء حي خاص بسوق التوابل Horrea piperataria (١٠١) .

كان تراجانوس من أكثر الأباطرة اهتماما بالتجارة مع الشرق ، إذ قام بإعادة حفر القناة التي تصل بين النيل والبحر الأحمر من كلوسون Clyson عند خليج السويس عرفت باسم قناة تراجانوس ، وكان اتساعها يقدر بـ ١٥٠ قدما وقادرة على استقبال أكبر السفن التجارية في ذلك الوقت كما كانت هذه القناة ترتبط بمنفذ من طريق قناة صغيرة وبذلك ربطت مصر داخلياً وخارجياً بالبحر الأحمر (١٠٢) .

واحكاما لقبضة الامبراطورية على البحر الأحمر أنهى تراجانوس فكرة وجود دولة مستقلة حتى ولو كانت عميلة - للأباطر ، وضم بلادهم كلها إلى الامبراطورية عام ١٠٦ ميلادية وسماها ولاية بلاد العرب Provincia Arabia وتلى ذلك مشروعه بإقامة شبكة من الطرق المعبدة التي تبدأ من شرق الأردن لربط المراكز التجارية الهامة وينتهي عند البحر الأحمر كما أقام نقاطا للحراسة (١٠٣) على طولها ، كما وضع أسطولا حربيًا في البحر الأحمر لمطاردة القراصنة ، والقضاء على أية ظاهرة تمرد يقوم بها العرب الساسانيون على مشاركة الرومان لهم في التجارة التي جنوا ثمارها منذ عصور ضاربة في القدم كوسطاء لها بين الشرق والغرب . ولما كان هؤلاء القراصنة يمثلون تهديدا للسلام الروماني في البحر الأحمر والحركة السفن التجارية فقد جعل الامبراطور تراجانوس أسطول الامبراطورية في خدمة هذه السفن تماما مثلما فعل البطالمة من قبل (١٠٤) وبضم مملكة الأنباط إلى الامبراطورية تضاعف شأن البطرام العاصمة التجارية القديمة ، وانتقلت الأهمية إلى مدن أخرى مثل بوسري Bostra التي ازدهرت وأصبحت العاصمة لدرجة أنها سميت نفسها مدينة بوسري الجديدة التراجانية Nova Bostra Triaina كما ازدهرت مدن أخرى على حساب البطرام مثل فيلادلفيا ( عمان ) وكاناثا . كما أقام وكلاء الامبراطورية في عهد تراجانوس طريقا جديدا يبدأ من حدود سوريا الجنوبية إلى البحر

الأحمر ، وقد عثر على نقش هناك يتحدث عن بوابة أقامها أحد الأثرياء هناك مساهمة منه لرخام الامبراطورية (١٠٥) ، وقد استقبل هذا الطريق كل أنواع التجارة التي تدفقت على دمشق ومدن الشمال من ميناء ايلانا النبطي وميناء ليوكي كومي على الساحل الشرقي للبحر الأحمر ، ولقد ساد احساس بالأمن لدى التجار نتيجة لفزوات تراجانوس وحملته الناجحة ضد البارثيين واستيلائه على عاصمتهم طيسفون ( المدائن ) عام ١١٥م لأن هذه الدولة كانت الخطر الذي يهدد السلام والوجود الروماني في الشرق الأوسط والبحر الأحمر . كما حرص على ربط البحر الأحمر بالخليج الفارسي ، وكان يتمنى أن يستولى على الهند ليربط بين المحيط الهندي والخليج (١٠٦) .

غير أن النزيف الدائم للذهب الروماني المتجه الى الشرق لم يتوقف ولم تات محاولات نيرون بالهدف المرجو منها ، ولهذا نجد تراجانوس يتجه في خرواته الى منطقة داكيا الشهيرة بمناجم الذهب في عام ١٠٦م واستطاع أن يستولى على خزائن الملك هناك والتي قيل انها كانت تحوي ذهباً بما يساوي خمسة ملايين رطل روماني وزناً وضمف هذا الوزن من الفضة (١٠٧) ، ونتيجة لتدفق الذهب الجديد هبط سعر الذهب في الأسواق الرومانية بنسبة ٣٪ (١٠٨) ، بينما ارتفع سعر الفضة مما اضطر الامبراطور الى زيادة نسبة الخلط في الدينار الفضي الروماني باضافة القصدير والنحاس بنسبة معينة ليميد التوازن بين النقود الذهبية والفضية (١٠٩) كما قام بجمع العملات القديمة التي سكها نيرون وهي ذات وزن ثقيل ومدن صاف وسك منها عملته بل أن زاد نسبة القصدير في الفضة ، ولكن لا يعطي فرصة لاختزان العملات القديمة (١١٠) . لقد كانت سياسة تراجانوس النقدية جزءاً لا يتجزأ من سياسة التوسع التجاري في البحر الأحمر لأن أغسطس وضع بداية هذه الاستراتيجية وهي أن يقوم الأورايوس الذهبي والدينار الفضي بدورهما في نشر النفوذ الروماني في البلدان الواقعة على جانبي البحر وبفوز أسواقها لأن تداول العملة الرومانية عليها صورة الامبراطور وشعار الامبراطورية يحقق انتصاراً معنوياً على شعوب البحر الأحمر يفوق التفسود السياسي المباشر . ولقد نجح تراجانوس في ذلك وعاد الوضغ طبيعياً في ميزان المدفوعات (١١١) ، وقلل الاستهلاك من الكماليات الشرقية ، وكان نفوذ روما في الشرق قد أصبح قوياً حتى الهند (١١٢) إذ أرسل الملك الهندي كوشان وفداً رسمياً لأول مرة لتهنئة تراجانوس بمناسبة جلوسه على العرش عام ٩٩م .

وبعد تراجانوس قام خليفته هادريانوس بالكثير من الأعمال من أجل

دعم الطرق الخاصة بالبحر الأحمر ، ففي مصر قام ببناء طريق جديد في الصحراء الشرقية يبدأ من مدينته التي شيدها في مصر على الجانب الشرقي للنيل وهي أنطونيوليس ( الشيخ عبادة بالقرب من ملوي محافظة المنيا ) وينتهي عند ميناء مصر الأول على البحر الأحمر وهو ميسوس هورموس ، وعرف هذا الطريق باسم طريق هادريان Hadriana وزوده بمحطات التموين والمياه وأقام فيه نقاما للحراسة (١١٣) ، وطريق هادريانوس الجديد يمر بمنطقة متبسطة آمنة وأجود بكثير من الطرق القديمة (١١٤) ، وكان هدفه بالطبع تحسين الاتصال بين البحر الأحمر والنيل عن طريق تقصير المسافة بقدر الامكان لخفض تكاليف السلع ، وفي نفس الوقت يغطي لمدينته الجديدة ثريانا اقتصاديا حيويها للدخل والتجارة . لتزدهر وتنافس مدينته قفط حيث أعفى سكانها من ضرائب المكوس على التجارة . ولقد وصلت تجارة الامبراطورية الى قمة نشاطها في عصر هادريانوس وأنطونينوس بيوس . وفي عهد ماركوس أويلوس وضع لأول مرة تعريف جمركي للمكوس (Portoria) التي تجمع بين مواني البحر الأحمر عرفت أحيانا باسم « تعريف المكوس السكندرية » وقد تضمنت هذه التعريف جميع أنواع التوابل والسلع الشرقية وقيمة الضرائب المفروضة على كل منها وهي عادة ٢٥٪ ، ولوحظ أن الفلفل الأسود أعفى من الجمارك وكذلك الكندر لأن استخدامهما أصبح أساسيا سواء في الطهي أو الأغراض الدينية ، وبالتالي لم يعتبرا من الكماليات (١١٥) ، ولكن الذي يهمنا هو أن وضع الامبراطورية لتعريف جمارك لمواني البحر الأحمر يدل على السيطرة الكاملة وعلى الدخل الوفير التي كانت تجنيه منه - ومن الطريف أن جستنيانوس استعان بهذه اللائحة عندما وضع لوائح مشابهة .

غير أنه بمقدم القرن الثالث بدأت الأحوال تتغير نتيجة لحدوث تغيرات طرأت على الامبراطورية من ناحية ، وعلى دويلات البحر الأحمر من ناحية أخرى وتنتج عن ذلك تدهور ملحوظ في حجم التجارة عبر البحر الأحمر . والذي يدل عليه انخفاض كمية النقود الرومانية التي يعثر عليها في الهند والتي ترجع الى مايمد القرن الثاني الميلادي (١١٦) ويلاحظ أن العملة الرومانية في البحر الأحمر فقدت الكثير من مهابتها وقيمتها النقدية في القرن الثالث الميلادي الذي يمثل بداية الأزمات الاقتصادية بسبب الحروب الخارجية والأهلية وارتفاع الضرائب وقلة الانتاج مما أدى الى ارتفاع الأسعار ووجود الاختناق الاقتصادي في بعض السلع مما خلق السوق السوداء أو مجتمع الأزمات السلمية ، ونتيجة لذلك اضطر الامبراطور أوريليانوس في عام ٢٧٤م الى جمع العملات القديمة التي ترجع الى عهود

نبرون تراجانوس وصهرها واعادة سكها في حملة جديدة اما ديوقلديانوس ( ٣٨٤ - ٣٠٥ م ) فقد اضطر الى اصلاح الاقتصاد الروماني لاعادة الثقة في العملة الرومانية فيما ورام البحار ، فقام باعادة تثبيت الأورايوس الذهبي Aureus لاعادة الثقة في قيمته المتناهية وذلك في عام ٢٩٤ م ، اذ جعل وزنه ثابتا وينسبة  $\frac{1}{16}$  من الرطل الروماني ، وبقي ذلك قياسه باصلاحات مالية جذرية ، وقد دعم هذا الإصلاح باصداره قائمة تحديد الأسعار والخدمات في عام ٣٠١ م . ومن المؤكد أن اصلاحات ديوقلديانوس بتوكيدها على الأورايوس الذهبي عملة الشرق المفضلة ( مثل الماريا ترايزا في العصر الحديث ) أعاد الثقة المالية والاقتصادية في الدينار الروماني وأيقظه من خموله في الأسواق الشرقية .

لا يمكن فصل التجارة عن السياسة فكلاهما مرتبط ومتأثر بالآخر ، والدينار القوي سفيد قوي للدولة التي يمثلها ، ولقد ذكر بليني أن القادة الرومان في حملاتهم العسكرية كانوا يفكرون بمقايمة التجارة ، كما أن المسكرات الرومانية كانت تتحول الى أسواق Canabae وبعضها تحول بالفعل الى مدن ( ١١٧ ) فيما بعد .

غير أن القرن الثالث والرابع الميلاديين شهدا أحداثا وتطورات سياسية هامة كانت بداية نهاية السلام الأوغسطي في البحر الأحمر ، اذ بدأ الضعف السياسي والاقتصادي يهاجم الامبراطورية من الداخل ففقدت القوة الدافعة مما أدى الى ضعفها خارج إيطاليا ، وفي البحر الأحمر تزايد خطر ونمو دولة أكسوم التي سمعنا عنها منذ أيام نبرون ، واستطاعت في القرن الثالث أن تستولى على الدولة الكوشية في الشمال والصدقية للرومان وبدأت تدخل عالم تجارة البحر الأحمر بفضل مينائها عدول ، بل تطلمت الى الاستيلاء على اليمن لاحكام القبضة على البحر الأحمر . وفي الشرق الأوسط برزت الدولة الساسانية في فارس والتي أحييت القومية والنفوذ الفارسي الذي ضاع منذ أن فتح الاسكندر بلاد القرس في الثلث الأخير من القرن الرابع ق م . ومطالبت هذه الأسرة بحق الامبراطورية الفارسية في الشرق الأوسط كله .

وفي اليمن حدثت تطورات سياسية هامة في القرنين الثالث والرابع الميلاديين فمن المعروف أن الدولة الحميرية التي نهضت في القرن الأول على أنقاض حكم قبيلة الأوسان نجحت في نهاية القرن الأول في بسط نفوذها على سبأ وفي اقامة حكم جديد قاعدته ظفار جنوب صنعا الحالية ، كما نجحت



في فرض نفوذها على الساحل الجنوبي والجنوبي الغربي لشبه جزيرة العرب بعد أن أسقطت السيادة الحضرموتية على الساحل الجنوبي وخلال هذه الفترة توحد الجنوب العربي كله تحت قيادة واحدة ودولة واحدة ، وشهد خلالها اليمن المتحد أسعد أيامه وأكثرها رخاء - حيث أصبح « التبغ » ملكا على سبأ وحضرموت ويمنا وتهمامة غير أنه من الملاحظ أن اليهودية بدأت تنتشر في جنوب الجزيرة منذ تدمير هاديانوس لأورشليم عام ١٣٧م وهجرة عدد كبير من اليهود الى اليمن وبدأت حركة تبشيرية يهودية في جنوب الجزيرة ، ولاشك أن تزايد النفوذ اليهودي في اليمن وفي الجنوب بكل ما يحمله اليهود من ذكرى مريرة لتدمير الرومان لأورشليم خلق نوعا من المصداق والمقد ازام الوجود الروماني ، وهذا المصداق أحيأ حقد اليمينيين القديم ازام الرومان ، ولهذا بدأ الاتجاه العام في اليمن يتعاطف مع الدولة الساسانية الفارسية ويمهد لها لطرد الرومان من منطقة البحر الأحمر .

كانت الامبراطورية الرومانية في ذلك الوقت قد انقسمت الى شطرين وورث الشطر الشرقي الذي كان عاصمته القسطنطينية والذي لمرقه بالدولة البيزنطية نفوذ روما في البحر الأحمر ، ولذا سارعت الامبراطورية البيزنطية التي كانت تعتبر نفسها حامية للمسيحية بالتبنيه لمخطر التبشير اليهودي في الجنوب فسارعت بارسال بعثات تبشيرية مسيحية الى اليمن ونجحت في نشر المسيحية في نجران ابان القرن الخامس ، وقد فزع ملوك حمير من تغفل المسيحية في ديارهم خوفا من تحولها الى البيزنطيين فناهضوها بشدة - أما في الحبشة فقد ثبتت المسيحية أقدامها وقامت علاقات قوية بين بيزنطة والحبشة وتعاون الأقباش مع الامبراطورية البيزنطية وأصبحوا هم المسؤولين عن نقل التجارة نيابة عن بيزنطة التي وقفت من ورائهم وشجعتهم على مقاومة اليهودية في اليمن وطرد النفوذ الفارسي حيث كان الفرس يساندون العرب الجنوبيين ويوكلون اليهم نقل التجارة بين الخليج الفارسي والبحر الأحمر ، ومن ثم بدأ الأقباش يهتدون الجنوب العربي كله ويتطلعون الى احتلاله ، أي أن المصداق بين الفرس والرومان اتخذ شكل الصراع الديني بين اليهودية والمسيحية على أرض اليمن (١١٨) بلغ أشده خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين ، ولا تلبث أن نرى ذا نواس آخر الملوك الحميريين يمتنع اليهودية ويحاول القضاء على المسيحيين في نجران عندئذ أوهزت بيزنطة الى النجاشي ملك الحبشة أن يغزو اليمن فغزاها سنة خمسمائة وخمس وعشرين ميلادية ، واستولى عليها وضمها الى بلاده وظل هذا الاحتلال الحبشي قائما نحو خمسين عاما ثارت خلالها اليمن ثورات عنيفة ،

غير أن الفرس لم يسكتوا على هذه الخطوة من جانب الحبشة وحليفتهم بيزنطة ولما استنجد أهل اليمن بالفرس سارعت الامبراطورية الفارسية بالتدخل وأرسلت جيوشها فاستولت على اليمن عام ٥٧٠م وطردوا الأحباش والبيزنطيين . وبذلك أصبح البحر الأحمر ميدان صراع بين قوتين : الفرس وسيطرون على الساحل الشرقي والبيزنطيين وسيطرون على الساحل الغربي ، وظل الفرس في اليمن حتى سنة ثمان وعشرين وستماية ميلادية عندما أمتنق باذان عاملهم في اليمن الاسلام ديناً وبذلك أسدل الستار على صراع القوتين الفارسية والبيزنطية على البحر الأحمر وبدأت السيادة الاسلامية تظهر في الأفق .

هكذا ننهي البحث بنفس العبارة التي بدأناها به وهي ليس هناك أعداد دائمين ولا أصدقاء دائمين ولكن هناك مصالح دائمة .

د. سيد أحمد علي الناصري  
قسم التاريخ - كلية الآداب  
جامعة القاهرة

## الهوامش

- ١ - Apicius, De Arte Conquinaria : J. I. Miller, The Spice Trade of The Roman Empire 29 B.C to A.D. 641 Oxford The Clarendon Press, 1969, P. 10 note 2.
- ٢ - يروي أن ايليوس خليفة هادريانوس كان يحمله معه في أي مكان حتى مريض النوم ، كما أن الامبراطور اليجابالوس قدر هذا العمل تقديرًا خاصًا :  
Scriptores. Historiae Augustae, Aelian, V. 9; Elagabalus XVIII, 4. ; Miller, op. cit P. 10.
- ٣ - M. Cary & E. H. Warmington, The Ancient Explorers, (Regised edition published in Pelican Books ), 1964. P. 94 F.
- ٤ - Miller, Op. cit, P. 190.
- ٥ - M. P. charlesworth, Trade-Routes and Commerce of The Roman Empire, George Olms, Verlagsbuchndlung, Hildesheim, 1961, P. 224.
- ٦ - Seneca, ad Paul. 2.
- ٧ - pliny Historis Naturalis, XIV. 2.
- ٨ - Suetonius, Divus Avgustus, 98, 3.
- التل : سيد أحمد الناصري - تاريخ الامبراطورية السياسية والحضارية - الطبعة الثانية ١٩٧٨ ، ص ١١٩ .
- ٩ - Charlesworth, Op. cit, P. 227.
- ١٠ - M. Cary & E. Warmington, Op. cit, P. 74 F.
- ١١ - Alan B. LLoyd, "Necho and the Red Sea : Some Considerations", Journal of Egyptian Archaeology, vol 63 (1977) PP. 142-155.
- ١٢ - Posener, "Le Canal du Nil a'la Mer rouge avant les Ptolemees, Chrnique d'Egypte XIII (1938), P.
- ١٣ - Diodorus Siculus, E. 33. Strabo 17, I., 25 (C804), 16. 4. 23 (C780), Pliny, Historia Naturalis, VI, 185FF.
- ابراهيم نصحي - مصر في عصر البطالة .
- ١٤ - عبد اللطيف أحمد علي - مصر والامبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية . ١٩٧٢ ، ص ٤٥ ط ٤٦ .
- ١٥ - Diossoides, 11, 160, Charlesworth, op. cit, P. 66.

- عن اسماء هذه المنتجات والسلع كما ذكرت في الوثائق العربية ، انظر :  
 دكتور محمد يوسف « علاقات العرب التجارية بالهند منذ اقدم المصور الى القرن  
 الرابع الهجري » مجلة كلية الآداب - مجلد ١٥ جزء اول ١٩٥٢ ، ص ٢٧ - ٢٥ .
- G. W. Murry " Roman Roads and Stations in the Eastern Desert of Egypt", Journal of Egyptian Archaeology, - ١٦  
 Pl. 11. P. 139.
- D. Meredith, "Roman Remains in the Eastern Desert", - ١٧  
 Journal of Egyptian Archaeology, vol 38 (1952),  
 P. 101, and J.E.A., vol 39 (1953) P.95., Charlesworth, Op.  
 cit, P. 61 FF.
- Strabo XVIII, 1, 26. - ١٨
- Pliny, Ibid, VI, 165. - ١٩
- Meredith, J.E.A., vol 38. (1952) P. 98 FF. - ٢٠
- Meredith. 10c cit P. 106 - 108. - ٢١
- Strabo XVI, 4, 23 (780) - ٢٢
- L. Casson, Ship and Seamanship in the Ancient world - ٢٣  
 (Princeton 1971) P. 97; Diodorus Siculus I, 55.
- of. Pliny Historia Naturalis, VI, 173; Miller op. cit P. - ٢٤  
 168 note 2.
- of. Periplus 4. - ٢٥
- Charlesworth , P. 64. - ٢٦
- Periplus 13; Miller Op. cit P. cit P. 185, 190. - ٢٧
- Charlesworth Op. cit P. 65. - ٢٨
- ٢٩ - د. احمد فخري : اليمن ماضيها وحاضرها - المعهد العالي للدراسات العربية  
 جامعة الدول العربية ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ٧٠ .
- Charlesworth, Ibid, R. 65 - 66. - ٢٠
- Miller Op. cit, P. 147. - ٢١
- Philip. K. Hitti, History of The Arabs, Fifth edition - ٢٢  
 revised, London Macmillan 1951, P. 67F.
- Charlesworth, P. 54. - ٢٣
- Miller, Op. cit P. 134 F. - ٢٤
- Diodorus Siculus I, 55. Casson, Op. cit, P. 97. - ٢٥
- Athenaeus, 5, 203C, Alon 11 oyd, J.E.A., Loc. cit, P. 154. - ٢٦
- W. W. Tarn, "Ptolemy II and Arabia, J.E.A, Vol. XV - ٢٧  
 (1929) PP9-25 (P.17), also of his, Ptolemy Philadelphus.  
 J.E.A, XIV (1928) P. 251.
- Strabo XVI, Chapter 414. - ٢٨

٣٩ - والكلمة تعني الكروم ربما إشارة إلى ديونيسيوس الجد الاسسوطوري للبطريركة  
Tarn, J.E.A, Vol. XV, P. 21. Hitti, Op. cit, P. 72.

أو ربما إشارة إلى في انضمرى وب

الصعاري عند العرب والذي ارتبطت مبادته بالكروم والفخ

٤٠ - مثلاً لوحظ أن أربعة أو خمسة من ملوك اللحيانيين حملوا لقب طولمي الذي هو  
المصيغة العربية لاسم بطليموس \*

Tarn. Loc. cit P. 120F. Pierre Grimal and Others,  
Hellenism and the Rise of Rome. Weidenfeld and Niodnon  
1968, P. 291.

٤١ - انظر : علي عبد الله الفاتم ، اليونان واللاتينيون : بين المصادر الاغريقية الرومانية  
والادلة لآثرية : « رسائل ماجستير ( فرع منشورة ) اداب القاهرة ١٩٧٦ :  
ص ٩٧ - ٩٤ .

Cf Hitti, Op. cit, P. 68.

Ibid, P. 68.

W.W. Tarn, Loc. cit, P. 25.

Josephus, Jewih wars, Book III, 4, 2; Book I, 14.

Hitti, Op. cit, P. 73.

٤٧ - جاء في دليل الملاحة 19 Periplus, وعند استرابون XVI, 4,21,24 وبينني  
Historia Naturalis, XII, 63,5

ولكن هناك جدل حول تفسير ماورد في دليل الملاحة فقرة ١٩ ، إذ يرى دارمونتون  
ويشاركه في ذلك آخرون أن قائد المراكب والعمالية الموجودة في البطراء كانت رومانية  
E. Warmington, The Commerce between the Roman  
Empire and India, (Cambridge 1928) PP. 16 and 309  
(with notes),

بينما يرى شول في، تمليقه على الفقرة ان النص لا يثبت ان قائد المراكب والعمالية  
Millar, Op. cit, P. 225 notes 1.

كانوا روماناً

Charlesworth, Op. cit P. 66, P. 227.

Strabo XV. 1. 22.

٥٠ - عبد اللطيف احمد علي - المرجع السابق ، ص ١٣٥ \*

Pierre Grimal, Op. cit, P. 293.

Periplus 21, 24., Philip Hitti, Op. cit, P. 49,

Schoff, Periplus, (New York) P. 24.

Pliny, Historia Naturalis, XII, 62.

Strabo XVI, 4, 19.

Charlesworth, Op. cit, P. 67.

وكان اسمها بالسكندرية « قريبا سفودرا » أي الجزيرة المقدسة

Pliny, Ibid XII. 64.

W. Philips, Qataban and Sheba (1955) P. 24, 27.

- Miller, P. 16. - ٥٨  
 Sirabo XVI, 4, 27. - ٥٩  
 • عبد اللطيف أحمد علي - المرجع السابق ، ص ٦٣ -  
 Cary and Warmington, Op. cit P. 192 - 193. - ٦١  
 Strabo, XVI, 4, 23. - ٦٢  
 Hitti, Op. cit, P. 56 ff. - ٦٣  
 • من تفاصيل الرحلة انظر : عبد اللطيف أحمد علي المرجع السابق ، ص ٦٤ - ٦٦ -  
 وكذلك انظر : ديتلف نيلسون ، فرتز هول ، رود كاناكيس وادولف جرمان :  
 التاريخ العربي القديم ، ترجمة الدكتور فؤاد حسنين علي ومراجعة الدكتور  
 محمد زكي حسن ، دار النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٣٠٠ وما بعدها .  
 Periplus, 24, 26. - ٦٤  
 Millar, Op. cit, P. 14 (With Notes). - ٦٥  
 • عبد اللطيف أحمد علي - المرجع السابق - ص ١٣٤ -  
 Millor, Op. cit, P. 15, note 1. - ٦٧  
 Pliny, Historia Naturalis, VI, 31. - ٦٨  
 ٦٩ - تدل النقوش ان أغسطس فرض ضريبة عليها ٧٧٥ على بعض السلع الواردة من  
 الشرق بالإضافة الى مكوس الجمارك Portoria ، ومن اجل ذلك عين قائدا  
 Strategos له سلطات عسكرية وإدارية لتسهيل مكوس البحر الأحمر  
 وكان هذا القائد يشرف على جميع  
 المكوس الجمركية في موانئ البحر الأحمر انظر C. I. G. 5675 نقش من مصر  
 أغسطس كتبه جامع المكوس أبولونيوس وساعده أدنيليوس وهو عبارة عن صلاة  
 شكر لرب هرس رب التجار انظر : Warmington Op. cit, PP. 14, 333  
 Charlesworth, Op. cit, P. 237; Millar Op. cit, P. 15. - ٧٠  
 D, Meredith, Annus Plocamus : " Two Inscriptions From  
 the Berenike Road " Journal of Roman studies, XLIII, - ٧١  
 1953, P. 38 ff.  
 Schoff, Op. cit, pp. 290 - 239. - ٧٢  
 Millar, Op. cit, P. 16. Note 2. - ٧٣  
 Schoff, P. 67; Millar, Op. cit, P. 16F. - ٧٤  
 Millar, Ibid, P. 18. - ٧٥  
 C. Muller, Geographici Graeci Minores (1856-61) vol, 1., - ٧٦  
 Prolegomena, XCVIII.  
 Millar, Op. cit, P. 19 - 20. - ٧٧  
 Charlesworth, Op. cit, P. 63; Millar, P. 20. - ٧٨

- Periplus I. and 35. - ٧٩
- Periplus IV, 21 and 25. - ٨٠
- Periplus 52. - ٨١
- Tacitus, Annals, 11, 33; III, 53; also of Cassius Dio, - ٨٢
- LVI, 5; also of J. Carcopino, La vie quotidienne a Rome  
a L'apogee de L' empire (1947), P. 200; English trans-  
lation by E. O. Lorimer, P. 172.
- Millar, Op. cit, P. 222; Charlesworth, P. 50; - ٨٣
- Warmington & Cary, P. 44 F. - ٨٤
- Charlesworth, P. 21;
- Warmington Cary, P. 193=Dio cassius LXVIII, 14; - ٨٥
- LXXXV, 1,2; Eutropius VIII, 18; Pliny VI, 140; V,77,80
- Ptolemy, VI, 7; 1-47.; Warmington & Cary P. 194. - ٨٦
- Charlesworth, P. 34. - ٨٧
- Pliny Historia Naturalis, XII, 84.=Millar, Op. cit, P. - ٨٨
- 14-20.
- Millar, Op cit, P. 218. - ٨٩
- Pliny, Historia Naturalis, XII, 84. - ٩٠
- Pliny, Historia Naturalis, XII, 93. - ٩١
- Charlesworth, P. 33. - ٩٢
- عبد اللطيف أحمد علي - المرجع السابق ، ص ١٣٤ - ٩٣
- عبد اللطيف أحمد علي - المرجع السابق - ص ١٣٤ - ١٣٥ - ٩٤
- Charlesworth, P. 60. - ٩٥
- ٩٦ - من الأمثلة على ذلك أن مصر فارورة خطر التاردين انقضى سعرها من ٣٠٠ دينار  
روماني في أول القرن الأول كما جاء في الانجيل ( مرقس اصحاح ١٤ آية ٣ ، انجيل  
يوحنا اصحاح ١٢ آية ٣ ) إلى ١٠٠ دينار فقط في عصر بليتي في اواخر نفس القرن •
- Warmington and Cary, Op. cit PP. 95 - 96. - ٩٧
- Charlesworth, Op. cit, P. 61. - ٩٨
- Millar, P. 83; P. 25; Charlesworth, P. 223. - ٩٩
- ١٠٠ - سيد احمد الناصري : تاريخ الامبراطورية الرومانية السياسي والاجتماعي  
الطبعة الثانية ١٩٧٨ ، ص ٢٤٤ •
- Charlesworth, P. 14, 43. - ١٠١
- Ibid P. 43. - ١٠٢
- Charlesworth, Ibid, P. 231. - ١٠٣
- الناصري : المرجع السابق ، ص ٢٤٥ - ١٠٤
- Oxford Classical Dictionary sub Trajan. - ١٠٥
- C. H. C. Sutherland, Jold; Its beauty, Power and allure - ١٠٦
- London (1959) P. 98.

Millar, Op. cit, P. 219 - 220.	- 1-7
C F. Dio Cassius, LXVIII, 15.	- 1-8
Millar, Op. cit, P. 230.	- 1-9
Charlesworth. P. 61.	- 11-
Meredith, J.E.A, vol 38 (1952), P. 101.	- 111
Charlesworth, Ibid P. 22, P. 62.	- 112
Millar, Op. cit P. 25.	- 112
Charlesworth, P. 61., P. 70.	- 112
Ibid P. 232 - 4.	- 112
Philip. K. Hitti, Op. cit, P. 60 F.	- 113



# الأمْن العربي والصراع الاستراتيجي في منطقة البحر الأحمر

د. علي الدين هلال  
مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالإهرام

## ١ - تحديد المفاهيم :

تتناول هذه الدراسة البحر الأحمر كأحد مناطق الأمن الوطني المصري والأمن القومي العربي ، وربما يحسن البدء بتعريف لمفهوم الأمن القومي National Security ومنطقة الأمن Security Zone أما الأمن القومي فيقصد به « تأمين كيان الدولة - أو مجموعة من الدول - من الأخطار التي تتهددها داخليا وخارجيا ، وتأمين مصالحها ، وتهيئة الظروف المناسبة لتحقيق أهدافها وغاياتها القومية (١) » ومن ثم فإن هذا المفهوم يدور حول ثلاثة محاور رئيسية :

- تأمين كيان الدولة ، أو مجموعة الدول ، الذي يتمثل في المقام الأول في وحدة أراضيها وحماية إقليمها .

- أن هذا التأمين يكون في مواجهة كافة الأخطار الداخلية والخارجية ، القائمة والمحتملة .

- تحقيق الأهداف العامة للمجتمع التي تتمثل عادة في الاستقرار السياسي والاجتماعي والتنمية الشاملة مع اختلاف الأساليب التي يمكن أن تتحقق بها هذه الأهداف .

القضية التي تثيرها دراسات الأمن القومي هي تحديد الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية التي يتحقق في ظلها استقرار

المجتمع ورفاهيته ووحدته الإقليمية ، وكذلك تحديد الظروف أو المواقف التي تمثل خطرا على هذا الأمن ، وتتطلب معرفة الحركة لمواجهةها أو العمل أصلا للحيلولة دون قيامها - الأمن القومي إذن ليس مجرد قضية عسكرية وحسب ولكنه مسألة متعددة العوامل والأبعاد تختلط فيها السياسة بالاقتصاد ، الجغرافيا بالمسكينة ، والوضع الاجتماعي بقوة الدولة ، والنظام السياسي بالاستراتيجية .

ويثور تساؤل مما اذا كان هناك مفهوم للأمن العربي أم ربما كان الأصح الحديث عن الأمن المصري وحسب (٢) - والحقيقة أن كلا المفهومين يمثلان مستويين مختلفين للتحليل ، فهناك بالتأكيد مقومات لمفهوم مصري للأمن يرتبط بمصر كواقع جغرافي وبشري وتاريخي واقتصادي يمكن تتبعه عبر العصور ، وهناك أيضا مفهوم عربي للأمن يدخل في اعتباره العلاقات القائمة بين شعوب الأمة العربية وطبيعة انتمائها وتطلعاتها وأهدافها وأنماط التفاعلات بينها - الأمن المصري والأمن العربي إذن لا يجب أحدهما الآخر بل يكمله ويتممه ، فصحيح أن هناك « أمن مصري » ولكن هذا الأمن هو جزء من كل وهو « الأمن العربي » - ومن هنا التمييز في الاصطلاح بين الأمن الوطني والأمن القومي العربي .

في هذا الإطار يقصد بمناطق الأمن لدولة ما أو لمجموعة من الدول تلك المناطق التي يمكن أن تؤثر مباشرة على سلامتها واستقرارها من خلال ارتباطها الوثيق بمصالحها وسياساتها الاستراتيجية - ويمكن أن تتعدد منطقة الأمن وفقا لثلاثة معايير :

(أ) المعيار الجغرافي : ويثار في هذا الصدد ما يتضمنه عنصر الجوار من صلات طبيعية وبشرية وما يوجد من تفاعلات ومصالح اقتصادية وأمنية تنعكس على الأطراف المتجاورة إيجابا أو سلبا .

(ب) المعيار السياسي أو الأيديولوجي : الذي يتعلق بالمقيدة السياسية للدولة وما تصدى له من أهداف وتوع الأفكار السائدة فيها بما توجهه من ارتباطات وانتماءات .

(ج) معيار قوة الدولة : فهناك علاقة إيجابية بين قوة الدولة ونطاق أمنها ، فكلما ازدادت قوة الدولة وتنوعت مصالحها وتعددت ارتباطاتها اتسع نطاق أمنها .

وكما هو واضح فإن هذه المعايير ليست على نفس الدرجة من الثبات والاستمرار ، فبينما يميل الأول - نسبيا - إلى الاستقرار ، فإن الثاني أكثر عرضة للتغيير نتيجة تغير شكل نظام الحكم أو القيادة السياسية أو الظروف الداخلية .

## ٢ - البحر الأحمر كم منطقة أمن :

### البعد التاريخي والطرح المعاصر :

أي نظرة لخريطة المنطقة العربية لا بد أن تتوقف أمام البحر الأحمر كأحد مناطق الأمن الرئيسية من زاوية الأمن المصري أو العربي . هذه المنطقة التي يحدها شمالا خليج السويس والشاطئ الغربي لخليج العقبة بينما يقع الشاطئ الشرقي للخليج ضمن حدود المملكة العربية السعودية ، وفي أقصى شمال الخليج يوجد ميناء العقبة الذي يعد المنفذ الوحيد للأردن على البحر الأحمر وإلى الغرب منه يقع ميناء إيلات في إسرائيل ، أو المد الجنوبي للبحر فتطل عليه اليمنيتان ( الشمالية والجنوبية ) والصومال وجيبوتي وأثيوبيا . من هذا العرض يتضح أن أغلب هذه الشواطئ تقع ضمن حدود دول عربية ، فالدول الواقعة على الساحل الشرقي بأكمله دول عربية ( الأردن والسعودية واليمنيتان ) المنفذ الوحيد للأردن على البحر الأحمر وإلى الغرب منه يقع ميناء إيلات في إسرائيل ، أما المد الجنوبي للبحر فتطل عليه اليمنيتان ( الشمالية والجنوبية ) والصومال وجيبوتي وأثيوبيا . من هذا العرض يتضح أن أغلب هذه الشواطئ تقع ضمن حدود دول عربية ، فالدول الواقعة على الساحل الشرقي بأكمله دول عربية ( الأردن والسعودية واليمنيتان ) وأن حوالي ٢٠٠٠ ميل من الساحل الغربي يقع في مصر والسودان وجيبوتي والصومال بينما تشغل السواحل الأثرية التابعة لأثيوبيا حوالي ٤٠٠ ميل من هذا الساحل (٣) .

ان أهمية البحر الأحمر يمكن أن تثار من جانبين : الأول هو الجانب العسكري الأمني . فالبحر الأحمر هو مدخل البلاد العربية الى افريقيا وآسيا ، وهو المنفذ البحري الوحيد لكل من السودان والأردن والصومال ( وأثيوبيا ) ، وهو طريق نقل البترول من منطقة الخليج الى البلاد المستهلكة ، وهو يمكن أن يكون - بالتعبير العسكري - « جبهة تعرض » لمصر العليا ومناخ النيل ، وهو علاوة على ذلك وبسببه أحد بؤر الصراع الاستراتيجي العالمي . فأمّن البحر الأحمر يرتبط بأمّن المحيط الهندي من ناحية ، وبأمّن الخليج العربي من ناحية ثانية ، وبأمّن البحر الأبيض المتوسط من ناحية ثالثة ، وهو ممزة وصل بين الأساطيل البحرية في البحر المتوسط والمحيط الهندي بالإضافة الى وجود عدد من القواعد والتسهيلات العسكرية لدول اجنبية فيه . أما الجانب الثاني فهو اقتصادي ، فحركة الملاحة في البحر الأحمر تمثل المصدر الاساسي للدخل في اليمن الجنوبية ومصدرا هاما للدخل في الصومال وجيبوتي كما تتردد احتمالات وجود ثروات بترولية في قاعه ، هذا الى جانب أهميته كطريق للنقل البحري وبالدات البترول وارتباطه بحركة الملاحة في قناة السويس . ومن هنا فان أمّن البحر الأحمر ينبغي أن يكون أحد قضايا ومشاكل الفكر الاستراتيجي العربي الرئيسية .

ولا تقتصر أهمية البحر الأحمر على الفترة المعاصرة بل تظهر جليا في التاريخ القديم في شكل العلاقات التجارية بين مصر وبلاد بونت ( الصومال ) للحصول على البخور ، والمطور ، والأخشاب ، وفي العصور الوسطى لعب البحر الأحمر دوره كطريق للملاحة والتجارة والمواصلات جنت من ورائه مصر الكثير . ولكن القوة البرتغالية الصاعدة دخلت مع مصر في صراع انتهى في بداية القرن السادس عشر ( ١٥٠٩ ) بهزيمة الأسطول المصري في عهد الفوري .

وإذا كان اكتشاف رأس الرجاء الصالح قد قلل لمدة من أهمية البحر الأحمر ، فقد جاء افتتاح قناة السويس ( ١٨٦٩ ) ليميد له هذه الأهمية كمنزلة للتجارة . وارتبط ذلك ببدء التنافس الاستعماري للسيطرة على المراكز الاستراتيجية فيه فاستولت إنجلترا على عدن ( ١٨٣٢ ) وفرنسا على مينام أبوبوك ( ١٨٦٢ ) وإيطاليا على عصب بعد ذلك .

ويقدم د . شوقي عطا الله الجمل في دراسته عن سياسة مصر في البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر عرضا يوضح فيه كيف تأثرت مصر كثيرا بموقعها على البحر الأحمر ، وأن السياسة المصرية وقتذاك

ميرت عن تصور متكامل وهدفت الى ضمان الأمن المصري من خلال الوجود والسيطرة في البحر الأحمر وردح القوى الأوروبية المتطلعة الى ذلك - فمن الناحية العسكرية كان الأسطول البحري المصري يجوب البحر فارضاً وجوده في مواجهة أساطيل البلاد الأوروبية الطامعة فيه ، ومن الناحية السياسية بدأت مصر بأن طلبت من السلطنة العثمانية خضوع مينائي سواكن ومصوع للإدارة المصرية (١٨٦٥) ، ثم أنشأت محافظة سواحل البحر الأحمر ، ثم ضمت زيلع الى الادارة المصرية ، ومنها خرجت حملة مصرية لفتح سلطنة هرر (١٨٧٥) ولم يأت عام ١٨٧٧ الا وكانت مصر تسيطر على ساحل البحر الأحمر الغربي كله وعلى ساحل عدن (٤) -

رغم ذلك فان أمن البحر الأحمر لم يطرَح بشكل ملح على المستوى السياسي المحلي العربي الا في عام ١٩٧٧ عندما تضافرت مجموعة من العوامل التي تراكمت عبر عدة سنين وأدت في النهاية الى طرح القضية - وتتمثل هذه العوامل في اعلان مصر اخلاق باب المندب خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وتصاعد الثورة في أرتريا ، وانفجار الموقف في القرن الافريقي بين اثيوبيا والصومال بخصوص أوجادين ، وتدهور العلاقات بين اثيوبيا والسودان ، وقيام طائرات مجهولة الجنسية - رجح أنها إسرائيلية - بالاستطلاع فوق باب المندب واليمن الشمالية في ديسمبر ١٩٧٦ -

في هذا السياق التاريخي تتابعت الأحداث سرعاً خلال عام ١٩٧٧ ففي شهر يناير أثارت اليمن الشمالية ضرورة الوصول الى صيغة جماعية للأمن في منطقة البحر الأحمر ضمن نطاق معاهدة الدفاع العربي ، وأثير في هذا الصدد أن عدداً من الحبرام العسكريين من مصر والسعودية قد وصل الى باب المندب للقيام بدراسات ميدانية حول كيفية توفير الحماية والأمن للمنطقة (٥) -

وفي ٢٧ - ٢٨ فبراير انعقد مؤتمر القمة الثلاثي بين مصر وسوريا والسودان في الخرطوم وكان أحد موضوعاته الرئيسية هو أمن البحر الأحمر ورغم أن أحد العبارات التي ترددت هو شعار « أن البحر الأحمر هو بحر عربي » فان البيان الرسمي للمؤتمر اكتفى بالإشارة الى الحاجة الى توفير السلم والأمن في منطقة البحر الأحمر وأن تكون منطقة سلام لصالح الشعوب

وفي منأى عن الصراعات الدولية • وجهير بالذكر أن اثيوبيا هاجمت بمنف هذه التحركات العربية واعتبرت أي اشارة الى البحر الأحمر « كبحر عربي » بمثابة تعبير عن نوايا استعمارية ونزعات رومانية قومية عربية باعتبار انها تتجاهل وجود دول غير عربية في منطقة البحر الأحمر •

وشهد شهرا فبراير ومارس عددا من التحركات الأخرى مثل زيارة الشيخ زايد آل نهيان رئيس دولة الامارات العربية المتحدة لليمن الجنوبية ، وجولة الرئيس جمفر نميري في سلطنة عمان والصومال واليمنيتين ، ودعا البيان السوداني - الصومالي المشترك الى ضرورة وصول الدول المطلة على البحر الأحمر الى استراتيجية محددة لابعاد هذه المنطقة عن الصراع الدولي والأطماع الصهيونية ، كما دعا الرئيس نميري الى مؤتمر موسع للدول المطلة على البحر ، وفي نفس الفترة زار فينل كاسترو اليمن الجنوبي وأخيرا عقد مؤتمر تمز في مارس بحضور رؤساء السودان والصومال واليمنيتين الذي أكد بيانه على ضرورة أن تظل منطقة البحر الأحمر منطقة سلام •

وفي أبريل سافر وزير الدفاع الصومالي الى السعودية والكويت لمباحثات تتعلق بالبحر الأحمر ، وسافر مبعوث خاص للرئيس نميري الى دول الخليج لعرض نتائج مؤتمر تمز • وبرز في هذا الاطار دور السودان الذي صرح وزير خارجيته في ٢٤ فبراير الى صحيفة الأيام السودانية أن مسألة أمن البحر الأحمر هي الشغل الشاغل والرئيسي للسودان - وبينما ذكرت نفس الصحيفة أن موقفا مصريا سودانيا موحدا قد اتخذ لمواجهة أي تدخل يمس أمن المنطقة فقد أعلنت اثيوبيا أن المناورات التي تقوم بها البحرية المصرية في البحر الأحمر موجهة في الأساس ضدها كما هاجم الاتحاد السوفيتي بمنف التحركات المصرية السعودية واتهم هذه الجهود بأنها تسعى الى تشكيل حلف عسكري سياسي لخدمة المصالح الأمريكية في المنطقة وضد اثيوبيا •

وفي مايو قام السلطان قابوس حاكم مسان بزيارة مصر ، وأعلنت فرنسا عن قرارها بإعطاء اقليم عفار وعيسى الاستقلال في ٢٧ يونيو مع الاحتفاظ بعلاقات عسكرية واقتصادية بين البلدين ، وكررت السودان دموها لعقد مؤتمر موسع ليبحث قضية أمن البحر الأحمر وهو ما أيده رئيس دولة الامارات العربية المتحدة •

وفي يوليو قام نائب رئيس الصومال بزيارة دولة الامارات ، واقترحت

جامعة الدول العربية انضمام قوة ردع تشرف على أمن البحر الأحمر بعد تردد أنباء وجود عسكري إسرائيلي في بعض الجزر القريبة من ساحل أرتريا بموافقة أثيوبيا ، وأدرج في جدول أعمال وزراء الخارجية العرب في سبتمبر هذا الموضوع (٦) .

هذا النشاط المكثف بخصوص أمن البحر الأحمر لا يمكن فصله عن التحولات في توازن القوى وأنماط التحالفات الدولية التي حدثت في هذه الفترة ، واثتقال الحرب في القرن الأفريقي فقد كانت هناك محاولات - لم تنجح في النهاية - لاحتواء اليمن الجنوبي وربطه بهذه التحركات ، والصومال الذي كان قد ارتبط ارتباطا وثيقا بالاتحاد السوفيتي قام بالغام بمساعدة التعاون والصداقة بين البلدين وطرده الخبراء والمستشارين السوفيت وبقطع العلاقات مع كوبا ، وبالعكس فإن أثيوبيا شهدت تحولا راديكاليا ثوريا بالانقلاب الذي قام به منجستو ماريمان والذي أدى الى تقليص العلاقة مع الولايات المتحدة والى مزيد من الارتباط بالاتحاد السوفيتي الذي وصل الى درجة الاسهام العسكري المباشر - ومن خلال كوبا - في الصراع المسلح في منطقة أوجادين (٧) .

وكما مي المادة في السلوك السياسي العربي فكما ظهر موضوع أمن البحر الأحمر بعنف وبالحاح على سطح الحياة السياسية العربية مع بدايات عام ١٩٧٧ حتى بدا وكأنه الاهتمام الرئيسي لعدد من البلدان العربية فقد انزوى مع نهاية العام مع ظهور قضايا واهتمامات جديدة لعل أبرزها زهارة الرئيس أنور السادات الى القدس وما تلاها من تطورات وما أحدثته من آثار .

### ٣ - الصراع الاستراتيجي في البحر الأحمر :

ينبغي التمييز بادية ذي يدم بين الوجود العسكري لقوى أجنبية في المنطقة كالاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة وفرنسا ، ودور وسياسات بعض القوى الإقليمية من تلك التي تطل على البحر مع التأكيد على وجود ترابط بين المستويين كما سوف يتضح من العرض .

## ( ١ ) القوى الأجنبية :

تتمثل أهمية البحر الأحمر في موقعه كمعبر الى المحيط الهندي من ناحية ولأهمية المنطقة التي يمر فيها من ناحية أخرى . فالبحر الأحمر هو مدخل المحيط الهندي الذي يدور فيه التنافس الدولي بين القوى الكبرى على أشده (٨) وبالدات بعد بروز القوة البحرية مرة أخرى كأحد عناصر التوازن العسكري الرئيسية بعد أن كانت الصواريخ العابرة للقارات والطائرات قد قللت من أهميتها في الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية ، وبمسد بروز القوة البحرية السوفيتية حتى أن بعض المحللين الاستراتيجيين الغربيين يرون أن تطور البحرية السوفيتية - وبالدات نتيجة لازمة كوبا في ١٩٦٢ - هي أهم تطورات الاستراتيجية العسكرية في العالم في الستينات .

في مارس ١٩٦٨ دخلت قطع الأسطول السوفيتي لأول مرة بشكل مكثف المحيط الهندي وكان ذلك حدثا له مغزاه شبه بعض المحللين الغربيين بصفقة الأسلحة السوفيتية لمصر عام ١٩٥٥ نظرا لأهمية الممرات البحرية عموما في الاستراتيجية السوفيتية ولأن هذا الوجود مهد الطريق لمحاولات السوفييت للتمركز عند مدخل البحر الأحمر ففي يوليو ١٩٧٤ وقعت معاهدة الصداقة والتعاون مع الصومال التي حصلت بموجبها على تسهيلات بحرية ، ثم حصلت على تسهيلات أخرى في ميناء عدن ، وتدمم هذا الوجود البحري في أعوام ١٩٧٥ - ١٩٧٨ بالوجود العسكري والسياسي الكويتي والسوفيتي في بعض البلدان الافريقية مثل أنجولا وموزمبيق وغينيا بيساو وأثيوبيا وكذا في اليمن الجنوبي والذي يمكن اعتباره بمثابة « التمسويض » أو « الرد » السوفيتي على انتكاسة نفوذه في المنطقة العربية .

وهكذا فقد ولد الاعتماد السوفيتي أركان وجوده في الجزء الاستراتيجي الجنوبي للبحر الأحمر بعد أن أوجد ركيزة له أولا في الصومال وبعد خروجه منها في أثيوبيا . هذا بالاضافة الى تأثيره المتزايد على اليمن الجنوبي وبالدات بعد الأحداث السياسية التي أطاحت أولا بالرئيس قطبان الغمبي ثم بالرئيس سالم زبيح . فضلا عن وجود قوات كويتية ومستشارين عسكريين سوفييت في أثيوبيا واليمن الجنوبي والانتصارات التي حققتها في صراع القرن الافريقي وانسحاب الصومال من منطقة أوجادين .



أما الوجود الغربي في المنطقة فيتمثل أولا في النفوذ الأمريكي الذي تمرض لقدرة من التقلص نتيجة اتجاه أثيوبيا ولجوتها الى المساعدة السوفييتية وعدم تجديدهما للاتفاقية العسكرية التي انتهت في يناير ١٩٧٨ وبمقتضاها كان للولايات المتحدة قاعدتان في أسرة ومصروع - ويتمركز الوجود العسكري الأمريكي في هذه من القواعد الموجودة في المحيط الهندي مثل ديجوجارسيا وموريشيوس ومالديف - ويدعم النفوذ الأمريكي الأدوار التي تقوم بها عدة دول أخرى مثل فرنسا واسرائيل وعدد من الدول العربية المطلة على البحر .

أما فرنسا فقد ظلت تسيطر على غفر وعيسى بشكل مباشر حتى منتصف عام ١٩٧٧ عندما أعلن استقلال جمهورية جيبوتي ولكن لأهميتها الاستراتيجية من ناحية وللخلافات الكامنة بينها وبين كل من أثيوبيا والصومال فقد استمر الوجود العسكري الفرنسي فيها بعد الاستقلال .

### (ب) القوى الإقليمية :

نستخدم تعبير القوى الإقليمية في هذا الصدد للإشارة الى الدول التي تقع جغرافيا في المنطقة ولعل أبرز البلاد التي تسمى الى فرض وجودها في البحر الأحمر بشكل واضح هي اسرائيل وبالذات بعد عام ١٩٧٣ وان كانت السياسة الاسرائيلية لها جذورها وأبعادها التي تمتد الى ما هو أبعد من ذلك بكثير . لقد كتب موسى ديان في مؤلفه بعنوان « مذكرات حملة سيناء (٩) » أن واحدة من أهم قضايا الصراع بين اسرائيل ومصر هي حرية الملاحة الاسرائيلية في البحر الأحمر وكان يقصد بذلك كما واضح هو حرية استخدام كل من مضيق تيران وقناة السويس . وتتأبعت عدة أحداث لتبرز الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر من المنظور الاسرائيلي : (١٠)

★ حادثة قيام لثفن بحري مسلح في باب المندب تابع لاحدى منظمات المقاومة الفلسطينية بعملية قصف لسفينة تجارية اسرائيلية تدمي كورال - سي كانت ترفع العلم الليبيري . وقتها امرح حاييم بارليف رئيس الأركان بزيارة أثيوبيا وتعرضت السفن الاسرائيلية للخطورة التي يمثلها باب المندب بالنسبة لاسرائيل .

★ . محاولة اسرائيل الوجود العسكري المباشر في بعض الجزر المتحركة في مدخل البحر الجنوبي وتردد في هذا المجال وجود اسرائيل في ١٢ جزيرة منها جنش الكبرى والصغرى على بعد ١٣٦ كيلومترا من باب المندب ، وجزيرة زكر ( أو زكور ) على بعد ٣٢ كيلومترا من الشاطئ اليمني ، وجزيرة أبو عيل شمالي زكر بحوالي ٥ كيلومترات .

كما تردد ان الطيران الاسرائيلي يقوم بطلمات جوية منتظمة لمراقبة الأنشطة المختلفة التي تتم في المنطقة ومكنها من ذلك امتلاك طائرات فانتوم - ١٥ وهو ما أشار اليه اعلان اليمن الشمالي في ٢٦ نوفمبر ١٩٧٦ من قيام طائرتين محاديتين بالاستطلاع في باب المندب في يومي ١٨ و ٢٥ نوفمبر على التوالي .

★ وجاءت حرب أكتوبر ١٩٧٣ وعلان مصر اغلاق باب المندب امام السفن الاسرائيلية لتبرز بشكل اوضح من أي وقت مضى الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر في الصراع مع اسرائيل .

ان الأهداف الاسرائيلية في البحر الأحمر متعددة منها ضمان الملاحة التجارية ليمنا ايلات ، وتوسع التجارة مع الدول الافريقية والآسيوية وبالدات شرق وجنوب أفريقيا واستراليا ، وتوفير احتياجاتها من البترول الخام .

ويشار في هذا الصدد العلاقات الاسرائيلية الاثيوبية والتي تحتل موقعا خاصا في سلم الأولويات الاسرائيلية حيث اعتبرت اثيوبيا رأس جسر لاسرائيل في أفريقيا وموطئ قدم لتثبيت وضع عسكري استراتيجي في مدخل البحر الأحمر ، ودمم من هذا الوضع - تاريخيا - عدة اعتبارات :  
★ أن كلا من اثيوبيا واسرائيل يمثلان نوعا من « الهامش الاقليمي » في المنطقة على حدود الدول العربية .

★ ازدهار العلاقات الاقتصادية والعسكرية في عهد الامبراطور هيلاسلاسي والتي تمثلت في عديد من الشركات الاسرائيلية والمختلطة والتدريب وتزويد الخبرة الفنية .

★ وجود جالية يهودية في اثيوبيا « الفلاسفا » وهي من اقدم الجاليات اليهودية في العالم وتمثل اسرائيل على مساعدتهم اقتصاديا ورفع مستواهم الاجتماعي .

★ استغلت اسرائيل دعم الدول العربية وتأييدها لاستقلال اريتريا لكسب ود أثيوبيا .

وان كان من الجدير بالذكر الاشارة الى عدم اتضاح صورة العلاقات الاثيوبية - الاسرائيلية الراهنة بعد قيام الحكم العسكري الراديكالي ووجهه السوفييتية فبينما تذكر المصادر الاثيوبية أية علاقة مع اسرائيل وتتخذ منها موقفا عدائيا ، أشار بعض المسئولين الاسرائيليين الى استمرار التعاون العسكري الذي يتمثل في تزويد أثيوبيا ببعض الأسلحة الخفيفة والمعدات اللازمة لحرب العصابات ضد الثورة الأرتيرية .

وأخيرا ينبغي الاشارة الى دور المملكة العربية السعودية التي تولي اهتماما كبيرا بمنطقة البحر الأحمر - فهي الدولة الوحيدة التي يمتد اقليمها من الخليج العربي الى البحر الأحمر - وتؤكد ضرورة التنسيق بين الدول المطلة على البحر منذ عام ١٩٧٢ . ويدعم من دور السعودية ازدياد وزنها المالي ، وهباب أي أدوار حربية أخرى مؤثرة ، وتشجيع الولايات المتحدة لها باعتبارها أكثر القوى المبررة من مصالح لا تتعارض مع مصالحها في ظل نمو التيارات اليسارية في القرن الافريقي . وتسمى السعودية الى القيام بدور رئيسي في تأمين البحر والملاحة فيه وتستعمل في ذلك صلاتها الوطيدة بكل من مصر والسودان والصومال واليمن الشمالي وهو مادفعها الى الدخول الى عقد مؤتمر قمة للدول العربية السبع المطلة على البحر .

ولا تكتمل صورة الصراع الاستراتيجي في منطقة البحر الأحمر بدون مرض وملخص لقضايا الصراع الاقليمي التي تدور بين بعض دول المنطقة والتي توفر البيئة الموضوعية لتدخل القوى الخارجية وهي :

★ الثورة الأرتيرية وتتمثل قيمة اقليم اريتريا من الناحية الاستراتيجية في أن سواحلها تمتد في مواجهة سواحل اليميتين امتدادا لسواحل مصر والسودان والصومال الى جنوب البحر الأحمر وهي بحكم تيميتها لأثيوبيا تعتبر الساحل الوحيد غير العربي في جنوب البحر كما تعتبر المنفذ الوحيد لأثيوبيا على البحر .

★ الصراع الصومالي الاثيوبي في القرن الافريقي الذي يدور حول مناطق الحدود ويثير مشكلة مدى تمثيل الحدود السياسية التي ورثتها الدول الافريقية بعد الاستقلال للواقع الاجتماعي والبشري القائم

وكذا للحدود التاريخية في أفريقيا • وتبدو خطورة هذا الصراع فيما أدى اليه من صدام مسلح عام ١٩٧٧ بما ترتب عليه من تدخلات اقليمية ودولية • فقد أدى الصراع الى تدخل لقوات كوبية ومستشارين سوفيت الى جانب اثيوبيا ، كما أدى الى قيام عدد من دول المنطقة بتأييد الصومال ( إيران ، والسعودية ، ومصر ) أو اثيوبيا ( اليمن الجنوبي ) فأضاف بعدا جديدا للاستقطاب الناشئ في المنطقة •

★ الخلافات الكامنة حول الحدود في المنطقة مثل مطالب الصومال الاقليمية ازام كل من كينيا وجيبوتي • كما أن جيبوتي تمثل أهمية خاصة بالنسبة لاثيوبيا • فنتيجة للثورة الأرترية وسيطرة الثوار على عدد من موانئها فان جزءا كبيرا من التجارة الاثيوبية يتم من خلال جيبوتي •

#### ٤ - أمن البحر الأحمر - المخاطر والتحديات :

لقد أدى الصراع الدولي الذي يستخدم في أغلب الأحيان أدوات اقليمية والوجود العسكري لعدد من الدول في البحر الأحمر والمصالح المختلفة التي تسعى الدول الخارجية والاقليمية الى تحقيقها الى بروز عدة اتجاهات سياسية :

- اتجاه المملكة العربية السعودية الى القيام بدور فعال في المنطقة يتفق مع تطلعاتها العامة للعب دور أكبر في المنطقة يتناسب مع ثرواتها المتزايدة ، وينبع من واقع الحرص على تأمين وانتاج وتقل بترونها وذلك بالدعوة الى تحييد المنطقة ووضع نظام لأمن البحر الأحمر على أساس جعله بحيرة عربية ، وتشجيعها السودان واليمن الشمالي والصومال للتحررك في هذا الطريق وتأييدها حركة تحرير أرتريا • وبصفة عامة فان هذا الاتجاه يهدف الى مواجهة النفوذ السوفييتي النامي في شرق أفريقيا •

— اتجاه امراثيل لتثبيت مبدأ حرية الملاحة في البحر الأحمر وضمان عدم اغلاق مضيق باب المندب في وجه تجارتها وذلك من خلال العمل على افشال أية محاولة لتقريب وجهات النظر بين دولة للوصول الى صيغة بشأنه واعتبار ذلك جزءا من أية تسوية للصراع العربي الاسرائيلي (٩) .

— اتجاه اثيوبيا — بوحى من مصالحها وبتشجيع من الاتحاد السوفييتي — لأية ترتيبات جماعية عربية في البحر الأحمر ، وعدم تحمس اليمن الجنوبي لذلك مع التأكيد على ضرورة اشراك كافة الدول المطلة على البحر الأحمر في أية ترتيبات بما يعني مساهمة اثيوبيا . و جدير بالذكر أن اثيوبيا ترفض بالذات الوصف الدائع للبحر الأحمر بأنه بحيرة عربية ففي تعليق وزارة الخارجية الاثيوبية على مؤتمر الخرطوم في فبراير ١٩٧٧ ورد أن تصريحات الرؤساء الثلاثة من أمن البحر الأحمر تنزع الى السيطرة والتدخل وأن وصف البحر الأحمر بأنه بحيرة عربية يثير القلق والدهشة لأن اثيوبيا تمارس سيادتها على جزء كبير من سواحلها وأن « من انتدبوا أنفسهم لاتخاذ قرارات بشأن أمور تمس سيادة اثيوبيا البحرية على الجزر التي تنصها في البحر الأحمر فانهم يتدخلون في الشؤون الداخلية لدولة أخرى »

ان هدف تعيين البحر الأحمر أو اعلانه منطقة سلام هو مسألة لا تتوقف على ارادة الأطراف المحلية بقدر ما ترتبط باستراتيجيات القوى الكبرى والتي رغم اهدافها ومصالحها فانها تتفق على الرغبة في الاستمرار في الوجود العسكري في المنطقة . وهكذا فان التعيين يدخل في باب النوايا الطيبة أكثر من اعتباره أحد البدائل السياسية المتاحة ، كما أن الحديث عن حروبة البحر الأحمر أو اعتباره بحيرة عربية قد يكون تعميما عن آمال أو تطلعات ولكن نموذجه الفرص والامكانات . ان السؤال الحقيقي الذي يجب ان يطرح هو كيف يمكن للدول العربية المطلة على البحر الأحمر تحقيق أقصى درجة من الأمن القومي لها على ضوء معطيات الصراع الدولي في المنطقة ؟

هل يمكن مثلا أن يتحقق نوع من التنسيق العسكري فيما بينها لتحقيق اهداف معينة ؟

هل يمكن اقامة قوات بحرية عربية مشتركة أو قيادة بحرية مشتركة في البحر الأحمر ؟

هل يمكن أن يزداد الوجود العسكري العربي في البحر الأحمر بمثل  
مؤثر وفعال وأن تطور الدول العربية أسلحتها البحرية ؟ •

هل تصبح البلاد العربية في اخراج المنطقة بقدر الامكان من دائرة  
الصراع بين الدولتين الأعظم •

ان تحقيق أي من هذه الأهداف أو بعضها يتطلب الاتفاق حول حد أدنى  
من مفهوم الأمن العربي في البحر الأحمر وتحسين الأساليب التي يمكن  
انتهاجها لحمايته •

ولعل أحد المسائل الهامة التي يمكن أن تثار في هذا الصدد هو تكريس  
الوجود البشري والاجتماعي والحضاري في الجزر العربية الموجودة في البحر  
الأحمر - فبعض هذه الجزر غير مأهول بالسكان ، وسكانها يعيشون في  
مستويات بدائية ومتدنية من النواحي الاجتماعية والاقتصادية •

نحن نعرف أن السيادة في عصرنا هذا ليست مسألة قانونية وحسب  
ولكنها ممارسة وأمر واقع أيضا • ومن ثم فإن إقامة حياة عربية متكاملة  
من جوانبها الاقتصادية والمراتية والثقافية والاجتماعية في هذه الجزر  
تصبح قضية استراتيجية هامة لابد أن تتضافر من أجل تحقيقها الدول  
العربية ، وأول ما يجب توفيره في هذا المجال هو صورة دقيقة لما هو قائم في  
هذه الجزر فالمعلومات التي نعرفها كثيرا ما تكون مشوشة أو غير دقيقة •

لقد قيل كثيرا أن البحر الأحمر هو « بحر عربي » • هذه حقيقة  
جغرافية تحولت الى واقع عسكري وأمني في حرب أكتوبر وبقي أن تصبح  
حقيقة استراتيجية تضمها كل الدول في اعتبارها عند تحديد أهدافها وخططها  
في هذه المنطقة في العالم • وقتها يصبح البحر الأحمر لنا وليس علينا ومصدرا  
للأمن والسلم وليس مجالا للتهديد والصراع والتنافس بين الدول الكبرى •

## الهوامش

١ - قليلة هي الدراسات التي عالجت مفهوم الأمن القومي من الناحية النظرية باللغة العربية - انظر : د. حامد ديبع : نظرية السياسة الخارجية ( القاهرة : دت ) ، روبرت ماكنمارا : جوهر الأمن ترجمة يونس شاهين ( القاهرة ، ١٩٧٠ )  
انظر باللغة الانجليزية :

A. Wolfors, National Security as an Ambiguous Symbol, in D.S. Mclellan et al, The Theory and Practice of International Relations (New Jersey, 1980); Berkowitz, the Emerging Field of National Security, World Politics (1966); D. Schulman, What Does Security Mean Today, Foreign Affairs (1971) and W.W. Whitson ed., Foreign Policy and US National Security (New York, 1976).

٢ - حول مفهومي الأمن العربي والأمن المصري ، انظر امين هويني : الأمن العربي في مواجهة الأمن الاسرائيلي ( بيروت ، ١٩٧٥ ) واللواء علي حسن سعيد : الأمن القومي واستراتيجية تعتيقة ( القاهرة ، ١٩٧٧ )

٣ - انظر بصفة عامة الملف الخاص عن البحر الاحمر في السياسة الدولية ، عدد ٥٤ ( اكتوبر ١٩٧٨ ) ص ٦٦ - ١٠٧ وكذا

The Middle East, no. 30 ( April 1977 ), pp. 17 - 26 and J. Campbell, The Red Sea and Suez in A.J. Cottrell and R.M. Burrell, eds, The indian Ocean its Politics, Economics and Military Importance (New York, 1972), pp. 129-151.

٤ - د. شوقي عطا الله الجعل : سياسة مصر في البحر الاحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ( القاهرة ، ١٩٧٤ ) وكذلك الوثائق التاريخية لسياسة مصر في البحر الاحمر ١٨٦٣ - ١٨٧٩ ( القاهرة : دت )

٥ - القيس الكويتي في ١١ و ١٢ يناير ١٩٧٧

٦ - في هذه التطورات انظر النشرة الاعلامية الاسبوعية التي تصدرها هيئة الغبراء بوزارة الاعلام خلال الفترة يناير - يوليو ١٩٧٧

٧ - في تفاصيل الصراع في القرن الافريقي ومواقف الدول الكبرى تجاهه ، انظر ملف السياسة الدولية عدد ٥٤ ( اكتوبر ١٩٧٨ ) ص ٨ - ٦٥

٨ - حول الصراع الدولي في المحيط الهندي انظر

R. Burt, Strategic Politics and the Indian Ocean, Pacific Affairs, vol. 47 (1974-1975), pp. 509-514; A. Ghebhart, Soviet and US Interests in the Indian Ocean, Asian Survey, (1975), pp. 672-683 and World Armaments and Disarmament Book, Sipri Yearbook (London, 1977).

M. Dayan, Diary of Sinai Campaign (London, 1967), p. 17.

١٠ - الدراسات عن إسرائيل والبحر الأحمر متعجدة ، انظر على سبيل المثال :

M. Abir, Oil, Power and Politics : Conflict in Arabia, The Red Sea and the Gulf (London, 1971) and Red Sea Politics, Adelphi papers no. 93 (London, 1972) and R. Reppa, Israel and Iran : Bilateral Relations and effect on the Indian Ocean (New York, 1974).



# موقف بريطانيا في البحر الأحمر في الحرب العالمية الأولى

يحسن الباحث قبل الخوض في دراسة موقف بريطانيا في البحر الأحمر في الحرب العالمية الأولى ، أن يلم المامة سريعة بالموقف الدولي عموما ، ليتسنى له إدراك الموقف الدولي في هذا البحر على وجه الخصوص .

## للدكتور محمد محمود السروجي كلية العلوم الاجتماعية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

الموقف الدولي قبل الحرب العالمية الأولى :

شاهدت السنوات الأولى من القرن الحالي تقارب بريطانيا وفرنسا بعد توقيع الاتفاق الودي بينهما في عام ١٩٠٤ ، ثم انضمام روسيا اليهما في عام ١٩٠٧ بحيث تكون من الأطراف الثلاثة مايسمى بالوفاق الثلاثي . ومنذ ذلك الوقت أخذت روسيا تبتعد عن ألمانيا التي ارتبطت بها منذ حلف القياصرة الثلاثة عام ( ١٨٧١ ) .

ومن الجانب الآخر نجد أن امبراطورية النمسا والمجر ظلت مرتبطة بتحالفها مع ألمانيا ، لا سيما بعد أن تكون الوفاق الثلاثي المشار اليه . وفي نفس الوقت ، أو قبل ذلك يقليل بدأ التقارب الألماني التركي عقب معاهدة برلين عام ١٨٧٨ ، تلك المعاهدة التي أنهت الحرب التركية الروسية ، والتي حققت سياسة يسمر مستشار ألمانيا إزاء المسألة الشرقية ، والقائمة على استصلاح الدولة الأوروبية الكبرى على حساب ممتلكات الدولة العثمانية .

وإذا كانت ألمانيا قد عاملت مندوبي الدولة العثمانية في المؤتمر ( مؤتمر برلين ١٨٧٨ ) باحتقار وامتهان شديدين ، وعملت - دون شك - على طرد الأتراك من أوروبا ، والعمل على القضاء على دولتهم ، إلا أن الأحوال التي ستمتدح المؤتمر ستظهر تقارباً واضحاً بين الدولتين التركية والألمانية ، إذ سيمتدح الأتراك العثمانيون أن ألمانيا - رغم قسوتها - كانت أكرم من غيرها من الدول ، فلم تقتطع لنفسها شيئاً من الممتلكات العثمانية

داخل المؤتمر ، وكان يوسمها - لو أرادت - أن يكون لها نصيب الأسد في هذه الممتلكات (١) -

وبالفعل بدأت رؤوس الأموال الألمانية تتدفق على الدولة العثمانية في شكل مقرضات ، ومصارف ، وقروض • وأهم تلك المقرضات • مشروع سكة حديد برلين - بغداد - البصرة ، الذي أثار ثائرة البريطانيين ، ووقفوا له بالمرصاد ، لأنه سيقرب الخطر الألماني من الخليج ، مما يهدد المصالح البريطانية في هذه المنطقة وفي الهند تهديدا خطيرا • كما عارضته روسيا أيضا •

ولم يقتصر التعاون بين الدولتين الألمانية والتركية على المجال الاقتصادي فحسب ، بل امتد الى النشاط العسكري ، حينما طالبت الحكومة التركية ألمانيا بإيفاد أحد ضباطها الكبار للإشراف على تدريب الجيش التركي واعداده وتسليحه •

وفي الحقيقة أن الأسلوب الذي اتبعه بسمارك في سياسته الأوروبية منذ السبعينات من القرن التاسع عشر ، القائم على الأحلاف الأوروبية الكبرى لفرض السلام على أوروبا - لو صح هذا التعبير - لم يحقق كل ما كان يرمى منه ، « لأن الأسلوب كان أسلوب أحلاف متنافسة ، ولم يكن أسلوب عصبية مالية شاملة ، كان ميزانا للقوى ، ولم يكن توافقا بين القوى • فإذا قوي أو نما تكتل ما ، أفزع وأندر نمو الدول الأخرى التي لا تدور في فلكه ، فعمدت بطريقة آلية أو ميكانيكية الى تكوين تكتل مضاد : فخلق تنافس الأحلاف سباق التسلح ، وانتهى التنافس في الكراهية والخوف بالمجموعتين المتعارضتين الى ميدان القتال » (٢) •

تبلور الموقف الأوروبي قبيل الحرب المالية الأولى في معسكرين اثنين : معسكر الحلفاء ويضم بريطانيا وفرنسا وروسيا ، ومعسكر الوسط ويضم ألمانيا وإمبراطورية النمسا والمجر وتركيا ، وذلك بعد أن عقدت الأخيرة معاهدة دفاع سرية مع ألمانيا في ٢ أغسطس ١٩١٤ •

كانت أكثر هذه الدول استعدادا للحرب ألمانيا ، وأقلها في ذلك الدولة العثمانية ، نظرا لما ألم بها من تكبات في السنوات الأخيرة ، فجزء من قواتها يحارب في اليمن لاستعادة سيطرة الدولة ، وللقضاء على الثورات والفتائل •

ولم تتوقف تلك الحرب الا عندما هدد الايطاليون طرابلس الغرب في عام ١٩١١ ، حيث عقد الامام يحيى صلح دمان (١٩١١) مع العثمانيين ، ليتيح لهم فرصة التفرغ للدفاع عن طرابلس ومعاربة الايطاليين . ولكن هذا العمل لم يحل دون ضياع طرابلس وتنازل الدولة العثمانية عنها بمقتضى معاهدة اوڤي ١٩١١ .

وفي نفس الوقت خاضت قوات الدولة العثمانية حربا فاشلة في البلقان ١٩١٢/١٩١٣ انتهت بخروجها من اوربا . وكان هذا الضعف الذي يلغته الدولة حافزا قويا للحكومة الروسية على الاستمرار في انتهاج سياسة تمزيق اوصالها . ومن ثم طلبت الحكومة التركية من ألمانيا ارسال أحد ضباطها الأكفام لاعادة تنظيم الجيش التركي ، وقد لبثت الحكومة الألمانية هذا الطلب فبعثت ليمان فون ساندرس Liman von Sanders لتولي وظيفة مفتش عام الجيش التركي برتبة فيلد مارشال ( مشير ) ( ٣ ) .

---

### حالة البحر الاحمر قبيل الحرب العالمية الاولى :

---

اذا نظرنا الى القوى صاحبة النفوذ في البحر الاحمر نجد أن بريطانيا تأتي على رأسها ، فهي بحكم احتلالها عدن منذ عام ١٨٣٩ ، ومصر منذ عام ١٨٨٢ أن توطدت أقدامها على منقذي البحر الاحمر من الشمال والجنوب . كما أن انفرادها بحكم السودان في ظل اتفاقية الحكم الثنائي عام ١٨٩٩ ، وسيطرتها على زيلع وهريرة عام ١٨٨٤ قد مكنتها كل ذلك من السيطرة على الساحل الغربي للبحر الاحمر تقريبا ، فيما عدا بقعة صغيرة جنوبي هذا الساحل تطل منها مستعمرة أديغريا الايطالية على هذا البحر . ولم تكن ايطاليا بالقوة التي يخشى بأسها ، بل على العكس من ذلك كانت تعتمد في بقائها في هذا الجزء على رضام بريطانيا وتأييدها . بل ان بريطانيا شجعت ايطاليا على انضمام تلك المستعمرة لتتنافس (٤) فرنسا في أوبوك وتاجورة (٥) التي حُرقت فيما بعد باسم الصومال الفرنسي ، واعترفت بريطانيا بذلك رسميا في عام ١٨٨٨ ، بمقتضى اتفاقية تخليط الحدود بينها وبين فرنسا في الصومال . ولكن منذ عقد الاتفاق الودي لم تعد فرنسا خطرا على المصالح البريطانية في البحر الاحمر .

أما الساحل الشرقي لهذا البحر ، فقد كان خاضعا بنسب متفاوتة - فيما عدا الركن الجنوبي الغربي منه - حيث توجد عدد الخاضعة لبريطانيا . وبالقائم نظرة على القوى البحرية للدول الأربع بريطانيا ، وفرنسا ، وإيطاليا ، والدولة العثمانية نجد أن الأولى أقواها جميعا ؛ ومن يمتلك القوة البحرية يمكنه السيطرة تماما على سواحل هذا البحر وعلى طرقه التجارية . وكانت بريطانيا يهملها في المقام الأول أن يظل هذا البحر مفتوحا أمامها لسببين جوهريين : الأول أن حياة بريطانيا قائمة على التجارة ، والسبب الثاني أنه الطريق الرئيسي المؤدي إلى الهند وإلى ممتلكاتها في شرق وجنوبي شرق آسيا .

ولم تكن بريطانيا تخشى من قوة الدولة العثمانية في هذا البحر بقدر خشيته من قوة خليفتها ألمانيا - لا سيما بعد التقارب الكبير التي تم بين ألمانيا والدولة العثمانية في السنوات القلائل التي سبقت قيام الحرب العالمية الأولى - التي قد تتخذ من ممتلكات الأتراك على ساحل البحر الأحمر مراكز تموين لأسطولها في طريقه إلى المستعمرات الألمانية في شرق أفريقيا ، ونقط ارتكاز ووثوب على المصالح الإنجليزية في البحر الأحمر .

---

#### حالة الجزيرة العربية قبيل قيام الحرب :

---

إذا نظرنا إلى الخليج نجد أن العراق يطل عليه من الشمال ، وهو وإن كان خارجا عن شبه الجزيرة العربية ، إلا أن خضوعه للحكم العثماني يمكنه من تهديد المصالح البريطانية في الخليج ، كما أنه يتقعر على الطريق الآخر المؤدي إلى الهند ، ولكن مما يقلل من خطورة موقع العراق عدم وجود قوات بحرية عثمانية بسواحل ، وارتباط الكويت بمساعدة حماية مع بريطانيا في عام ١٨٩٩ . فالوجود البريطاني العسكري في الكويت يحد من التهديد التركي الموجود بالعراق .

و في جبل شمر توجد إمارة حائل تحت حكم آل الرشيد ، وتدين بالولاء للعثمانيين وترتبط بالعراق ، إذ كان آل الرشيد يتولون خفارة الحج

العراقي ، وكانوا يتقاضون من ذلك راتباً من ولاية البصرة وبغداد (٦) .  
وكان ابن الرشيد - في نفس الوقت - على علاقة حدائية بعميد الميز  
آل سعود أمير نجد ، ويعد تشجيعاً من قبل الدولة العثمانية على ذلك ،  
لما كان بين الدولة وأسلاف عبد الميز من عداوة وحروب .

وفي غرب الجزيرة العربية يوجد الشريف حسين بالحجاز ، وله من  
النفوذ الديني والسياسي أكثر مما لديه من قوة عسكرية ، وهو خاضع للدولة  
العثمانية التي تفكك في إخلاصه وولائه لها ، وترى فيه نزوعاً نحو الاستقلال  
وانتزاع الخلافة منها (٧) .

والى الجنوب من الحجاز يوجد الادريسي بمنطقة عسير ، وقد خاض  
حرباً شاقة بالتعاون مع الامام يحيى ضد الوجود العثماني في اليمن  
وعسير (٨) . ولم تتوقف تلك الحرب الا بمقد الامام يحيى صلح دعان مع  
الأتراك في عام ١٩١١ . وبخروج الامام من الحرب تسوء العلاقات بينه وبين  
الادريسي الذي يواصل أعماله العدوانية ضد الأتراك مستعيناً بمساعدة  
الاطاليين له (٩) .

ويلى الادريسي ناحية الجنوب الامام يحيى الذي يمتص بجبال اليمن  
مترقباً الفرصة للفوز باليمن خالصة له . وكان صلحه مع الأتراك ذا فائدة  
كبيرة للدولة العثمانية ، اذ أتاح لها فرصة التفرغ لمواجهة الخطر الايطالي  
في طرابلس الغرب ، وفي مواجهة الحرب البلقانية ١٩١٢/١٩١٣ . وقد دفع  
تورط العثمانيين في هذه الحروب الى توقيع اتفاق مع بريطانيا لتحديد منطقة  
نفوذها في جنوب اليمن (١٠) في ٥ نوفمبر ١٩١٤ ، وبذلك تعترف الحكومة  
التركية لأول مرة بالنفوذ البريطاني في جنوب اليمن .

أما بخصوص سلطنة حج فقد ارتبطت هي والنواحي التسع بمعاملات  
واتفاقيات مع بريطانيا تمهدت فيها الأخيرة بحمايتها ضد أي عدوان يقع  
عليها ، لا سيما وأنها تجاور مستعمرة عدن وتمثل خط الدفاع الأول عنها .  
وكذلك كان الشأن بالنسبة لمشيخات الخليج .

وقد حرص حافظ وهبة الوضع في شبه الجزيرة العربية أجمل تلخيص  
حين قال « كان احتلال تركيا القملي موجوداً فقط في العراق ، وسوريا ،  
وفلسطين ، ومكة ، والمدينة ، ومدن الحجاز الساحلية ، وشاطئ عسير ،

واليمن ، ولكن النفوذ الأجنبي القوي كان يتسرب الى هذه البلاد ، فلم يبق للحكومة كبير احترام في نفوس رعاياها ، أما الجزء الشرقي الجنوبي من بلاد العرب من الكويت الى عدن فلم يكن للأتراك سلطة يمتد بها ، بل كان النفوذ الانجليزي متقلبا ، ولو أنه لم يكن مباشرا الا في عدن » ( ١١ ) .

### **خطة الأتراك العسكرية في شبه الجزيرة العربية والبحر الأحمر خلال الحرب :**

كانت خطة الدولة العثمانية العسكرية ازاء شبه الجزيرة العربية ، وخصوصا المناطق الساحلية المطلة على البحر الأحمر ترتكز على دعامتين أساسيتين : الدعامة الاولى الوجود العسكري لها في الحجاز وعسير واليمن ، والدعامة الثانية النفوذ الديني للسلطان العثماني خليفة المسلمين وحامي حرم الحرمين الشريفين . وكل منهما يكمل الآخر فالضعف العسكري يعوضه ويدهمه النفوذ الديني .

وترتب على هذه الخطة أن سمعت الدولة جاهدة الى ضم السكاهم العرب الى جانبها باسم الدفاع عن الدين ، أو على الأقل الخيلولة دون انضمامهم الى جانب الانجليز . ولكن حبتها في الجهاد كانت ضعيفة ، لأنها اختارت الوقوف الى جانب الألمان في الحرب لتحقيق أطماعهم الاستعمارية ، ولم يكن هذا يتفق مع مبدأ الجهاد ولا مع صالح الشعوب الإسلامية الخاضعة لحكم العثمانيين .

وقد حاولت الحكومة التركية استمالة علي بن أحمد العبدلي سلطان لحج الى جانبها ، ملوحة له بالدين تارة ، وبمنحه عدن بعد خروج البريطانيين منها تارة أخرى ، ولكنها لم توفق لارتباطه بمهادنات حماية مع الانجليز ، وخصوصا بعد أن تمهدوا له بعدم المساس بالدين الإسلامي ، وباحترام الحرمين الشريفين ( ١٢ ) .

كان من مخططات العثمانيين مهاجمة عدن وجزيرة بريم ، والاستيلاء عليهما لو أمكنهم ذلك ، في نفس الوقت الذي يهاجمون فيه قناة السويس من ناحية الشرق . أي مهاجمة مدخلي البحر الأحمر في وقت واحد .

والحقيقة أن هذا التصور من قبل الأتراك كان بعيدا عن الصواب ، لأن الدولة العثمانية بقواتها المحدودة في شبه الجزيرة العربية ، والمحصنة من قبل الاسطول الانجليزي لا تستطيع البتة زحزحة أقدام البريطانيين المحصنة في عدن عن طريق البر . أما عن طريق البحر فلا يمكن التفكير فيه البتة لعدم وجود أي أثر للاسطول التركي في البحر الأحمر .

أما عن الألمان حلفاء الأتراك فكانت خطتهم التي هدفوا اليها من وراء تحركات الدولة العثمانية في شبه الجزيرة العربية ، ولا سيما على شواطئها الغربية ، أن تتخذ من تلك المناطق معبرا للوصول الى مستعمراتها في شرق (١٤) أفريقيا . ولكن تفوق القوة البحرية الانجليزية في البحر الأحمر قطع كل صلة تربط ألمانيا بمستعمراتها السالفة الذكر .

لم ينجح الأتراك في اجتذاب أحد من حكام العرب سوى ابن الرشيد . أما الامام يحيى في اليمن فقد التزم بالحياد المشوب بالمعطف على الأتراك ، وذلك لسببين : الأول وجود قوات عسكرية تركية في بلاده تبلغ ١٤ ألف (١٥) رجل . والسبب الثاني أن موقفه كزعيم مسلم يدعو الى عدم الانضمام الى عداء السلطان العثماني المسلم ، حتى لا تهتز صورته أمام أتباعه .

وحقيقة الأمر أن هذا الموقف قد أفاد الاثنين مما : السلطان العثماني والامام يحيى ، فبالنسبة للأول أدى وقوف الامام على الحياد ، واطمئنان الدولة العثمانية اليه ، الى تفرغها لمهاجمة البريطانيين في الجنوب . هذا فضلا عن المعونات والقروض التي تلقاها العثمانيون من اليمن (١٦) .

أما بالنسبة للامام فإن موقفه هذا لم يقنعه بأحد من الطرفين المتحاربين ، وبذلك لا يتحمل نتيجة الهزيمة لأي منهما . وفي نفس الوقت يعطيه الفرصة الكافية لمراقبة تطور الأحداث ، واتخاذ مايراه في صالحه .

وعلى أي حال فكل ماكان يطمح فيه الأتراك في بداية الحرب هو شغل القوات الانجليزية في عدن بالهجمات المتكررة ، ظنا منهم أن هذا العمل سيزعج حكومة الهند التركية على توجيه قواتها ، المزمع إرسالها الى قناة السويس لصعد حملة جمال باشا ، الى عدن لصعد تلك الهجمات ، وفي ذلك بعض المساعدة لتلك (١٧) الحملة .



## الاستراتيجية الانجليزية في شبه الجزيرة والبحر الأحمر :

لم يكن ميدان البحر الأحمر هو الميدان الرئيسي لبريطانيا في تلك الحرب ، فميدانها الأول الساحة الاوربية ، وفيها سيتقرر مصير الجانبين المتصارعين . كذلك فإن هذا الميدان يخلو من قوة ألمانيّا ، وهي القوة الرئيسية المعادية لبريطانيا ، فليس لألمانيّا مستعمرات أو قوات بحرية أو بحرية على سواحل هذا البحر ، وحتى لو حاولت ألمانيا انزال قوات بحرية أو بحرية لن تستطيع ذلك لوجود الاسطول البريطاني القوي الذي لا يففل من محاصرة سواحل البحر الأحمر حصارا قويا . ولكن بحكم وجود قوات تركية متمركزة على سواحل هذا البحر وعلى مقربة من مستعمرة عدن ، فإن بريطانيا اتخذت من الاجراءات ما يكفل سلامة مواقعها ، هذا فضلا عن الدفاع عن أسدقائها وحلفائها المجاورين لها . وحتى لو انتصرت في هذا الميدان فلن يكون انتصارا حاسما يقرر مصير الحرب .

وكانت خطة بريطانيا الحربية التي وضعتها لمنطقة الشرق الأدنى ترمي الى تحقيق أمرين جوهريين : الأول « أن تحتل رأس الخليج العربي فتحمي منابع الزيت ، وتمنع العدو من تأسيس مراكز بحرية تهدد المواصلات البريطانية مع الهند ، والثاني أن تحتفظ بهذه المواصلات مفتوحة عن طريق قناة السويس والبحر الأحمر » (١٨) .

وعلى ضوء هذين الاعتبارين كان تحركها المرسوم في الخليج ، وفي شبه الجزيرة العربية ، وفي البحر الأحمر .

وكان هذان الاعتباران يملكان على بريطانيا الدخول في مفاوضات مع الحكام العرب مستفلة هدامهم للدولة العثمانية ، والخلافات القائمة بينهم ، لربطهم بسياساتها ، حتى لا يكونوا جبهة متحدة ضدها . وقد أوضح تقرير جاكوب لحكومة الهند في ١٠ مارس ١٩١٦ الصعوبة الكبيرة التي تحول دون تحقيق اتحاد عربي مضاد للأتراك ، وذلك نظرا لأن « لكل رئيس عربي لعبته » (١٩) .

فمن ناحية الخليج كانت الأوضاع مستقرة بالنسبة لبريطانيا الى حد كبير ، فارتباطها بالكويت بمعامدة حماية عام ١٨٩٩ ، وكذلك مشيخات الخليج ، ثم نجاحها في عام ١٩١٥ في كسب صداقة الملك عبدالعزيز بن سعود ، كل ذلك جعلها في مركز افضل من وضع الأتراك العثمانيين في العراق .

أضيف الى ذلك أن المعاهدة الانجليزية السودية عام ١٩١٥ قد شملت حركة الأتراك داخل شبه الجزيرة العربية فلم تستطع الدولة العثمانية الاتصال بقواتها في اليمن عن طريق نجد ، لا سيما بعد اندلاع الثورة في الحجاز ، وبذلك اشتدت وطأة الحصار المفروض على القوات التركية بشبه الجزيرة (٢٠) .

ومن ناحية البحر الأحمر فقد تطلعت بريطانيا الى الشريف حسين الذي تظاهر بولائه للدولة العثمانية التي كانت تشكل في اخلاصه ، ومن ثم فقد عينت وهيب بك واليا على الحجاز للقيام بمهمة التخلص منه (٢١) . وكان البريطانيون يدركون مدى كراهية العرب للأتراك بصفة عامة والشريف حسين بصفة خاصة ، « وكثيرا ما لعبت برءوسهم فكرة استخدام الشريف حسين » (٢٢) .

وجد المسئولون الانجليز في الشريف حسين يفتهم ، وذلك لمعاربة الأتراك العثمانيين بنفس سلاحهم . فاذا كان السلطان العثماني قد أعلن الجهاد ضد بريطانيا ، فإن اعلان الشريف حسين — بما يتمتع به من مركز ديني كبير — الجهاد ضد الدولة العثمانية انما يبطل تأثير جهادها على مسلمي الامبراطورية البريطانية (٢٣) .

وقد تم لبريطانيا ماأرادت بعد اتفاقها مع الشريف حسين عام ١٩١٥ ، وعلان الجهاد في ١٠ يونيه ١٩١٦ . وكان هذا الوقت مناسباً للانجليز ، وأدى لهم خدمة كبيرة (٢٤) . وتمهد الشريف حسين باشغال نار الثورة في سوريا والحجاز وحسير واليمن في وقت واحد . وأثرت في ذلك الوقت فكرة قيام خلافة عربية في مكة المكرمة — كنوع من الحرب السياسية — ليجد فيها مسلمو الهند بديلا عن الخلافة العثمانية . وكان لجاكوب (٢٥) رأي آخر في هذا الموضوع ، فهو يقرر بأن انتقال الخلافة من السلاطين العثمانيين الى أشراف مكة ليس الحل الأمثل ، إذ سيتربط على هذه العملية حركة احياء ديني

شبيهة بما أحدثته دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من قبل ، ويخشى أن تقع الخلافة في قبضة من يستطيعون إمدادها بالقوة والميوية . ونظرا لقرب الجزيرة العربية من الهند فإن تأثير هذا الحدث سيكون خطيرا عليها . ولذا فهو يفضل بقاء الخلافة العثمانية محتضرا ، حتى ولو كانت في ظل النفوذ الروسي ، على قيامها في شبه جزيرة العرب شعلة الاسلام (٢٦) .

ويجاور الشريف حسين من ناحية الجنوب الادريسي في منطقة عسير ، وهي منطقة هامة على ساحل البحر الأحمر وتجاور اليمن من ناحية الشمال ، وتركزت أنظار المستولين البريطانيين عليه ، محاولين ضمه إلى معسكرهم ، مستغلين عداءه للأتراك من ناحية وللإمام يحيى من ناحية أخرى ، ولوجود قوات تركية كبيرة المدد في اليمن يخشى بأسها - فكسبب الادريسي بجانب الانجليز سيضع القوات التركية في اليمن بين فكي كمشاة ، أي بين عسير وعدن .

كانت معاهدة الادريسي مع بريطانيا في ٣٠ أبريل ١٩١٥ هي أول معاهدة يقددها البريطانيون مع أحد الزعماء العرب في الحرب ، وتنص على شن حرب ضد الأتراك ، والعمل على طردهم من اليمن ، وباستخدام الانجليز لجزر فرسان في الأعمال الحربية ، في مقابل تعهد بريطانيا بحماية الادريسي وبمساعده ما ديا وعسكريا ، والسماح لسفنه بحرية الملاحة في البحر الأحمر وبالاتجار مع ميناء عدن . ولكنها حذرت الادريسي من إثارة الإمام يحيى في اليمن ، حتى لا يجد نفسه مضطرا للتحالف مع الأتراك .

استفاد الادريسي من تلك المعاهدة فائدة كبيرة ، فحصل على ما يحتاج اليه من أسلحة وذخائر لدفع خطر الأتراك عن بلاده ، وفوق ذلك فقد تمتعت عسير بنوع من الرخاء نتيجة لفتح أبواب التجارة أمامها ، في نفس الوقت الذي كان يعاني فيه اليمن ضائقة اقتصادية أخذت بتلايبيه ، نتيجة الحصار الشديد والطويل على موانئه من قبل الاسطول البريطاني .

ورأى البريطانيون أن يكافئوا الادريسي نظير خدماته وإخلاصه لهم أن يبرموا معاهدة معه في ٢٢ يناير ١٩١٧ يمتدحون فيها باستيلاء الادريسي على جزر فرسان واعتبارها من ممتلكاته . ويذكر جاكوب بأن الادريسي أنزل علمه من على تلك الجزر خشية انتقام الأتراك منه بعد انتهاء الحرب ، وفي نفس الوقت تخرج من رفع العلم الانجليزي عليها حتى لا يتهم ببيعها للانجليز .

وحقيقة الأمر أن البريطانيين لم يكونوا بحاجة الى رفع علمهم عليها لأن هذا يتعارض مع المساهدة التي أبرمها مع الادريسي في ٣٠ أبريل ١٩١٥ ، إذ كانت تنص في أحد بنودها بعدم رغبة بريطانيا في التوسع في غرب شبه الجزيرة العربية ، فإذا ما أقدمت على رفع العلم ، فأنها بذلك تكون قد آتت بما يتناقض مع نصوص تلك المساهدة .

ويشكو المسؤولون البريطانيون من قلة التشيقات الحربي الذي يقوم به الادريسي في أحد تقاريرهم ، والمؤرخ في ١٠ مارس ١٩١٦ ، ويرجمون ذلك الى ترقب الادريسي لتحركات بريطانيا العسكرية في ميدان اليمن وفي غيره من الميادين ، وذلك للقيام بتحريك مدروس يحقق له مصالحه الشخصية (٢٧) .

### العمليات الحربية في شبه الجزيرة العربية وفي البحر الأحمر :

كانت المعارك التي دارت في الجزء الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية محدودة ، اذا ماقيست بهجم القوات الموجودة لدى الطرفين المتحاربين من ناحية ، وبمدة الحرب العالمية الأولى من ناحية أخرى . ومرد هذا - كما سبق أن ذكرنا - هو أن ميدان البحر الأحمر كان ميدانا ثانويا من جهة ، ولضعف القيادة التركية وتكاسلها من جهة ثانية .

تحركت بريطانيا على الجبهتين الشمالية والجنوبية - أي جبهتي مصر واليمن - في وقت واحد . فبالنسبة للجبهة الشمالية قامت بريطانيا بتميز حاميها في مصر ، وأعلنت الحماية عليها ، وقرضت الأحكام العرفية في البلاد ، وقامت بخلق الحديو عباس الثاني لنزعه التركية ، وضمت جزيرة قبرص التي تعمي مدخل القناة من الشمال . وفي فبراير ١٩١٥ نجحت في صد هجوم جمال باشا على القناة من ناحية الشرق ، وبذلك تمكنت من إبعاد الخطر عن شمالي البحر الأحمر .

أما بالنسبة للميدان الجنوبي فقد عملت على تدعيم قواتها البرية

والبحرية في منطقة عدن وفي جزيرة بريه ، واشتركت مع الانديسي في الاستيلاء على ميناء اللحية في اليمن في يونيو ١٩١٥ ، ولكنها لم تستطع الاحتفاظ به . وكان رد الفعل المضاد من جانب الأتراك ضرب معسكر « دير حسين » التابع للانديسي ونهبه والاستيلاء عليه (٢٨) .

ونظرا للحصار الشديد الذي فرض على القوات التركية في اليمن ، أن عاني الجيش والأهالي من جرم ذلك الشيء الكثير . ويذكر الواسمي في أحداث عام ١٣٣٣هـ (١٩١٤م) قوله « واشتدت الحرب العظمى ، وامتدت القطارات والبواخر البحرية ، وأصاب الناس ضرر شديد بسبب ذلك » (٢٩) . ولم يكن أمام تلك القوات للخروج من تلك الحلقة المحكمة إلا أن تدفع نحو الجنوب الى سلطنة لحج والنواحي التسع للاقامة فيها والتزود من خيراتها . وفي نفس الوقت الاقتراب من عدن وتهديدها والضغط على حاميتها . وتم لهم ذلك في يولييه ١٩١٥ . ولم تفعل محاولات بريطانية لاجراجهم منها الى أن انتهت الحرب . وقد أدى سقوط لحج في أيدي العثمانيين ، ونجاحهم في الاحتفاظ بها ، الى تدهور هيئة البريطانيين لدى أصدقائهم وحلفائهم من زعماء العرب ، كما اعترف بذلك جاكوب في تقريره (٣٠) .

ويذكر المبدي أن قائد القوات البريطانية في عدن قد قرر هجر القوات البريطانية من استرداد لحج أو الحيلولة دون سقوطها في أول الأمر ، باتساع جبهة القتال ، وبأولويات جبهات القتال المختلفة ، وباعتقاده أن جبهة فرنسا هي التي ستقرر مصير الحرب ، وليست الجبهة العربية (٣١) .

وإذا أمعنا النظر في هذا التعبير نجد أنه يشتمل على جانب كبير من الحقيقة ، زد على ذلك أن ما يمكن أخذه دون سفك دماء ، من العبث أن يراق الدم من أجله ، خصوصا عندما أعلنت الثورة في الحجاز في منتصف عام ١٩١٦ وهدت بشائرها محققة لأمال الانجليز .

ولا نجد - بعد استيلاء الأتراك على لحج - معارك ذات قيمة تذكر ، اللهم الا بعض المناوشات المتبادلة بين الجانبين .

أما جبهة الحجاز ، فما أن قام الشريف حسين بالثورة في ١٠ يونيو/ ١٩١٦ ، ممثلا الجهاد ضد الاتحاديين ، ومنتصرا لهم بالخروج على الشريفية الاسلامية ، الا وسقطت مدن الحجاز - فيما عدا المدينة المنورة - في يد قوات الشريف حسين في أقل من ثلاثة شهور . ثم اندفعت شمالا الى العقبة - بعد

أن حطمت سكة حديد الحجاز - واستولت عليها في ٦ مايو ١٩١٧ ، حيث أصبحت مركز العمليات الحربية في شرق الأردن - وأعقب ذلك استيلاء اللنبي بمساعدة العرب على مدينة القدس في ٩ ديسمبر ١٩١٧ ، وبلغ المد العربي العسكري مداه باحتلال دمشق في أول أكتوبر ١٩١٨ .

حدث هذا في شمال شبه الجزيرة العربية ، بينما نجد أن الجبهة الجنوبية في اليمن كانت هادئة . ويبدو أن الأتراك والانجليز قد قنصا بما تحت أيديهما ، انتظارا لما تسفر عنه الحرب في الميدان الأوربي . وأدى هذا الانتظار الذي استمر قرابة السنتين الأخيرتين من الحرب الى إيجاد نوع من التفاهم وتبادل المصالح في حدود ضيقة .

وعندما انهارت مقاومة دول الوسط في أوربا ، طالبت الدولة العثمانية بالهدنة ، وتم ذلك في هدنة موندروس ( ٣٠ أكتوبر ١٩١٨ ) ، وتلصق على انسحاب القوات العسكرية والإدارة المدنية من شبه الجزيرة العربية .

وخلاصة القول فقد أظهرت سياسة بريطانيا الحربية في البحر الأحمر مدى الترابط بين الجبهة العسكرية في مصر التي تقع على الباب الشمالي لهذا البحر ، والجبهة الجنوبية في عدن التي تتحكم في مدخله الجنوبي ، فعندما هاجم الجنرال اللنبي الأتراك في فلسطين ، قام في نفس الوقت بضرب ميناء الحديدة .

وقد اتضح هذا الترابط أيضا في الخطة الحربية التركية أيضا ، فعينما هاجمت قواتهم مصر بقيادة جمال باشا في عام ١٩١٥ ، قامت قواتهم في نفس الوقت في اليمن بضرب مواقع الانجليز وحلفائهم في الجنوب .

كما استطاعت بريطانيا أن تدير عملياتها العسكرية بنجاح اعتمادا على بعض الحلفاء من العرب ، وعلى قوات برية قليلة العدد جيدة العدد ، وتفوق بحري حاسم . وأثبتت تلك العمليات أن التفوق في البحر يتحكم الى حد كبير في سير المعارك في البر .

وأثبتت أيضا أن عدن رغم خضوعها من الناحيتين السياسية والعسكرية لحكومة بمباي في المقام الأول ، ولحكومة الهند في المقام الثاني ، إلا أن سير القتال قد أثبت ارتباطها بالقيادة العسكرية الانجليزية بمصر أكثر من ارتباطها بالهند .

---

ملحق بهذا المقال وثيقة يجدها القارئ في القسم الانجليزي  
من هذا العدد .

## مصادر البحث

### أولا - المصادر العربية :

- أباطة ، فاروق (دكتور) : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ١٨٣٩ - ١٩١٨ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٦ .
- أنيس ، محمد (دكتور) : الدولة المشائية والفرق العربي (١٥١٤ - ١٩١٤) ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة .
- جرانت ، أ. ج وتمبرلي ، هـ : أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٧٨٩ - ١٩٥٠ ، الجزء الثاني ، الإدارة العامة للثقافة ، القاهرة .
- الزركلي ، خير الدين : الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، دار العلم للملايين - بيروت ١٣٩١هـ/١٩٧١م .
- السروجي ، محمد محمود (دكتور) : تاريخ أوروبا الدبلوماسية من السبعينات للقرن التاسع عشر الى الحرب العالمية الأولى ، الاسكندرية ، ١٩٦٦ .
- العبدلي ، أحمد فضل : هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٥١هـ .
- العقيلي ، محمد بن أحمد هيسى : تاريخ المخلاف السليماني أو الجنوب العربي في التاريخ ، جزءان ، الجزء الثاني - دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٣٨٠هـ ١٩٦١م .
- الواسعي ، عبد الواسع بن يحيى : تاريخ اليمن المسمى فرجة الهوم والمزن في حوادث وتاريخ اليمن ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٤٦هـ .
- وهبه ، حافظ : جزيرة العرب في القرن العشرين ، المطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ١٩٤٦ .

## دوريات

- منسي ، صالح محمود (دكتور) : موقف أهل الشام من التسمية للحجاز  
إبان الحرب العالمية الأولى - مركز بحوث الشرق الأوسط بجامعة  
عين شمس ، العدد الثاني سنة ١٩٧٥ •

### ثانيا - الوثائق والمراجع الأجنبية :

- وثيقة لم تنشر بحث بها مارك سايكس من عدن إلى حكومته ، يبين فيها  
الأوضاع في شبه الجزيرة العربية في عام ١٩١٥ • وقد أرفقت بالبحث  
كملحق له : أنظر الوثيقة في نهاية الوثائق والمراجع الأجنبية

## المصادر

- ١ - محمد محمود السروجي : تاريخ أوروبا الدبلوماسية ص ٩٥ •
- ٢ - جرانت وتمبرلي : أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين ، ج ١ ، ص ٥٩ •
3. Gross Politik, vol. 38, PP. 283 - 305.
4. Langer, An Encyclopaedia of world History. P. 745.
5. Newsman, Britain & North - East Africa. P. 214.
- ٦ - الزركلي : الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ص ١٤ •
- ٧ - حافظ وهبه : جزيرة العرب في القرن العشرين ص ١٥٨ •
8. Hogarth, Arabia, P. 119.
- ٩ - فاروق أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ص ٥٤٧ •
10. Ingrams, H., The Yemen Imams, Rulers & Revolution, P. 62.
- ١١ - حافظ وهبه : المصدر السابق ص ١٧٠ •
- ١٢ - أحمد فضل المبدلي : هدية الزمن في أخبار ملوك لمح وعدن ص ٧٠٧ •
13. Lenczowski, The Middle East in World Affairs, P. 61.
- ١٤ - فاروق أباظة : المصدر السابق ص ٦٤٦ •
15. Jacob, Kings of Arabia, P. 168.
- ١٦ - المبدلي : المصدر السابق ص ٢١١ •
- ١٧ - المبدلي : المصدر السابق ص ٢١٠ ، ٢١١ •
- ١٨ - حافظ وهبه : المصدر السابق ص ١٧١ •
- ١٩ - فاروق أباظة : المصدر السابق ص ٦٣٠ •
- ٢٠ - محمد آتيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ص ٢٧٧ •



- ٢١ - حافظ وهبه : المصدر السابق ص ١٥٨ .
- ٢٢ - جرانت وتيمرلي : أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين ج٢ ، ص ٣١٠ .
- ٢٣ - صالح محمود متسي : مواقف أهل الشام من التبعية للحجاز إبان الحرب العالمية الأولى - مجلة الشرق الأوسط ، العدد الثاني ص ٧١ .
- ٢٤ - جرانت وتيمرلي : المصدر السابق ج٢ ص ٣١١ .
- ٢٥ - جاكوب كان يشغل منصب المساعد الأول للمقيم السياسي البريطاني في - عدن خلال فترة العرب .
26. F. O. 371/1486 No. 16 Secret, Mark Sykes to F. O. Aden, July 23 rd 1916 P. 89.
- ٢٧ - فاروق أياظة : المصدر السابق ص ٦٣٠ .
- ٢٨ - محمد بن أحمد عيسى العقيلي : الحقائق السليمانية أو الجنوب العربي في التاريخ ج٢ ص ١٠٩ .
- ٢٩ - عبد الواسع بن يحيى الواسعي : تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والعلل في حوادث وتاريخ اليمن ص ٣٢٩ .
- ٣٠ - فاروق أياظة : المصدر السابق ص ٦٢٨ .
- ٣١ - العبداني : المصدر السابق ص ٢٢٩ .

F. O. 371/2486 No. 16. Secret Mark Sukes to F. O., Aden,  
July 23 rd 1916 p. 89.

- Hogarth, D. G. Arabia, Clarendon Press, Oxford. 1922.
- Ingrams, H. The Yemen, Imams, Rulers and Revolutions  
London, Camelot Press, 1963.
- Jacob, Lieut, Colonel H. F., Kings of Arabia, London, Mills  
and Boon, 1923.
- Langer, W., An Encyclopaedia of World History.
- Lenczowski, G., The Middle East in the World Affairs, 3 rd.  
Cornell University Press, Ithaca. N. Y. 1962.
- Newman, Britain & North East Africa.

# أهمية البحر الأحمر كبحيرة سلام عربية

بقام  
محدث الفتح الحياط

البحر الأحمر هو قلب العالم العربي الاستراتيجي - يبدأ من قناة السويس وينتهي بباب المندب ، فإن لكلهما أهمية خاصة جعلت من البحر الأحمر محلا للتنافس الدولي لا سيما في مصر اتسم بالمواجهة النووية بين القوتين الأعظم ( الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي ) \*

وكان لزاما على دول المنطقة العربية أن تسارع بإيجاد البحر الأحمر من دائرة الصراع وجعله بحيرة سلام عربية فتمت الدول المطلة على البحر الأحمر مؤتمر قمة في مدينة تمز بالجمهورية العربية اليمنية . إلا أنه لم يتحقق بمقتضى ذلك المؤتمر الهدف المنشود لتمود بالتالي الأطماع الدولية إلى المنطقة ، وليصبح الصراع الدولي بل التواجد الدولي على مشارف هذه المنطقة .

ففي الحقيقة يعود تاريخ تلك الأطماع الى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر عندما تسلطت بريطانيا على مصر وجزيرة قبرص ، بينما فرنسا على تونس ، الا أن موقف إيطاليا كان يمثل العقبة أمام هاتين الدولتين في تحقيق أطماعهما الى أن تمكنت بريطانيا من تسوية خلافاتهما عام ١٨٩١م . فاحتلت إيطاليا كسلا عام ١٨٩٤ ، وتركت لبريطانيا مصر والسودان لأنها تدرك تماما أن مفتاح البحر الأحمر إنما تكمن في البحر الأحمر .

ومنذ هذا الوقت والدول المحيطة بالبحر الأحمر تعاني أطماعا وصراعات اشتدت بصورة واضحة بظهور التدخل الأمريكي في أسواق التجارة الشرقية في المحيط الهندي عامة والبحر الأحمر بصفة خاصة . فالأمريكيون يدركون تماما أهمية البحر الأحمر وضرورة الاستفادة من موقعه الاستراتيجي . ومن هذا المطلق ضاعفوا من نشاطهم التجاري في المحيط الهندي والبحر الأحمر ، خصوصا الجزء الجنوبي منه ، وذلك على الرغم من صدور مبدأ مونرو ، فقد فسرت الولايات المتحدة هذا المبدأ عدة تفسيرات تهدف كلها مصالحها الخاصة .

الا أن الانجليز وبفضل تسامح الثمانيين معهم نجحوا في دمج وجودهم جنوب البحر الأحمر ( ميناء منا اليمن ) وغيره من الموانئ وتأكد وجود الانجليز بصفة رسمية وواضحة عام ١٦١٨م ، حين ساعدوا الأئمة الزيديين بعد جلاء الثمانيين عنهم نهائيا عام ١٦٣٥م ، وكذلك بإنشاء وكالات تجارية لهم في الموانئ اليمنية .

وبدأت شركة الهند الشرقية البريطانية في دمج سياستها وتنظيم تجارتها مع الموانئ اليمنية ، وكان أبرز الاقتصاديين البريطانيين في هذا المجال الدكتور برنجل Pringle الذي كان يعمل في بومباي فأقام في منا عام ١٨٠٠م حيث تمكن بالهدايا والعطايا أن يكتسب عطف أمام صنعم ، وأن يستصدر له ما أراد من الأوامر والتسهيلات حتى تتمكن السفن الانجليزية من ممارسة نشاطها بسهولة .

ومما ضاعف اهتمام الانجليز بالتجارة مع اليمن ظهور المنافسة الأمريكية وحصولها على كميات من البن بأسعار أفضل من أسعار شركة الهند الشرقية البريطانية .

وفي عام ١٨٠٢ عينت الحكومة البريطانية السير هوم مندوبها لها في الجزيرة العربية ومنحته صلاحيات واسعة ، وتمكن بعد ذلك من اقتناع السلطان أحمد بن عبد الكريم المبدلي سلطان نجح وهدن بمقد معاهدة للمصادقة والتجارة في السادس من شهر سبتمبر ١٨٠٢ . وبمقتضاها أصبح ميناء عدن مفتوحا لاستقبال البضائع التي تحملها السفن الانجليزية نظير دفع ضرائب جمركية ٢٪ لمدة عشر سنوات . وفي الحق لقد كان للمعاهدة نصوص عديدة في التدخل البريطاني في شئون عدن والدخل الجنسوبي للبحر الأحمر .

لقد تتابع الدارسون والمحللون من الانجليز واقتنموا بضرورة الوجود العسكري في البحر الأحمر ، وكانت شركة الهند الشرقية ووزارة الخارجية البريطانية تتابعان الأحداث وتوليان المنطقة اهتماماتهما .

ومن ناحية أخرى بدأت الحكومة الأمريكية تساند التجار الأمريكيين في جهودهم ومنافستهم للتجار الانجليز . ثم عقدت أمريكا معاهدة مع سلطان مسقط وزنجبار عام ١٨٣٣ وبعد أربع سنوات احتلت بريطانيا عدن في ١٩ يناير ١٨٣٩ واتخذتها محطة لتزويد البواخر الانجليزية بالقمح على طريق المواصلات البريطانية البحرية بين بومباي والسويس ، هذا فضلا عن أن بريطانيا كانت ترمي الى اجتذاب تجارة البن اليمني من ميناء مغا والسيطرة عليه تماما .

واشتد التنافس بين التجار الأمريكيين والبريطانيين ، واهتم هؤلاء الآخرون بعدن فازداد توافد المهاجرين اليها وتطورت المدينة بشكل ملحوظ نتيجة لانماض حالتها التجارية ، بينما فشل المشائون ( في تهامة ) في محاولاتهم للسيطرة على مناطق انتاج البن لتحويل تصديره الى مغا والمديدة بدلا من عدن . وكان مرد هذا الفشل موقف قبائل الزيدية ازام السيطرة المشائية على بلادهم ، ونتيجة لذلك أصيبت مدينة مغا بالغمول والكساد ، وافتح الانجليز في كسر احتكار الأمريكيين لتجارة البن اليمني .

وهكذا نلاحظ أن جنوب البحر الأحمر كان هدفا لمطامع استثمارية قادتها أمريكا وبريطانيا طمعا في استغلال ثرواته الاقتصادية وأهميته الاستراتيجية . فالجانب الاقتصادي يحتل الأهمية الثانية بعد الأهمية الاستراتيجية حيث تضم منطقة البحر الأحمر مختلف الثروات الاقتصادية .

الا أن عدم توفر الوسائل التكنولوجية لاستغلال إمكاناته تجعل أغلب الدول المحيطة به تقف مكتوفة الأيدي أمام استغلال هذه الثروات . ولقد مير من هذه الحقيقة العالم العربي الدكتور فاروق الباز حينما قال : « ان منطقة البحر الأحمر هي الأكثر جاذبية لكاميرات الأقمار الصناعية » .

وقد يفرض ذلك علينا ضرورة وضع سياسة عربية حكيمة لاستغلال طاقاته الاقتصادية ، فلجنة البحر الأحمر والتي تتولى مهام استكشاف مكوناته من الثروات الدفينة يطلب عليها الطابع الروتيني . فقد استماتت هذه اللجنة بخبراء من فرنسا وأثمرت جهود العلماء الفرنسيين عن اكتشاف أكثر من عشرين منطقة عميقة في البحر الأحمر تغطيها رواسب معدنية عديدة وهامة من أهمها منطقة أطلنتيس - ٢ في مواجهة ميناء جدة بالمملكة العربية السعودية ، حيث قرر الخبراء وجود حوالي ٨٥٠ مليون طن من المواد المعدنية يبلغ سمك طبقتها حوالي ١١ مترا وتنتشر على رقعة مساحتها ٦٠ كيلومترا مربعا .

وإذا كان هذا ما توصلت إليه فرق العمل الفرنسية فان المستقبل يبشر بالخير ، وهذا يفرض بدوره على الدول المحيطة به أن تنتبه جيدا الى هؤلاء الذين ينادون بحرية الملاحة فيه ( كشماع يخفون من ورائه مطامعهم ، فيمكن للدول المحيطة أن تنشئ مؤسسة عربية للملاحة تشرف عليه وتنظم شؤونه وتوفر له كل الدراسات التي تجعل منه بحيرة سلام ورخاء عربية .

ولا أنكر جهود مؤسسات الجامعة العربية التي قطعت شوطا كبيرا في هذا المجال الا أنني أود ألا تكون هذه الجهود متعثلة فقط في لقاءات للمتخصصين ومؤتمرات تنتهي بقرارات وتوصيات بعيدة عن التنفيذ .

فالمرحلة الحالية تتطلب ضرورة أن نواجه الموقف بمعمل عربي جماعي يؤكد حقيقة أن يكون البحر الأحمر بحيرة سلام ومصدر رخاء للعرب .

محمد أبو الفتوح الحياط

النشاط التجاري

في البحر الأحمر

في العصر العثماني

١٥١٧ - ١٧٩٨ م

للكاتب عبد الرحيم عبد الرحيم

كلية الانسانيات - جامعة قطر

## تمهيد :

منذ اقدم العصور والبحر الاحمر يعد شرياننا حيويا للمواصلات ووسيلة للتبادل التجاري والحضاري بين البلدان المحيطة به من جانب ، وبينها وبين البلدان الاخرى من جانب آخر .

ومع اتساع نطاق التبادل التجاري خارج النطاق المحيط به وبخاصة بين الشرق والغرب ازدادت أهمية هذا البحر وتطلعت الدول التجارية للسيطرة عليه كطريق حيوي لنشاطها التجاري الذي أصبح يمثل عصب حياتها الاقتصادية فاهتمت في بادئ الامر المدن الايطالية التي كانت تحتكر نقل المتاجر الشرقية الى اوربا وأصبح للجاليات الايطالية وكائلها ومخازنها على سواحل هذا البحر وبخاصة في السويس والمدن المصرية الاخرى ونشطت الحركة التجارية في البحر الاحمر وموانيه وتبذلت السلع الهندية والمصرية واليمنية بين بلدان البحر الاحمر المختلفة وزاد من نشاط هذه الحركة التجارية أن التجار الاوربيين عملوا على نقل هذه التجارات الى بلادهم وترويجها نظرا لما أصبحت تدره عليهم من ربح وفير (١) . ولكن منذ أواخر القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر - أي قبيل دخول العثمانيين منطقة الشرق العربي - جئت على الموقف عوامل عالمية ومحلية أدت الى اصابة هذا النشاط بشيء من التدهور منها : -

اولا - نجاح البرتغاليين في اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح وتحويل النشاط التجاري الى هذا الطريق على يد قوى أوروبية أخرى غير المدن الايطالية ومحاولة البرتغاليين محاصرة القوى التجارية العربية والقضاء عليها .

ثانيا - تمسك الامراء الماليك ونوابهم في موانئ البحر الاحمر وبخاصة بعد وصول البرتغاليين الى المياه العربية فيذكر لنا ابن اياس في معرض حديثه عن موانئ السلطان الغوري أن نائبه في جدة والذي كان يدهى حسينا كان يأخذ المهر من تجار الهند المثل عشرة أمثال فامتنع



التجار من دخول بندر جدة وأل أمره الى الحراب وعز وجود الشاشات من مصر والارز والاقطاع وأحرب البندر (٢) وترتب على ذلك بطبيعة الحال عدم وصول السلع التجارية الى الموانئ المصرية الاخرى التي كان التجار الاوربيون يأخذون منها هذه السلع وينقلونها الى أوروبا مما أثر على احوال مصر الاقتصادية فغرب كذلك بندر الاسكندرية وبندر دمياط فامتدت تجار الفرنج من الدخول الى تلك البنادر من كثرة الظلم وعز وجود الأصناف التي كانت تجلب من بلاد الفرنج كما تعرض التجار لكثير من المظالم وكثرة الضرائب ومصادرة أموالهم ولم يفتحه من أعيان التجار أحد حتى صادره وأخذ أمواله ولاسيما ما جرى على الشيرازي والحليبي التاجر وغيره من أعيان التجار (٣) ولا شك أن ذلك كان نتيجة حتمية لما أصاب النشاط التجاري في البحر من تدهور نتيجة لتحول طريق التجارة العالمية جزئيا الى طريق رأسن أكرجام الصالح ومعاصرة البرتغاليين للسواحل العربية ومداخل البحر الأحمر (٤) وإن لم يقف الممالك مكتوفي الأيدي ازام هذا الخطر البرتغالي وتهديده للاقتصاد دولتهم ولذا بدأ الصراع المملوكي البرتغالي حول البحر الأحمر والسيطرة عليه لأهميته الاقتصادية والاستراتيجية .

### الصراع المملوكي البرتغالي حول البحر الأحمر :

بدأ هذا الصراع منذ وصول البرتغاليين الى البحار الشرقية حيث عمل كل طرف على الاستيلاء وأمر سفن تجار الطرف الآخر - بل عمل كل فريق على العبث وإتلاف وإفساد ثروات الفريق الآخر - وعادت هذه الأعمال العدائية من جانب الطرفين بالمسيرة الشديدة على موانئ البحر الأحمر وبخاصة موانئ عدن ومخا وجدة حيث تذكر المصادر المعاصرة وكثرة الاشاعات بفساد الافرنج وتمبثهم على التجار وقد حاصروا حول بندر جدة (٥) .

وقد قامت سياسة البرتغاليين في حقيقة الأمر منذ تلك الفترة على أساس القضاء على كل نفوذ تجاري للتجار العرب في البحار الشرقية ومن هنا كانت مطاردتهم للسفن العربية واغراقها والعمل على طرد العرب من المراكز التجارية الهندية والافريقية منذ وصول فاسكو داجاما الى هذه البحار

حيث قام أثناء رحلته الثانية سنة ١٥٠٢ بإرسال حملة مكونة من خمس سفن حربية للاقامة الدائمة عند مدخل البحر الأحمر (٦) والعمل على مهاجمة السفن العربية ومنعها من مزاولة النشاط التجاري في مياه المحيط الهندي إلا بتصريح من البرتغاليين وفعلاً تمكن قائد هذه الحملة البرتغالية من القيام ببعض الأعمال العدائية ضد السفن التجارية العربية كما تمكن من أمر بعض البحارة العرب (٧) وقد ازدادت حدة الصراع البرتغالي شدة حينما وصل إلى المياه الشرقية البوكر سنة ١٥٠٦م الذي شدد من فرض الحصار البحري المفروض على البحار العربية ومدخلها مما أضر ضرراً فادحاً باقتصاد كل من مصر واليمن والبنديقية (٨) التي كانت تسعى جادة في تلك الآونة على مقاومة الخطر البرتغالي عن طريق حث السلطان الغوري على النهوض لمقاومة العدو المشترك ورغم سوء الظروف الداخلية التي كانت تعيق بالسلطان الغوري فإن خطته كانت قائمة آنذاك على تقوية نفوذه في أقاليم البحر الأحمر وتحصين سواحله إدراكاً منه لأهمية البحر الاقتصادية والاستراتيجية بالنسبة لملكه في مصر والحجاز ولذا فإنه أرسل في ٦ جمادى آخر ٩١١هـ - ٤ نوفمبر ١٥٠٥م حملة بحرية تحت قيادة حسين الكردي من ميناء السويس ووجهتها الهند على أن تشمل في نفس الوقت على تحصين ميناء جدة استعداداً لمواجهة أي خطر برتغالي في المستقبل لمهاجمة الأماكن المقدسة ولذا فإن الحملة زودت بالفنيين اللازمين للقيام بهذه التحصينات وقد أقام هؤلاء الفنيون فعلاً بعض الاستحكامات في هذا الميناء ثم اتجهت الحملة إلى موانئ اليمن الواقعة على البحر الأحمر مثل تمر بجيزان وجزيرة كمران ثم اتجهت إلى مخا فعدن حيث ذكر الأمير الكردي قائد الحملة لحاكم عدن الطاهري أن الحملة تهدف الهند لمحاربة البرتغاليين فأمدّه حاكم عدن بما يشاء من طعام ومؤن ومع أن الحملة تمكنت حينما وصلت إلى ( دهو ) من التحالف مع بعض الإمارات الهندية وأحراز انتصارات جزئية على القوى البرتغالية إلا أن الهزيمة حلت بها في النهاية ولم تحقق الهدف المرجو منها (٩) ومنذ تلك الآونة وازداد اقتراب الخطر البرتغالي إلى مدخل البحر الأحمر وخاصة بعد الحملة التي أرسلها السلطان اليمني عامر بن عبد الوهاب ٢٧ شوال ٩١٢هـ - ١١ مارس ١٥٠٧م لمحاربة البرتغاليين في الهند ولم تتمكن من إصابة هدفها كما أن الوضع السيئ الذي كان يمر به السلطان عامر لم يمكنه من معاودة إرسال حملة أخرى (١٠) فازدادت جراءة البرتغاليين على الاقتراب من السواحل العربية فتتمكنت حملة برتغالية تحت قيادة البوكر من احتلال جزيرة ( سقطرة ) قريباً من مدخل البحر الأحمر هادفة إهلاك

هذا البحر أمام التجار العرب كما تمكن البوكريك أثناء تواجدده في المياه المربية من القيام ببعض الأعمال التخريبية في المنطقة المستدة من مدخل البحر الأحمر وحتى جزيرة ( هرمز ) وفي تلك الأثناء حدث اتصال بين الحبشة والبرتغال بهدف إيجاد جهة متحدة بين القوتين ضد المسلمين وبخاصة على الممالك في مصر واستطاع البوكريك بناء على المعلومات التي توفرت لديه من الرسول الحبشي الذي أرسله الى ملك البرتغال من مهاجمة زيلع أثناء حملته على عدن والبحر الأحمر ١٥١٣م التي كان يهدف من ورائها الى السيطرة على عدن وخلق المنافذ المربية البحرية لأنه أدرك أن القدر من التجارة الشرقية التي تصل الى أوروبا يتبع طريق البحر الأحمر ولأن عدن كانت تمثل أكبر مستودع تجاري في المنطقة ولذا فإنه حمل كل جهده للسيطرة عليها من أجل تأمين طريق البرتغال الجديد أي طريق رأس الرجاء الصالح ، وفعلًا تمكن من الاستيلاء عليها والقيام ببعض الأعمال التخريبية بها وأحرق كثيرا من السفن الراسية بمينائها ، كما وجه جهده بعد ذلك للاستيلاء على جزيرة كمران لأنها كانت تمثل محطة بحرية هامة بين جدة وعدن وتمكن منها في أوائل صفر ٩١٩هـ - أبريل ١٥١٣م (١١) ولكنه لم يستطع أن يصل الى جدة لقسوة الأحوال الطبيعية فاضطر الى العودة الى كمران مرة ثانية ، وقد حدد هذا النشاط البرتغالي العدائي بلدان البحر الأحمر ، اليمن ، الحجاز ، مصر . وكان البرتغاليون يهدفون من وراء غزو البحر الأحمر القضاء على النفوذ العربي البحري والتجاري . وتمكنوا طبقا لما تذكره المصادر من جمع قدر كبير من المعلومات عن هذا البحر وحركة التجارة به وعجزت كل من مصر واليمن عن صد هذا الخطر الذي هدده شرهاؤها التجاري وأدى الى اضمحلال اقتصاديات كل منهما (١٢) .

وكما حدث اتصال من أجل التنسيق بين القوى المسيحية في الحبشة والبرتغال ضد القوى الاسلامية فإن فكرة التعاون بين القوى الاسلامية ظهرت في تلك الأثناء وتم الاتصال بين السلطان الفوري الملوكي وبين السلطان بيلازين الثاني العثماني (١٤٨١ - ١٥١٢م) لمواجهة الخطر البرتغالي في البحر الأحمر وفعلًا ظهر البحارة العثمانيون في السويس واشتركوا في الحملة التي أرسلها السلطان الفوري الى جنوب البحر الأحمر تحت قيادة سلمان الرئيس الذي اشتهر باسم سلمان الرومي وكان هدف الحملة قتل البحر الأحمر أمام البرتغاليين واتخاذ عدن قاعدة لمواجهة هذا الخطر (١٣) وهي نفس الخطة التي اتبعها العثمانيون فيما بعد في هذا البحر ولكن لم يتقدر لهذا

التعاون الاسلامي أن يستمر فبدأ الصدام بين القوتين الاسلاميتين : المماليك في مصر وبلاد الشام والحجاز والعثمانيين وانتهى الصدام بسقوط دولة المماليك وتولى زمام الامور في المنطقة للمماليك ووضع على ماتقهم مسئولية مواجهة الخطر البرتغالي في البحر الأحمر وحماية النشاط التجاري به والمحافظة عليه كبحيرة اسلامية -

### العثمانيون والنشاط التجاري في البحر الأحمر :

منذ ٩٢٣هـ - ١٥١٧م أصبحت مسئولية حماية البحر الأحمر وسواحه تقع على عاتق العثمانيين وكان عليهم مراقبة الأطماع البرتغالية في هذا البحر ومداخله ولذا فإن مرحلة جديدة من التنافس حول هذا البحر وممارسة النشاط التجاري فيه بدأت منذ ذلك الوقت وبذل العثمانيون جهدا كبيرا للحفاظ عليه كبحيرة اسلامية وتركيز النشاط التجاري على القوى الاسلامية وبخاصة على يد التجار العرب وإن اتسمت خطواتهم الاولى كما هو واضح من استقراء الأحداث التاريخية بالضعف حيث أننا نجد أن الحملات البرتغالية استمرت وبشدة وضراوة على سواحل البحر الأحمر في أعوام ١٥٢٠ ، ١٥٣٣ بالتعاون مع العبيشة هادفة بالدرجة الاولى الى ضرب التجارة العربية وشل النشاط التجاري العربي عن طريق تطويق العالم العربي من الجنوب عن طريق ايجاد سياج مسيحي قوي ينشر المسيحية في مرسوم ودهلك وزيلع وجميع جزر البحر الأحمر . ومن أجل تحقيق هذه الأهداف استعانت البرتغاليون في صراعهم للسيطرة على البحر الأحمر بعامة ومداخله الجنوبية بخاصة ففي سنة ١٥٢٥ تعرضت عدن لحصار برتغالي وضربت بالدافع وفي فبراير سنة ١٥٣٠ تمكن ( دي سلفيرا ) من فرض معاهدة على عدن . نصت على أن تدفع عدن جزية سنوية للبرتغاليين نظير اعتراف البرتغاليين بحرية الملاحة للمدنيين بشرط عدم توجه سفنهم الى جدة كنوع من فرض الحصار على هذا الميناء الاسلامي الهام (١٤) ولكن هذه المعاهدة في الواقع لم توضع موضع التنفيذ لأن عدن أدركت أنه لا بد من الصمود من أجل بقائها والمحافظة على استقلالها وخاصة وأنها فقدت كثيرا من مقوماتها نتيجة للحصار البحري الذي ضرب حولها (١٥) .

ومنذ ١٥٣٨ بدأ اهتمام العثمانيين بالبحر الأحمر وكمحلة أولى في هذا الميدان بدأت محاولاتهم لاختضاع اليمن لنفوذهم تقديرا منهم لأهمية اليمن الاستراتيجية في صراهم ضد البرتغاليين وبدأت جهودهم في ميدان البحر الأحمر فكانت حملة سليمان باشا الغام سنة ١٥٣٨م الذي تمكن بعد عمليات حربية وبعد اتصالات جرت بينه وبين الامراء الحاكمين في جهات البحر الأحمر وبخاصة أمراء الساحل اليمني من الوصول الى عدن والاستيلاء على الميناء ثم هدر بحاكمها عامر بن داود وبعض أتباعه ممن أساء الى سمعته لدى القوى الاسلامية على السواحل العربية والهندية ومع أنه قد تمكن من الوصول الى (ديو) ومحاصرة قلعتها وتهديد القوة البرتغالية الا أنه لم يتمكن من تحقيق أهدافه فاضطر الى العودة الى المياه العربية فوصل الى ميناء الشحر اليمني واستولى على حضرموت ثم اتجه الى عدن وأبحر منها الى ميناء المخا حيث أنزل قواته الى البر استعدادا لاختضاع المالكي في زبيد للسيطرة العثمانية وتوكيد هذه السيطرة على سواحل البحر الأحمر والاعتراف على النشاط التجاري فيه ولكن يبدو أن سوء تصرفه في عدن أساء اليه بشكل حاد مما جعله يقتل في هذا السبيل فعاد أدراجه الى مصر . دون أن يحقق الأهداف الرئيسية التي كان يقصدها السلطان في حملته وأن نجح في الاستيلاء على عدن وحده بعض الشيء من الخطر البرتغالي (١٦) وفي سنة ١٥٥٧ تمكن العثمانيون من الاستيلاء على سواكن ومصروع وتم التحالف بينهم وبين ملك الحبشة فاسيليداس Fasildas على أساس اطلاق الموانئ الحبشية في وجه البرتغاليين (١٧) والعقيقة أنه منذ سنة ١٥٥٤ يشتمر الباحث في تاريخ الفترة أن أهمية اليمن لدى العثمانيين تعددت بالدفاع عن البحر الأحمر وممارسة النشاط التجاري فيه وفي موانئه خاصة وأن العثمانيين كانوا قد نجحوا في فرض تقليد جديد يقضي بمنع دخول المراكب المسيحية في البحر الأحمر بحجة أنه يطل على الأماكن المقدسة للمسلمين في الحجاز وهو التقليد الذي ظلت الدولة العثمانية متمسكة به حتى أواخر القرن الثامن عشر (١٨) ومنذ أواخر القرن السادس عشر بدأت قوى دولية أخرى تتدخل حلبة الصراع حول المنافسة التجارية في هذا البحر واقامة علاقات تجارية مع موانئه والاهتمام به كطريق تجاري عالمي .

فقد بدأ التطلع البريطاني اليه منذ تلك الفترة وبدأ خطواته العلمية منذ ١٦٠٩م فقد وصل الكابتن شاربي Alexander sharpey الى حشدن بهدف اقامة علاقات تجارية مع الجزيرة العربية ورغم فشل مهمة شاربي

لموقف السلطات العثمانية في عدن منها . فان شركة الهند الشرقية أرسلت في العام التالي سير هنري ميدلتون Middleton على رأس بعثة تجارية الى البحر الأحمر فزار عدن ثم اتجه الى المخا الا أن هذه البعثة هوجمت في المخا من جانب بعض الأتراك وقتل بعض أفرادها وقوبلت هذه البعثة بالاستنكار من جانب السلطات الحاكمة في صنعاء التي أبدت دهشتها لجرأة المسيحيين ومحاولة اقتراحهم من شبيه الجزيرة العربية ومن المدن المقدسة (٢٠) .

وفي سنة ١٦١٢م جاءت الى المخا بعثة بريطانية أخرى بقيادة الكاتب ساريس John saris الذي استقبله حاكم المخا استقبالا حسنا وفي تلك الأثناء صدرت تعليمات باشا اليمن بالسماح للأجانب بالتجارة بحرية على الشاطئ اليمني ومع السفن الهندية وأنه مسموح لهم كذلك بشراء أي شيء يرغبون فيه من المخا (٢١) .

ومن الملاحظ أنه في نفس الفترة التي ازداد فيها النشاط البريطاني في البحر الأحمر ، دخل حلبة الصراع حول المنافسة التجارية في البحر الأحمر والتوغل فيه ومحاولة إقامة الوكالات التجارية ، الهولنديون ، ففي عام ١٩١٤ وصلت بعثة هولندية بقيادة ( فان دي بروك ) Vande Broek بقصد جميع المعلومات حول طبيعة التجارة في موانئ البحر الأحمر وأبلغ ( فان دي بروك ) حاكم عدن بأن لديه تصريحاً من الصدر الأعظم يعطيه حق التجارة في جميع أنحاء السلطنة العثمانية ومع أن حاكم عدن استقبله استقبالا حسنا الا أنه أشار عليه بأن يفادر الميناء لأن التجار المقيمين فيها اعتبروا وجوده هناك خطرا عليهم (٢٢) فاتجه صوب الشحر وأقام هناك وكالة هولندية وفي سنة ١٦١٦ وصل الى المخا واستقبله حاكمها استقبالا وديا ووافق على إقامة وكالة هولندية في المدينة كما تم الاتفاق على أن تكون ضرائب الجمارك بنسبة ٣٪ ولكن باشا صنعاء رفض الموافقة على إقامة وكالة تجارية هولندية بالمخا بحجة أن مثل هذه الموافقة لا تكون الا من السلطان نفسه مبدئيا تخوفه من توغل الهولنديين الى المدن المقدسة نفسها ولأن حصول الهولنديين على مثل هذا الحق يثير حفيظة غيرهم من التجار الفرس والهنود الذين كان يطلب منهم دفع نسبة قد تصل الى ١٦٪ (٢٣) ولذا فانتا نجد أن فان دي بروك بعد أن وضعت هذه العقبات أمام إقامته وكالة تجارية هولندية في المخا اضطر الى تركيز بعثته التجارية في الشحر وانسحب عائدا الى الهند . وهكذا نجد أن النشاط التجاري الهولندي انغل

من البحر قاعدة له ولم يحاول التدخل في صراع أكثر من هذا حول التوفيل  
في البحر الأحمر وإقامة وكالات تجارية في موانئه .

أما الانجليز فقد استمروا في محاولاتهم حتى استطاعوا في سنة ١٦١٨  
في الحصول على تصريح باقامة وكالة تجارية لهم في المغا فقد وصل الكابتن  
شيلنج *shilling* الى المغا واستقبله حاكمها رجب أبا وأعلمه أنه  
يوجد تصريح من حاكم اليمن يسمح للانجليز بمقتضاء بالتجارة بحرية في  
في المغا ويتشيد وكالة لهم هناك ويحدد ضرائب الاستيراد والتصدير  
بنسبة ٣٪ تدفع نقدا أو عينا (٢٤) وبذلك بدأ الانجليز يراولون نشاطهم  
التجاري في الجزء الجنوبي من البحر الأحمر بحرية تامة وصاروا هم القوة  
الأوربية الوحيدة التي لها حق التجارة حتى ميناء المغا .

ومنذ سنة ١٧٠٨ وفي غيبة النفوذ العثماني من اليمن وفي عهد الدولة  
القاسمية الزيدية بدأ التطلع الفرنسي الى المشاركة في النشاط التجاري  
في البحر الأحمر حيث وصلت بعثة فرنسية الى عدن بقيادة دي مرفيل  
*De Merveille* ثم اتجهت الى المغا فوصلت اليها في ٣ يناير سنة ١٧٠٩ م  
وتمكنت هذه البعثة من عقد اتفاقية تجارية مع حاكم المغا (الدولة) نيابة  
عن الامام المهدي حصلت بمقتضى هذه الاتفاقية على حق اقامة وكالة تجارية  
في المغا ، وأن تكون الضرائب الجمركية على البضائع المباعة بنسبة ٣٪ وأن  
يرفع العلم الفرنسي على الوكالة ، شريطة أن يعود التجار الفرنسيون الى  
سفنهم ليلا - واستمر النشاط الفرنسي التجاري في سبيله فوجد سنة ١٧١١ م  
بعثة فرنسية أخرى بقيادة دي لاند *De la lande* تصل الى ميناء  
البحر الأحمر وفي تلك الفترة تزداد غفيرة السلطات العثمانية من النشاط  
الأوربي التجاري في البحر الأحمر فتبدأ تعذر السلطات المحلية من خطورة  
هذا النشاط فترسل رسولا عثمانيا الى امام اليمن يحذره من خطر الاستمرار  
في التجارة مباشرة مع الأوروبيين ويطلبه بأن يقتصر تصدير البن اليمني على  
مصر ولكن امام اليمن لم يستجب لهذه الدعوة العثمانية التي كان فيها  
ولا شك اضرار باقتصاده وفرض عزلة دولية عليه ومن هنا كان رفضه لهذه  
الدعوة واستمر في علاقاته مع القوى الأوروبية واستمرت العلاقات الفرنسية  
اليمنية تسير في طريقها الطبيعي حتى سنة ١٧٣٨ حينما حدثت أزمة بين  
حاكم المغا (الدولة) وبين الشركة الفرنسية التي أرسلت سفينة حربية  
ضربت الميناء ضربا مؤثرا تم على اثره توقيع معاهدة بين الشركة وبين حاكم

المخا ( انتصت الضرائب الجمركية بمقتضاها من ٣٪ الى ٢٪ ) ( ٢٥ ) ولا شك أن النشاط التجاري الأوروبي كان له أقدامه الثابتة على سواحل البحر الأحمر الجنوبية في النصف الأول من القرن الثامن عشر عن طريق الوكالات التجارية المتناثرة في موانئ هذا البحر وبدأ يسمى إلى الوصول إلى أقصى الشمال وهذا ماسوف يحقق في النصف الثاني من القرن الثامن عشر كما سنرى .

وقد حاولت قوى أوروبية أخرى في النصف الثاني من القرن الثامن عشر أن تدخل حلبة الصراع حول المنافسة التجارية في البحر الأحمر واتخاذ طريقا تجاريا مثل الدنمرك التي أرسل ملكها سنة ١٧٦٢ بعثة علمية برئاسة نيبور Neibur بهدف دراسة الجزيرة العربية بصفة عامة واليمن بصفة خاصة ووصلت إلى المخا في ٥ أغسطس سنة ١٧٦٣ وسمح لها بمناقشة أمام اليمن في صنعاء في كثير من الأمور من بينها الأمور التجارية ثم غادرت اليمن ( ٢٦ ) .

والواقع أن أثر هذه المنافسة التجارية قد انعكس على السوق المحلية والنشاط التجاري في بلدان حوض هذا البحر بصفة عامة ومصر بصفة خاصة فمثلا نجد أن شركة الهند الانجليزية بعد أن كان اهتمامها بالسوق المصرية قد قل نجد أنها عادت منذ أواخر القرن السابع عشر إلى الاهتمام بهذه السوق بهدف تحدي فرنسا ومنافستها في التجارة الشرقية فعينت لها في سنة ١٦٩٧ قنصلا بالقاهرة ووكيلا بالاسكندرية وأصدر السلطان مصطفى الثاني خطا شريفا بأن يتمتع التجار الانجليز بمصر بنفس الامتيازات التي يتمتع بها الفرنسيون وأهمها أن لا يدفعوا أكثر من ٣٪ رسما على ما يستوردونه لمصر ( ٢٧ ) وكان التجار الانجليز في ذلك الوقت يصدرون من مصر مقادير لا بأس بها من العقاقير والمطوور والجلود والتعمر والسكر والسجاد والتبغ وريش النعام والصنغ ويستوردون الزجاج والمعادن والأقمشة الصوفية من (الموخ) خاصة ( ٢٨ ) والحقيقة التي يصل إليها الباحث أن الوقائع تظهر أنه رغم هذا النشاط الانجليزي في السوق المحلية المصرية كمرکز لتصريف المنتجات الشرقية التي تصل إليها عن طريق البحر الأحمر فإن التفوق بدأ واضحا للتجار الفرنسيين الذين بلغ عددهم في القاهرة وحدها سنة ١٧٠٢ خمسين تاجرا فرنسيا كما كانت لهم منشآتهم التجارية بالاسكندرية ورشيد ( ٢٩ ) وأن بدأ واضحا أن الاهتمام الانجليزي بمصر



وبطريق البحر الأحمر التجاري قد ازداد بعد صلح باريس سنة ١٧٦٣ والهدف واضح وهو الربط بين مصر والامبراطورية البريطانية بالهند وما شجع على سلوك هذا السبيل أن السلطات العثمانية كانت قد وافقت في تلك الفترة على السماح للسفن الأوروبية أن تصل الى جدة نتيجة لمسامحي شريف مكة الذي كانت الرسوم الجمركية التي يدفعها التجار تشكل قدرا كبيرا من دخله (٣٠) هذا من جانب ومن جانب آخر فإن القسوى المحلية الحاكمة في بلدان حوض البحر الأحمر سواء الأشراف في مكة أو المالك في مصر أو الأتمة في اليمن بدأت تعمل على تشجيع الحركة التجارية في البحر الأحمر وموانئه الواقعة في حوزتها بقصد الاستفادة من الرسوم الجمركية التي تجبى على التاجر في جمارك هذه الموانئ وقد بدأ تشجيع هذا النشاط على أشده في مصر منذ عهد علي بك الكبير ثم محمد بك أبو الذهب الذي عقد اتفاقية مع الانجليز عن طريق الرحالة الاسكتلندي بروس ( لتشجيع حركة التجارة بين مصر والهند وتعدد الرسوم الجمركية التي تدفع في الموانئ المصرية ) (٣١) وحاولت السلطات العثمانية أن تعد من نشاط السلطات المحلية في هذا الميدان وأن تقف في وجه النشاط التجاري في هذا البحر ولكن دون جدوى فمع أن السلطان العثماني أصر على عدم إبحار السفن الأوروبية شمال جدة وذكر السلطات الحاكمة في مصر - بما فعله الانجليز في الهند حيث أتوا إليها كتجار ثم تحولوا الى مستعمرين وحكام (٣٢) الا أن هذه التحذيرات العثمانية لم تستطع أن توقف هذا النشاط الدولي حول ممارسة حرية التجارة في البحر الأحمر - فقد تمكنت عدة سفن انجليزية من الوصول الى الموانئ المصرية مثل السويس - القصير - الطور في الفترة من ١٧٧٥ - ١٧٧٩ - كما شهدت هذه الفترة نشاطا فرنسيا مماثلا فقد تمكن الفرنسيون من عقد اتفاقية مع مراد بك سنة ١٧٨٥ حين بحقضاها جورج بلودين قنصلا لفرنسيا في مصر (٣٣) - وذلك بهدف احياء طريق البحر الأحمر التجاري وتنشيط التجارة فيه وقد اتفق على تشجيع وصول السفن الفرنسية والمتاجر الفرنسية الى السويس كما اتفق على تحديد الرسوم الجمركية وحماية الفرنسيين في الأراضي المصرية .

## تجارة البحر الأحمر والنشاط التجاري في السوق المحلية المصرية :

وإذا ما انتقلنا الى الحديث عن النشاط التجاري في الأسواق المحلية المصرية وارتباط هذا النشاط بالحركة التجارية في البحر الأحمر فإن الوثائق المتوفرة تثبت أن العمل التجاري في السوق المحلية قد نشط وبدرجة كبيرة خلال العصر العثماني وانتشرت الوكالات التجارية المتخصصة بالتجارة في بعض السلع المستوردة من طريق موانئ البحر الأحمر في كل أحياء القاهرة (٣٤) وأصبحت مصر مركزا لتصريف السلع التي ترد من الهند والشرق الأقصى واليمن والصومال الى بلدان المغرب العربي وبلاد الشام وبعض البلدان الأوروبية وترتب على هذا النشاط كثير من التغيرات التي أصابت المجتمع المصري في القرن الثامن عشر وبخاصة في المجالين الاقتصادي والاجتماعي حيث أن فئة التجار خلال هذا القرن كوتت فئة متميزة لها نشاطها الاقتصادي الواسع كما اكتسبت مكانة اجتماعية متميزة كذلك جعلتها في مقدمة الفئات الاجتماعية التي كانت تشكل المجتمع المصري .

وأصبحت الأسر التجارية في مصر في القرن الثامن عشر عبارة عن شركات تجارية كبيرة تقوم بعمليات الاستيراد والتصدير والتوزيع في نفس الوقت وكان بعض هذه الأسر يسيطر على معظم الوكالات التجارية التي كانت قائمة في القاهرة في ذلك الوقت وكان لهذه الأسر وكلام تجاريون في جميع موانئ البحر الأحمر التي كانت تصل اليها السلع التجارية فتذكر الوثائق أن السيد محمد خليل عمل وكيلا للحاج علي حماد الفيومي ببندر جدة وكان يقوم بإرسال طرود البن اليه ويصرف أموره التجارية بهذا الثغر نيابة عنه واستمر يقوم بهذا العمل لابنه اسماعيل جلبي من بعده ويبدو أن نشاط هذه الأسرة التجاري كان كبيرا (٣٦) فنمثر على وكلام آخرين لها ببندر جدة مثل السيد محمد نصر وابنه السيد عبد الرحمن بن السيد محمد نصر اللذين عملا وكلام لهذه الأسرة ببندر جدة كذلك ، وقد كانت هذه الأسرة تتاجر بالدرجة الاولى في البن اليمني (٣٧) كذلك تذكر الوثائق أن الحاج عنبر عمل وكيلا للخوجا عبد الميزن الشهير بآين أبي بلعة المغربي (٣٨) هذه أمثلة للوكلام التجاريين للتجار المصريين في موانئ البحر الأحمر ومن الملاحظ أن نظام الوكلام التجاريين استمر حتى بعد أن تمكنت السفن التجارية الأجنبية أن تصل الى السويس وغيرها من الموانئ المصرية منذ الربع الأخير من القرن الثامن عشر .

ومن الجدير بالملاحظة أن الأسر التجارية الكبيرة والتي مارست نشاطا تجاريا واسعا في البحر الأحمر خلال العصر العثماني تعود في أصولها إما إلى أصول مغربية أو شامية . وفي بعض الأحيان تكونت شركات تجارية بين بعض التجار من أصول متباينة مما يدل على أن السوق المحلية المصرية نظرا لقربها من البحر الأحمر جذبت كثيرا من أبناء البلدان العربية وبخاصة من بلدان المغرب العربي وبلاد الشام لممارسة نشاطهم التجاري فيه .

والحديث عن التجار المغاربة ودورهم في تاريخ مصر الاقتصادي في العصر العثماني حديث ممتع وهام وسوف نتناوله في دراسة مفصلة في وقت لاحق ويكفي هنا أن نشير أن بعض التجار المغاربة أصبحوا شيوعا لطوائف التجار في بعض أحياء القاهرة مثل الخواجا الحاج أحمد المغربي الذي أصبح شيخ التجار بـمخط الفورية (٣٩) أكبر أحياء القاهرة التجارية في ذلك الوقت وكذلك السيد الحاج عبد السلام المغربي الذي كان من أعيان التجار بسوق الجميلون والخواجا الحاج محمد الكهن الذي صار من أعيان التجار بوكالة الماوردي (٤٠) كما كان من بين التجار المغاربة المشهورين الخواجات الحاج أحمد ابن المرحوم الحاج سعيد المغربي الشهير بالجملي ، والحاج أحمد حدق (٤٢) والحاج محمد المغربي الفاس (٤٣) ويكفي أن نذكر أن أسرة الدادة الشرايبي التي أصبحت تمثل أكبر البيوت المالية والتجارية بمصر في القرن الثامن عشر كانت أسرة مغربية الأصل (٤٤) .

أما التجار الشوام الذين برزوا على مسرح السوق التجارية في مصر وشاركوا في الاشتغال بالسلع التي كانت ترد عن طريق البحر الأحمر فإن دورهم لا يقل أهمية عن غيرهم من التجار فقد استطاع بعضهم أن يكون شركات تجارية خاصة بالتجارة في هذه السلع كما قام بعض الشوام بدور الموردين لبعض السلع التي تأتي عن طريق البحر الأحمر مثل الدمي نقولا النصراني الحمصي الشامي الذي كان يقوم باستيراد المرجان وتوزيعه على التجار المشتغلين بالتجارة في هذه السلعة بوكالة المرجان بالقاهرة وكان لهؤلاء التجار وكلام تجاريون يعملون باسمهم في مواني البحر الأحمر في جدة ومنا والسويس كما كان لهم وكلام ببلاد الشام لتصريف تجارتهم بهذه البلاد (٤٥) .

وبذلك أصبحت السوق المصرية سوقا مركزية لتصريف السلع التجارية التي ترد إلى مصر عن طريق البحر الأحمر وبخاصة البن اليمني والأقمشة الهندية وكذا الارز الهندي والمرجان والعاج وغيره من السلع الصومالية .

ومما يثبت ازدهار هذا النشاط واتساع سوقه وأنه لم يعد نشاطا محليا انتفشار الوكالات التجارية المتخصصة وممارسة نشاطها على نطاق واسع ومع بلدان المنطقة المجاورة وبعض البلدان الأوروبية حتى أنه يمكن القول أنه منذ بداية القرن الثامن عشر أصبحت البيوت التجارية في مصر تشكل بداية الرأسمالية التجارية في مصر إن صح هذا التعبير فمن طريق تتبع تركبات بعض هؤلاء التجار وحصر هذه التركبات يبرز حجم الثروات الضخمة التي كونوها من وراء اشتغالهم بالعمل التجاري كما يتضح أن هؤلاء التجار أصبحوا يمولون الصناعات المحلية وينتجونها لحسابهم الخاص واستغلال هذه المنتجات المحلية في التبادل التجاري في داخل البلاد وخارجها كما تمكنت من استثمار رأسمالها في كثير من المجالات وخاصة ميدان التزام الأراضي الزراعية (٤٦) .

وغير دليل على ازدهار النشاط التجاري الذي شهدته مصر خلال العصر العثماني من طريق البحر الأحمر الدخول الذي كانت تدره الجمارك المصرية من موانئها الواقعة على هذا البحر كما ترصده سجلات الجمارك في ذلك العصر فقد بلغ هذا الدخل في بعض السنوات (٥٥٤ كيسة) ، (٣٩٦٥) بارة (٤٧) وكان جمرک البهار بالسويس ذا أهمية كبيرة ويشكل دخلا كبيرا لمن يلتزمه (٤٨) بل أن العمل بالسمسرة بوكالة البهار بالسويس وهي الوكالة التي توضع فيها البضائع الواردة حتى تتم اجراءات الجمرک (٤٩) أصبحت تمثل دخلا هاما من مصادر دخل الباشا في العصر العثماني حيث أن عوائده التي تأتيه من الجمارك كانت تشكل موردا ضخما بالنسبة له ، ويهنا هنا ما كان يحصله من جمارك البحر الأحمر وبخاصة السويس والقصير فقد كان للباشا على كل فرق ين ( ٤٠٠ ) نصف فضة وقد وصل ايراده من جمرک السويس في عام ١٢٠٠هـ - ١٧٨٥م ( ٦٠٠٠ ر٧٥٠٠ بارة سنويا ) وعندما تمكن مراد بك وابراهيم بك من السيطرة على أمور الإدارة بمصر تحكما في جمرک السويس ودفعوا للباشا في مقابل ذلك مبلغا في نهاية القرن الثامن عشر حوالي ( ٧٥٠٠ ر٠٠٠ ) بارة سنويا بعد أن كانت في بداية القرن تبلغ حوالي ( ١٢ ) مليون بارة (٥٠) وهذا العجز في دخل الباشا من الجمارك المصرية لا يعود الى ضعف الحركة التجارية بقدر ما يعود الى المقام الأول الى سيطرة الامراء المماليك على السلطة ، واستهانتهم بالباشوات العثمانيين هذا بالإضافة الى الصراعات السياسية التي شهدها مصر في الربع الأخير من القرن الثامن عشر .

### ومما سبق يمكن استخلاص الحقائق التالية :

**أولاً :** أن النشاط التجاري في موانئ البحر الأحمر خلال العصر المثنائي طبقاً لما تذكره المصادر المحلية المعاصرة ووثائق المحكمة الشرعية وسجلات الجمارك لم يصب بالركود التام كما كان يعتقد البعض وذلك من طريق ما تثبته هذه المصادر من مواد تتعلق بهذا النشاط مما يثبت أن الحركة التجارية ظلت مستمرة في هذا البحر وموانئه سواء منها الواقعة على ساحل شبه الجزيرة العربية أو الواقعة على الساحل الإفريقي ومصر وكانت السفن التجارية الأجنبية تؤم الموانئ المسموح لها بأن تمسسل إليها حتى استطاعت في نهاية القرن الثامن عشر أن تصل إلى جميع هذه الموانئ وازداد التنافس الأوروبي حول إقامة الوكالات والانفراد بالتنفيذ فيها وأصبح انضمام الوكالات التجارية في موانئ البحر الأحمر هدفاً رئيسياً بين هذه القوى المتنافسة . ومن أجل هذا الهدف عقدت هذه القوى الأوروبية المعاهدات مع السلطات الحاكمة في مصر وغيرها من البلدان التي تطل على هذا البحر متعددة الرسوم الجمركية التي تدفعها لهذه السلطات التي تقع هذه الموانئ ضمن أملاكها .

**ثانياً :** كان من نتيجة هذا النشاط التجاري في البحر الأحمر أن شهدت مصر منذ مطلع القرن الثامن عشر تكوين فئة التجار المحليين الذين مارسوا نشاطهم على نطاق واسع وكوتوا في بعض الأحيان فيما بينهم شركات تجارية مساهمة (٥١) واتخذوا من السوق المصرية مركزاً لنشاطهم الذي امتد إلى بلدان المغرب العربي وبلاد الشام كما قاموا بدور الموردين لبعض التجار الأوروبيين وقد كان لهؤلاء التجار كما رأينا وكلام تجاريون في موانئ البحر الأحمر يقومون بمقد الصفقات التجارية نهاية عنهم (٥٢) وقد مارس هؤلاء التجار بحق دور المورد والمصدر في ذات الوقت كما رأينا فيما سبق .

**ثالثاً :** ترتب كذلك على هذا النشاط التجاري ازدهار الرأسمالية التجارية المصرية التي أخذت تستثمر جزءاً من رأسمالها في مجالات أخرى غير التجارة ، مثل تمويل الصناعات لحسابها والتزام الأراضي الزراعية وربحتها (٥٣) وبناء المقارنات وتأجيرها وبخاصة في الأحياء التي يتركز فيها نشاطها إلى جانب انشائها القصور الخاصة في الأحياء التي اشتهرت بسكن الطبقة الأرستقراطية الحاكمة مثل أحياء بركة الأزبكية وبركة النيل وقناطر السباع (٥٤) أي وجود فئة اجتماعية جديدة داخل المجتمع المصري .

## المصادر

- ١ - دكتور فاروق عثمان اياظة ، عدن والسياسة البريطانية في البحر الاحمر ١٨٣٩م - ١٩١٨م - ص ص ١٨ - ١٩ . حيث يذكر ان تجارة الشرق ظلت حتى القرن التاسع عشر تفي بإحتياجات الطبقة الراقية في أوروبا مما جعلها تحتفظ بقيمتها العالية ويذكر كذلك ان ما كان يصل الى أوروبا كان يفتقر ربعا لا بأس به للتجار في أوروبا مما جعلهم يحرصون على دوام الاتصال مع بلدان الشرق مصدر هذه التجارة الراقية والمربحة في نفس الوقت انظر كذلك :
- Fisher, Sydney Nettleton, The Middle East A History, P 144  
حيث يذكر ان تجارة البحر الاحمر خلقت طبقة من التجار الاثرياء حيث وجد حوالي مائتين من التجار الذين زاد رأس مال كل منهم من مئيسون ودفعة واكثر من الفين تاجر زاد رأس مال كل منهم عن مائة الف دوتة .
- ٢ - محمد بن احمد بن اياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ج ٥ ، ص ٩٠ .
- ٣ - نفس المصدر ، ص ٩٠ .
- ٤ - Fisher, Sydney : Op. cit P. 144. -
- ٥ - محمد بن احمد بن اياس ، المصدر السابق ج ٥ ، ص ٣١٦ .
- وانظر كذلك Fisher, Op. cit P. 144.
- ٦ - Fisher, Sydney : Op. cit P. 144. -
- ٧ - دكتور سيد مصطفى سالم ، الفتح العثماني الاول لليمن ط ٢ ، ص ٥٣ .
- ٨ - Fisher, Sydney : Op. cit P. 144. -
- Ser Jeant, R. B. The Portuguese of the Arabian coast p. 43
- ٩ - دكتور سيد مصطفى سالم ، المصدر السابق ، ص ص ٦١ - ٦٣ .
- ١٠ - دكتور عبد الحميد البطريق ، من تاريخ اليمن الحديث ٥١٧ - ١٨٤٠ ، ص ص ١٨ - ١٩ 117119 P. wilson, sir Arnold T., The persian Gulf
- ١١ - دكتور سيد مصطفى سالم ، المصدر السابق ، ص ١ - ٧٢ .
- ١٢ - Serjeant, R. B. op. cit, 169 -
- ١٣ - دكتور سيد مصطفى سالم ، المصدر السابق ، ص ص ٧٨ - ٧٠ ، دكتور جاد طه ، سياسة بريطانيا في جنوب اليمن ، ص ٢٢ .
- ١٤ - دكتور سيد مصطفى سالم ، المصدر السابق ، ص ص ٩٧ : ١١١ .
- ١٥ - دكتور سيد مصطفى سالم ، المصدر السابق ، ص ١١٢ .
- ١٦ - دكتور عبد الحميد البطريق ، المصدر السابق ، ص ص ٢٦ - ٢٧ ، دكتور سيد مصطفى سالم ، المصدر السابق ، ص ص ١٤١ - ١٥٠ ، ج ج لوريمر ، دليل الخليج ، ج ١ ص ١٦ .
- ١٧ - نفس المصدر ، ص ص ١٩٥ - ١٩٦ .
- ١٨ - دكتور محمد احمد انيس ، الدولة العثمانية والشرق العربي ، ص ١٣٠ ، ١٣٤
- ١٩ Yahya Arm Ajani, Middle East, Past and Present P. 202.
- ٢٠ - جاد طه ، المصدر السابق ، ص ص ٢٥ - ٣٦ .

٢١ - نفس المصدر ، ص ٣٦ ، وانظر كذلك محمود كامل ، اليمن شماله وجنوبه تاريخه وعلاقاته الدولية ، بيروت ١٩٦٨/صص ٢١٤ - ٢١٥ .

٢٢ - المصدر نفسه ، ص ٢٧ - محمود كامل ، المصدر السابق حيث يذكر ( ولكن الترحيب بالهولنديين في اليمن لم يلبث أن تحول إلى سخط عليهم عندما هاجموا بعض السفن الحربية التي كانت تقوم بنقل بضائع برتغالية باعتباره أن ذلك قد عاد على التجار العرب بخسارة جسيمة وقبض الأتراك على ( دي ميله ) الهولندي كرهينه وبلغ السخط على تهاون الوالي التركي مع الهولنديين إلى حد أنه أعلم سنقا ) ص ٢١٥ .

٢٣ - دكتور جاد طه ، المصدر السابق ، صص ٢٧ - ٢٨ ، محمود كامل ، المصدر

السابق ص ٢١٥ .

٢٤ - الدكتور جاد طه ، المصدر السابق ، ص ٢٨ .

- من الطريف أن تذكر أن السلع التي كان يجلبها التجار الأوروبيون من شبه الجزيرة العربية ، اللؤلؤ من الخليج العربي ، والبخور والمر من جنوب شبه الجزيرة العربية وبخاصة من ظفار وحضرموت والتوابل والمنسوجات الحربية والسيوف والمعادن والبخور وريش النعام والذهب من الساحل الأفريقي .

انظر دكتور محمود طه أبو العلا ، جغرافية شبه جزيرة العرب ، ج ١ ، طبعة

١٩٧٢م .

٢٥ - دكتور جاد طه ، المصدر السابق ، ص ٣٠ - ٣١ .

وانظر كذلك عبد الواسع بن يحيى الواسعي اليماني ( تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحرز في تاريخ اليمن ، صص ٣٢٧ - ٣٢٣ ) .

٢٦ - دكتور جاد طه ، المصدر السابق ، ص ٣٣ - ٣٤ .

- عبد الواسع بن يحيى الواسعي ، المصدر السابق ، ص ٣٢٢ - ٣٢٣ .

٢٧ - دكتور أحمد عزت عبد الكريم ، وآخرون ، دراسات في النهضة العربية ، ص ٣٧٠ .

٢٨ - نفس المصدر ، ص ٣٧٠ .

٢٩ - نفسه ، ص ٣٧١ .

٣٠ - نفسه ، ص ٣٧١ .

٣١ - نفسه ، صص ٣٧١ - ٣٢٢ .

٣٢ - نفسه ، ص ٣٧٢ .

٣٣ - دكتور محمد أحمد أنيس ، المصدر السابق ، صص ١٨٩ - ١٩٠ .

٣٤ - دكتور عبد الرحيم عبد الرحمن ، دور المقاربة في تاريخ مصر في العصر الحديث ، القسم الأول ، في العصر العثماني ، المجلة التاريخية المغربية ، صص ٥٩ - ٦٢ .

٣٥ - أرشيف المحكمة الشرعية ، سجلات محكمة ألبا بالعمالي ، وسجلات محكمة القسمة العسكرية .

٣٦ - أرشيف المحكمة الشرعية ، سجلات محكمة القسمة العسكرية ، سجل (١٦٥)

ص ١٨٢ مادة (١٨٢) .

٣٧ - أرشيف المحكمة الشرعية ، سجلات محكمة القسمة العسكرية ، سجل (١٦٥)

ص ١٩١ مادة (٢٩١) .

- ٣٨ - أرشيف المحكمة الشرعية ، سجلات محكمة الباب العالي ، سجل رقم ٩٠ مكرر ، ص ٤٢ ، مادة (٢١٨) وهي عبارة عن عقد صفقات تجارية بين تجار مقاربة ، وانظر كذلك المجلة التاريخية المغربية - عدد (٩) ص ١٨٢ - ١٩٦ .
- ٣٩ - أرشيف المحكمة الشرعية ، سجلات القسمة العسكرية ، سجل (١٧٥) ، ص ١٨٢ ، مادة (٢٥٤) ، ولأزيد من التفصيل حول هذه الموضوعات انظر :  
André Raymond, Artisans et commerçants au caire  
X V III siècle, Damas, 1973.
- ٤٠ - أرشيف المحكمة الشرعية ، سجلات محكمة القسمة العسكرية ، سجل (١٧٥) ، ص ١٧٠ ، مادة (٢٣٦) .
- ٤١ - أرشيف المحكمة الشرعية ، سجلات الديوان العالي ، سجل (١) ، ص ١٧ ، مادة (٣٠) .
- ٤٢ - أرشيف المحكمة الشرعية ، سجلات إسقاط القرض ، سجل (٣) ، ص ٨٣ ، مادة ٢٣٦ .
- ٤٣ - أرشيف المحكمة الشرعية ، سجلات محكمة الصالحية النجمية ، سجل ٥٠٩ ، ص ٢٠ - مادة ٩٢ - وانظر كذلك المجلة التاريخية المغربية العدد ٨٢٧ ، ص ٩٩ - ١٠٥ .
- ٤٤ - أرشيف المحكمة الشرعية ، سجلات محكمة القسمة العسكرية ، ص ٢٤١ - ٢٤٣ ، مادة ٤٠٦ .
- ٤٥ - انظر لمزيد من التفصيل ، دكتور عبد الرحيم عبد الرحمن ( علاقات بلاد الشام بمصر في العصر العثماني ) بحث ألقى بالمؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام ، دمشق في الفترة من ٢٧ نوفمبر الى ٣ ديسمبر ١٩٧٨م .
- ٤٦ - دكتور عبد الرحيم عبد الرحمن ، الريف المصري في القرن الثامن عشر ، ص ٩١ ، ٩٢ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ .
- ٤٧ - دار الوثائق القومية ، سجلات الجمارك ، سجل رقم ٩١٥ جديد . ٤١٤٠ قديم الخاص بعام ١٠٨٨ هـ .
- ٤٨ - كان هذا الجمرع يمر دخلا كبيرا من البضائع الواردة من الحجاز واليمن والهند وكما هو ثابت من سجلات الجمارك ووثائق المحكمة الشرعية فإن المتزعمين الذين كانوا يتولون إدارة هذا الجمرع كانوا من المسيحيين أو اليهود حيث أن الاعتقاد الذي كان سائدا لدى القائلين على أمور الحكم في ذلك الوقت أن جمع هذه الضرائب ينال تعاليم الإسلام واعتبروه نوعا من الكسب لا يبرره عمل يقوم به محصل الضرائب .
- ٤٩ - دكتورة ليلى عبد اللطيف ، الإدارة في العصر العثماني ، ص ٩٧ .
- ٥٠ - نفس المصدر ، ص ٩٧ - ٩٨ .
- ٥١ - أرشيف المحكمة الشرعية ، سجلات محكمة القسمة العسكرية ، سجل (١٥٢) ص ٢٤١ - ٢٤٣ مادة (٤٠٦) .
- وهي عبارة عن عقد شركة تجارية ضخمة بين أفراد أسرة الدادة الشرايبي والنزاع حول هذه الشركة .
- وانظر كذلك : دكتور عبد الرحيم عبد الرحمن ، علاقات بلاد الشام بمصر في العصر العثماني ص ٨ .
- أرشيف المحكمة الشرعية ، سجلات محكمة القسمة العسكرية ، سجل ١٧٥ ، ص ٢٧٠



مادة ٢٨٢ -

- ٥٢ - أرشيف المحكمة الشرعية ، سجل ١٦٥ ، ص ١٨٧ ، مادة ٧٨٢
- أرشيف المحكمة الشرعية ، سجل ١٦٥ ، ص ١٩١ ، مادة ٢٩١
- أرشيف المحكمة الشرعية ، سجل ١٩٥ ، مادة ٣٠٩

٥٣ - دكتور عبد الرحيم عبد الرحمن ، الريف المصري في القرن الثامن عشر ، ص ٩١ - ٩٤

- احمد شلبي عبد الغني ، أوضاع الاشارات تحقيق عبد الرحيم ، ص ١٩٥

٥٤ - أرشيف المحكمة الشرعية : سجل ٥٠٩ محكمة الصالحية التجمية ، ص ٢٠ ، مادة (٦٢)

- سجل ٤٨ محكمة القسمة العسكرية ، ص ١٥٧ ، مادة ٢٥٨
- سجل ٢٢٤ محكمة طولون ، ص ص ٤٠١ - ٤٠٢ ، مادة ٨٦٨
- سجل ٩٠ مكرر محكمة الباب العالي ، ص ٤٢ ، مادة (٢١٨)
- سجل ٩٠ مكرر محكمة الباب العالي ، ص ١٢ ، مادة (٦٥)
- سجل ١٢٨ محكمة الباب العالي ، ص ١٨ ، مادة (٣٦٩)
- سجل ١٧١ محكمة الباب العالي ، ص ص ٢٤٦ - ٢٤٧ ، مادة (٦٣٩)
- سجل ١٣١ محكمة الباب العالي ، ص ١٤٢ ، مادة ٥٣٤
- سجل ٢٦ محكمة بولاق ، ص ٣٥٩ ، مادة ١٨٠٤
- سجل ١٣٣ محكمة الباب العالي ، ص ١٩٦ ، مادة ٧٦٨
- سجل ١٧٥ محكمة القسمة العسكرية ، ص ٧٨٥ - ٧٨٧ ، مادة (٤٠١)
- سجل ١٧٥ محكمة القسمة العسكرية ، ص ٣١٢ ، مادة ٤٢٥

البرغاليون

والبحر

الأحمر

للدكتور سعد زغلول عبد ربه  
أستاذ التاريخ الحديث - كلية الآداب - جامعة طنطا

كانت أوروبا تحصل على حاجتها من سلع الشرق الأقصى من الاسكندرية وموانئ البحرين الأسود والمتوسط ، وكان تجار البنغالية يتولون في القرن الثالث عشر نقلها الى أوروبا . وقد ترتب على الاشتغال بتلك التجارة ثراء تجار الاسكندرية والبنغالية الذين كانوا يقومون بدور الوسيط لتوزيعها في أوروبا . وقد أدى التنافس الذي حدث بين البنادقة والجنوبيين الى اتجاه الجنوبيين الى البرتغال ، ومحاولة استغلال معلوماتهم الجغرافية المتعلقة بفكرة الدوران حول القارة الافريقية ، والوصول الى الهند ، وبالتالي وضع أيديهم على تجارة الشرق الأقصى الواردة عن طريق الهند . وكان يحكم البرتغال في ذلك الوقت أسرة ايفيسز Aviz ، وكانت من الأسر الملكية المتمسكة بالدين المسيحي ، وترى أن على عاتقها تقع مهمة نشر الدين المسيحي في الأراضي الاسلامية . ولذلك تبدأ البرتغال في تنفيذ هدفها الديني بالاستيلاء على مدينة سبته في سنة ١٤١٥ ، وتبدي اهتمامها بمعلومات الجنوبيين الخاصة بإمكان الدوران حول القارة الافريقية ، خاصة وأنه كان هناك قصة منتشرة في أوروبا عن وجود ملك مسيحي يحكم في وسط آسيا أو افريقية ، هو القس يوحنا أو برستر جون P. John

وقد حددت الاشاعات مكان وجود ذلك الملك المسيحي فيما بين الصين وغامبيا ، وأنه يسيطر على منطقة كبيرة .

قرر البرتغاليون الوصول الى القس يوحنا للتحالف معه وضرب المسلمين من الخلف والأمام والانتقام للهزائم التي تمرض لها الصليبيون في الشام ، وكشف طريق بحري يصل الى الهند ولا يمر بالأراضي الاسلامية ، ووضع أيديهم على تجارة الشرق الأقصى ، وبذلك يحرمون المسلمين من المورد الاقتصادي الذي كانوا يستطيعون عن طريقه تكوين وتمويل قواتهم العسكرية التي يحاربون بها المسيحيين . وقد رسم البرتغاليون خططهم على أساس كشف ساحل افريقية الغربي كصفى منظما ووضع أيديهم على ذهب وتجارة حطب افريقية لتمويل عملياتهم الكشفية ، وحرمان مسلمي شمال افريقية من ذلك المورد المالي الهام .

أعدت البرتغال الأساطيل اللازمة لعمليات الكشف ، واستمانت بخبرة

البحارة والجغرافيين الجنوبيين - وكانت عمليات الكشف في بدايتها بطيئة . ولكن البرتغاليين ثابروا على تلك العمليات حتى استطاع بارتولوميو دياز الوصول الى القمة الجنوبية لافريقية ، والدوران Bartholomew Diaz حولها في سنة ١٤٨٧ . وبذلك أصبح الأمل كبيرا في الوصول الى الهند عن طريق البحر ، وبدون المرور في الأراضي التي يسيطر عليها المسلمون . وانتهزت البرتغال الفرصة وكونت حملة أخرى بقيادة فاسكو داجاما

*V. da Gama* تحركت من البرتغال في الثامن من أغسطس سنة ١٤٩٧ متجهة الى الساحل الغربي لافريقية لاستغلال كشف بارتولوميو دياز . واستطاع داجاما الدوران حول القمة الجنوبية لافريقية في أواخر ديسمبر سنة ١٤٩٧ ، ووصل الى جزيرة القديس جورج القريبة من موزمبيق في أول مارس سنة ١٤٩٨ ، وحدث تبادل تجاري بين البرتغاليين وسكان موزمبيق ، ثم التحرك بعد ذلك شمالا الى مالندي التي حصل منها على مرشد هندي اسمه كانا *Cana* ، أرشده عبر المحيط الهندي الى الساحل الغربي للهند ، وبذلك استطاع داجاما الوصول الى الساحل الهندي بالقرب من قاليقوت في ٢٨ مايو سنة ١٤٩٨ (١) .

تكبد البرتغاليون تضحيات بشرية ومالية كبيرة ، فقد توفى ثلثا أفراد الحملة في الطريق ، ولكن النتائج المالية كانت مذهلة جدا ، فقد تجاوز صافي الربح تكاليف الحملة ست مرات . وكان للنتيجة المالية والقصص التي سردها داجاما عما شاهده من عجائب الشرق أثرها على ملك البرتغال الذي صمم على استغلال كشف داجاما ، وإرسال أسطول آخر الى الهند للاستيلاء على تجارة الشرق . ونفذت البرتغال عزمها وأرسلت في مارس سنة ١٥٠٠ حملة جديدة بقيادة بيدرو الفاريز *P. A. Cabral* مهمتها الحصول على قاعدة للسفن البرتغالية في الشرق عن طريق المفاوضات أو باستخدام القوة المسلحة ، وإجبار المسلمين في تلك المنطقة على اعتناق الدين المسيحي ، والاستيلاء على سفن المسلمين وسفن كوشيين وكانانور التي يصادفونها في طريقهم باستثناء سفن مالندي الموالية للبرتغال (٢) .

كانت تجارة الشرق الأقصى مرتبطة بالعمل المقدس ، ونشر الديانة المسيحية بين المسلمين والوثنيين ، كما كانت تدر ربحا كبيرا . ولما كانت سيطرة البرتغال على تجارة الشرق تتطلب القضاء على مقاومة المسلمين بالمنطقة ، وهذا العمل يتطلب إرسال أسطول برتغالي قوي مجهز بقوة

عسكرية مدربة تدريباً جيداً على القتال البحري فقد جهز البرتغاليون أسطولاً من عشرين سفينة بقيادة فاسكو دا جاما تحرك من البرتغال في العاشر من فبراير سنة ١٥٠٢ متجهاً إلى المحيط الهندي - وكان على دا جاما إبقاء خمس من سفن ذلك الأسطول بصفة دائمة في مياه المحيط الهندي لحماية المحطات التجارية البرتغالية في كوشين وكانانور ، وسد مدخل البحر الأحمر ، وإبعاد العرب عن تجارة الهند (٣) .

وبتوالي استخدام البرتغاليين للطريق البحري إلى الهند تبين للبرتغاليين أن الضرورة تتطلب تجول بعض سفن الأسطول البرتغالي أمام مدخل البحر الأحمر ، وتدمير السفن العربية التي تحاول الخروج منه ، وكذلك السفن العربية التي تتجول في المحيط الهندي - وقد كان للوجود البرتغالي في مياه المحيط الهندي أثراً ضافئاً على التجار العرب في البحر العربي والموانئ الواقعة على ساحل الهند الغربي . وازداد ظهور ذلك الضغط بعضي الوقت ، وأصبح البرتغاليون من أخطر المنافسين والمزعجين في المنطقة خاصة وأن هدفهم النهائي هو القضاء كلية على طريق التجارة السابقة ، ولذلك حاولوا جهدهم وبوضوح تام وقف سير التجارة الشرقية بين الهند والبحر الأحمر . وكانت تلك المحاولة من جانب البرتغاليين تتطلب وقفة صلبة من التجار العرب الذين سيطروا على تلك التجارة منذ فترة طويلة ، ولذلك فقد طلب التجار العرب القيمين في قاليقوت وشيخ عدن وهم الذين تأثرت مصالحهم الاقتصادية المساعدة من سلطان مصر ، وكانت مصر التي تأثرت مآليتها بسبب التدخل البرتغالي على اعتماد للدخول في صراع مع البرتغاليين (٤) .

بدأ السلطان المصري في اتخاذ الإجراءات اللازمة لوقف البرتغاليين عند حدودهم ولانقاذ مصر من الانهيار الاقتصادي الذي تعرضت له ، فأرسل حملة بقيادة الأمير حسين الكردي في نوفمبر سنة ١٥٠٥ مهمتها الأولى تقوية الحكم المملوكي في منطقة البحر الأحمر ، وتحصين سواحل ذلك البحر بعد أن أعلن البرتغاليون عن عزيمتهم مهاجمة المدن المقدسة في الحجاز وتخريبها . وما أن وصل الأمير حسين إلى جدة حتى بدأ في بناء سور ضخم له أبراج عالية ، ثم توجه إلى سواكن واستولى عليها ، وأقام بعض الاستحكامات بها . ومن سواكن اتجه الأسطول المصري إلى بعض الموانئ اليمنية حيث بقي بعض الوقت يميناء عدن (٥) .

تحرك الأسطول المصري من مياه عدن ، واتجه إلى الهند حيث اشتبك مع أسطول برتغالي . وفي ذلك الاشتباك انتصر الأسطول المصري على الأسطول

البرتغالي انتصارا جزئيا في موقعة ديو البحرية . كما استطاع بالاشتراك مع أسطول حاكم ديو هزيمة أسطول برتغالي مكون من ثمان سفن عند شول في سنة ١٥٠٨ (٦) .

كان لانتصار الاسطول المصري على الأسطول البرتغالي أثره على البرتغاليين الذين أحسوا بالخطر الشديد الذي سوف تتعرض له مصالحهم في المنطقة خاصة وأن وصول ذلك الاسطول الى مياه المحيط الهندي كان مفاجأة لهم ، بالإضافة الى انضمام سفن عدد من الولايات الهندية الى سفن ذلك الاسطول . ولذلك سارع فرانسيسكو دالهيذا نائب الملك بالهند في الخروج على رأس أسطول اخر مكون من تسع عشرة سفينة للاقاء الاسطول المصري والقضاء عليه . واشتبك الاسطول البرتغالي مع الاسطول المصري وحلفائه عند ديو في الثالث من فبراير سنة ١٥٠٩ . وفي ذلك الاشتباك انتصر البرتغاليون على المصريين وحلفائهم انتصارا ساحقا . ويرجع ذلك الانتصار الى رفض الأمير حسين بالانسحاب بما بقي من سفنه الى جده ، بينما سارع حاكم ديو بمقد معاهدة صلح مع البرتغاليين (٨) .

بانتصار البرتغاليين على المصريين في ديو رسخت أقدامهم في المحيط الهندي ووضعوا أيديهم على مصادر التوابل واحتكروا تجارتها . واتمما للفائدة عمل البرتغاليون على تشديد الحصار على الخليج الفارسي (البري) والبحر الأحمر حتى لا تصل تجارة التوابل الى المصريين ، وراقبت سفنهم مدخل البحر الأحمر لمنع السفن الاسلامية من الدخول أو الخروج من ذلك البحر . وقد أدت تلك المراقبة وذلك الحصار الى استيلاء البرتغاليين في سنة ١٥٠٩ على بعض السفن اليمنية (٩) . ولم تستطع السلطات اليمنية وقف الاعتمادات البرتغالية أو الرد عليها . واضطر السلطان اليمني الظافر الثاني الى الاستنجاد بالسلطان الغوري ومطالبته بالامراع باتخاذ عمل مضاد يقضي على استفحال الخطر البرتغالي (١٠) . وقد أرسل السلطان الغوري في يونيو سنة ١٥١٠ رده على سلطان اليمن مبينا له حقيقة الموقف في القاهرة ، والاستعدادات التي تقوم بها لمواجهة البرتغاليين (١١) . وقد طلب السلطان الغوري في يونيو سنة ١٥١٠ من ملوك الهند مساعدته في القتال ضد البرتغاليين (١٢) وكما طلب من بايزيد الثاني سلطان الدولة العثمانية امداد مصر بالسلاح . وكان من رأي بايزيد الثاني أن البرتغاليين سوف يحاولون الوصول الى مكة والمدينة وتدميرهما ، ولذلك وعد بإرسال السلاح ومساعدة الدولة المملوكية (١٣) . ووفى السلطان بايزيد بما وعد ، وحمل السفن المصرية وعددها ثمانى عشرة سفينة بالسلاح والأخشاب والمعونة العثمانية .

ولكن هذه المعونة لم يكتب لها الوصول سالمة الى الاسكندرية بسبب تعرضها لهجوم سفن فرسان القديس يوحنا في ١٠ أغسطس سنة ١٥١٠ ، وحدث معركة غير متكافئة بين الطرفين أفرقت فيها سفن الفرسان بعض السفن المصرية ، وأسرت البعض الآخر ، كما تاهت سفينتان في العاصفة . وبذلك فان السفن الست الباقية التي وصلت الى الاسكندرية لم يكن عليها شيء من المعونة الثمائية (١٤) .

ومن ناحية أخرى فقد عمد الأمير حسين الكردي الى تحصين ميناء جدة حتى تستطيع الصمود في وجه البرتغاليين ان هم حاولوا الذهاب اليها ومهاجمتها عن طريق بناء سور ضخيم حولها (١٥) . وطلب من أمراء الهنود الذين استمروا على حلفهم مع مصر معونة مالية لبناء السور . وبرر ذلك الطلب بقوة البرتغاليين ، واستطاعتهم دخول البحر الأحمر ، والوصول الى جدة وتدمير الأماكن الإسلامية المقدسة في مكة والمدينة (١٦) . ولما كان أمراء الهنود يعتقدون أن البرتغاليين سوف يحاولون دخول البحر الأحمر وتدمير الأماكن الإسلامية فقد قدموا حمولة ثلاث سفن من سفن التوابل اسهاما منهم في تحصين جدة (١٧) . واستطاع الأمير حسين بتلك المعونة الانتهاء من بناء السور في سنة ١٥١١ وكان قد بدأ في بنائه في سنة ١٥٠٩ (١٨) .

فرض البرتغاليون الحصار حول مدينة عدن ، ولكنهم لم يستطيعوا الاستيلاء عليها لقوة تحصيناتها الطبيعية . وكان الهدف من هذا الحصار اسقاطها والاستيلاء عليها ، واستخدامها قاعدة عسكرية يستطيعون من طريقها السيطرة على البحر الأحمر والقضاء على الاسطول المصري المتناوئ ومتعه من الخروج الى المحيط الهندي ، ومهاجمة سفنهم وطردهم من الهند . وبذلك يقضون على أمل أمراء الهند في وصول الامدادات العسكرية من مصر اليهم ، وتفتر مقاومتهم للبرتغاليين ، وبذلك تستقر الأمور للبرتغاليين في الهند (١٩) .

قرر البوكريك الاستيلاء على عدن فخرج من جوا في ٨ فبراير سنة ١٥١٣ باسطول كبير بلغت مدته سفنه عشرة سفن سقينة تحمل على ظهرها ٢٥٠٠ محارب ، ووصل الى عدن في ٢٤ مارس سنة ١٥١٣ (٢٠) وكانت أخبار الحملة قد سبقت وصولها ، فاتخذ حاكم عدن الملائكة البرتغاليين . وعلى الرغم من انتفاء عنصر المفاجأة فقد استولى البرتغاليون على بعض السفن الراسية في ميناء عدن ، وقصفوا المدينة بتران مدافعهم . وعشى حاكمها من تدميرها على يد البرتغاليين فأرسل بعض الهدايا الى البرتغاليين وطلب عقد هدنة معهم (٢١) . وقد رفض البرتغاليون الاقتراح ، وأعادوا له هداياه ،

وهددوا بالاستيلاء على المدينة قهرا اذا لم يستجب حاكمها ويسلمها لهم  
سلما ، ومنحوه مهلة حتى اليوم التالي (٢٢) .

رفض حاكم عدن الاستجابة لتهديد البرتغاليين ، فهاجموا المدينة ،  
واستطاع بعض أفرادهم تسلق الأسوار والنزول الى المدينة (١٣) . ولم  
يخف سكان المدينة من نزول البرتغاليين في مدينتهم ، وهاجموهم بكل ما وقع  
تحت أيديهم من حجارة مما شجع حاكمها على رفض التسليم ، ومهاجمة  
البرتغاليين الذين تسربوا الى داخل المدينة ، وأجبرهم على الهرب . واضطر  
البرتغاليون الى اطلاق نيران مدافعهم لتغطية انسحاب قواتهم من داخل  
المدينة (٢٤) ، وبذلك فشلت محاولة البرتغاليين الاستيلاء على المدينة (٣٤) .  
فانسحبوا من مياهها بعد أن أشعلوا النار في السفن الراسية في الميناء (٢٥) .

انسحب البرتغاليون من مياه عدن واتجهوا الى باب المندب ومنه الى  
البحر الأحمر متجهين الى الشمال ، واستولوا على جزيرة قرمان في أبريل  
سنة ١٥١٣ (٢٦) . وكما هي عادتهم في اخافة وارهاب السكان دمروا مبانيها  
وقتلوا من وجدوه عليها من السكان اليمنيين (٢٧) . واستقر البرتغاليون  
بالجزيرة حتى شهر يوليو سنة ١٥١٣ . ولم يحاول سلطان اليمن اتخاذ أي  
اجراء لطردهم من الجزيرة (٢٨) . واذا كان البرتغاليون قد وصلوا الى  
جزيرة قرمان الا أنهم لم يستطيعوا الوصول الى ميناء جدة بسبب تعرض  
سفنهم لمصافة شلت اسطولهم ، ومنعتهم من الوصول الى الأراضي المقدسة  
وتتفقد هدفهم الرامي الى العبث بالمقدسات الاسلامية ، وتدمير قبر الرسول  
عليه السلام بالمدينة (٢٩) .

تحرك الاسطول البرتغالي في مياه البحر الأحمر بعد فشله في الاشارة على  
جدة والمدينة المنورة ، وأغارت بعض سفنه على ميناء زيلع ، وأطلقت نيران  
مدافعها على السفن الراسية فيه ، وأشعلت فيها النيران (٣٠) .

ترتب على وصول الاسطول البرتغالي الى البحر الأحمر خوف أمير مكة  
من نزول البرتغاليين في ميناء جدة أثناء وجود الأمير حسين الكردي في مصر ،  
فتحرك بقواته الى جدة ، وبعث رسالة الى السلطان الغوري بين فيها خطورة  
الموقف في المنطقة ، وطلب الاسراع في ارسال الامدادات الى جدة لمنع نزول  
البرتغاليين بها والاستيلاء عليها (٣١) . واستجاب السلطان الغوري لطلب



أمير مكة فامر الأمير حسين الكردي بالامراع بالتوجه الى جدة ، كما أرسل معه أحد الأبرام لاستقصاء أخبار البرتغاليين ، كما أمر بسرعة تجهيز السفن التي كان يتم انشائها في السويس ، وتزويد الحملة المنتظرة بحاجتها من الجنود والفنيين . ولم تتوقف جهود السلطان الفوري عند هذا الحد فقد توجه بنفسه الى ميناء السويس في مارس سنة ١٥١٤ للاشراف على انزال السفن الجديدة الى مياه البحر الأحمر . وتتأملت امدادات السلطان الفوري لحسين الكردي فأرسل له قوة عسكرية أخرى في يوليو سنة ١٥١٤ ، كما أرسل أسطولاً آخر في يونيو سنة ١٥١٥ بقيادة سلمان العثماني (٣١) . وقد انضم سلمان العثماني الى حسين الكردي ، واشترك معه في قيادة الاسطول المصري ضد البرتغاليين (٣٢) .

تأثرت التجارة اليمنية بسيطرة البرتغاليين على مياه المحيط الهندي ، ولذلك حملوا في أول الأمر على امداد الاسطول المصري المتجه الى الهند في سنة ١٥٠٧ بحاجته من الامدادات ، وعاملوه معاملة الخلفاء . ولكن لم تلبث المحاولة أن تغيرت بعد هزيمة الاسطول المصري في المياه الهندية ، وبدأ البرتغاليون حملاتهم العسكرية في البحر الأحمر . فقد وقف حاكم عدن موقفاً سلبياً عندما هاجم البرتغاليون ميناء عدن في سنة ١٥١٣ (٣٣) . وتبلور موقف اليمنيين ضد المصريين بقولهم موقف العبداء الصريح ضد الاسطول المصري بقيادة حسين الكردي وسلمان العثماني . ولما كان حسين الكردي حريصاً على سيادة واستقلال اليمن فقد بحث من يخبر سلطانها بأمر الحملة المصرية ، والميل على تزويدها بحاجتها من المؤن والأموال طبقاً لما تعهد للسلطان الفوري عندما طلب منه المساعدة (٣٤) . وبين له أن هدف الحملة هو الايحار الى الهند لمقاتلة البرتغاليين .

لم يستجيب سلطان اليمن لطلب حسين الكردي الذي تقدم من جيزان الى جزيرة قمران فوصلها في ديسمبر سنة ١٥١٥ . ومن هناك أرسل الهدايا الى زيد ، وطلب تزويد الحملة بالمؤن والأموال لمساعدة الاسطول المصري على مواصلة الجهود ضد البرتغاليين (٣٥) . وكان السبب في عدم استجابة سلطان اليمن خوفاً من أن يصبح ذلك التزاماً سنوياً عليه (٣٦) ، وطلب من والي زيد عدم ارسال المؤن المعتادة الى جزيرة قمران والمعجاز حتى لا يستولى عليها المصريون (٣٧) .

كان تعاون سلطان اليمن مع الحملة المصرية أمراً ضرورياً لنجاحها .

ويتطلب نجاح الحملة السماح لسفنها باستخدام بعض الموانئ اليمنية ،  
وبذلك يستطيع الاسطول المصري تأمين البحر الأحمر وحماية سواحل  
وعلى الرغم من أن حسين الكردي كان يرى احترام سيادة واستقلال اليمن  
الا أن تقاعس سلطانها عن تقديم المساعدة للاسطول المصري قد أجبره على  
اتخاذ الخطوات اللازمة لتأمين قواته . وكانت هذه الخطوات تتمثل في  
الاستيلاء على القواعد البحرية اليمنية اللازمة للاسطول المصري . وعلى  
أساس ذلك التفكير حول حسين الكردي جهوده العسكرية الى اليمن للاستيلاء  
على الموانئ اللازمة لأسطوله حتى يمكنه التفرغ بمسد ذلك للصراع مع  
البرتغاليين وهو مطمئن الى وجود خط دفاع خلفه يمكنه اللجوء اليه عند  
اللزوم (٣٨) .

تحرك حسين الكردي وسلمان المشائي الى زيلع في يوليو سنة ١٥١٦  
بعد أن ترك بعض قواته في تهامة للاستيلاء على اليمن (٣٩) . ولم يلبث  
أن تحرك من زيلع بعد اصلاح سفنه وتزويدها بما تحتاجه من المؤن متجها الى  
عدن (٤٠) ، فوصلها في ١٢ أغسطس سنة ١٥١٦ . واستطاعت القوات  
المصرية بعد مقاومة عنيفة الاستيلاء على المدينة ولكن القوات اليمنية أجبرتها  
على الانسحاب ، ومخاددة عدن في ١٩ أغسطس من نفس العام (٤١) .  
واضطر الاسطول المصري بعد ذلك الى الانسحاب الى جدة بسبب الخلاف الذي  
نشب بين حسين الكردي وسلمان المشائي (٤٢) .

فشلت خطة البوكريك الخاصة بالاستيلاء على عدن في سنة ١٥١٣ (٤٣) ،  
الا أن هذا الفشل لم يقض على فكرة السيطرة البرتغالية على عدن على أساس  
أن السيطرة عليها سوف تؤدي الى السيطرة على البحر الأحمر ، وبالتالي  
قطع الصلة بين مصر والهند وتوجيه ضربة للمصالح المصرية التجارية في  
الهند ، وفي نفس الوقت تثبتت السيطرة البرتغالية على مياه المحيط الهندي  
وعلى التجارة الشرقية . ولذلك حاول البرتغاليون الاتصال بمملكة الحبشة  
المسيحية والتعاون معها ضد مصر والحجاز ، بهدف تدبير المقدسات الاسلامية  
في مكة والمدينة (٤٤) .

بدأ البرتغاليون في تنفيذ هدفهم فتحرك أسطول برتغالي بقيادة  
سواريز من جوا بالهند في الثامن من فبراير سنة ١٥١٧ . وكان يتكون من  
أربعين سفينة ، وهو يعمل على ظهوره الفين من المقاتلين . وكانت مهمة ذلك

الاسطول مهاجمة الاسطول المصري في البحر الأحمر وتدميره والاتصال  
بمملكة الحبشة (٤٥) .

وصل الاسطول البرتغالي الى ميناء عدن في الخامس من مارس سنة  
١٥١٧ ، ولكنه لم يهاجم المدينة وعمل على اقرار الأمور سلبيا مع حاكمها ،  
وحاول أن يجتذبه الى جانبه ضد المصريين ، فاعلن أن الهدف من وصوله هو  
الوقوف الى جانب المدنيين ضد المصريين الذين هاجموا بلاده وحاولوا  
الاستيلاء عليها (٤٦) . وخشى حاكم عدن رفض المطالب البرتغالية ، وما قد  
يؤدي اليه ذلك الرفض من مهاجمة البرتغاليين لعدن ومحاولة تدميرها فأمدهم  
بحاجتهم من المؤن والمرشدين البحريين لقيادة سفنهم الى جدة (٤٧) .

تحرك سؤاريز من عدن في السابع عشر من مارس سنة ١٥١٧ ، ووصل  
الى القرب من جدة ، ولكنه لم يستطع الوصول اليها بسبب شدة الرياح ،  
كما فشل في تدميرها أو الاستيلاء عليها . ويرجع هذا الفشل الى قوة  
التحصينات التي اقامها المصريون هناك (٤٨) . وقامت سفن الاسطول  
المصري بقيادة سلمان بمطاردة سفن الاسطول البرتغالي وتمكنت من أسر  
احداها بالقرب من ميناء اللحية اليمني ، وعادت بها بمن عليها من البرتغاليين  
الى ميناء جدة (٤٩) .

أسرع البرتغاليون بالانسحاب من مياه جدة ، واتجهوا الى جزيرة قمران  
ببعض سفنهم بينما شتتت الرياح البعض الآخر وحولته الى احدى الجزر  
الواقعة أمام الشاطئ الافريقي بالقرب من ميناء سواكن . ولم يستطع  
البرتغاليون الحصول على حاجتهم من المياه العذبة فاتجهوا الى جزيرة دهلك  
وهم في حالة اعياء شديد ، وموت عدد كبير منهم بسبب نفاد مخزونهم من  
المياه العذبة واضطراهم لشرب المياه المالحة ، ومن هناك اتجهت الى مصوع  
حيث وقعت في كمين ترتب عليه قتل عدد آخر منهم (٥٠) .

هاجم البرتغاليون بقيادة سؤاريز. جزيرة قمران ودمروا التحصينات  
التي سبق وأنشأها حسين الكردي ، وأحرقوا النخيل الموجود بالجزيرة ثم  
غادرها في ١٢ يونيو سنة ١٥١٧ متجها الى زيلع فوصلها في يوليو ، وقتل  
عددا كبيرا من أهلها انتقاما منهم ، ثم اتجه الى عدن وهو في طريقه الى  
الهند (٥١) . وتوقف سؤاريز خمسة أيام في مياه عدن ، ولكنه لم يهاجمها  
بسبب ما لحق بقواته من خسائر ، وانتشار المرض بين من بقي من رجاله ،

ولمدم تأكده من نتائج ذلك الهجوم . وبذلك تغلى سؤايرز من فكرة مهاجمة مدن والاستيلاء عليها ، كما رفض قبول مفتاح المدينة الذي عرضه عليه حاكمها (٥٢) .

هاجم بعض الكتاب البرتغاليين سؤايرز لمدم استيلائه على عدن ، واتهموه باضاعة الفرصة التي سحت له في ذلك الوقت . ورأى ملك البرتغال أن الفضل الذي مني به البرتغاليون في البحر الأحمر يرجع الى سؤايرز فعزله من منصبه . وغادر سؤايرز الهند متجها الى البرتغال في ٢٠ ديسمبر سنة ١٥١٨ (٥٤) .

لم يئأس البرتغاليون بسبب الفضل الذي تمرضت له حملة سؤايرز في البحر الأحمر ، وقرروا تنفيذ مخططهم ، فأرسلوا حملة كبيرة بقيادة لوبو سكويرا نائب الملك في الهند الذي خلف سؤايرز . ووصلت الحملة الجديدة الى مدخل البحر الأحمر في أوائل سنة ١٥٢٠ . وكانت أغراض الحملة في هذه المرة تتكون من شقين : الأول منهما مهاجمة جدة والاستيلاء عليها ، والثاني انزال أول بعثة دبلوماسية برتغالية الى السواحل الحبشية لانشاء علاقات دبلوماسية مع سلطنة الحبشة ، والتكاتف معها للقضاء على النفوذ الاسلامي في مياه البحر الأحمر . ولم يحاول سكويرا الرسو بميناء عدن بل توجه مباشرة الى ميناء جدة مستغلا في ذلك موسم الرياح ، ولكنه لم يستطع الوصول اليها بسبب الرياح الماكسة (٥٥) . كما وصلته أنباء تشير الى وجود قوات عسكرية اسلامية بها ، فاتجه الى ميناء مصوع حيث انزل دي ليما المبعوث البرتغالي للملك الحبشة (٥٦) .

أرسل البرتغاليون في أوائل سنة ١٥٢٤ حملة كبيرة الى مصوع بقيادة دي سلفيرا وكان الهدف من ارسالها استمادة المبعوث البرتغالي الى بلاط ملك الحبشة . وقد قدم حاكم عدن المؤن للحملة أثناء ذهابها الى مصوع ، وتبين دي سلفيرا ضعف عدن ، ونظرا لأهميتها الاستراتيجية فقد أجبر حاكمها عند عودته على عقد معاهدة مع البرتغاليين نصت على أن تدفع عدن جزية سنوية للبرتغاليين ، وأن تسمح للسفن البرتغالية باللاجوء الى مينائها في أي وقت ، ولكن نائب الملك في الهند رفض اعتماد تلك المعاهدة على أساس أنها تضيق للجهود البرتغالية . ولم تلبث القوات البرتغالية أن ضربت بمدافعها عدن أثناء اتجاهاها الى مصوع في سنة ١٥٢٥ ، ولكنها لم تحقق شيئا من النجاح . كما حاول دي سلفيرا في أثناء عودته من مصوع في

سنة ١٥٢٦ مهاجمة عدن ولكن الرياح أبعدت سفنه عنها . وعلى الرغم من القتل المتكرر أمام عدن فقد استطاع دي سلفيرا في فبراير سنة ١٥٣٠ عقد معاهدة مع حاكم عدن اعترف فيها بالسيادة البرتغالية على عدن ، ودفع جزية سنوية للبرتغاليين . واعترف البرتغاليون بحق المدنيين في الملاحة في المحيط الهندي بشرط عدم ذهاب سفنهم الى جدة (٥٧) . ولضمان تنفيذ بنود المعاهدة ترك البرتغاليون إحدى سفنهم الحربية وعليها أربعون برتغاليا في ميناء عدن . ولم يكتب لتلك المعاهدة الاستمرار الا مدة قصيرة بعد رحيل دي سلفيرا من عدن ، إذ قبض حاكم عدن على البرتغاليين الموجودين في الميناء وسجنهم واستخدمهم في صنع الأسلحة ، وأعلن دخوله في طاعة المشائين (٥٨) .

حاول البرتغاليون في سنة ١٥٢٣ استعادة مبعوثهم من بلاط ملك الحبشة فأرسلوا حملة هاجمت الضعف ونهبت أثنام ذهابها الى مصوع ، ولكنها فشلت في تحقيق هدفها (٥٩) . ولم يياس البرتغاليون من استعادة سفيرهم فأرسلوا الحملات السنوية الى البحر الأحمر حتى أمكنهم استعادته في أوائل سنة ١٥٢٦ (٦٠) . وكان المبعوث البرتغالي يحمل خطابين من ملك الحبشة ، كما صاحبه سفير من قبل ملك الحبشة . وفي هذين الخطابين أعلن ملك الحبشة من رغبته في قيام تعاون بينه وبين البرتغال ، ولكنه لم يعلن من رغبته في الاشتراك مع البرتغاليين في إعلان الحرب على المسلمين ، وفي نفس الوقت أخذ يعرض ملك البرتغال على الاستمرار في معاربة المسلمين حتى يتم القضاء عليهم نهائيا ، والاستيلاء مرة أخرى على بيت المقدس . وإذا كان ملك الحبشة لم يحدد في خطابه كيفية التعاون مع البرتغاليين فقد طلب منهم أن يقدموا له المساعدات حتى يستطيع الوقوف في وجه القوى الإسلامية المحيطة به . كما طلب ابقاء البعثة الدينية البرتغالية الموجودة في الحبشة لنشر الدين المسيحي في جميع جزر البحر الأحمر الواقعة على الحدود الحبشية ، لأن جميع سكانها من المسلمين والوثنيين (٦١) .

كان نجاح البرتغال في التحالف مع الحبشة معناه امكان تطويق العالم العربي من ناحية الجنوب ، وفي نفس الوقت يمثل تهديدا خطيرا ومباذرا للأماكن الإسلامية المقدسة في الأراضي الحجازية . ولكن ذلك التحالف كان يحمل منذ البداية عوامل فقله بسبب اختلاف وجهتي نظر المتحالفين ، واختلاف مذهبيهما الديني . فالأحباش يعتقدون الديانة المسيحية على المذهب الأرثوذكسي بينما يعتقد البرتغاليون الدين المسيحي على المذهب الكاثوليكي . ومن ناحية الأهداف كان الأحباش يرغبون في أن يساعدهم البرتغاليون على

تطوير بلادهم حتى يستطيعوا الوقوف أمام الامارات الحبشية المسلحة المجاورة لهم . كما كانوا يرون أن تتعاون جميع الدول المسيحية الاوربية مع البرتغال بارسال قواتها الى البحر الأحمر ، وتستولى كل دولة من هذه الدول على أحد المواقع الهامة الواقعة على البحر الأحمر ، فتحتل أسبانيا زيلع ، وتحتل فرنسا سواكن ، بينما تحتل البرتغال مصوع . وفي نفس الوقت تساعد القوات المتحالفة الحبشة في الزحف على البلاد الاسلامية والاستيلاء على جدة ومكة والقاهرة وغيرها من المدن الاسلامية المهمة . وكان معنى هذا الاقتراح القضاء على احتكار البرتغال لطريق رأس الرجاء الصالح . وكان البرتغاليون يهدفون من وراء ذلك التحالف اتخاذ الحبشة قاعدة عسكرية لهم ، واستغلال ثروات الحبشة ، وتحويل الأقباش من المذهب الاورثوذكسي الى المذهب الكاثوليكي ، وما أن تبين الأقباش تلك الأهداف حتى عملوا على طرد البرتغاليين من ونجسوا في تحقيق ذلك في اوائل القرن السابع عشر (٦٢) .

كان هناك عامل آخر ظهر الى حيز الوجود وأثر على موقف الأقباش من البرتغاليين هو ظهور الأتراك العثمانيين في البلاد العربية ، فقد خشي ملك الحبشة أن يؤدي تحالفه مع البرتغاليين الى مهاجمة القوات العثمانية لبلاده ، أو التدخل في تعيين رئيس أساقفة الحبشة التي كانت كنيسة تتبع كنيسة الاسكندرية ، وكان بطريرك الاسكندرية هو الذي يمين رئيس أساقفة الحبشة . كما خشي ملك الحبشة أن يؤدي نشاط العثمانيين في المنطقة الى إثارة القلاقل في الحبشة من جانب الامارات الحبشية المسلمة . ولهذه الأسباب فضل الأقباش عدم عقد اتفاقيات محددة مع البرتغاليين بل ان الأمر وصل بهم إلى درجة التبرع من مبعوثهم في بلاط ملك البرتغال (٦٣) .

وهكذا فعلى الرغم من محاولات البرتغاليين المتكررة الاستيلاء على مواقع استراتيجية على سواحل البحر الأحمر للقضاء على السيطرة الاسلامية على مياه والوصول الى الأماكن المقدسة الاسلامية في الأراضي العجايزة لتدميرها والقضاء على الدين الاسلامي فانهم لم يستطيعوا الوصول الى هدفهم بسبب الجهود التي بذلها المصريون ، وخوف الأقباش من الأهداف البرتغالية ، ثم ظهور الأتراك العثمانيين كقوة اسلامية كبيرة يخشى خطرهما في مياه البحر الأحمر .

•• سعد زحلول عبد ربه  
استاذ التاريخ الحديث  
كلية الآداب - جامعة طنطا

1. Strands, J.; Portuguese Period in East Africa, pp. 13 - 30.
2. Strands, J.; ibid. pp. 39, 43.
3. Strands, J.; ibid. pp. 43 - 45.
4. Strands, J.; ibid. p. 56.
- ٥ - أحمد دراج (دكتور) : الماليك والفرنج ، ص ١٣٧ .
6. Kammerer, A. ; La Mer Rouge, tome, p. 155. Barbossa, D. ; The E. African and. . . p. 61.
- ٧ - زين الدين المباركى : تحفة الجاهدين في بعض احوال البرتغاليين صص ٤٠ - ٤١ .
- Stephens. H.M. ; portugal, p. 197.
- ٨ - نعيم زكي (دكتور) : طرق التجارة الدولية .. صص ٢٠ - ٣١ - ٩١ .
- Barbosa, D. : op. cit. p. 61, Kammerer, A. : op. cit., II. pp. 157, 174.
9. Kammerer, A. : ibid. II, pp. 157, 230.
- ١٠ - قطب الدين النهروالى : البرق اليماني في الفتح العثماني ص ١٩ .
- ١١ - ابن اياس : بذائع الزهور ، ج٤ ، ص ٢٠٩ .
- Kammerer, A. : op cit., II, p. 232.
- ١٢ - ابن اياس : المرجع السابق ، ج٤ ، ص ١٨٥ .
- ١٣ - ابن اياس : نفس المرجع ، ج٤ ، ص ١٩٦ .
- ١٤ - ابن اياس : نفس المرجع ، ج٤ ، ص ١٩٦ .
- Heyd, W. : Histoire du Commerce. . . II, pp. 537-539,
- Depping, G. B. : Histoire du commerce. . . II, p. 270.
15. Darnes, M. The Book of Duarte Barosa, pp. 46 - 47.
16. Darnes, M : ibid., p. 47 Depping, G. B. : op. cit., II, p. 219.
17. Depping, G.B. : ibid., II, p. 219, Darnes, : op. cit., pp. 46 - 49.
18. Darnes, M : ibid., pp. 46 - 47.
19. Wilson, A.T. : The Parsian Gulf, p. 118.
20. Kammerer, A. : op. cit., II, p. 178, Wilson, A.T. : op. cit., pp. 118 119.
- ٢١ - يا مغفرة : تاريخ لغرة ملان ، ج١ صص ١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٧ .

- ٢٢ - يا مغرمة : قلادة النهر ، ج ٢ ص ١١٩٤ .
23. Kammerer, A. : op. cit., II, p. 186.
24. Marco, E. : yemen and the Western World, p. 1.
25. Kammerer, A. : op. cit., II, p. 186.
- ٢٦ - أحمد دراج (دكتور) : المرجع السابق ، ص ١٥٥ .
27. Kammerer, A. : op. cit., II, pp. 192-193.
- ٢٨ - يا مغرمة : قلادة النهر ، ج ٢ ص ١١٩٥ .
29. Kammerer, A. : op. cit., II, p. 193, Serjent, R.J. : The Portuguese ... p. 169.
- ٣٠ - يحيى بن الحسين : خاتمة الإماماني ... ص ٦٤٠ .
- Kammerer, A. : op. cit., II, p. 205.
- ٣١ - ابن اياس : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٦ ، ٢٥٨ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ .
32. Kammerer, A. : op. cit., II, 231-232.
- ٣٣ - انظر ص ٩ من هذا البحث .
- ٣٤ - قطب الدين النهرواني : المرجع السابق ، ص ٢٠ .
- Kammerer, A. : op. cit., II, 231.
- ٣٥ - يحيى بن الحسين : المرجع السابق ، ص ٦٤٢ .
- ٣٦ - قطب الدين النهرواني : المرجع السابق ، ص ٢٠ .
- Kammerer, A. : op. cit., II, p. 233.
- ٣٧ - يحيى بن الحسين : المرجع السابق ، ص ٦٤٤ .
38. Denison, R. : The Portuguese in India and ... (J.P. A.S.) Oct. 1921, p. 560.
- ٣٩ - جمال الدين محمد الشبلي : المنها الباهر ... ص ٢٠٣ .
- ٤٠ - يحيى بن الحسين : المرجع السابق ، ص ٦٤٧ .
- ٤١ - قطب الدين النهرواني : المرجع السابق ، ص ٢٣ - ٢٤ .
- ٤٢ - السيد مصطفى سالم (دكتور) : الفتح الممكاني الاول ، ص ٨٧ .
- ٤٣ - انظر ص ٨ من هذا البحث .
44. Kammerer, A. : cit., II, p. 265, wilson, A.T. : op. cit., p. 120.
45. Kammerer, A. : op. cit., II, pp. 205-266.
- ٤٦ - يحيى بن الحسين : المرجع السابق ، ص ٦٥٨ .
47. Kammerer, A. : op. cit., II, pp. 266-277.



48. Marco, E. : op. cit., p. 1, Kammerer, A. : op. cit., II, 267-269.
49. Serjeant, R.J. : op. cit., p. 170.
50. Kammerer, A. : op. cit., II, pp. 269, 272.
51. Kammerer, A. : ibid., II, pp. 273-274.
52. Marco, E. : op. cit., p. 2, Kammerer, A. : op. cit., II, p. 275.
53. Dames, M.L. : The Portuguese and ... (J.R.A.S.) Jan. 1921, pp. 12-13, Kammerer, A. : op. cit., II, pp. 266 - 267, wilson, A. T. : op. cit., p. 123.
54. Kammerer, A. : op. cit., II, p. 276.
55. Serjeant, R.J. : op. cit., p. 171.
- ٥٦ - يا مغرمة : قلادة النحر ٣٠٠ ج٢ ، مصر ١٢٠٩ - ١٢١٠ .
57. Kammerer, A. : op. cit., II, pp. 283-288.
58. Serjeant, R.J. : op. cit., pp. 55-59, wilson, A.T. : op. cit., p. 121.
59. Serjeant, R.J. : op. cit., pp. 52-53.
60. Kammerer, A. : op. cit., II, pp. 285-286.
61. Alvarez, F. : Narrative of the Portuguese Embassy... pp. 389-399.
62. Alvarez, F. : ibid. pp. 311-312.
63. Castanhoso, M. : The Portuguese Expedition to Abyssinia ... pp. xxviii-xxx.

## المراجع

- أولا - مخطوطات :
- ١ - يا مغرمة ( أبو محمد عبد الله الطيب ) : قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر ٣ أجزاء .
- ٢ - جمال الدين محمد الشبلي : السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر .
- ثانيا - مراجع باللغة العربية :
- ١ - ابن أبياس ( أبو البركات محمد بن أحمد الحنفي ) : بدائع الزهور في وقائع الدهور ج٤ ، القاهرة .
- ٢ - أحمد دراج (دكتور) : الممالك والفرنج ، القاهرة ١٩٦١ .
- ٣ - السيد مصطفى سالم (دكتور) : الفتح العثماني الأول لليمن ، القاهرة ١٩٦٩ .

- ٤ - با مغرمة ( أبو عبد الله الطيب ) : تاريخ ثغر عدن ، جزم ان ، ١٩٦٣  
 ٥ - زين الدين الملباري : تحفة المجاهدين في بعض أحوال البرتغاليين ،  
 لهبونة ١٨٩٨ -  
 ٦ - قطب الدين التهروالي : البرق اليماني في الفتح العثماني ،  
 الرياض ، ١٩٦٧ -  
 ٧ - نعيم زكي (دكتور) : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق  
 والغرب ، القاهرة ، ١٩٧٣ -  
 ٨ - يحيى بن الحسين : حاية الأساني في أخبار القطر اليماني ، القاهرة ،  
 ١٩٦٨ -

### ثالثا - مراجع باللغتين الانجليزية والفرنسية :

1. Alvarez, F. : Narrative of the Portuguese Embassy to Abyssinia during the years, 1520-1527, London, 1881.
2. Barbosa, D. : A Description of the Coast of E. Africa and Malabar in the beginning of the Sixteenth Century, London, 1866.
3. Castanhoso, M. : The Portuguese Expedition to Abyssinia in 1541-1533, London, 1902.
4. Dernes, M. : The book of Duarte Barbosa, 1518, 2 vols, London, 1921.
5. Depping, G. B. : Histoire du Commerce entre le Levant I; Europe, 2 vols, Paris, 1830.
6. Heyd, M. : Histoire du Commerce du Levant, 2 toms, Leipzig, 1925.
7. Kammerer, A. : La Mer Rouge ..., 2 tomes, Le Caire, 1929, 1935.
8. Marco, E. : Yemen and the Western World, London, 1968.
9. Serjeant, R.J. : The Portuguese off the south African coast, Oxford, 1963.
10. Stephens, H. M. : Portugal, London, 1891.
11. Strandes, J. : The Portuguese Period in East Africa, Nairobi, 1961.
12. Wilson, R. T. : The Persian Gulf, London, 1945.

### رابعاً - دوريات :

1. Journal of Royal Asiatic Society (J.R.A.S.) : Jan., Oct., 1931.

تجارة  
البحر الأحمر  
في عصر المماليك  
الجراكسة

للدكتور محمد أمين صالح

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد

كلية الآداب - جامعة القاهرة

---

تتضح أهمية موانئ ساحل مالابار مثل كاليكوط وبابل وكوش وكولم ، وأيضا موانئ ساحل جوجارات مثل ديو وكيمبي في كونها مستويات لبضائع الشرق الأقصى الواردة من الصين وجزر الهند الشرقية والملايو ، فضلا عن قريبا من مصادر إنتاج التوابل وخاصة الفلفل على منحدرات الجهات القريبة . ومن هذه الموانئ الهندية تخرج الرحلات البحرية إلى هومز على الخليج العربي أو عدن التي اشتهرت كميناء رئيسي تنهي فيه السفن الهندية رحلاتها الموسمية حيث تفرغ شحناتها من بضائع الشرق الأقصى وإفريقيا ، وتقبل راجعة بمنتجات الشرق الأدنى وأوروبا . أما البضائع الشرقية فتنتقل من عدن شمالا أما بطريق القوافل غرب الجزيرة العربية وأما على سفن أخرى صعيدا في البحر الأحمر .

---

وتسير القوافل من عدن إلى مكة برا في طريقتين - أحدهما طريق الجادة السلطانية بساحل تهامة ، والثاني الطريق الجبلي مارا بصنعاء وبعده وجرش ونجران . وتنشط القوافل في مواسم الحج لتغذية أسواق الحجاج ببضائع الشرق الأقصى التي يقبل على شرائها الحجاج والتجار الذين يأتون مع المعمل ، ويمودون في طريق بري معروف . يبدأ من مكة إلى أهلة حيث ينفصل المركب المصري عن المركب الشامي . ويسير الأخير في وادي حربة الذي يربط خليج العقبة بالبحر الميت لتنفذ منه التجارة إلى مدن الشام وموانئها - أما المركب المصري فإنه يمبح صغراء سيناء مارا بنخل ووادي سدر وعيون موسى إلى السويس ومنها إلى القاهرة مارا بمجرود وشيخ التكروري والحمر والبويب إلى الريدانية التي حلت محلها بركة الحاج بعد عام ٨٤٥ - ١٤٤٢ حيث كان يتوقف الحجاج وجمهرة التجار ويأتي إليهم سكان القاهرة لاستقبالهم وحيث أيضا كانت تتم بعض الصفقات .

أما الطريق البحري فكانت السفن تخرج من عدن لتدخل البحر الأحمر إلى عدة موانئ : جدة أو ينبع في موسم الحج أو بعده أو من عدن رأسا إلى أربع موانئ مصرية وهم على الترتيب في الأهمية : الطور - عيذاب -

القصور - السويس ، الى أن حدث التطور الجديد لتجارة البحر الأحمر منذ  
الربيع الثاني من القرن التاسع الهجري - العاشر الميلادي .

هذا وقد اُتُرف على تجارة البحر الأحمر واستفاد منها ثلاث قوى  
سياسية هي : الدولة الرسولية ثم الطاهرية باليمن ، جماعة الأشراف حكام  
العجاز في اطار التبعية للدولة المملوكية بمصر ، ولقد كان من المنتظر  
أن يقوم التعاون والاتفاق الكامل بين هذه القوى المشرفة على تجارة ذلك  
البحر بما يحقق منافع اقتصادية لها جميعا غير أن الدارس لهذه العلاقات  
يجد أمرا عجيبا . كل منها له سياسة خاصة يحقق منفعة ذاتية على حساب  
الآخرى دون اعتبار لمصلحة عامة مشتركة .

فالحكام الرسوليون باليمن منذ مطلع القرن التاسع الهجري عدلوا عن  
السياسة الرشيدة التي اتبعها أسلافهم ، بكثرة المظالم ومصادرة الأموال على  
عهد الملك الناصر ٨٠٣ - ٨٢٧ / ١٤٠٠ - ١٤٢٣ ، مما جعل التجار يخرجون  
من عدن الى الهند أو الى جدة تاركين أموالهم ، كما جعلت قادة السفن الهندية  
يفكرون في تفادي عدن والاهجار مباشرة الى موانئ أخرى في البحر الأحمر  
لتفريغ شحناتهم وهو ما حدث عام ١٤٢٥ / ١٤٢٢ عندما خرج ناخوذاه هندي  
بسفينته من قاليقوت وأراد تجنب طغيان السلطات اليمنية في عدن ، فعبر  
باب المندب وتوجه الى جدة . فهل كانت الأحوال بالعجاز تجعله مستعدا  
للاستفادة من هذا التطور الجديد في تجارة البحر الأحمر ؟

نجد بيوت الأشراف من بني قتادة الحسينيين في نزاع دوي ضد بعضهم  
البيض بصفة عامة وضد الأمير القائم منهم بصفة خاصة . مما أدى على  
فقدان الأمن المناسب لواسم الحج والتجارة بما كان يحدث من عدوان مستمر  
على السفن الواردة الى جدة أو نهب للبضائع المكسبة في مستودعاتها أو مصادرة  
أموال التجار الوافدين والمقيمين على السواء فقد نهبت جدة مثلا في عام واحد  
وهو عام ٧٨٩ - ١٣٨٧ مرتين من كلا الفريقين المتنازعين .

وقد تدخلت السلطات المصرية في محاولات التوفيق واسترضاء الأطراف  
الطامعين في الامارة فولى اثنان منهما اتفاقا على تصف الامارة عام ٧٩٢ ولكل  
منهما وكلاء في مكة للحكم وبعضهم لتحصيل حقوق سيده . وفشلت هذه  
الوسيلة في تحقيق الأمن المنشود بما حدث من اشتداد نواب الحاكمين بالعجاز  
والتجار في موسم عام ٧٩٣ / ١٣٩١ ونهب حجاج اليمن بطريق مكة - نهباً  
فاحشاً وكذا نهب العجاج المصريين ولم ينتج منهم الا من نزل بمصحبة أمير  
الحج المصري وبعض الأشراف المسالمين .

وعادت السلطات المصرية الى تركيز الولاية في آل عجلان الأقوياء فول  
منهم علي بن عجلان ٧٩٤ - ١٣٩٧/١٣٩٢ - ١٣٩٤ ثم أخوه حسن بن عجلان  
٧٩٧ - ١٣٩٤ وعمل الاثنان بسياسة واحدة وهي الاشراف على شئون الحج  
والتجارة بحماية قوافل تجار اليمن عسكريا ، واخضاع الاشراف الثائرين وان  
اقتلفت وسيلة كل منهما . فالأول حاول استرضاء الاشراف بالأموال ومع  
ذلك فلم يتورعوا عن مهاجمة جدة في ربيع الاول ٧٩٥/يناير - فبراير  
١٣٩٣ طعنا في سفينة مصرية مشحونة بالفلل أنعم بها السلطان على أمير  
مكة واضطر هذا الى اعطائهم منها ٥٠٠ غرارة حتى يخرجوا عن جدة . ومع  
ذلك ظلوا يفسدون في الطريق مما ألجأ تجار الكارم الى الاعراض عن جدة  
والتوجه الى ينبع ميناء المدينة فلهذا قلل الأمير ضرر كبير واضطر الى أخذ  
أموال من المجاورين بمكة ليسد مطالب الاشراف المتزايدة ومازال حريصا على  
ارضائهم الى أن قتل في شوال ٧٩٧/أغسطس ١٣٩٤ أما الثاني فقد لجأ الى  
سلاح القوة لاختفاء شوكة الاشراف المناوئين فوقع بهم كارثة في موقعة الزبارة  
شعبان ٧٩٨/يونيه ١٣٩٦ . وإذا كان أمير مكة قد فاته النفع في موسم هذه  
السنة لعدول تجار اليمن عن جدة الى ينبع بسبب تلك الحرب فانه ضمن  
الآمن الداخلي وقلت حوادث الثورات والنهب نسبيا عن ذي قبل واستحق  
شكر السلطان . كما عمل على طمأنة تجار اليمن وترغيبهم في العودة الى  
جدة سواء بقيامه شخصيا بحراسة التجار في رحيلهم الى مكة وفي العودة اذا  
لاح شبه خطر ، أو باستقاط الثلث من قيمة الضرائب الجمركية الواجبة ثم  
أنه عين موظفا خاصا مسئولا عن جدة قام بمدة اصلاحات في الميناء وحدد  
مرتبات للاشراف مبطلا رسومهم التي كانت تؤخذ من التاجر عند الجبابة .  
وبذلك قطع حيلة الاشراف بالتجار وأراحهم من مطالباتهم . وبمعنى آخر  
جعل أمير مكة بمفرده صاحب الحق في هذه الضرائب . وسرعان ما أتت هذه  
السياسة ثمارها بمودة تجار الكارم الى جدة وازدياد عددهم من عام الى آخر .

وعلى الجانب المقابل لهذه الجهود الطيبة طمع سلاطين الماليك في  
الحصول على أموال من أمير مكة يبدأ ذلك السلطان فرج الذي تميز عهده  
بكثرة المصادرات والاقتراض من التجار وفرض ضرائب استثنائية على سائر  
أراضي مصر لمواجهة غزوات تيمور لثك فضلا عن الغلاء الذي طرأ ديار  
مصر عام ٨٠٦/١٤٠٣ - ١٤٠٤ حتى خربت أراضي مصر والقمام . اتجه  
السلطان فرج في بادئ الامر الى طلب المساعدة المالية من الشريف حسن

ابن عجلان عام ٨٠٨/١٣٠٥ - ١٣٠٦ ثم اجاب التماسات أمير مكة بمشاركة ابيه بركات عام ٨٠٩/١٤٠٦ ثم أحمد عام ٨١١/١٤٠٨ معه في اماره مكة وصار الشريف حسن نائباً للسلطنة بالحجاز في مقابل الهدايا الطائلة .

ثم تطور الأمر الى فرض الالتزامات المالية على أمير مكة تحت تهديد المزول . ففي شوال ٨١٢/فبراير ١٤٠٩ عزل حسن بن عجلان وولديه بركات وأحمد ثم أعيدوا الى مناصبهم في الشهر التالي في مقابل التزامات مالية سنوية وجاءتهم الخلع والتقاليد صعبة فيروز الساقى في موسم حج هذا العام ليقبض ما التزم به الشريف حسن . فحصل منه ألف زكبية للسلطان غير ما لفيزوز وشعنت المراكب بحضوره ووصلت سالمة الى مصر بطريق الطور وبهيمت بخمسين ألف مثقال . وعندما تأخر الشريف حسن بعد ذلك عن ارسال الهدية « مقابل ما التزم به » أرسل له السلطان يمتب عليه تقصيره في الخدمة فأصرح هذا بإرسال الالتزام المالي بعد انقضاء موسم حج عام ٨١٤ .

وموضع الأهمية في هذه الالتزامات المالية هو التجار الشريف حسن الى تمويلها أو استخلاصها من تجار الكارم والتجائه الى استخدام بعض الوسائل غير المشروعة لسدادها تجنباً لمزله من منصبه كالاقتراض من التجار مع عدم الوفاء لهم أو القبض عليهم وابتزاز بعض أموالهم أو فرض مبالغ طائلة عليهم نظير اصلاح سفنهم في مرفأ جدة دون اتباع القاعدة في أن يأخذ نسبة الربح فقط من قيمة البضائع المحمولة على تلك السفن المعطوبة . وأدت تلك الاجراءات الى سخط تجار الكارم وتدخل ملك اليمن لصالح تجاره - فسمى لدى السلطان المؤيد شيخ لمزول الشريف حسن بن عجلان وولديه بتركية تولية أحد الأشراف الثائرين . فاستبدل بالشريف رميثة بن محمد بن عجلان. وهكذا تحول الأمر السابق الى مناوئهم خطير للمسبب الجديد في الفترة من ربيع الاول ٨١٨ الى رمضان ٨١٩ . ثم أميد الشريف حسن مرة أخرى الى منصبه بعد أن استرضى السلطان بالهدايا وقدم وعده باسترضاء ملك اليمن . وبالفعل أحسن الشريف حسن معاملة تجار الكارم الذين وصلوا في صفر ٨٢٠/مارس أبريل ١٤١٧ ، كما تنازل عن بعض الضرائب على تجارة الملك الناصر محتذراً مما أخذه للحاجة اليه . فأعجب ذلك الملك اليمني حتى أنه أمر تجاره بقصد جدة في هذا الموسم فقدموا بأعداد أكبر من كل سنة واستطاع الشريف حسن الوفاء بالتزاماته قبل السلطان المؤيد وهو ٣٠ ألف مثقال





أولا - استمر الأشراف في حكم مكة لكنهم كانوا أكثر خضوعا من أسلافهم نظرا للإجراءات الجديدة . فقد أوجد برسباي قوة عسكرية دائمة في مكة تبرز سنويا في موسم الحج وفي وقت وصول السفن الهندية ، وتزيد في حالة الضرورة . كذلك أكمل برسباي النفوذ المصري في المدينة المنورة ويتبع التي كان حكامها يستفيدون من تحول السفن اليمنية إليها مع ضمان الاتصال السريع بالحجاز بأن بدأ منذ عام ١٤٣٨/١٤٣٦ - ١٤٣٥ سفر الوحدات العسكرية بحرا من الطور الى جدة متجنبين مخاطر البدو في الصحراء علاوة على حفر الآبار وحفظ الأمن في طريق الحج والتجارة البري .

هذا وقد اكتفى برسباي بهذه الإجراءات العسكرية لإقرار الأمن والنظام بدلا من القضاء على سلطان الأشراف وفرض السيادة المصرية العامة على الحجاز دون منازع أو شريك منهم وهذا الأمر الذي فكر فيه من قبل كل من السلطان محمد بن قلاوون عام ١٣٣١/٧٣١ والسلطان شعبان عام ١٣٦١/٧٦٢ للتخلص نهائيا من ثورتهم ومنازعاتهم المستمرة التي كانت تؤثر على النشاط التجاري بمكة . وربما كان انشغال برسباي بمسألة قبرص ومحاولة القضاء على القرصنة في البحر المتوسط قد أهدأ تنفيذ هذه الفكرة رغم ما قدمه الأمير بشبك الساقى من نصيحة الى السلطان بالاستيلاء على بندر جدة .

صحيح أنه قد ساد الأمن النسبي بالحجاز لفترة طويلة الا أن القلاقل والاضطرابات ثارت بصورة مفرقة بمودة بني حسن بن عجلان الى النزاع المسلح بينهم مدة خمس سنوات ٩٠٦ - ١٥٠٠/٩١٠ - ١٥٠٤ فتبعت جدة ومكة وكذلك القوافل بينهم عدة مرات ومنع سفر النساء للحج حامين متتاليين ٩٠٨ ، ٩٠٩ . وماكادت الأمور تهدأ قليلا حتى تعرض الحجاز مرة أخرى لثورة عاتية استمرت الى عام ١٥٠٨/٩١٤ - ١٥٠٩ تعرضها كل من أمير ينبع وأمير خليص والتف حولهما المريان حتى منع السلطان سفر الحجاج قاطبة بين مصر والشام وكذلك الركب المغربي والركب التكروري . وهذه أول مرة يحدث فيها منح الحج في العصر المملوكي كله .

وربما كان السلطان الفوري مضطرا لاتباع سياسة التسامح لانهايم الثورات الدامية لاسيما وقد عاصر هذه الأحداث اضطراب الأموال الداخلية في مصر لقلّة الأموال وكذلك ثورات المماليك الجليان من ناحية ، يدم تواجد البرتغاليين في البحار الشرقية واقتراب الخطر الذي يهدد بضياع

تجارة البحر الأحمر وبالتالي كيان مصر الاقتصادي من ناحية أخرى • وادت الأحوال في ذلك الوقت الى توزيع جهود مصر وقواتها العسكرية بدلا من التركيز في جبهة واحدة مما أضعف وقتا ثميننا تمكن فيه البرتغاليون من تثبيت أقدامهم في بحار الهند •

ثانيا - استمر يندر جدة في الاقدهار ووصفها الماصرون بأنها من أعظم الموانئ على البحر الأحمر • فقد اهتمت الحكومة بإصلاح الميناء عام ١٤٢٨/٨٣١ وجعله صالحا لاستقبال أكبر عدد من السفن التي بلغت سنويا ما يتوف من مائة سفينة منها مراكب كبيرة ذات سبعة أشرع • كذلك عملت الحكومة على تركيز تجارة البحر الأحمر في جدة حتى تضاعفت بجانبها الموانئ الاخرى على ساحل البحر الغربي مثل عيذاب والقصير بل لقد قضى عليهما تماما وأقفل الطريق البري منهما الى قوص • وكان قد تمرض لهجمات قبائل بني كنز وعرب الهوارة الذين سيطروا تماما على منطقة أموان منذ أوائل القرن الخامس عشر • ونظرا لانعدام الامن في جنوب مصر أخذ نشاط ميناء عيذاب التجاري يتقلص تدريجيا ، كما أقل من قبل كمينام لمرور وتحول ذلك كله الى الطور الأمر الذي أعطى جدة ميزة مسبقه كونها محطة في منتصف الطريق بين عدن والطور وظلت عيذاب تحتفظ ببعض النشاط التجاري الى أن قرر برسيبي تخريبها عام ١٤٢٦/٨٣٠ لتتفرد جدة بتجارة البحر الأحمر ، كما هوجمت سواكن عام ٨٤٣/٨٤٤ لنفس الغرض أيضا •

ويقرر أحد الباحثين أن الدافع الأساسي من قيام السلطات بتخريب عيذاب لم يكن الرغبة في ازالة ميناء يتنافس جدة ، وإنما كسر شوكة قبائل الكنز لأن تخريب هذا الثغر يعطل مصالح تلك القبائل ويؤثر على حياتهم • وقوله مردود بأن هذه المصالح قد أضربت فعلا بسبب قلاقلهم وفسادهم في الصحراء الشرقية وتمديهم المستمر على صعيد مصر فأضاعت تجارة عيذاب وما كانت مصالحهم تتحقق الا بسلوكهم وعلاقتهم السلمية مع مصر • كما لم تكن منافسة خطيرة تدعو الى ازالة الاولى لتبقى الثانية ولكن الأمر كما تمتقد هو جعل هذا الميناء الأوحده للتجارة الشرقية في البحر الأحمر • وضمنا تركيز جميع الممليات التجارية في جدة لتحصل الحكومة على الضرائب المقررة على تجارة العبور •

ويقصر هذا الغرض أيضا أسباب تغير سياسة مصر ازاء اليمن • فقد

كان من الطبيعي أن يتأثر مركز عدن التجاري تأثراً مباشراً من منافسة جدة مما جعل الملك المنصور حيد الله ٨٢٧ - ١٤٢٣/٨٣٠ - ١٤٢٦ يقوم بمنع مرور ثلاث سفن هندية إلى البحر الأحمر عام ٧٤/٨٢٨ - ١٤٢٥ . لذا أراد برسباني ردهم حرصاً منه على مستقبل جدة وأشار عليه البعض بالاستيلاء على اليمن . غير أن برسباني أرسل وقداً كان له مظهر سلبي مكلف بالتعرف على الأحوال هناك . ونزل هذا الوفد المكون من خمسين من المالكين السلطانية على بني يعقوب وتوجه الأمير يريفا القنوبي ومعه خمسة منهم لمقابلة الملك المنصور ومعه هدية وكتاب من السلطان يطلب مالا للمساعدة على قتال الفرنج في قبرص .

وبينما كان الملك يستعد لاجابة مطالب السلطان قام بغية المالكين بنهب بعض الضياع وقتل بعض الرجال . عند ذلك تنبه الملك وشك في نواياهم وطردهم من أرضه وعزم برسباني على الانتقام غير أنه فشل بفرو قبرص واستمر الملك الظاهر يحيى ٨٣١ - ١٤٢٧/٨٤٢ - ١٤٣٨ في سياسة سلفه بإجبار تجار الشرق بالقوة كي يرسوا في عدن . فأشاع برسباني أنه يمد حملة لمهاجمة اليمن لخاف الملك يحيى وأرسل يقسم للسلطان أنه سوف لا يمترض للسفن المارة وسيترك لها الحرية في اختيار الميناء الذي ترهبه .

بالإضافة إلى ذلك قرر برسباني عام ١٤٣٤/٨٣٨ مضاعفة الرسوم الجمركية ( المقر ) على التجار المصريين والهاميين ، ومصادرة بضائع التجار اليمنيين إذا هم اشترؤا بضائع من عدن وجاموا بها إلى جدة ، كانه يريد بذلك أن يخلق اليمن اقتصادياً يمد أن يمدت عنه عسكرياً هذا في الوقت الذي بدأت فيه قوة آل رسول في الضعف بسبب الحروب الأهلية وأعمال النهب واحتراق عدن وزبيد حتى سقطت دولتهم وقامت الدولة الطاهرية عام ١٤٥٦/٨٦٠ .

على أن عدن كمستودع تجاري لم يتلاش أمرها أمام ازدهار جدة كما يذكر المؤرخون فقد عاش بعدن كثير من التجار وبلغ أعدادها عام ١٤٧٨/٨٨٣ ما ينوف عن خمسة مكوك من الذهب ومن نقد الفضة أضعاف ذلك لاستمرار تعاملها مع موانئ الشرق بوصول السفن الهندية إليها أو الخروج منها إلى الهند . وبديهي أن يستمر تعامل عدن مع جدة الأمر الذي سيكون له اعتبار عند وضع التنظيمات المالية لتجارة جدة .

ثالثا - كان هناك اجرام وقائي اتخذته الدولة للمحافظة على سلامة البحر الأحمر وتجارته . فمنذ زمن الحروب الصليبية كان دخول البحر الأحمر مفتوحا على الفرنج لعدة أسباب دينية حماية للأراضي المقدسة الاسلامية من اعتداءات الصليبيين ، وسياسية خشية قيام تحالف بين الحبشة والمسيحيين الغربيين ، ثم اقتصادية تجنباً لمحاولات الفرنج القضاء على تجارة مصر مصدر ثرائها . ثم خفت وطأة هذا التحريم اذ كان يسمح لبعض الاوربيين وخاصة الايطاليين بدخول البحر الأحمر بمسند منحهم جواز مرور من السلطات المصرية . وظل هذا السماح قائما حتى كشف الاتصال الجاري بين اسحق ملك الحبشة والفونسو الخامس ملك أراجون بواسطة التاجر نور الدين علي التبريزي في ربيع الثاني ٨٣٢ يناير ١٤٢٩ للاتفاق على حملة صليبية مشتركة وحرصا على سلامة تجارة البحر الأحمر ، أعيد مرة أخرى إغلاق المرور في البحر الأحمر أمام الأوربيين . وظل هذا الاعتزاز قائما ازام التهديدات المستمرة من جانب زرع يعقوب ملك الحبشة بتجهيز أسطول لأخذ سواحل بلاد الحجاز ، وقد أوشك الايطالي ينكولادي كونتي أن يفقد حياته في جدة أثناء عودته من الهند لولا أنه أنكر مسيحيتة فاطلق سراحه والتقى مع بيرو ثافور عند الطور الذي عدل عن فكرته بالسفر الى الهند عند سماعه هذه الأخبار المزعجة . وكذلك البيرو دي سارتانو مبعوث البابا ايوجين الرابع ١٤٣١ - ١٤٤٧ أراد أن يسلك طريقا بعييدا من مصر بالوصول الى الحبشة فبدأ من شبه جزيرة القرم الى الخليج العربي ولقح أخيرا في أيدي السلطات المصرية في عهد السلطان جقمق . كذلك قبض الشريف بركات بن محمد في جمادى الأول ٩١٦ أغسطس ٩١٠ على ثلاثة أشخاص من الفرنج متخفين في زي الأروام وتحقق أنهم جواسيس بعض ملوك الفرنج وأرسلهم الى القاهرة .

ومع ذلك فقد تمكن بعض الاوربيين من دخول البحر الأحمر والرحيل من الطور الى عدن ثم الى الهند وشرق افريقيا وعادوا الى القاهرة نذكر منهم يدرو دي كوفيلام وزميله الفونس دي بايغا التي كانت رحلتهما بين هامى ١٤٨٨ - ١٤٩٠ من أخطر الرحلات لارتباطهما بمشروعات البرتغال . فقد كلفهما ملك البرتغال مهمة من مملكة الحبشة واكتشاف المناطق المنتجة للتوابل وكذا استكشاف الطرق التجارية الموجودة وامكانية ايجاد طرق أخرى بديلة . وقد انضم الرجلان الى قافلة مغربية ورحلا بالبر الى الطور ثم بالبحر الى عدن وقد تمكن يدرو دي كوفيلام من الوصول الى الهند قبل فاسكودي جاما

بعض سنوات فزار كنانور وقاليقوط وجوا ثم عبر المحيط الهندي الى سوغالا على ساحل شرق افريقيا ثم عاد في البحر الأحمر الى الطور ومنها الى القاهرة حيث علم بقتد رفيقه الذي كان قد افترق عنه في عدن للبحث عن مملكة الحبشة . وقد أرسل يدرو دي كوفيلام الى البرتغال معلومات ثمينة كانت بلاشك دافعا قويا لها على استئناف بعثاتها الكشفية . وكذلك توجد قصص عديدة عن التجار الايطاليين الذين كانوا يتاجرون في مصر في القرن الخامس عشر ويذهبون الى آسيا . وقد وجد فاسكودي جاما الكثيرين منهم عند وصوله قاليقوط عام ١٤٩٨ .

ولكن لم تستطع أوروبا ابدأ الحصول على السلع الشرقية مباشرة من مناطق انتاجها وانما كانت دائما مضطرة الى البيع والشراء مع مصر لأنه لا يمكن لأية بضاعة من التوابل أن تمر أو تباع في أي مكان الا في بلاد السلطان لأن الحكومة المصرية هي السيد المطلق في البضائع الشرقية التي تصل عبر البحر الأحمر بسبب التنظيمات المالية والاقتصادية لتجارة البحر الأحمر .

رابعا - كانت القاعدة في الرسوم الجمركية هي قيمة المشر في البضائع التي يأتي بها التجار من عدن الى الموانئ المصرية . فبدأ تحصيل ضريبة الوارد هذه من التجار الهنود في جدة مضافا اليها رسوم أخرى فقررت للناظر والشاهد وشهود القبايى والصيرفي وغير ذلك من الاعوان وصلت في مجموعها الى نحو ١٥٪ وقد تضرر التجار الهنود من هذه الزيادة في الضرائب علاوة على ما كان يطرح عليهم من المرجان والنحاس اثنان لبضائهم . فعاد أغلبهم الى عدن عام ١٤٣٣/٨٣٧ .

واضططر يرسباي ازام هذا العمل الضعيف الى التخفيف عنهم في الموسم التالي بأن كتب في ١٣ صفر ٨٣٨/٨ سبتمبر ١٣٤ بالاكثفاء بتحصيل قيمة العشر فقط .

ويبدو أن هذا المرسوم لم ينفذ في السنوات السابقة أو أنه احتاج الى تعزيز اذ أصدر السلطان جقمق مرسوما آخر عام ١٤٣٩/٨٤٢ يقضي بعدم تحصيل أكثر من المشر على التجار الواردين الى جدة بحرا على أن يؤخذ صنفا لا مالا من كل عشرة واحد ، وبطلان ما كان يؤخذ سوى ذلك من رسوم الباشرين وغيرهم .

وإذا كانت الدولة لم تحاول زيادة هذه الرسوم الجمركية عن قيمة  
المشر فإنها عوضت ذلك بتمدد تحصيل هذا المشر في مراكز جمركية مختلفة  
كضريبة صادر يرد ذكرها فيما بعد .

أما عن حقوق الأطراف المعنية في هذه الرسوم فنلاحظ أنه عند بدء  
عصر الجراكسة وقبل التطور الجديد لتجارة البحر الأحمر كان للأشراف  
حكام العجااز حق جباية هذه الضرائب لصالحهم من التجار الذين يأتون برا  
من اليمن ومن العراق الى مكة في الموسم وأيضا من التجار الذين يأتون من  
اليمن بحرا الى جدة . وتبعاً لذلك قام الشريف علي بن عفان بتحصيل  
الرسوم الجمركية على السفينتين الهنديتين اللتين وصلتتا جدة في جمادى  
الأول ٨٢٧/ أبريل ١٤٢٤ لصالحه غير أن الحكومة المصرية استحدثت نظارة  
جدة كوظيفة سلطانية يخلع على متوليها كل عام ويسافر الى جدة صحبة القوة  
المسكورية الجديدة ويتواجد بها وقت وصول المراكب الهندية اليها وهو المكلف  
بجميع الضرائب الجمركية على البضائع الشرقية . وأول من عين لهذا المنصب  
ابراهيم بن سعد الدين المشهور بابن المرة سافر من مصر في ربيع الاول  
٨٢٨/ فبراير ١٤٢٥ الى جدة ليستقبل وصول أربعة عشر مركبا موسوقة  
ببضائع الهند ، فأخذ منها المشر . وهذا أول ما أخذ من المشر لصاحب  
مصر بجدة « الذي بلغت قيمته سبعين ألف دينار عاد بها ابن المرة الى القاهرة  
في المحرم ٨٢٩/ نوفمبر - ديسمبر ١٤٢٥ ومن ثم تمارضت مصالح السلطين  
المركزية والمحلية في أحقية كل منهما في هذا المورد المالي فأصدرت الدولة  
مراسيم بتنظيمات مالية جديدة تحقق بها منفعتها الخاصة .

ونصت هذه المراسيم على التفرقة بين تجارة البر الواصلة الى مكة  
وبين تجارة البحر في جدة بالنسبة للتجارة البرية ثبت للأشراف حقهم في  
تحصيل المكوس لصالحهم استمرارا لما كانوا يحصلون عليه من قبل .

أما المشور على التجارة البحرية الواردة الى جدة سواء بالسفن الآتية من اليمن  
أو من الهند مباشرة فقد جعلها السلطان برسباي جميعها من حقوق الدولة  
مستحوذا بذلك على حق سابق للأشراف في مكوس السفن الواصلة الى جدة  
وقد حصلها الشريف علي بن عفان فعلا لأخر مرة عام ٨٢٧ وحصلها ناهر  
جدة في العام التالي وجاء بها الى القاهرة كما أشرنا آنفا .

ولكي يسترضي السلطان أمير مكة عن هذا الاجرام الأخير فإنه أجرى  
مساومة مالية مع الشريف بركات بن حسن بن عجلان . فقد كان أبوه أمير

مكة السابق واللاجيء الى حل بن يعقوب متجنباً الاحتكاك بالعامة المصرية  
قد جاء الى القاهرة مصالحا للسلطان في المحرم ٨٢٩ / نوفمبر ديسمبر ١٤٢٥  
وخلع عليه من جديد . في امرة مكة نظير دفع مبلغ ثلاثين ألف دينار سنوياً .  
وما لبث أن تولى الشريف حسن بالقاهرة في جمادى الاولى ابريل ١٤٢٦  
قبل أن يرحل الى مقر حكمه فاستدعى ابنه بركات الذي حضر الى القاهرة  
في رمضان / أغسطس وخلع عليه بالولاية في ذي الحجة / أكتوبر ملتزماً بحمل  
عشرة آلاف كل سنة وأن لا يتمرض لما يؤخذ بجدة من عبور بضائع التجار  
الواصلين من الهند أو غيره .

وهكذا أنقص برسبائي عشرين ألف دينار من قيمة الالتزام المالي قبل  
شريف مكة مقابل حق الدولة في حصيلة الرسوم الجمركية على التجارة البحرية  
جميعاً والتي وصلت فعلاً أول هذا العام بقيمة سبعين ألف دينار .

ولم يكن الأشراف يرضون بهذا الحرمان من حق سابق لهم . فثاروا  
في رمضان ٨٣١ / يونيه - يوليه ١٤٢٨ مطالبين بحقوقهم السابقة في جدة  
قبل وصول السفن الهندية مباشرة اليها . فأرسل برسبائي قوة عسكرية  
قوامها خمسون جندياً بقيادة اسنط الطياري أحد أمراء « العشرات تقوية  
لناظر جدة على حفظ المال » .

ومع ذلك فقد رغب برسبائي في استقرار الامن بالحجاز ضماناً لرواج  
التجارة فتنازل في العام التالي للشريف بركات عن ثلث تلك المشور - واستمر  
الحال على ذلك بضع سنين بدون رضاء الشريف بركات الى أن قام بثورة أخرى  
عام ٨٤٠ / ١٤٣٧ وانتهى النزاع الأخير بالاتفاق على أن يأخذ أمير مكة نصف  
الأموال التي تحصل على البضائع الواردة من الهند وصرفت بالهندي تمييزاً  
لها عن رسوم التجارة المكية البرية التي عرفت بالمعديني فهي من حقوق أمير  
مكة جميعها . وكل من الهندي والمعديني ضرائب جمركية على الواردات .

ومن ناحية ثانية أرادت الدولة مشاركة أشراف مكة في المعديني أيضاً  
بالنصف مثل مشاركتهم لحق السلطان في الهندي فقد أمر السلطان قايتباي  
٨٨٣ - ١٤٧٩ / ٧٨ بتحصيل نصف المعديني وأمر السلطان على تنفيذ هذا  
الأمر رغم مراجعة الشريف محمد بن بركات وناظر جدة له في ذلك ونفذ هذا  
الأمر مدة عامين ثم عاد قايتباي وأنعم بجميع المعديني على الشريف في مقابل  
خدمة السلطان في حجته .

كذلك لم يفت الجراكسة تحصيل رسوم جمركية على التجارة المكية بطريق آخر دون المساس بحق الأشراف في العدني وذلك بفرض رسوم جمركية على المصادر من هذه التجارة البرية من مكة الى العراق أو الشام ومصر . واعتبره القرطبي مظلمة جديدة على الحاج تطبيقا على ما ذكره في حوادث الحرم ٨٢٩/ نوفمبر - ديسمبر ١٤٢٥ بالزام التجار الذين اشترؤا بمكة وخرجوا في قافلة الحج الى الشام بالحضور الى القاهرة مع المركب المصري لتؤخذ منهم مكوس بضائهم فنزل التجار والحجاج بركة الحاج وخرج اليهم مباشرة الحج وأعاونهم واشتدوا عليهم وقد نفذ هذا الالتزام لمواسم الحج في المامين التاليين ونودي مرة أخرى في موسم حج عام ٨٣٠/ ١٤٢٦ بضرورة حضور جميع التجار الى القاهرة والا ترضوا للقتل والمصادرة .

وعندما اشتمكى تجار الشام من ذلك تم الاتفاق في ربيع الثاني ٨٣١/ يناير وفبراير ١٤٢٧ على اعفائهم من الحضور الى مصر على أن يؤخذ منهم بمكة من كل حمل قل ثمنه أو كثر ثلاثة دنانير ونصف . وإذا حملوا ذلك الى دمشق يؤخذ منهم المكس هناك كالمادة على أن الالتزام بالحضور الى القاهرة عاد مرة أخرى مع تشديد الحراسة عليهم في الطريق وتقديم وعد أحمالهم حتى قدموا صعبة الحاج الى القاهرة في الحرم ٨٣٢/ أكتوبر ونوفمبر ١٤٢٨ وقد نفذ هذا الالتزام بكل دقة حتى أنه في عام ٨٣٩/ ٣٥ - ١٤٣٦ صودرت أحمال من البهار لطائفة من أحيان دمشق حملت من الحجاز الى دمشق مباشرة دون المرور على القاهرة ولم يخرج عن هذه البضائع الا بعد أن دفع هؤلاء التجار مالا اتفقوا عليه الى ناظر الخاص .

وأخيرا نلاحظ أن المراسيم التي أصدرها يرسباني لتنظيم هذا المورد المالي الجديد أيا كانت من تعدد دفع ضريبة المفتر على البضائع التي تصل الى كل مدينة داخل أراضي الدولة . فهي أولا في جدة ومكة على جميع التجار ثم عند المراكز الجمركية على الطرق البرية الموصلة من الحجاز الى مصر والشام والعراق عند بدر وحسين وجسر الحسا والمقبة . والمركزيين الأولين على طريق الحج العراقي والثالث قرب الكرك والأخير خاص بمصر . كما أقيم بالطور مركز جمركي للتجارة التي تأتي بالبحر ومرة ثالثة تدفع ضريبة المفتر عند الوصول الى القاهرة حتى أن ثمن السلعة في مصر أصبح خمسة أضعاف ثمنها في الهند هذا بجانب تطبيق نظام الاحتكار الأمر الذي أدى بطبيعة الحال الى ارتفاع أسعار البضائع الشرقية وخاصة التوابل .



خامسا - بلغت التنظيمات الادارية والمالية لتجارة البحر الأحمر في عهد السلطان برسباي ذروتها بإصدار الحكومة عدة مراسيم لتنفيذ سياسة الاحتكار التجاري تجعل من السلطان التاجر الوحيد لتجارة البحر الأحمر وخاصة التوابل وأصبح الاحتكار نظاما اقتصاديا سارت عليه الدولة حتى نهاية العصر .

ويتوقف الباحثون كثيرا لمعرفة الأسباب التي أوحت للسلطان برسباي اتباع هذه السياسة التجارية الجديدة فمنهم من يربطها بفساد النظام الاقطاعي في أواخر الدولة المملوكية الاولى وأوائل الثانية ومجزء من الوفاء بالتزامات الدولة المالية بمد أن أهملت العناية بشؤون الري ومنهم من يربطها بحاجة الدولة الى الأموال لتغطية نفقات حملة قبرص أو أن برسباي أغرقه المكاسب فتوسع في احتكار تجارة المبور .

ومهما يكن من سبب فقد كان هناك المتجر السلطاني كأحد أجهزة الدولة يتولاه ناظر الخاص ويختار من بين تجار الكاريم للاستفادة من خبرتهم في إدارة المتجر مثل إبراهيم بن عمر بن برهان الدين المحلي التاجر المشهور في عهد السلطان فرج وبرقوق ومثل شيخ على الكيلاني الذي جهزه المؤيد شيخ بخمسة آلاف دينار ليشتري له الفلفل بفرض التجارة واجتهد الكيلاني في مهمته إذ اشترى معظم الفلفل الوارد الى جدة بسم ١٥ دينارا لكل مائة من ( المكيال ومائة منه تساوي قنطارا ) واشترى التجار باقي الفلفل بسم خمسة وثلاثين وبلغت نسبة مكسب السلطان بمد بيع الفلفل على التجار الفرنج بالاسكندرية ١٤٠٪ .

ويجب أن نفرق بين هذه العمليات التجارية الحكومية وبين الاحتكار التجاري بمعنى أن يكون السلطان الممثل للدولة هو المشتري الوحيد والبائع الوحيد بشكل أصاب طائفة الكاربية بضرر كبير أدى الى زوال . في حين أنهم لم يشعروا بخطر حقيقي من المشاركة الحكومية في العمليات التجارية فيقوم المتجر السلطاني بقرام التوابل عامة والفلفل خاصة من تجار الهند بأسواق جدة كما يأتيه أيضا الضرائب المعينة من هذه الأصناف ثم يقوم المتجر ببيع بضاعته الى التجار الفرنج بالاسكندرية وبأسعار السوق المحلية والتي أمكن برسباي زيادتها - بطريقة تخالف العرف في الممارسات التجارية ففي المحرم ٨٣٠ نوفمبر ١٤٢٦ رسم السلطان بزيادة ثمن الفلفل المباع على التجار الفرنج من الديوان سافروا به وكلف قناصلهم وقام هذه

الزيادة عنهم محققا بذلك هدف الحصول على أكبر قدر من الأرباح التجارية  
مضافا الى أكبر قدر من المكوس في المراكز التجارية المتعددة .

ثم بدأ برسباي باعطاء المتجر السلطاني امتيازًا خاصًا متمثلاً في  
مرسوم صدر أول عام ٨٣٢/أكتوبر ١٤٢٨ بأن ألزم جميع التجار الحضور  
ببضائعهم الى القاهرة وحجر على القفل أن يشتري لغيره ولا يباع الا في  
الاسكندرية بمد أن يكتفي السلطان . ووضعت أهداف هذا الامتياز في  
اعطاء المتجر السلطاني أولوية شراء احتياجاته من القفل من البضاعة  
الحاضرة سعر السوق الحرة . وكذا أولوية البيع للتجار الفرنج في  
الاسكندرية متحكما بذلك في أسعار البيع بالزام التجار الفرنج شراء القفل  
السلطاني بسعر ١٢٠ دينارا للحمل بينما كانت قيمته في السوق الحرة لدى  
تجار الكارم خمسين دينارا في القاهرة و ٨٠ دينارا للحمل في الاسكندرية .  
ونتيجة من هذه الوساطة التجارية المفروضة بين البائع المشتري الاضرار  
بمصالح الجميع . لما استطاع المتجر السلطاني تصريف كل موجوداته من  
القفل بهذا السعر الاجباري ، وما استطاع تجار الكارم التعامل مع تجار  
الفرنج الذين اضطروا الى العودة بأكثر نقدهم دون أخذ احتياجاتهم  
تجارة العبور .

وفي العام التالي ارتفع السعر الاجباري لحمل القفل الى ١٣٠ دينارا  
والزم به تجار الفرنج . ويظهر أنهم استنفدوا ما لدى الديوان من توابل  
وأرادوا الشراء من السوق الحرة محاولين تعويض فروق السعر بالمساومة مع  
التجار الذين كانت لديهم رغبة في تصريف بضائعهم المكسدة من العام الماضي  
بسعر ٦٤ دينارا لحمل القفل لكن الفرنج تمسكوا بتسعة وخمسين .  
عندئذ تدخل السلطان مغوتا الفرصة على تجار الفرنج ونزل مشترها للقفل  
بالسعر الأخير . وتبعاً لذلك أمر السلطان باحضار التجار من الاسكندرية  
لمقابلته في القاهرة في جمادى الأولى ٨٣٣/فبراير ١٤٣٠ حيث ألزمهم جميعا  
أن لا يبيعوا شيئا من أصناف البضائع التي تجلب من الهند كالقفل ونحوه  
لأحد من تجار الفرنج ويكون بيع البهار للسلطان وهددوا على ذلك بمنعهم  
من التجارة فيه .

وهكذا كانت الخطوة الأولى في الاحتكار تمثلت في جعل السلطان هو  
البائع الوحيد لما يره من تجارة البحر الأحمر في الاسكندرية ، بوقف منافسه  
تجار الكارم واخضاع الفرنج بقبول الشراء بالسعر الاجباري الذي يحدده .

ثم تقرر تطبيق الاحتكار الحكومي في عمليات الفراء فصدرت في شعبان ٨٣٥/ أبريل ١٤٣٢ مراسيم الى الشام والحجاز والاسكندرية ان لا يبيع أحد البهار ولا يشتري الا السلطان . وتجددت مراسيم الاحتكار في ربيع الثاني ٨٣٨/ نوفمبر ١٤٣٤ بالنسبة للفلل بأن صار مخصصا للسلطان « لا يبيعه ولا يشتريه أحد الا هو بالخصوص » وهكذا يمكن اعتبار عام ٨٣٥/ ١٤٣٢ تاريخ بدء الاحتكار الرسمي الكامل للدولة في تجارة المبور . كما تقرر قصر التجارة في التوابل وبلغ الشرق على جدة ومنع التجار من حمل تلك السلع الى مكة . وهكذا تركزت عمليات الفراء في جدة كما تركزت عمليات البيع في الاسكندرية .

ولم يقتصر الاحتكار على التوابل فقط بل امتد في السنوات اللاحقة الى سلع شرقية أخرى كثر الطلب عليها مثل أخشاب الصبغة وعود الند والسجاد والبورسلين .

ويتضح الهدف من احتكار تجارة البحر الأحمر وهو الحصول على الأموال من تجارة التوابل بخاصة التي أصبحت تمثل مصدرا رئيسيا لدخل الدولة بعد أن قل الدخل في القطاعين الزراعي والصناعي وبلغ الحد الأقصى للأسعار الحكومية مائة دوكات للحمل الواحد من التوابل الفريفة دون تنزيل تسليم الاسكندرية في عهد السلطان اهنال . وأكد كل من اهنال وقايتباي والفوري احتكار التوابل وحاول قايتباي رفع السعر الحكومي الى مائة وعشرين دوكاتا ببندقية وتأزمت الامور بينه وبين تجار البندقية الى أن تم التعامل بسعر مائة دوكات . وكان لابد أن يتأثر هذا السعر الحكومي بالانخفاض الى ثمانين دوكات أثر نجاح البرتغاليين في الوصول الى الهند وجلب التوابل بطريق رأس الرجاء الصالح وبمهما في لشبونة بسعر أربعين بل بمشرين منافسة بذلك أسعار الاسكندرية وقاضية بعد ذلك على تجارة مصر والبحر الأحمر وكانت هذه الخاتمة السيئة إحدى نتائج الاحتكار التجاري خصوصا اذا علمنا أن الكشف البرتغالي إنما استهدف القضاء على مصدر ثراء مصر بحرمانها من احتكار التجارة الشرقية .

وثمة نتيجة هامة أخرى تمغض عنها الاحتكار وهي تأثير التجار الكارمية بالركود ثم زوالها كطبقة اجتماعية بارزة بعد اصابة نشاطها التجاري . وقد كان الظاهر ببيرس قد وضع أسس السياسة التجارية المصرية التي سار عليها سلاطين الماليك من بعده والتي تستهدف المحافظة على مكانة التجار الكارمية

الاقتصادية في البحر الأحمر ومصر وعن طريقهم امتد نفوذ مصر التجاري الى المحيط الهندي - وأدى هؤلاء الكارمية دورهم في اقامة العلاقات التجارية والصلات الطيبة بين مصر واليمن وتمكنوا هناك من الوصول الى أعلى المناصب - ويرجع ذلك كله الى قيامهم بأهم تجارة عالمية وهي تجارة التوابل وبيع الفرق في أسواق الهند واليمن والحجاز امتدادا الى أسواق مصر والشام حيث كانت تتم أخطر مراحل رحلة السلمة الشرقية من مراكز انتاجها وأسواقها الآسيوية والمصرية الى المستهلك الاوربي - وقد كونت هؤلاء الكارمية عدة بيوتات أهمها آل الغروبي والكويك ويسر ومسلم والمحلبي حفل تاريخها بالرغبة والاجتهاد في توطيد مكانتها التجارية واحتلت مكانة الطبقة الوسطى في المجتمع المصري في العصر المملوكي ، وعبر هؤلاء عن كيانهم الاجتماعي بتكوين طائفة خاصة بهم يختارون لهم رئيسا من بينهم يخضع له سائر التجار ، وله في مصر وفي بلاط السلطان المركز الرفيع فضلا عن مكانته المرموقة في اليمن والحجاز .

وليس من الغريب أن يمثل الكارمية الرأسمالية التجارية بلغت درجة عظيمة من الثراء - فقد كانت تجارة التوابل والسلع الشرقية أهم نشاط لاستثمار الأموال حتى بلغت ثروات بعضهم مليون دينار وربما أضاعف ذلك وهي أرقام جديدة في تاريخ رأس المال الفردي ، نذكر منهم ناصر الدين محمد بن مسلم ت ٧٧٦هـ كان أعجوبة عصره في كثرة المال ، حتى كان لا يعلم قدره - فروى أنه خاضع بدر الدين الغروبي التاجر الكرعي المشهور فقال له ابن مسلم اشترى بمالك شكاير وأحضرها أسلؤها لك مالا - ومنهم التاجر الكبير ابراهيم بن عمر بن علي بن برهان الدين المحلي ت ٨٠٦هـ الذي جاء ابنه من اليمن الى مكة ومعه أموال لا تدخل تحت حصر وقلما تناولت كتب التراجم أحدا من هؤلاء الكارمية الا ذكرت أنه من ذوي الاموال الواسعة أو أنه ترك مالا كثيرا جدا أو ما شابه ذلك .

ولم تكن طائفة الكارمية تعيش بمعزل عن الأحداث السياسية أو بعيدة عن حاجات الدولة والمجتمع وسجل التاريخ لهم خدماتهم المالية وقت الأزمات والحروب ففي عام ٥٧٧/١١٨١ قدم هؤلاء التجار زكاة أربع سنوات الى صلاح الدين بناء على طلبه وعن طيب خاطر ولم يكونوا يعد قد استقروا بمصر وذلك لمواجهة الاسطول الصليبي الذي ظهر في البحر الأحمر مهددا طريق الحج والتجارة - وكان بالاسكندرية عام ٧٧٧/١٣٢٦ - ١٣٢٧ تاجر

يعرف بابن رواحه لديه مخازن للسلاح يمكنه أن يجهز منها المائة أو المائتين وقت الخطر وقد أبدى مقدرته لأمرين من المالك على ضمان الاسكندرية ودفع مرتبات الجند والسلطان والرجال وقت الخطر فاتهم الأميران بالثورة على السلطان وقتلاه . وهناك ابراهيم بن عمر نور الدين المحلي الذي أنفق من ماله الخاص في اعداد قوة عام ٨٠٥ - ١٤٠٢ الى الاسكندرية لمطاردة القراصنة الذين يهددون السواحل دائما . وهذه الأمثلة تدل على استعداد الكارمية لتقديم الأموال والسلاح للمحافظة على مصالحهم الحيوية .

وكذلك قدم الكارمية القروض الكبيرة لسلطين مصر وغيرهم من الحكام وأمرام المالك فقد أقرض ائدهم السلطان الناصر محمد بن قلاوون مبلغ ١٦ ألف دينار كما قدم التاجر الكارمي سراج الدين بن الكوبك قرضا الى منسا موسى ملك التكرور والى بعض رجاله عند مرورهم بمصر في طريقهم الى الحجاز في موسم الحج عام ٧٢٤/١٣٢٣ كذلك قدم أحد تجار الشوك مبلغ ١٠٠٠٠٠ دينار الى برقوق أثناء اعتقاله بقلمه الكرك ووضع نفسه وماله وأولاده في خدمة السلطان المغلوع حتى استعاد عرشه .

وتم بعد ذلك أكبر قرض مالي بين تجار الكارم وبين الدولة عام ٧٩٦/١٣٩٦ فقد أقرض ثلاثة منهم المحلي وابن مسلم والتروبي السلطان برقوق مليون درهم . وقد جاء هذا القرض وقت استعداد مصر للقاء تيمورلنك كما اقترض السلطان فرج منهم عام ٨٠٣ - ١٤٠٠/١٤٠١ لنفس القرض أيضا . هذا بالإضافة الى أن الكارمية كانوا يمدون الخزائن سنويا بمبلغ كبير من الرسوم الجمركية على بضائعهم الصادرة والواردة بخلاف ضريبة الزكاة على أموالهم اذا حال عليها الحول .

أما عن خدماتهم في مجال نشر الثقافة الاسلامية فكانت أجل أثرا ونفعا وتحدثت كتب التراجم عن قيام معظمهم ببناء المدارس التي تتسبب اليهم بالقاهرة والاسكندرية ووقف الأوقاف الكبيرة عليها أو الانفاق على الدارسين فيها ، وكذا اشتغال بعضهم بتعليم الحديث والفقه أو نظم المذاهب النبوية أو قيامهم بالانفاق في عمارة المساجد كالهرم المكي الشريف ومسجد عمرو بالنسطاط وبناء الخانات ومنهم من كان واسع المطام للفقهاء والفقراء وسعة البذل والكرم للناس والاقراض بدون فائدة .

ولم يكن من الغريب أن يعيش هؤلاء التجار في القصور المظلمة فقد

روي أن قصر الكارمن برهان الدين المحلي على شاطئ النيل بالقاهرة كان أصحوبة مصر في اتقان البناء وكثرة الرخام والزخرفة . وقيل أن ما أنفقه في بناء القصر . يبلغ ٥٠ ألف متقال ذهب والواقع أن من هؤلاء الكارمية من كان يملك أن يحيط بمظاهر العظمة والفنى حتى يصبح في هيئة السلطان تماما .

ورغم هذه المكانة المالية والاقتصادية والاجتماعية التي بلغها الكارمية فلم يكن لهم شأن أو نفوذ مماثل في شئون الحكم والادارة التي انفرد بها النظام الاقطاعي المملوكي العسكري ولم تتمكن من الوصول الى الحكم أو محاولة ذلك أو حتى الدفاع عن مصالحها دفاعا مؤثرا عندما أدت ساعة الخطر واحتكر السلطان تجارتهم .

ومن الغريب أننا لم نسمع عن ثورة أو احتجاج صارخ في مصر من جانب هذه الطبقة البرجوازية ضد قرارات الاحتكار التي تصيب مصدر ثرائهم في الصميم بل رضخوا رضوخا غريبا لادارة الحاكم « حتى أصبح بعض كبارهم مجرد مندوبين للسلطان يكسبون عيشهم في ركابه » . وكل ما تقرأ عنهم هو محاولة تصدي هذه القرارات سواء بنقل التواهل الى الشام دون مصر أو الاتفاق مع تجار الفرنج في الاسكندرية . ولم تكن عيون الدولة غافلة من مثل هذه المعاولات اليائسة ومن يساعدهم في ذلك من الموظفين المرتشين وضيق عليهم الخناق فصار التاجر يغيب سنة فما فوقها ويحضر فلا يستطيع أن يبيع حملا واحدا من بضاعته ولا يجد من يشتريه وعنده ما يساوي عشرة آلاف ومعنى هذا أن طبقة الكارمية قد أخذت في الانكماش في مجالات استثمار أموالهم وأسواقهم ففر بعضهم من مصر الى البحر الأحمر وخاصة العجايز حيث قاموا بتجارة متواضعة وحيث أمكنهم عامي ٨٥٠ - ٨٥١ ١٤٤٦ - ١٤٤٧ فكان يقتصر منهم بالضرب أو بالحبس ولم يظهر أحد منهم في الأسواق في عام ٨٥٩/١٤٥٥ ولم تذكر المصادر عنهم شيئا منذ عام ٨٨٩/١٤٨٤ .

وهكذا قضى الاحتكار على هذه الطبقة التي تمثل الرأسمالية التجارية التي كان في قدرتها اعانة الدولة ماديا على مواجهة الأخطار الخارجية . فلم يجد السلطان قايتباي عام ٨٩٢/١٤٨٧ من أعيان التجار في السوق المصرية قدرات التجار الكارمية فقد احتاج الى ٤٠ ألف دينار استعدادا لحملة ضد العثمانيين فضج التجار من هذا القسدر وأظهروا المعجز عنهم ولم يقدموا سوى اثني عشر ألفا .

والخلاصة : أنه كان في وسع تجار الكارمية تجار البحر الأحمر أن يمدوا الدولة ماديا ومعنويا للدفاع من مصالحهم المشتركة ، للدفاع ضد الخطر البرتغالي الذي أحرق بالتجارة القرية وقطع طريق البحر الأحمر مثل ما أمده في مناسبات سابقة .

وانهى الاحتكار دور البرجوازية المصرية الفعالة كظهر قوي للاقطاع العسكري المهلهل الذي وقف وحيدا في المعركة الاقتصادية ضد البرتغاليين وفي المعركة العسكرية ضد العثمانيين وكانت النتيجة المحتومة .

### مصادر ومناهج البحث

- ١ - الأسلمي : التيسير والاعتبار والتحرير والاختبار ، مخطوط دار الكتب رقم ٤٢٨٦ .
- ٢ - ابن أياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ج ١ - ٣ مصر ١٣١١ - ١٤١٢ .
- ٣ - الجزيري : الدرر والفرائد المنظمة في أخبار مكة المنظمة ، مخطوط مكتبة تيمور ٦٢٩ تاريخ .
- ٤ - ابن حجر : انباء الفمر بأبناء العمر ، مخطوط دار الكتب رقم ٢٤٧٦
- ٥ - الغزرجي : المقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، مصر ١٩١١
- ٦ - ابن الربيع : قرة العيون في أخبار اليمن الميسون ، مخطوط دار الكتب ٢٢٤ تاريخ
- بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد ، مخطوط دار الكتب ١١ .
- ٧ - سليمان عطية : سياسة الممالك في البحر الأحمر حتى نهاية مصر برسباني ، رسالة دكتوراه - جامعة القاهرة .
- ٨ - سونيائي . ه : في طلب التوابل ( مترجم ) ، القاهرة ١٩٥٧ .
- ٩ - ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، باريس ١٨٩٤ .
- ١٠ - صبيحي لبيب : التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى ، مجلة الجمعية التاريخية ١٩٥٢ .

- ١١- الصيرفي : نزعة النفوس والأبدان في تاريخ الزمان ، مخطوطة دار  
الكتب رقم ١١٦ م .
- ١٢- الفاسي : المقد الثمين في أخبار البلد الأمين ، مخطوطة دار الكتب  
تيمور رقم ٨٤٩ .
- ١٣- القلقشلي : صبح الأعشى في صناعة الانشا ، القاهرة ١٩١٣ - ١٩١٩
- ١٤- أبو المحاسن : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، كاليغورنيا  
١٩١٥ - ١٩٣٥ .
- حوادث الدهور في مدى الأيام والقصور ، مخطوطة دار الكتب  
رقم ٢٣٨٧ .
- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ، مخطوطة دار الكتب رقم ١١١٣
- ١٥ - المقرئزي : المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، بولاق  
مصر ١٢٧٠ هـ .
- ١٦- نعيم زكي : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب في  
أواخر المصور ، رسالة دكتوراه - جامعة القاهرة .
17. Darrag, L' Egypte Sous Le Regne de Barsbary, Damas, 1961.
18. Depping, Histoire du carmmerce ..T. 1811, Paris, 1830.
19. Hegd, Histoire dus Cammerce, T. 1811, Leipzig, 1925.
20. Jomier, Le Mahmal et la Caravane Egyptienne de .. Le  
Cairo, 1935.
21. Kammerer La Mere Rouge, T. 1811, Le Cairo, 1929 - 1935.
22. Piloti, L" Egypte au Commencement du x ve Siecte, Le  
Cairo, 1960.



أَمَّن  
الْبَحْر  
الْأَحْمَر  
بَيْن

ميشاق أمَّن جِدَّة عام ١٩٥٦م  
ومؤتمر تعز عام ١٩٧٧م

للدكتور مِرَافَت غنيمي الشيخ  
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد

عند الحديث عن أمن البحر الأحمر لا يعني ضمان أمن مياه هذا البحر دون أراضي الأقطار المطلة عليه • بل إن أمن مياه البحر من أمن أراضي هذه الأقطار ولنا في القرآن الكريم خير مثل إذ يقول الله تعالى : « واسأل القرية التي كنا فيها » صدق الله العظيم •

وليس المقصود بالقرية مبانيها وشوارعها وإنما المقصود سكانها ، ومن هنا عندما نتحدث عن أمن البحر الأحمر فإننا نعني أمن الأقطار المطلة على هذا البحر وضمان كيانها واستقرارها ضد الأخطار الخارجية •

وقد أثرت قضية أمن البحر الأحمر في عام ١٩٧٧م عندما بدأت مشكلة القرن الأفريقي تطفو وتفرش نفسها على السياسة المالية ، وما تبع ذلك من وجود قوى أجنبية في مياه البحر الأحمر • ومن هنا جاءت مبادرة الرئيس السوداني جعفر نميري الداعية الى عقد اجتماع قمة لرؤساء الدول المطلة على البحر الأحمر للبحث في كيفية ضمان أمن هذا البحر •

وليست هذه القضية جديدة على المنطقة بل هي قضية قديمة ترجع الى أوائل القرن السادس عشر عندما اجتاز البرتغاليون رأس الرجاء الصالح ووصلوا الى مداخل الخليج العربي والبحر الأحمر بهدف تحويل التجارة الهندية عن مدين البحرين العربيين كاسلوب لمحاربة التجارة الاسلامية العربية وبالتالي الأقطار العربية التي كانت التجارة العالمية بين الشرق والغرب تمر عبر مياهها وأراضيها •

وهي قضية قديمة عندما استولى العثمانيون على أقطار المشرق العربي في أوائل القرن السادس عشر أيضا وأرادوا إيقاف زحف البرتغاليين الى هذه الأقطار باتباع تقليد جديد يدعو الى منع دخول المراكب المسيحية في البحر الأحمر لأنه يطل على الأماكن المقدسة للمسلمين في الحجاز ، وهو التقليد الذي ظلت الدولة العثمانية متمسكة به حتى أواخر القرن الثامن عشر (١) وكانت تعني بذلك عدم السماح للسفن البرتغالية المتعدية بصفة خاصة بدخول مياه البحر الأحمر وتهديد الممتلكات العثمانية •

اذن فالقضية قديمة ولكن يجدها ظهور قوى أجنبية غير «بحر أحمر» في مياه هذا البحر بل واتخاذ مواقف عدائية من بعض الدول العربية التي تطل على مياهه . فعندما انتزعت إنجلترا من فرنسا أكبر مستعمراتها في الهند في صلح باريس عام ١٧٦٣م ، اتجه اهتمامها الى تيسير المواصلات بين إنجلترا وإمبراطوريتها الهندية ، ومن هنا انبعث التفكير الى احياء الطرق البرية القديمة وأهمها طريق البحر الأحمر ومصر ، وطريق الخليج والفراة (٢) .

ومنذ ذلك الوقت أخذ اهتمام إنجلترا بالبحر يزداد ، فوجدناها تستولي على عدن - مدخل البحر الأحمر الجنوبي - عام ١٨٣٩م وتزدر محمد علي بأن أي اعتداء على عدن يعد اعتداء على جزء من الأملاك البريطانية (٣) ثم أخذت إنجلترا تعمل على إيجاد ممتلكات لها في شرق وشمال شرق أفريقيا (٤) حتى إذا افتتحت قناة السويس للملاحة العالمية عام ١٨٦٩م - عملت إنجلترا على الانفراد بالسيطرة على البحر الأحمر من جنوبه الى شماله في مصر خاصة بعد شرائها لتسليم مصر من أسهم شركة القناة .

وفي سبيل ذلك وضمت إنجلترا سياستها على الاهتمام بالبحر الأحمر في المقام الأول إذ جاء في تعليمات اللورد سالسبوري Salisbury وزير الخارجية البريطانية للسيد ادوارد ماليت Malet والأخير في طريقه الى القاهرة لتسلم مهام منصبه كقنصل عام لانجلترا في مصر ، ووكيل حكومة جلالة الملكة - وهذه التعليمات مؤرخة في ١٦ أكتوبر ١٨٧٩م - يجب أن يكون واضحا في الأذهان أنه إذا قسمت الامبراطورية العثمانية الى اقاليم وأصبحت مصر مستقلة فإن الجزء من مصر الذي يستحوذ على اهتمام إنجلترا هو ساحل البحر الأحمر ، الى جانب الخطوط الحديدية ووسائل المواصلات الاخرى عبر برزخ السويس ( قناة السويس ) وإذا تم فعلا تقسيم مصر ذاتها وبقي ساحل البحر الأحمر ووسائل المواصلات تحت سيطرة إنجلترا أي خاضعة للنفوذ الانجليزي بينما ظلت داخلية البلاد من جهة أخرى في حالة من الاستقرار في ظل نظام حكم يكفل هذا الاستقرار فإن إنجلترا لن تجد في هذه الحالة سببا يدعوها الى القلق أو عدم الرضا (٥) .

وهكذا حدث الاحتلال الانجليزي لمصر عام ١٨٨٢م لتصبح لانجلترا السيطرة على مداخل البحر الأحمر الجنوبية ( عدن ) والشمالية ( قناة السويس ) . وحتى عندما أرغمت إنجلترا مصر على اخلاء السودان دافعت

البحرية البريطانية من ميناء سواكن وظلت تحتفظ به - باسم مصر - طوال عهد الدولة المهدية في السودان ، ولذلك لا نعجب أن نسمع من جوزيف شمبرلين Chamberlain أحد قادة الاستعمار البريطاني يصف البحر الأحمر بأنه وتر بريطانيا الحساس .

وعندما قامت الثورة المصرية عام ١٩٥٢م تطلعت الى ضمان أمن البحر الأحمر بواسطة الأنظار التي تقع على شواطئه دون وجود قوى خارجية ، ومن هنا ظهر ما عرف بميثاق أمن جسده عام ١٩٥٦م الذي ضم كلا من مصر والمملكة العربية السعودية واليمن وهو وإن كان ميثاقا دفاعيا إلا أنه يعني حماية أمن البحر الأحمر من خلال الدفاع المشترك والدول العربية الموقعة على الميثاق ضد العدوان الخارجي سواء في الأرض أو البحر .

ثم جاء مؤتمر تمز في مارس ١٩٧٧م نتيجة لمبادرة الرئيس جعفر نميري لتثير القضية من جديد أمام خطر جديد . وفي هذه الوريقات سنسوق القضية من عام ١٩٥٦م مروراً بعام ١٩٧٣م وحتى مؤتمر تمز عام ١٩٧٧م .

---

### ميثاق أمن جسده

---

لم يكن عقد هذا الاتفاق بين حكومات كل من جمهورية مصر ، والمملكة العربية السعودية والمملكة المتوكلية اليمنية بمدينة جدة بتاريخ ٢١ أبريل ١٩٥٦م وبحضور كل من الرئيس جمال عبد الناصر ، والمملك سعود والامام أحمد الا حلقه من حلقات الاتفاقات بين الأنظار العربية كانت مصر محورها وقلبها .

وذلك أنه منذ فبراير ١٩٥٥م بدأت مصر سلسلة من اللقاءات والاتفاقات الثنائية والثلاثية والجماعية من أجل التضامن العربي ضد القوى الخارجية ، كان منها المؤتمر الذي شاركت فيه حكومات كل من الأردن وسوريا واليمن والسعودية الى جانب مصر وأصدر قراراته بالقاهرة في ٨ فبراير ١٩٥٥م ، وكان منها البيان السوري المصري الصادر بدمشق في ٣ مارس ١٩٥٥م والذي انضمت اليه المملكة العربية السعودية في ٥ مارس من نفس العام ، وينص على عدم الانضمام الى الحلف التركي العراقي أو أي

أحلاف أخرى ، وعلى إقامة منظمة دفاع وتعاون اقتصادي عربي مشترك ، وعلى الالتزام بالاشتراك في صد أي عدوان يقع على إحدى دول المنظمة ، وعلى انشاء قيادة مشتركة دائمة ، وعلى عدم قيام أية دولة مشتركة في المنظمة بعقد اتفاقات دولية عسكرية (٦) .

كما كان من بين هذه الاتفاقات العربية ميثاق الحلف العسكري الذي تم التوقيع عليه في القاهرة في ٢٧ أكتوبر عام ١٩٥٥م بين كل من المملكة العربية السعودية وجمهورية مصر لضمان الأمن والسلام ورد المدون الخارجي عند وقوعه في إطار مباديء ميثاق الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية .

ثم جاء ميثاق أمن جدة لتكتمل المسيرة في إطار التحالفات العربية حيث جاء في البلاغ الذي أذيع في ختام الاجتماعات التي عقدت بين الزعماء الثلاثة بمدينة جدة في العاشر والحادي عشر من شهر رمضان ١٣٧٥هـ الموافق للشهرين والحادي والعشرين من شهر أبريل سنة ١٩٥٦م ، بأنه قد عقدت خلال هذين اليومين عدة اجتماعات تم فيها بحث المسائل التي تهم الدول الثلاث بوجه خاص ، وتتصل بإقرار الأمن والسلام في العالم العربي بوجه عام ، ودارت المباحثات والمشاورات بين الرؤساء في جو ودي خالص ، وتكاتف كامل ، وحرص الجميع على تمكين أوامر الاخاء والتعاون بين دولهم مستهدفين في ذلك أمان الشعوب العربية في الحرية والكرامة والأمن والسلام .

وقد أسفرت هذه الاجتماعات عن عقد اتفاقية دفاع مشترك وقعها الزعماء الثلاثة وأتاحت لهم تبادل الرأي في وضع الخطط العملية التي تكفل نمو الروابط الاقتصادية والثقافية والفنية بين الدول العربية وتوثيق قوى التعاون بينها لتحقيق خير الأمة العربية .

من هذه المقدمة للاتفاق تتضح المبررات لمعقده بين الدول الثلاث . وهي الدول التي تمسك بكل شاطئ البحر الأحمر الآسيوي ومعظم الشاطئ الأفريقي . والتي تمسك بمدخل البحر الأحمر من الجنوب والشمال ، وان كان الاتفاق دفاعيا إلا أنه يمكن القول أن أمن البحر الأحمر محل دفاعي .

ومن ثم جاء في صلب الميثاق « أن حكومات جمهورية مصر والمملكة

العربية السعودية والمملكة المتوكلية اليمنية ، توطيدا لميثاق الجامعة العربية وتأكيدا لاختلاس الدول المتعاقدة لهذه المبادئ ، ورغبة منها في زيادة تقوية وتوثيق التعاون العسكري ، وحرصا على استقلال بلادها ومحافظة على سلامتها وإيماننا بأن إقامة نظام أمن مشترك فيما بينها يعتبر عاملا رئيسيا في تأمين سلامة واستقلال كل منها ، وتحقيقا لأمانها في الدفاع المشترك عن كيانها ، وصيانة الأمن والسلام وفقا لمبادئ ميثاق جامعة الدول العربية وميثاق الأمم المتحدة وأهدافها ، وعملا بما نصت عليه الفقرة الأولى من المادة التاسعة من ميثاق الجامعة العربية ، قد اتفقت على عقد اتفاقية لهذه الغاية ،

ويقيني أن النص على إيمان كل من حكومات مصر والسعودية واليمن بأن إقامة نظام أمن مشترك فيما بينها يعتبر عاملا رئيسيا في تأمين سلامة واستقلال كل منها ، دليل على إصرار هذه الأقطار الثلاثة ، على تأمين سلامتها الإقليمية سواء في الأرض أو البحر ، وحيث أنها تطل على البحر الأحمر ولها فيه مياه إقليمية فإن تأمين هذا البحر ضد أي اعتداء خارجي من مسئولية هذه الأقطار كدفاعها عن الأرض .

كما أن يقيني بأن الدفاع عن كيان واستقلال هذه الأقطار الثلاثة يستلزم بالضرورة الدفاع عن البحر الأحمر الذي تطل عليه من الناحيتين وأن هذا الدفاع عن الأرض والبحر يحقق أمانها في الدفاع المشترك عن كيانها بحسبان البحر الأحمر جزءا من مسئولية هذه الأقطار في تأمين السلامة الإقليمية لها .

ومن ثم فقد نصت المادة الأولى من هذا الميثاق الأمني على حرص الأقطار الواقعة عليه على « دوام الأمن والسلام واستقرارهما » وهذا يعني اعتزام كل من مصر والسعودية واليمن على تأمين الأرض والبحر ضد كل عدوان خارجي ولكن - كما جاء في نفس المادة - بالاجم أولاً إلى أسلوب « فض جميع منازعاتها الدولية بالطرق السلمية » - وذلك تمشيا مع نصوص ميثاق هيئة الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية بهذا الخصوص .

كما نصت المادة الثانية من الميثاق على أن « تعتبر الدول المتعاقدة كل اعتداء مسلح يقع على أية دولة منها أو على قواتها اعتداء عليها ، ولذلك

فإنها عملاً بحق الدفاع الشرعي الفردي والجماعي من كيانها تلتزم بأن تبادل كل منها إلى معونة الدولة المعتدى عليها وبأن تتخذ على الفور جميع التدابير وتستخدم جميع مآلديها من وسائل بما في ذلك استخدام القوة المسلحة لرد الاعتداء ولإعادة الأمن والسلام إلى تصابهما .

ويتقني أيضاً أن ضمان أمن البحر الأحمر عمل جماعي ودفاع مشترك لا تنفرد به دولة واحدة ، ومن ثم نصت هذه المادة الثانية على مشاركة دول الميثاق في ضمان الأمن والسلام حتى وإن استدعى الأمر اللجوء إلى استخدام القوة المسلحة ضد العدوان الخارجي على أرض أو مياه دول الميثاق مجتمعة أو إحدى دوله حتى ينتهي العدوان وتعود إلى الأرض أو المياه الإقليمية الأمن والاستقرار ويستتب السلام . وحسبائي أن مياه البحر الأحمر مياه إقليمية لدول ميثاق أمن جدة الثلاث باعتبارها تشرف على هذا البحر من جانبيه الأفريقي والآسيوي وتمتلك معظم شواطئه على القارتين .

كما نصت المادة الثالثة على أن « تتشاور الدول المتعاقدة فيما بينها ، بنام على طلب إحداها ، كلما توترت واضطربت العلاقات الدولية بشكل خطير يؤثر في سلامة أراضي أية واحدة منها أو استقلالها ، وفي حالة خطر الحرب الداهم أو قيام حالة مفاجئة يخشى خطرها تبادل الدول المتعاقدة على الفور إلى اتخاذ التدابير الوقائية والدفاعية التي يقتضيها الموقف » .

واعتقادي أن توتر أو اضطراب العلاقات الدولية بصورة تؤثر على أمن وسلامة أراضي ومياه دول الميثاق أمر يستدعي التشاور لاتخاذ الإجراءات اللازمة لضمان الأمن والسلام لأراضي مصر والسعودية واليمن وبينها مياه البحر الأحمر الواقع وسط هذه الأراضي ، ومن ثم التزمت هذه الأقطار الثلاثة باتخاذ التدابير الوقائية والدفاعية الضرورية لضمان استمرار الأمن والسلام ودوام الاستقرار للمنطقة أرضها وبحرها .

وحرصت المادة الرابعة من الميثاق على تأكيد التزام الأقطار الثلاثة بالدفاع المشترك وضمان الأمن حتى في حالة وقوع عدوان خارجي مفاجئ على إحدى دول الميثاق سواء حدث العدوان على الأرض أو المياه الإقليمية لتلك الدولة . وجام هذا التأكيد في النص على أنه « بالإضافة إلى الإجراءات العسكرية التي تتخذ لمواجهة هذا العدوان ، تقرر الدول الثلاث فوراً الإجراءات التي تضع خطط هذه الاتفاقية موضع التنفيذ (٧) » .

وتتوالى مواد الميثاق لتؤكد التزام الدول الثلاث بضمان أمن وسلامة أراضيها أو مياهها باتخاذ الاجراءات اللازمة لتنفيذ هذا الالتزام ومن بين هذه الاجراءات ما نصت عليه المادة الخامسة بتشكيل عدة أجهزة تتولى تنفيذ ما نص عليه الميثاق من التزام دفاعي مشترك مثل : المجلس الأعلى ، والمجلس العربي ، والقيادة المشتركة .

وقد عالجت المواد السادسة والسابعة والثامنة والتاسعة والعاشره كيفية تشكيل هذه المجالس واختصاصاتها ووظائفها وتمثيل دول الميثاق الثلاث فيها . فالمجلس الأعلى يتكون من وزراء الخارجية والعربية للدول المتعاقدة ، والمجلس العربي يتكون من رؤساء أركان حرب الجيوش الثلاثة التابعة لدول الميثاق ، بينما تتكون القيادة العامة من قائد عام وهيئة أركان الحرب والوحدات التي يتقرر وضعها لتأمين القيادة المشتركة وإدارة أعمالها . وتمارس هذه القيادة عملها وقت السلم والحرب وهي ذات صفة دائمة .

ويقيني أن هذه الأجهزة هي الأدوات أو الوسائل الملموسة الكفيلة بضمان الأمن والاستقرار وأن مجرد قيامها دليل على التزام دول ميثاق أمن جدة بالدفاع عن أراضيها ومياهها . هذا وقد تشكلت القيادة العامة وجعل على رأسها قائد عام مصري واختيرت القاهرة مقرا لهذه القيادة العامة .

وانتهى الميثاق بالمادتين العادية عشرة والثانية عشرة ، الأولى نصت على عدم تعارض نصوص الميثاق مع مواثيق هيئة الأمم المتحدة ، بينما نصت الثانية على سريان الميثاق لمدة خمس سنوات تتجدد ب تلقاها بنفسها لمدة خمس سنوات أخرى وهكذا ، ولأي دولة من الدول المتعاقدة أن تنسحب منها بعد ابلاغ الدولتين الأخريين كتابة برهبتها في ذلك قبل سنة من تاريخ انتهاء أي من المدة المذكورة سابقا .

وهكذا كان ميثاق أمن جدة خطوة عربية لضمان أمن البحر الأحمر لمواجهة أي تهديدات خارجية لهذا البحر ، وبالتالي للدول المطلة عليه ، لأن تهديد أمن البحر الأحمر تهديد للدول الواقعة على شواطئه الاقليمية والاسيوية في آن واحد ، كما أن تهديد أمن الدول التي لها سواحل على البحر الأحمر تهديد لأمن هذا البحر وجعله مسرحا لاضطرابات دولية بل وتنافس عالمي حول امكانيات البحر الأحمر وامكانيات دوله في وقت واحد .



ومما هو جدير بالذكر أن ميثاق أمن جدة الذي شاركت في التوقيع عليه حكومات كل من مصر والسعودية واليمن في ٢١ أبريل عام ١٩٥٦م تمثت مواده ونصوصه مع مواد ونصوص ميثاق الحلف العسكري الذي تم التوقيع عليه في القاهرة بتاريخ ٢٧ أكتوبر عام ١٩٥٥م بين كل من حكومتي جمهورية مصر والمملكة العربية السعودية . أي أن الميثاق الثنائي الذي عقد بالقاهرة عام ١٩٥٥م كان هاديا ومقدمة لميثاق الأمن الثلاثي الذي عقد بجدة في العام التالي .

---

### مؤتمر تمز صام ١٩٧٧م

---

لم يكن انعقاد مؤتمر تمز في ٢٢/٢٣ مارس ١٩٧٧م الا آخر الخطوات التي اتخذتها الدول المطللة على البحر الأحمر حتى الآن للبحث في كيفية ضمان أمن هذا البحر بعد أن تعرض هذا الأمن لتهديدات قوى خارجية أو معادية للأقطار العربية المطللة على هذا البحر . إذ كانت هناك خطوات أخرى فردية وجماعية من جانب الأقطار العربية ومنذ ميثاق أمن جدة حتى مؤتمر تمز للحفاظ على أمن واستقرار البحر الأحمر من بين تلك الخطوات مواقف المملكة العربية السعودية من مرور السفن الاسرائيلية في خليج العقبة تحت مظلة قوات الطوارئ الدولية في شرم الشيخ عقب حرب السويس عام ١٩٥٦م ذلك الموقف العنيد الذي استنكر مرور السفن الاسرائيلية باعتبارها سفن معادية تهدد أمن البحر الأحمر والدول العربية المطللة عليه ، وجاء ذلك الاستنكار في البيان الرسمي الذي أصدرته الحكومة السعودية يوم ١٤ شعبان سنة ١٣٧٦هـ الموافق لعام ١٩٥٧م (٨) كما جاء هذا الاستنكار مرة أخرى في مذكرة وزارة الخارجية السعودية الموجهة لوزارة الخارجية الأمريكية بتاريخ ٢٧ ذي القعدة ١٣٧٦هـ ردا على بيان وزارة الخارجية الأمريكية الصادر في ٥ يونيو عام ١٩٥٧م باعتبار خليج العقبة ممرًا عالميا حرا تستطيع السفن الأمريكية المرور فيه متى شاءت ، بينما لم تكن تستطيع ذلك عندما كانت شرم الشيخ في يد القوات المصرية ، وخليج العقبة خليج عربي تمر فيه فقط السفن المصرية والسعودية والاردنية . كما جاء هذا الاستنكار أخيرا في اذاعة لسياسي سعودي بالتلفزيون الأمريكي يوم ١٦ ذي الحجة سنة ١٣٧٦هـ (٩) .

ثم جاء هدوان اسرائيل عام ١٩٦٧م على مصر والاردن وهما دول البحر الأحمر الى جانب سوريا لئيبه الى خطورة انطلاق اسرائيل الى مياه هذا البحر جنوبا الى آسيا وأفريقيا وهذا يستلزم المواجهة العربية للوقوف أمام دخول السفن الاسرائيلية المعادية الى مياه البحر الأحمر ولم تكن هناك خطوة عملية في هذا السبيل قبل حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ ..

ولعلنا نتذكر ما أعلنته مصر في بداية المعركة - ٦ أكتوبر ١٩٧٣م - أن كل البحر الأحمر من باب المندب جنوبا الى قناة السويس شمالا منطقة عمليات عسكرية وأن مصر تحذر من دخول أية سفن الى البحر الأحمر أثناء الماركة - وحتى أشعار آخر - حتى لا تتعرض للقذائف المصرية من السفن الحربية أو طائرات القتال . وحقيقة هذا الاعلان - في رأيي - هو منسج السفن الاسرائيلية من المرور في هذا البحر أو دخول سفن أجنبية بهدف مساعدة اسرائيل ، وهذا حفاظ على أمن هذا البحر وضمان لحرمان العدو من المساعدات الأجنبية الخارجية .

وفي اعتقادي أن هذا الاعلان شبيه بالاعلان الذي صدر من الدولة العثمانية في القرن السادس عشر ، عندما احتلت مصر والعجاز ووصلت الى اليمن بأن البحر الأحمر تطل عليه الأرض التي تتشرف بوجود الأماكن المقدسة فيها فيحرم على السفن المسيحية المرور في مياه هذا البحر . والاعلان العثماني يهدف في المقام الأول حرمان السفن البرتغالية من دخول البحر الأحمر حيث كانت البرتغال آنذاك أعدى أعداء الشعوب الاسلامية . واعلان مصر عام ١٩٧٣م يهدف في المقام الأول الى ضمان أمن البحر الأحمر لمصلحة مصر والدول العربية المطلة عليه وحرمان القوة المعادية ومن يساندها من انتهاك أمن هذا البحر وتهديد سلامة وكيان الاقطار العربية « البحر أحمر » وفي مقدستها مصر .

ثم جاء مؤتمر تمز عام ١٩٧٧ كخطوة عملية بارزة المعالم على طريق ضمان أمن البحر الأحمر ضد التهديدات الخارجية ومن هنا لابد من الوقوف على مبررات عقد هذا المؤتمر قبل أن تبث في كيفية انعقاده ونتائج الاجتماعات أي القرارات التي صدرت عن المؤتمر ومدى مناسبتها لضمان أمن البحر الأحمر .

لعل أهم المبررات التي دفعت بالقضية الى الظهور في الاقطار العربية المطلة على البحر الأحمر هي :

أولاً : حدوث ثورة اشتراكية في اثيوبيا أدخلت الاتحاد السوفيتي الى  
مياه البحر الأحمر عند السواحل الاثيوبية والارترية .

ثانياً : ازدياد اشتعال الثورة الارترية ضد السيطرة الاثيوبية .

ثالثاً : الصدام بين اثيوبيا والصومال حول اقليم أوجادين الذي  
تسيطر عليه اثيوبيا رغم أن معظم سكانه صوماليون ودخل الاتحاد السوفيتي  
وكوبا الى جانب اثيوبيا .

رابعاً : محاولات اسرائيل التعاون مع اثيوبيا ضد الدول العربية من  
أجل أن تجد لها مواقع في جنوب البحر الأحمر .

خامساً : الصراع البحري على شواطئ المحيط الهندي قرب مدخل  
البحر الأحمر بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي .

سادساً : الخلافات العربية « البحر الأحمر » خاصة بين اليمن الشمالية  
واليمن الجنوبية ، وبين اليمن الجنوبية وسلطنة عمان .

هذه أهم المبررات لمقد هذا المؤتمر ، وهي ما يمكن تسميته بخريطة  
الصراع التي دفعت بالرئيس جعفر محمد نمري الى إعلان مبادئه التي  
أنتجت عقد مؤتمر عمل .

### أولاً - الثورة الاثيوبية :

تعتبر اثيوبيا هي الدولة غير العربية الوحيدة التي تتطل على البحر  
الأحمر ، ومن ثم نجد ما تنظر بإرتياح الى أي اجتماع يدعو اليه أحد الزعماء  
العرب حتى ولو كان الاجتماع ليبحث موضوع اثيوبيا طرف فيه مثل أمن  
البحر الأحمر . ثم إعلان الثورة الاشتراكية في اثيوبيا منذ عام ١٩٧٤م قد  
باعد بينها وبين التعاون مع الأقطار العربية « البحر الأحمر » وخاصة مصر  
والسودية والسودان واليمن الشمالية بسبب ادخال الاثيوبيين للوجود

الموفيتي والكوبي الى مياه البحر الأحمر - مما اعتبرته الأقطار العربية تهديداً لأمنها وأمن البحر الأحمر ولا شك أن هذا مبرر قوي من المبررات التي كانت وراء الدعوة لعقد مؤتمر لبحث ضمان أمن البحر الأحمر .

---

### ثانيا - الثورة الأريتيرية :

---

ترجع أصول القضية الأريتيرية الى سنوات طويلة منذ أن أنهى الامبراطور هيلاسلاسي امبراطور اثيوبيا كيان الاقليم الأريتيري وجعله جزءا من امبراطوريته . هذا على الرغم من أن الثورة في الاقليم لم تبدأ الا منذ حوالي عشرين عاما حين هاجم الثوار آنذاك أحد المخافر الحكومية في أقصى حدود اريتريا الغربية الملاصقة للسودان . ومنذ ذلك الحين والثورة تتقدم ضد حكم الامبراطور ثم ضد الحكم العسكري في أديس أبابا حتى سيطر الأريتيريون على حوالي ٨٠% من أراضي الاقليم .

ومما يزيد في حدة الأزمة الأريتيرية أن النظرة الأمهرية لحكام اثيوبيا الجدد للثورة في الاقليم لا تكاد تختلف عن نظرة الامبراطور هيلاسلاسي إذ كان الامبراطور يحاول أن يحبسها عن سمع العالم كله ، يصورها وهما بأنها مجرد نوع من « الشفتا » - أي قطاع الطرق الجبلية وحكام اثيوبيا العسكريون يصورونها الآن بأنها مجرد عمليات عنف مصدر من الخارج من بعض الدول العربية من أجل القضاء على الامبراطورية الاثيوبية (١٠) .

ونظرا لاشتغال الثورة الأريتيرية والموقف المتصلب لحكام أديس أبابا فلا يمكن اعتبار الموضوع مسألة داخلية ، حيث أن للاقليم الأريتيري تاريخه الذي كان فيه غير خاضع لاثيوبيا ، ثم ان الاقليم يقع على ساحل البحر الأحمر وبه ميناء عصب ومصوع اللذان تعتمد عليهما اثيوبيا كل الاعتماد - الى جانب ميناء جيبوتي بجمهورية جيبوتي - في حركة التجارة الاثيوبية مع العالم الخارجي . ومن هنا لابد للأقطار « البحر الأحمرية » من أن تبحث الموقف في اريتريا لأن استمرار التوتر هناك يهدد أمن البحر الأحمر والأقطار المطلة عليه .

### ثالثا - الصدام الصومالي الاثيوبي :

منذ أن حصلت الصومال على استقلالها في أول الستينات من القرن الحالي وهي تنظر باهتمام الى الأقاليم الصومالية الخاضعة لدول أفريقية أخرى منذ أن سيطر الاستعمار الغربي على شرق إفريقيا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، ومن بين هذه الأقاليم الصومالية القليم أوجادين التي تسيطر عليه اثيوبيا رغم أنه يكون جزءا طبيعيا متصلا للصومال وغالبية سكانه العظمى من الصوماليين ، ومن هنا كان التوتر بين الدولتين المتجاورتين اثيوبيا والصومال .

ومما يزيد من حدة الصراع بين الدولتين اصرار اثيوبيا على عدم التفاوض مع الصومال لتقرير مصير القليم أوجادين المتنازع عليه ، ورغم أن الاتحاد السوفيتي كان صديقا للطرفين : جمهورية الصومال الديمقراطية ذات النظام الاشتراكي ، والحكم العسكري في اثيوبيا الأكثر اتجاها نحو الاشتراكية ، إلا أنه من الواضح أن الروس يتحاطفون مع الأثيوبيين - وهذا يفتح بابا لتدخل قوى أجنبية في مسألة « بحر أحمر » مما يهدد أمن البحر الأحمر .

ومما تجدر ملاحظته أن لروسيا ومنذ القرن التاسع عشر تطلمات نحو اثيوبيا بصفة خاصة وتقتبس: الوثائق البريطانية الى محاولات روسيا القيصرية إيجاد موضع قدم لها في اثيوبيا سواء بادعاءات دينية أو لتقديم مساعدات عسكرية للأثيوبيين ضد أعدائهم .

فتذكر « موسكو جازيت » في عددها الصادر في ١٦ سبتمبر ١٨٨٧م أن من الخطأ تجاهل المصالح الروسية في اثيوبيا والبحر الأحمر في الوقت الذي تواجد فيه مطامع انجليزية وفرنسية هناك . وأن مصالح روسيا مع اثيوبيا تعتمد على الارتباط الديني بين البلدين اذ أن مذهبهما هو الارثوذكسية (١١) .

وتحقيقا لما نادت به « موسكو جازيت » بدأ تواجد الروس على اثيوبيا في شكل جماعات أو حملات منظمة ، فبرسل القنصل البريطاني في بورسعيد بتاريخ ٦ يناير ١٨٨٩م أن ١٤٦ رجلا روسيا مع قليل من النساء ورجال الدين غادروا بورسعيد آنذاك على باخرة نمساوية متجهين الى أبوك (١٢)

كما أبرق القنصل البريطاني في سواكن بأن هذه البعثة الروسية والتي اتضح أنها بقيادة الجنرال نيكولايف *Nicolaieff* وعدد أفرادها حوالي ١٥٠ فردا قد غادرت أوبوك على نفس الباغرة وتراقبها سفينة حربية إيطالية (١٣) ثم أضاف حاكم سواكن عن طريق سير أيفلن بارنج الممتد البريطاني في مصر - أن هذه البعثة الروسية تتوي التوجه من أوبوك الى جنوب الحبشة عن طريق هرر للعمل في الجيش الاثيوبي ، حيث تحتاج اثيوبيا لعدد من الضباط ، وحيث يوجد فعلا بعض القوزاق *Cossacks* في أوبوك ومن المنتظر وصول المزيد الذين يحتمل وصول عددهم الى ألفين (١٤) .

كما أن السفير البريطاني في سان بطرسبرج *St. Petersburg* أرسل لوزير الخارجية البريطانية يذكر أن حملة روسية يقودها كارجوبولوف *Kargopoloff* في طريقها الى الحبشة ، حيث غادرت طشقند وستمر بكل من فارس ، بومباي وعدن الى جيبوتي ، ثم تتقدم الى هرر تحت ادهام بأن مهمتها البحث العلمي (١٥) .

وكانت هناك بعثة ثالثة بقيادة الكابتن ليونتيف *Leontieff* في طريقها الى الحبشة واستمرت هذه البعثة حوالي خمس سنوات من بدء رحلتها حتى عودتها وقد تابع البريطانيون هذه البعثة سواء في نزولها بالقاهرة ومحاولة دخول الحبشة عن طريق الخرطوم ، أو عودتها بمد وصولها عن طريق البحر الى الحبشة ، وردا على استفسارات البريطانيين في شرق أفريقيا أجاب الأيرل أوف كمبرلي *Earl of Kimberley* بأنه فهم من السفير الروسي في لندن بأن هدف بعثة ليونتيف الوحيد هو الجانب الديني فقط (١٦) .

وقد سقت هذه الشواهد لأدلى على اهتمام الروس من وقت مبكر بفرق أفريقيا ومدخل البحر الأحمر ، فما نشاهده الآن ومنذ أوائل السبعينات من القرن الحالي من تواجدهم في القرن الأفريقي ما هو الا احياء لأطماعهم القديمة منذ الثمانينات من القرن الماضي .

ولي اعتقادي أنه على الرغم من أن الصومال كانت أسبق من اثيوبيا في الارتباط بالروس حتى وصل هذا الارتباط الى حد اعطائهم تسهيلات في ميناء بربرة الصومالي ، الا أن اثيوبيا عندما حدثت بها الثورة الاشتراكية

— كانت أكثر انحراف من الصومال بحكم وجود ظروف اقتصادية واجتماعية تشجع على انتشار المبادئ الاشتراكية الماركسية في اثيوبيا عن الصومال ناهيك من عامل الدين ، فالصومال بلد اسلامي شعبه الفقير يمتسك بالاسلام وهنا ، بينما الاثيوبيين مسيحيون شرقيون ، والروس قبل الثورة البلشفية مسيحيون شرقيون . لهذا صار الاتجاه الروسي نحو اثيوبيا يهدد أمن البحر الأحمر ويهدد مصالح الاقطار العربية المطللة على هذا البحر .

---

### رابعا - اسرائيل ومدخل البحر الأحمر :

---

منذ أن أصبح لاسرائيل ميناء على خليج العقبة وصارت سفنها — خاصة بعد أحداث السويس عام ١٩٥٦م — تخرج عباب البحر الأحمر اتجهت لتكوين صلات قوية مع اثيوبيا لتصبح للسفن الاسرائيلية مواضع قدم في مواجهة الغلبة العربية على مياه البحر الأحمر ومدخله من الشمال والجنوب . ومن هنا حدث التعاون الاسرائيلي الاثيوبي في المجالات العسكرية والاقتصادية والفنية .

وعندما تحققت الغلبة على مياه البحر الأحمر أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣م حاولت اسرائيل من جديد اثارة مخاوف اثيوبيا من هذه الغلبة لكي يصبح لاسرائيل موضع قدم في أي مكان من الجزر الصخرية العديدة الغالية من الحياة والتي تتناثر حول المدخل الجنوبي للبحر الأحمر في مواجهة جزيرة مينون أو بريم التي تحكم مضيق باب المندب ، علما بأن تلك الجزر الصخرية تتنازع السيطرة عليها كل من حكومات الجمهورية العربية اليمنية وجمهورية اليمن الديمقراطية واثيوبيا . ومحاولات اسرائيل هذه تهدد أمن البحر الأحمر وبالتالي تزيد من تهديداتها لأمن الاقطار العربية المطللة على هذا البحر .

---

### خامسا - أمريكا وروسيا ومدخل البحر الأحمر :

---

استطاع الأمريكيون الحصول على عدد من القواعد العسكرية في المحيط الهندي في كل من موريشيوس ومالديف وجزر ديبوجارسيا ، كما استطاعوا

أيضا استنحار جزيرتي دهلك ومستنيان لمدة ٢٥ سنة من اثيوبيا ، والجزيرتان من الجزر الأخوات السبع التي لا تبعد عن مضيق باب المندب بأكثر من ٦ أميال بحرية (١٧) . وفي المقابل حصل الاتحاد السوفيتي على تسهيلات بحرية في عدن وفي ميناء بربرة الصومالي ، وفي موزمبيق وبدأ يتطلع الى الموانئ الاثيوبية على البحر الأحمر .

وهذه التحركات الأجنبية عند مدخل البحر الأحمر الجنوبي تتطلب بالضرورة المراقبة واعداد العدد لضمان أمن البحر الأحمر ودوله وإبعاده من الصراعات الدولية والمطامع الأجنبية .

---

### سادسا - الخلافات العربية « البحر الأحمر » :

---

ان وجود خلافات - مهما كانت أسبابها - بين قطرين أو أكثر من الأقطار « البحر الأحمر » يهدد بالضرورة أمن البحر الأحمر وأمن أقطاره ناهيك عن صعوبة القيام بعمل مشترك لأبعاد الأخطار الخارجية والصراع الدولي من البحر الأحمر وأقطاره . فالخلاف القائم بين جمهورية اليمن الجنوبية وسلطنة عمان ، والخلاف بين الجمهورية العربية اليمنية وجمهورية اليمن الديمقراطية ، من ذلك النوع من الخلافات التي تحول دون الاتفاق على عمل مشترك لضمان أمن البحر الأحمر وخاصة تأمين مدخله الجنوبي أمام المحاولات الخارجية للتدخل وفرض الوجود .

كانت تلك - في رأيي - مبررات كافية لأن يتم عقد مؤتمر تمز ، ولكن هل كانت تلك المبررات لمجرد اجتماع رؤساء أربع دول فقط من دول هذا البحر ؟ في الواقع جاءت مبادرة الرئيس جعفر نميري لعقد مؤتمر يبحث كيفية ضمان أمن البحر الأحمر وجهة الى كل دول البحر الأحمر وفي مقدمتها مصر والمملكة العربية السعودية والسودان والصومال وجمهورية اليمن الشمالية والجنوبية الى جانب اثيوبيا . ولكن دول السودان والصومال واليمنيتين فقط هي التي استجابت للنداء واجتمع رؤساؤها في تمز في مارس ١٩٧٧ .

ولسنا بصدد الدخول في تفاصيل اللغاء الرياضي ، ولكننا نستعرض بالمناقشة التوصيات التي صدرت عن المؤتمرين ، وقد سبقت تلك التوصيات



كلمات للرؤساء ابراهيم الحمدي رئيس اليمن الشمالية وجعفر نمري  
رئيس جمهورية السودان ، توضح الهدف من المؤتمر واستجابة الاطوار  
الاربعة للمبادرة السودانية .

ومما جاء في كلمة المقدم ابراهيم الحمدي : اننا كدول مطلة على  
حوض البحر الاحمر مسئولة عنه بحكم حقنا في السيادة الوطنية على مياهنا  
الاقليمية كما ان هذا اللقاه يعتبر فريدا من نوعه عمليا واستراتيجيا  
وبخاصة ومبادئنا ليست مقتصرة على موضوع بعينه وانما سنتناول العديد  
من المواضيع التي تهمنا كمسؤولين في دولنا وشعوبنا اجتماعيا واقتصاديا  
وسياسيا .

وهذا في رأيي هام للغاية فلا يمكن النظر الى ضمان أمن البحر الاحمر  
باعتبارها مسألة استراتيجية فقط ، لأن وجود تخلف اجتماعي واقتصادي  
على شواطئ البحر الاحمر يساعد على عدم الاستقرار ويفتح بابا للصراع  
الدولي يدخل منه ويفرض نفوذه . ومن هنا كانت كلمة رئيس اليمن  
الشمالية لها دلالتها الواضحة ، ودعوة للملء الجاد المتكامل الضام .

واضاف الرئيس الحمدي في كلمته : أن هذا اللقاه ليس مظهارة ضد  
أحد ولا من أجل التآمر على أحد ولا أرى فيه خروجا عن حقنا المشروع كأخوة  
أشقائنا في أن نلتقي لتتدارس أمورنا وقضايانا صغرى وكبرى وخصوصا  
ما يتعلق بالتعاون المشترك على ما فيه حماية سيادتنا على أراضينا ومياهنا  
الاقليمية في حوض البحر الاحمر . علينا اليوم تقع مسئولية عظيمة تلك  
هي الخروج بأوطاننا من شبك الصراع الدولي . وفي سبيل الحفاظ على أمن  
البحر الاحمر في حاجة بالطبع الى مساندة أشقائنا العرب ، ومن مبدأ  
وحدة النضال العربي ضد الصهيونية وقوى الغزو الأجنبي ومن  
مبدأ أن أول خطر يهدد منطقة عربية هو خطر على العرب أجمعين (١٨) .

كانت هذه الكلمات علامات على أهداف المؤتمر وما ينبغي عمله  
لتحقيق تلك الأهداف ، وإزالة مخاوف إثيوبيا والتمسك بميثاق الأمم  
المتحدة الدامية الى السلام والاستقرار ، وكانت تلك الكلمات مقدمة  
للوصول الى التوصيات التي صدرت عن المؤتمر في شكل بيان صحفي كان أهم  
ما جاء به :

بسم الله الرحمن الرحيم : انطلاقا من روح التضامن العربي وأهمية  
التشاور بين الأعضاء وفي يوم الثلاثاء الثاني من شهر ربيع الثاني ١٣٩٧هـ

الموافق ٢٢ من شهر مارس ١٩٧٧م تم لقام تشاوري على مستوى قمة بين كل من :

- فخامة الرئيس جعفر نميري رئيس جمهورية السودان الديمقراطية .
- فخامة الأخ محمد سياد بري الأمين العام للحزب الاشتراكي الثوري الصومالي ورئيس جمهورية الصومال الديمقراطية .
- فخامة الأخ سالم ربيع علي رئيس مجلس الرئاسة لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .
- فخامة الأخ المقدم ابراهيم محمد الحمدي رئيس مجلس القيادة والقائد العام للقوات المسلحة للجمهورية العربية اليمنية .

وبعد أن أجريت لهم مراسم الاستقبال .. تشاوروا حول تنسيق جهود دولهم مع الدول العربية المقتدرة في سبيل تطوير مواردها والرقى بشموها في إطار التعاون والتضامن العربي . وفي هذا الشأن تم الاتفاق على تحرك مشترك . وتناول الرؤساء الوضع في حوض البحر الأحمر واتفقوا على ضرورة أن يظل منطقة سلام ووثام وأن تعمل الدول المطلة عليه على تحقيق هذا الهدف بالتشاور والتنسيق فيما بينها نظرا للعلاقات الطيبة بين فرنسا والدول العربية . وتحقيقا لوعود فرنسا الملمنة والمتعلقة في اعطاء الساحل الصومالي - جيبوتي (١٩) استقلاله التام عن طريق الديمقراطية الحقة ، يناشد الرؤساء الأربعة فرنسا بمنح جميع المواطنين في الساحل الصومالي حقهم الشرعي في ممارسة الاقتراع على أسس وطنية وديموقراطية ، وليس على أسس قبلية مما قد يؤدي الى التناحر وتهديد الأمن والسلام في البلاد وتآزم الموقف في المنطقة .

• وشدد الرؤساء على أهمية التضامن لمواجهة السياسة العدوانية لأمرائيل والقوى الصهيونية التي تدعها . واتفق الرؤساء على أهمية استغلال ثروات البحر الأحمر لما فيه خير شموب الدول المطلة عليه ، وتقرر في هذا الشأن تكوين لجنة فنية مشتركة لاجراء الاتصالات الضرورية اللازمة للدول المطلة على البحر الأحمر واعداد الدراسات اللازمة وأن تواصل الدول المشتركة في هذا اللقاه جهودها من أجل عقد لقاء موسع يضم كافة الدول المطلة على البحر الأحمر .. « (٢٠) » .

» صدر في تمز يوم الأربعاء الثالث من ربيع الثاني ١٣٩٧هـ الموافق ٢٣ من شهر مارس ١٩٧٧م « .

وليس لنا تعليق على هذا البيان الصحفي الذي صدر في ختام يومين من الاجتماعات بين رؤساء الأقطار العربية الأربعة التي تمسك بزمام مدخل البحر الأحمر الجنوبي إلا أن نقول أنه كان بداية لاثارة قضية لها أهميتها وتنبيه الأقطار العربية « البحر الأحمر » الى الأخطار التي تهددهم سواء كانت أخطارا خارجية ترجع الى الصراع الدولي حول المنطقة أو أخطارا داخلية تتمثل في وجود تحركات اسرائيلية وفكوك اثيوبية ، أو كانت مخاطر تغلف الأقطار العربية اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وعسكريا بصورة تساعد على عدم الاستقرار بل وتتيح الفرصة للتدخل الأجنبي ، الى جانب الخلافات بين الأقطار العربية ذات الأثر الخطير على كل عمل مشترك لمصلحة العرب .

## المصادر

### أولا - الوثائق :

- ١ - ميثاق أمن جدة ١٩٥٦م ضمن الوثائق المنشورة في كتاب أصدرته وزارة الخارجية السعودية بمكة المكرمة تحت عنوان المعاهدات .

### ٢ - الوثائق البريطانية

- A : F. O. 403/90/75.  
B : F. O. 403/123/2, 13, 15.  
C : F. O. 403/125/83.  
D : F. O. 403/221/54.

### ثانيا - الدوريات :

- ١ - جريدة الثورة اليمنية الأعداد : ٢٩٠٩ ، ٢٩١٠ ، ٢٩١١ ، ٢٩١٢ ، ٢٩١٣ في الفترة من ١٩٧٧/٣/٢١ الى ١٩٧٧/٣/٢٥ .
- ٢ - جريدة الأهرام المصرية عدد الجمعة ١٥ أبريل ١٩٧٧م .

### ثالثا - المراجع :

- ١ - د° أحمد عزت عبد الكريم وآخرون : دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة .
- ٢ - أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية .
- ٣ - د° محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي .

٤ - جورج كيرك (مترجم) : موجز تاريخ الشرق الأوسط .

5. Kirkwood : Britain and Africa,

6. Langer : European Alliances.

واپعا - خريطة للمبحر الأحمر .

١ - د- محمد النيس : الدولة العثمانية والشرق العربي من ١٢٨٠ .

٢ - د- احمد عزت عبد الكريم وآخرون : دراسات في النهضة العربية الحديثة

ص ٢٢١ .

٣ - جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط من ١٢٧٠ .

٤ - أمين سميد : تاريخ الدولة السعودية ج٢ ص ١٢٩ .

٥ - وزارة الخارجية : مكة المكرمة : مجموعة المعاهدات .

٦ - أمين سميد : تاريخ الدولة السعودية ج ٣ ص ١٩٨ .

٧ - نفس المصدر ص ٢٠١ .

٨ - جريدة الأهرام عدد الجمعة ١٥ أبريل ١٩٢٧م

٩ - جريدة الأهرام عدد الجمعة ١٥ أبريل ١٩٢٧م .

١٠ - جريدة الثورة اليمنية : العدد ٢٩١١ الأربعاء ٣ ربيع الثاني ١٣٩٧هـ

٢٣ مارس ١٩٢٧م .

١١ - لم تكن قد حصلت بعد على استقلالها .

١٢ - جريدة الثورة اليمنية : العدد ٢٩١٧ الخميس ٤ ربيع الثاني ١٣٩٧هـ

الموافق ٢٤ مارس ١٩٢٧م .

4. Kirkwood : Britain and Africa, P. 19.

5. Langer : European Alliances chap. 8.



# أَسَسَ تَحَوُّلَ عَدَنَ مِنْ قَاعَةِ بَحْرِيَّةٍ إِلَى قَاعَةِ جَوِيَّةٍ

( ١٩٢٧-١٩٢٩ )

« دَرَاَسَةُ وَثَائِقِيَّة »

لِلدُّكْتُورِ جَادِ مُحَمَّدٍ طَه

أَسَازُ السَّارِيخِ الْمَدِينِي السَّاعِدِ بِكَلِيَّةِ الْاَدَابِ بِجَامِعَةِ الْمَنِيَا

وَالطَّعَارِ بِكَلِيَّةِ الْاَدَابِ بِجَامِعَةِ مُحَمَّدِيَّةِ عَبْدِ الْمَدِينَةِ بِقَاسٍ بِالْمَغْرِبِ

مع بداية عام ١٩٢٧ بدأت سلسلة من الاتصالات والراسسلات بين وزارة الدولة للمستعمرات ووزارة الدولة للهند ووزارة الطيران وحكومة الهند وحكومة يومياي وهيئة المزاولة البريطانية ودار الاقامة في عدن بخصوص تحويل عدن من قاعدة بحرية الى قاعدة جوية ، وذلك تطبيقا لقرار مجلس الوزراء البريطاني في هذا الشأن . وبعد دراسات مستفيضة من كل هذه الجهات ، تم وضع اساس التقيق اللازم في النواحي العربية والادارية والمالية والقضائية ونشاط المخابرات . واستمر العمل بهذه الاسس حتى عام ١٩٣٧ حين انفصلت عدن من حكومة يومياي واصبحت تابعة لحكومة الهند ، الا انه لم يطرأ تعديل كبير على هذه الاسس كنتيجة لهكذا التقيق في التسمية (١) - ومع عام ١٩٣٧ تحول مسئل الى التسمية المباشرة لوزارة المستعمرات ، وتبدل بذلك تفيقات اخرى في كل المجالات .

### تمهيد

سقطت عدن في أيدي الاستعمار البريطاني في ١٦ يناير سنة ١٨٣٩ ، وكان الكابتن هينس Haines هو أول مقيم سياسي بريطاني في عدن بعد احتلالها (٧) . وكان الهدف الأول لهينس هو وضع أسس الدفاع الدائم عن عدن حتى يمكن مقاومة أي هجوم مفاجيء عليها ، وكذلك كان عليه أن يجعل القبائل العربية في حالة هادئة حتى يمكنه تشييد التحصينات اللازمة للدفاع . وقد نجح هينس في تحقيق هذين الأمرين ، وبدأت سلسلة من الأعمال الانشائية على طول خليج عدن . ومع نهاية شهر يناير سنة ١٨٣٩ ، بدأت بريطانيا في تنفيذ سياسة التهدة في المنطقة حتى تضمن استقرار الأمور في عدن بما يحقق في النهاية مصالحها الاستراتيجية والتجارية والبحرية (٣) .

والواقع أن موقع عدن الاستراتيجي الهام كان يحتم وجود مدوء نسبي كي تستفيد بريطانيا منه فائدة محققة ، وعلاوة على ذلك فإن عدن كانت في غاية الأهمية بالنسبة للتجارة بين الشرق والغرب « فالطريق التجاري الذي تمر خلاله منتجات إنجلترا والهند سيحقق التبادل التجاري مع اليمن وحضرموت ، هذا بالإضافة إلى أن التجارة مع الشاطئ الشرقي الإفريقي سوف تتركز في سوق عدن » (٤) . لكل ذلك كان لابد من مدوء الأحوال في عدن ، ومن ثم بدت واضحة أهمية العلاقات الودية مع الحكام العرب في المنطقة ضمانا لولائهم ، وربط هذه العلاقات بالمساهمات المالية (٥) .

ألا أنه منذ التدخل العشوائي في منطقة جنوبي الجزيرة العربية في عام ١٨٧٢ ، أصبح النفوذ البريطاني مهددا تهديدا خطيرا ، وبدأ واضحا - من وجهة النظر البريطانية - ضرورة الانتقال من طور معاهدات الصداقة مع الشيوخ العرب في المنطقة إلى طور جديد يؤمن النفوذ البريطاني ويدعم بقاءه

في المنطقة ، ولم يكن هذا الطور الجديد سوى الحماية التي تم فرضها على  
الرؤساء العرب بموجب معاهدات عقدت بينهم وبين الحكومة البريطانية (٦) .

وهكذا يبدو واضحا أن الحماية التي فرضتها بريطانيا على القبائل  
المحيطة بـ عدن لم تكن من مقاصدها السياسية الاولى ، أي أنها اضطرت الى  
مقدها درما للأخطار التي مهدت عدن نتيجة للتدخل العثماني في المنطقة (٧) .  
وتجدر الإشارة الى أنه بينما كانت سياسة القبائل العربية تختلف من  
قبيلة الى أخرى ومن حاكم الى حاكم ، فإن السياسة البريطانية كان يتفدها  
المقيم السياسي في عدن وفق رغبات حكومة بومباي وحكومة الهند والحكومة  
البريطانية أيضا (٨) .

وعلى الرغم من أن ابعاد السياسة البريطانية في سلطانات ومشيخات  
وامارات الجنوب العربي كانت تتغير من آن لآخر طبقا لتغير المقيم  
السياسيين في عدن ، فإن هذه السياسة كانت تلتزم بصفة عامة بعدم التدخل  
في شئون القبائل الا بالقدر الذي يحقق المحافظة على المصالح البريطانية (٩) .  
فلم تكن علاقات بريطانيا بسلطانات ومشيخات وامارات الجنوب العربي تعني  
السيطرة الادارية عليها ، بل ان الأمر لم يعتمد في بعض الأحيان سوى عقد  
معاهدات الصداقة ومنح المساعدات ثم عقد معاهدات الحماية دون تدخل فعلي  
في شئون هذه السلطنات . أي أن القصد الرئيسي من عقد هذه المعاهدات لم  
يكن سوى تأمين عدن والمحافظة عليها ، وكذلك تأمين الطرق الممتدة بين عدن  
والمناطق الداخلية ضمانا لانتظام التبادل التجاري بين عدن والمناطق  
الداخلية .

وقد ظلت عدن منذ سقوطها في أيدي البريطانيين في عام ١٨٣٩ تابعة  
لحكومة بومباي ، الا أن حكومة الهند كانت تتدخل أحيانا في شئون عدن حتى  
أنها عينت أحد حكامها سنة ١٩٠٦ دون الرجوع الى حكومة بومباي (١٠) ،  
مما أثار بعض المناقشات ، الا أن عدن على أية حال ظلت من الوجهة الرسمية  
تابعة لحكومة بومباي حتى عام ١٩٣٧ (١١) .

ومع بداية ١٩٢٧ بدأت الدراسات في لندن توضح أهمية جعل عدن  
قاعدة جوية في الأساس بعد أن كانت قاعدة بحرية في الأساس ، وكيف أنه  
طبقا لذلك يجب اعداد الترتيبات المالية والادارية والعربية والقضائية التي  
تتحقق هذا التحويل نظرا للأهمية القصوى التي حازت عليها القوات الجوية في



ذلك الوقت بل في كل وقت • وقبل الحديث عن هذه الترتيبات تجدر الإشارة إلى الأوضاع التي كانت سائدة في عدن قبل وضع أسس التنوير حتى يمكن فهم هذه الأسس •

### وضعية عدن في عام ١٩٢٧

يستحسن أن نتمتع في تصوير الأوضاع في عدن في ذلك المام على تقرير مفصل كتبه المقيم السياسي في عدن يوضح فيه بعياد كامل الأوضاع السائدة في عدن في ذلك الوقت • فهو يرى أن الأهداف الخاصة الاستراتيجية والاستعمارية في عدن تنحصر في تحقيق الآتي :

١ - ميناء مجهز لتقديم الوقود والاحتياجات الأخرى للاستطول والقوات الجوية ، وكذلك المحافظة على خطوط الاتصالات •

٢ - قاعدة لممارسة النفوذ السياسي مع السكان في جنوب غربي الجزيرة المربية وخصوصا في المنطقة الساحلية ضد أية اتفاقات وطنية مع قوى بحرية أو عربية أجنبية •

٣ - مركز للتجارة مع سكان المنطقة ومع الأقطار المجاورة وأوضح المقيم كذلك مدى القصور في مجال الخدمات في عدن والمحميات ، « وأنه في الماضي كانت مثل هذه الخدمات غير مطلوبة ، وأنه أمكن ضمان ولاء الشيوخ بمشاهدات تافهة وتقديم بعض الماونات وخصوصا بالنسبة لامتدادهم بالأسلحة والذخائر حتى يمكنهم المحافظة على سلطاتهم • • ومنذ سنوات طويلة جذبت مستشفيات عدن المرضى من كل أنحاء المنطقة ، وعنده طلبات العلاج يزداد باستمرار • وإذا كانت الاحتياجات من أجل التسهيلات التعليمية لم تتضح بعد ، فإن ذلك يرجع في الأساس إلى أن التعليم باللغة المربية يستهف الدراسات الحديثة فقط ، إلا أن هناك بعض الأمل في أنه في المستقبل القريب يمكن تدعيم عدن بالمؤسسات المختلفة لتقديم تعليم أفضل وتسهيلات علاجية أحسن » (١٢) •

ويجب أن نتذكر هنا أن الاستعمار البريطاني لم يوجه طيلة عهده الطويل في جنوبي الجزيرة المربية كبير اهتمام إلى النواحي التعليمية وإنشاء

المدارس المختلفة (١٣) - فهو لم ينشئ منذ احتلال عدن في سنة ١٨٣٩ وحتى الاستقلال سنة ١٩٦٧ سوى مدرسة ثانوية واحدة للبنين وأخرى للبنات في عدن نفسها ، هذا بجانب بعض المدارس الابتدائية في عدن أيضا - أما في الامارات فلا توجد سوى الكتاتيب التي تعلم القراءة والكتابة (١٤) -

أما بالنسبة للصحة العامة ، فلم تكن توجد في عدن في ذلك الوقت سوى مستشفى الملكة اليزابيث الحكومي ومستشفى القوات المسلحة في العوامي ومستشفى الارشالية الاسكتلندية في الشيخ عثمان - وفيما عدا هذه المستشفيات القليلة في عدن نفسها ، فإنه لم تكن توجد في كل منطقة جنوبي الجزيرة العربية سوى أربع مستشفيات صغيرة في المكلا ولحج وأبين وسلطنة الكثيري (١٥) -

الا أن المقيم البريطاني يعود فيذكرنا بتطور عدن الاجتماعي والاقتصادي منذ الاحتلال البريطاني في سنة ١٨٣٩ - ٠٠٠ فان قرية عربية بدائية كان يعيش فيها بعض صيادي السمك تحولت الى قلعة حصينة ، وإلى ميناء خطير للتجارة العالمية ، وإلى مركز لصناعة الملح ، وأدى ذلك الى أن تنتقل اليها مجموعات بشرية كبيرة ، من الداخل بصفة رئيسية ، ومن الاقطار المجاورة - غرب وهنود وصوماليون - حتى أصبح عدد سكان المستعمرة نحو ٦٠.٠٠٠ نسمة ، وهذه الكثافة السكانية هي بدون الاوربيين والهنود المرتبطين بهم ، والذين مع المجموعات السكانية الاخرى صنفوا عدن بصيغة تجارية « - وكان عدد السكان العرب في عدن في ذلك الوقت - طبقا لتقرير المقيم - يصل الى نحو ٦٠٪ من جملة السكان - وقد سهل وجود العلاقات مع القبائل المجاورة لاتصالهم بها بالنسب والمقيدة - كما أن العرب في عدن كانوا يؤلفون العنصر المتوقع منه أن يوسع أي نقص بشري لازم لانعاش الميناء - ويسترسل المقيم في تقريره موضحا « أن العائد من عمليات شحن السفن هو عائد كبير ، وأعمال الوفود ناجحة وتجارة الترانزيت رائجة وحركة السوق المحلية من الداخل مزدهرة ، وأنه بالنسبة للسوق المحلية في عدن ذاتها فإنه يمكن انعاشها بزيادة عدد العرب المقيمين في عدن زيادة مقبولة ، وذلك بتشجيع الصناعات المحلية والوطنية ، وتحقيق أحوال سياسية أفضل في المعية ، وهكذا فان الزيادة المستمرة في السكان الوطنيين في عدن سوف تخدم الاقتصاد ، كما تخدم المصالح الاستعمارية » -

كما أوضح المقيم أن تكوين عدن البشري - رغم واقعه العربي الصرف -

لا يمكنه القيام بحركة وطنية لأنه من الناحية الثقافية والسياسية شديد التخلّف ، أما تهديد عدن فهي عملية مناسبة - من وجهة نظره - طالما ظلت الهند بريطانية ، وذلك لأن الهنود في عدن ليست لديهم روح وطنية أو سياسية ، « وهم بالتعديد في جانب الانجليز » .

أما بالنسبة لإدارة عدن ، فإنها - في رأي المقيم - انتقلت من دور الأعراف والتقاليد إلى الأحكام القانونية ، ورغم ذلك فإن عدن كانت صغيرة جدا بالنسبة لإقامة حكومة كاملة بها لها الشكل الاستعماري ، هذا بالإضافة إلى أن عدن كانت تحوز على بعض الفوائد من ارتباطها بالهند البريطانية ، فرغم أنها جزء من حكومة يومباي فهي تابعة لعدة إدارات مركزية في حكومة الهند - وكان من رأي المقيم أنه من الأفضل معاملة عدن كولاية ملحقة وأنه « يمكن تجميع الاتفاق السياسي في المحمية في خزانة وأخسدة تتم موازنتها بإسهام من الخزانتين الهندية والبريطانية وفقا للاتفاق المدني والسياسي ، هذا مع الأخذ في الاعتبار أن الأغراض الاستعمارية - وهي مسئولية مشتركة بين الحكومتين البريطانية والهندية - قد يعزّزها تقدم إداري في عدن كوحدة شبه ملحقة تحت رئاسة حكومة الهند ، وكذلك فإنه من الضروري لهذا التقدم رفع مستويات خدمات الإدارة المحلية وخصوصا الشرطة والطب والتعليم » .

وأضاف المقيم إنه بالنسبة للأمور السياسية ، فإن العلاقات السياسية والاجتماعية القائمة بين بلدية مستعمرة عدن والمحميات يجب أن تظل بلا تغيير ، « فهي الآن أكثر استقرارا من المجازفة بالتعديل بالتغيير ، إلا أنه سيظل واضحا أن تطور أسلوب محميتنا إلى أي تقدم اقتصادي سوف يزيد من علاقاتنا السياسية ، مما يؤدي إلى أن تصبح عدن عاصمة إدارية لكل جنوب اليمن » .

أما بالنسبة لتحويل عدن من قاعدة بحرية إلى قاعدة جوية ، فإن المقيم أعطى تقديرا تقريبا لتصوره عن الفوائد المالية الناجمة عن هذا التحويل ، فإن « نفقات خاميسة عدن حاليا هي بصفة رسمية ٣٠٠.٠٠٠ جنيه فقط » (١٦) - وهنا نتساءل ما هي أسس الترتيبات العسكرية تطبيقا لقرار الحكومة البريطانية القاضي بتحويل عدن إلى قاعدة جوية ؟ -

## الترتيبات العسكرية :

بدأت عدن في التحول من قاعدة بحرية الى قاعدة جوية ، وهكذا تقرر أن-مسئولية تنظيم الدفاع عن عدن سوف تنتقل من وزارة الحرب الى وزارة الطيران ، وأن « ضابطا من القوات الجوية الملكية سوف يمين من أول أبريل سنة ١٩٢٨ ، ليتولى قيادة قوات الحامية » (١٧) وقد أدى هذا التغيير الاستراتيجي في عدن الى الاستعداد لاحداث تغييرات كبرى في واقع عدن الاداري والاستعماري ، وأخذ المجلس الدائم في عدن يدرس الترتيبات المطلوبة بالنسبة للإدارة ومرتبات القوات المقترح تعديلها في عدن (١٨) .

وقد اقترح المستر اميري Amery وزير الدولة للمستعمرات أن تقوم وزارة الطيران نيابة عن وزارة المستعمرات بمناقشة الامور المالية مع مستشاري هيئة الخزانة البريطانية ، ثم تقدم وزارة الطيران في النهاية شهادة بالاضافات المالية الى وزارة المستعمرات والتي عليها دفع قيمتها دون مناقشة ، وأكثر من ذلك فإن وزير الدولة للمستعمرات يقرر أنه اذا ما ثار سؤال لحسابات القوات قبل عرضها على المجلس العام للمحاسبات ، فإن الضابط المحاسب لوزارة المستعمرات قد صدرت اليه التعليمات باستدعاء الضابط المحاسب لوزارة الطيران كي يجيب هو بنفسه على الاستفسارات المطلوبة وعلى مسؤوليته » (١٩) .

وقد وافقت وزارة الطيران على وجهات نظر.وزارة المستعمرات بالنسبة لقنوات الاتصال بين عدن والسلطات في لندن في الامور الخاصة بإدارة القوات ، ولأن هذه القوات ستكون تحت رئاسة وزارة المستعمرات ، فإن كل المراسلات الخاصة بها ستكون مباشرة بين المقيم ووزارة المستعمرات ، ومن ناحية أخرى اقترحت وزارة الطيران بأنه يكون أكثر ملائمة أن يتراسل قائد المجموعة الجوية مباشرة مع وزارة الطيران في الامور الخاصة بالقوات الجوية (٢٠) . كما وافقت وزارة الطيران على الترتيب المالي الذي اقترحت وزارة المستعمرات (٢١) .

وفي هذه المرحلة ، ثارت مسألة شكلية خاصة باسم القوة البريطانية التي سوف تترابط في عدن بعد تحقيق هذه الترتيبات ، فقد وجهت بعض الاعتراضات على اسم ( قوات اليمن ) واقترحت وزارة المستعمرات أيضا اسم ( قوات محمية عدن ) وكاسم مختصر وغير رسمي اقترح ( قوات المحمية ) وقد تمت الموافقة على ذلك (٢٢) .

وقد وافقت المستعمرات على كافة مقترحات وزارة الطيران الخاصة بالاتصال المباشر بين قائد القوات الجوية في عدن ووزارة الطيران (٢٣) ، وكذلك على الاسم المقترح للقوات الجوية في عدن (٢٤) .

ومع هذا التغير الاستراتيجي لعدن من قاعدة بحرية الى قاعدة جوية ، أصبحت بعض الأراضي والمباني في عدن زائدة عن حاجة القوات نتيجة لانقاص عدد أفرادها وللتغير في تنظيم العامية ، لما هو التصرف حيال هذه المباني والأراضي ؟ (٢٥) ان حكومة الهند كانت قد وافقت على تمهيد هام بتقديم أية أراض مطلوبة في عدن لأغراض الدفاع ، كما أنها أوردت في هذا الصدد « بأن أية أراض أو مبان زائدة عن احتياجات القوات فإنه يجب التنازل عنها للسلطات البلدية في عدن » أما المباني التي شيدت على نفقة الامبراطورية وأصبحت أيضا زائدة عن حاجة القوات فان شروط تسليمها يخضع لاعتبارات أخرى » (٢٦) .

كما طلبت وزارة الهند من وزارة المستعمرات أن تكون منطقة معسكر عدن داخلة ضمن نطاق المستعمرة (٢٧) ، وقد وافقت وزارة المستعمرات على هذا الطلب لأن هيئة أركان حرب الطيران وقادة البحرية لم تعترضوا على ذلك (٢٨) . وأخيرا طلبت وزارة الهند من وزارة المستعمرات أن يكمل المقيم السياسي الماجور جنرال ستيوارت فترة تعيينه في منصب المقيم (٢٩) ، الا أن المستر اميري وزير الدولة للمستعمرات اعتذر بأنه لا يستطيع أن يبيت في هذا الموضوع (٣٠) . الا أنه بعد فترة وجيزة قرر أنه من الضروري ابقاء الماجور جنرال ستيوارت في منصبه حتى أول أبريل سنة ١٩٢٨ لأنه رأى أنه من المستحيل اجراء كل التغييرات قبل هذا التاريخ (٣١) .

### الترتيبات الادارية :

أدت الترتيبات العسكرية الى ضرورة اجراء ترتيبات ادارية أيضا في عدن والمحمية . وقد أوضح قرار الحكومة البريطانية الخاص بتحويل عدن الى قاعدة جوية أن المقيم السياسي أو الحاكم في عدن يجب أن يكون بمثابة

سلطة عليا في كل الأمور السياسية والعربية وأمور الإدارة الداخلية في المستعمرة ، وإن هذا الضابط يمينه الحكومة البريطانية بالاتفاق مع حكومة الهند .

وقد أوضح وزير الدولة للمستعمرات « أنه في الوقت الحاضر ، هناك بعض المصالح والادارات في مستعمرة عدن ليست تحت رئاسة المقيم مثل البريد والمواصلات ، فهي تحت الاشراف المباشر من ادارات مركزية في الهند ، وأنه يجب اتخاذ الاجراءات الكفيلة بتطبيق قرار مجلس الوزراء البريطاني ، وجعل كل أعمال الخدمات في عدن تحت اشراف المقيم أو الحاكم » . كما كان من رأي وزير الدولة للمستعمرات أن يكون تعيين حاكم عدن بقرار من الملك البريطاني وبتموصية من وزير الدولة للمستعمرات . وأشار وزير الدولة للمستعمرات الى أنه قد فهم من زميله وزير الدولة للهند إيرل اف بيركنهد Earl of Birkenhead أنه يفضل أن يختار المقيم أو الحاكم بالتناوب دوريا من خدمة المستعمرات وخدمة الهند ، إلا أن وزير الدولة للمستعمرات لم يفضل هذا الاتجاه وفضل أن يكون الاختيار حرا ولاكثر الضباط ملامة للتميين في هذا المنصب (٢٢) .

وقد قامت وزارة الهند باتصالات مع حكومة بومباي وحكومة الهند بخصوص التغييرات الادارية الواجب تنفيذها بناء على قرار مجلس الوزراء البريطاني بتحويل عدن الى قاعدة جوية ، وأبدى وزير الدولة للهند ملاحظته بأن وزير الدولة للمستعمرات يميل الى الرأي القائل بوجوب سيطرة المقيم على كل الأمور الداخلية في المستعمرة ، « ... إلا أنه من الصعب أن يمارس المقيم سلطات واسعة كالتي يمارسها حكام المستعمرات ، فعدن بعدد سكانها القليل جدا ، وبمصادرها المحدودة لا يمكنها أن تتحول الى وحدة ادارية منفصلة وممتدة على خطوط اقتصادية معقولة » . كما كان من رأي حكومتي الهند وبومباي أنه يجب « اتخاذ خطوات في التفريح الهندي لجعل المقيم في وضع ( متصل ) بالسلطات الهندية كما يمارس حاكم السند الآن سلطاته متصلا بحاكم بومباي » . وعلى حد قول وزير الدولة للهند : « ... هل من الأفضل أن يمثل المقيم الجديد بتبعيته لحكومة جلالة الملك مكانة حاكم استعماري عادي ؟ إلا أنه بالنسبة للأمور التي سوف تظل تحت الادارة الهندية - رغم لقبه - فيكون ما يشبه مقوض السند في علاقته بحاكم بومباي » . ومن هذه النقطة تبرز المسألة الخاصة بالادارات الداخلية في عدن « ... والتي لا تدار حالياً عن طريق المقيم ولا عن طريق حكومة

بومباي ، ولكن تديرها الادارات المركزية في حكومة الهند ، وان تحويل هذه الادارات لتكون تحت الاشراف المباشر للمقيم سيكون من شأنه اضعاف لها ، هذا مع الاشارة بأن هذه الادارات تعمل الآن بكفاءة ودون وقوع أي مشكلات من جراء النظام القائم » (٣٣) .

أما بخصوص اختيار المقيم أو الحاكم ، فالواقع أن أهمية دور الهند التجاري في عدن ، والعدد الكبير للرحابا الهندو الانجليز والذين هم تحت اشراف اداري للمقيم ، والرغبة العميقة لدى هؤلاء الهندو في التمسك بالارتباط مع الهند ، كل هذه المسائل جعلت مسألة اختيار المقيم من أهم المسائل من وجهة نظر حكومة الهند . وقد وافق وزير الدولة للهند على وجهة نظر وزير الدولة للمستعمرات بخصوص تلافي النظام الصارم والقاسي بالتعاقب في منصب المقيم بين وزارة المستعمرات ووزارة الهند ، وهو يرى « أن أفضل حل هو وضع ترتيب يكون تعاقب ضباط الخدمة الاستعمارية والهندية بموجبه طبيعيا وليس حتميا ، وأنه اذا ما وافقت وزارة المستعمرات على ذلك فان وزير الدولة للهند لن يعترض على أن يكون أول مقيم يعين طبقا لهذا الترتيب من الخدمة الاستعمارية » .

أما بالنسبة للهيئة المدنية بالمستعمرة ، فان حكومة الهند بعد التشاور مع حكومة بومباي ترى أنه يجب أن يستمر تخصيصها من الهند ، وأن الادارة الداخلية في عدن يجب أن تستمر مرتبطة بحكومة الهند وأن تسير على الخطوط الهندية ، وأن التنظيم القضائي في المستعمرة يجب أن يستمر طبقا للقضاء الهندي وطبقا للممارسة القضائية الهندية .

كما أوضح وزير الدولة للهند أنه يتفق مع حكومة بومباي وحكومة الهند في أنه اذا كان المقيم من الخدمة الاستعمارية ، فان مساعده الأول يجب أن يكون من خدمة الهند ، أما اذا كان المقيم من الخدمة الهندية فيجب أن يكون مساعده الاول من خدمة المستعمرات (٣٤) .

الا ان وزارة المستعمرات كانت لها آراء أخرى بالنسبة لاختيار المقيم ومساعدته الأول ، « فقي الوقت الحاضر فان المساعدين الأول والثاني للمقيم قد تم تعيينهم من ناحية في عمل له طبيعة سياسية ، ومن ناحية أخرى

في أعمال مرتبطة بمستعمرة عدن ، وهذا الترتيب سيسدو لوزير الدولة للمستعمرات غير مناسب ولا يرى داعيا لاستمراره ، لأن الحكومة البريطانية سوف يكون لها السيطرة الكاملة على الشؤون السياسية » . وأضاف وزير الدولة للمستعمرات أنه يمكن تعيين ضابط واحد لمزاولة العمل المتصل بالحماية ، وأن مساعدي المقيم يجب أن يكرسوا أنفسهم كلية للأعمال المتصلة بالمستعمرة . واقترح الوزير بأن هذا الضابط الذي يمكن أن يسمى سكرتير الحماية يجب أن يكون في رتبة أقل من المساعد الأول للمقيم ، وأن المساعد الأول تنحصر واجباته في أعمال المستعمرة فقط ، ويمكن أن يكون ضابطا من الخدمة الهندية ، ويحل محل المقيم أثناء غيابه ، ولم يوجه وزير الدولة اعتراضا قويا على هذا الترتيب الذي يفصل تماما العمل في المستعمرة عن ذلك العمل الخاص بالحماية . وأوضح الوزير عن رأيه في أن هذا الفصل يساعد حكومة الهند في تعيين الهيئة المختصة بالأعمال المدنية والبلدية لتمييزها عن الأمور السياسية وذلك بدون استشارة الحكومة البريطانية ، وأن الحكومة البريطانية تعين ضابطا للتعامل في شؤون الحماية دون استشارة حكومة الهند ، وأن هذا الترتيب يساعد كل حكومة في حسم أية مشكلات يمكن أن تبرز بخصوص ضابطها . . . ووزير الدولة للمستعمرات يعرف أن حكومة الهند قد تتعرض على هذا الاقتراح على أساس أنه إذا لم يتم المساعد الأول بواجبات لها الصبغة السياسية فلن يكتسب الخبرة اللازمة له كي يحتل منصب المقيم ، ولكن وزير الدولة للمستعمرات يعتقد بأنه اعتراض يمكن الرد عليه بأنه طبقا للاقتراح فإن المساعد الأول للمقيم يحل محل المقيم أثناء غيابه ، وهكذا يمكنه الحصول على أية معلومات عن شؤون الحماية . (٣٥) . وبذلك يكون وزير الدولة للمستعمرات قد أظهر تماما عدم موافقته على أن حاكم عدن يتم اختياره بالتبادل من خدمة المستعمرات وخدمة الهند . وقد رأت حكومة الهند لذلك أهمية فتح باب المناقشة من جديد بالنسبة لهذه المسألة (٣٦) .

ولا ننسى في هذا السياق أن مستشاري هيئة الخزائن البريطانية قد وافقوا على التنظيم المقترح بالنسبة لتحويل عدن إلى قاعدة جوية يهرط أن لا تتخطى المشاركة البريطانية المالية المخصصات المحددة لذلك ، وذلك إذا ماوزعت الواجبات الادارية والسياسية الى عدة أقسام بين كل مساعدي المقيم . كما طلب المستشارون « تقريراً يوضح التقسيم المقترح للتكاليف الكلية لهيئة الاقامة للخدمة البريطانية والهندية » (٣٧) .



وعلى أية حال فإن وزير الدولة للهند - بعد مشاورات مع حكومة الهند - اقترح على وزارة المستعمرات أن يتفرغ المساعد الأول للمقيم للشئون المدنية وأن لا يتعمل أية مسئولية سياسية ، على أن يقوم بمراجعة كل الملفات السياسية بعد انتهاء العمل فيها ، « وكقاعدة يستلم نسخا من هذه الملفات السياسية » . وأبدى وزير الدولة للهند موافقته « على أن سكرتير المحمية سوف يتم اختياره باستمرار من خدمة المستعمرات ، وكأجراء تنظيمي فإن واجبات المساعد الأول للمقيم عند تنفيذه يقوم بها المساعد الثالث وليس سكرتير المحمية ، وأنه في حالة تقييد المقيم والمساعد الأول - وهذا بعيد الاحتمال ، فإن المساعد الثاني وسكرتير المحمية يمثل كمقيم يعمل كمقيم بالنيابة » (٣٨) . وقد وافقت المستعمرات على مقترحات وزارة الهند السابق ذكرها (٣٩) .

ومن ناحية أخرى قام وزير الدولة للمستعمرات بإبلاغ المقيم في مدن بالترتيبات الجديدة بالنسبة لاختصاصات المساعدين الأول والثاني للمقيم (٤٠) . وأن المساعد الثاني للمقيم يمكنه الاطلاع على الأوراق الخاصة بشئون المحمية عن طريق المساعد الأول « ... على أن يكون مفهوما أن المساعد الثاني أمام المقيم مباشرة وليس أمام المساعد الأول » (٤١) ، كما أبلغه أيضا بأن إدارات ممينة في مدن كالبريد والطرق ستظل تحت إشراف إدارات مركزية في الهند (٤٢) .

ألا أن هذه الترتيبات العسكرية والإدارية لا شك أنها ستطلب إجراءات مالية وتنسيقا ماليا بين حكومتي بريطانيا والهند لمواجهة هذه التغييرات .

### الترتيبات المالية :

أرسلت وزارة المستعمرات إلى هيئة الخزائن البريطانية تقريراً يوضح حصة كل من الاعتمادات البريطانية والهندية في الانفاق على مدن في العام المالي ١٩٢٧/١٩٢٨ والتي صنعت « أعمال سياسية » في تقديرات مدن ، والحصة لنفس الانفاق في سنوات تالية . وقد أبرزت وزارة المستعمرات موافقتها على المقترحات التي قدمتها حكومة الهند بالنسبة لهذه المسألة .

وأضافت وزارة المستعمرات أنه وما دام مستشارو الخزانة البريطانية يعلمون أنه قد تقرر مؤخرًا أن الواجبات التي يتفرغ لها المساعد الأول للمقيم هي كلها مدنية ، وأن المساعد الثاني للمقيم وسكرتير المحمية سوف يخصص للأعمال السياسية فقط ، وأن مرتب المساعد الأول هو من مسئولية حكومة الهند ومرتب المساعد الثاني كله هو من مسئولية الحكومة البريطانية ، فإن حكومة الهند تطلب اعتمادًا ماليًا خاصًا نتيجة لهذا القرار للسنوات القادمة ، وكذلك فإن مبلغ الـ ٨٦٠٠٠ ريال (دولار) الواردة في ( المعاشات المحلية والسياسية لتقديرات عام ١٩٢٧/١٩٢٨ ) تتطلب اعتمادات أيضا . وأن المبلغ المسئول عنه المالية البريطانية هو ٧٩٥٠٠ ريال منها ٢٦٤٠٠ ريال تدفع سنويا لسلطان العبدلي طبقا لاتفاق شراء الشيخ عثمان منه والتي هي الآن ملحقه بالهند (٤٣) . وكانت حكومة الهند قد عقدت معاهدة مع سلطان العبدلي في ٦ فبراير ١٨٨٢ وافق السلطان بمقتضاها على بيع ٣٥ ميلا مربعا من الأرض الملاصقة للشيخ عثمان بين الحسوة والعمام وكذلك ملاحات الشيخ عثمان والقناة التي بينها وبين عدن (٤٤) وذلك في مقابل أن يستلم السلطان ٢٥٠٠٠ ريال هذا الراتب الشهري المعتاد أي ٥٤١ ريال و ١١٠٠ ريال شهريا منها ٦٠٠ ريال من أجل المياه و ٥٠٠ ريال ثمن الملاحات (٤٥) وبصفة عامة فإن المبلغ المالي المسئول عنه المالية البريطانية هو ٧٩٥٠٠ ريال ينقص منها ٢٦٤٠٠ ريال .

وقد استفسر وزير الدولة للمستعمرات عن بعض النقاط وهي تختص بالآتي :

- ١ - موقف مساعد المقيم في بريم .
- ٢ - كيفية الدفع للفروع المربية والسرية .
- ٣ - مرتبات الجنود .
- ٤ - بدل السفر للضباط السياسيين .
- ٥ - بدل السفر لدار الإقامة والخزينة .
- ٦ - امتياز المرور للإقامة والخزينة .
- ٧ - إيجار السكن لمكتب المخابرات .
- ٨ - اعتمادات الطوارئ .

كما أوضحت وزارة المستعمرات لمستشاري الخزنة البريطانية أن مقترحات حكومة الهند والاعتمادات السابق بيانها قد تمت مناقشتها بطريقة شبه رسمية مع ممثلين من وزارة الهند والخزنة ، وأن التقارير ( مرفقة في نهاية البحث ) هي في غاية الأهمية بالنسبة للمسألة كلها ويوضح الجدول الأمور المستولة عنها حكومة الهند ، أما الجدول فيوضح الأمور المستولة عنها الحكومة البريطانية ، أما الجدول فيوضح الأمور المشتركة بين الحكومتين طبقا لمقترحات حكومة الهند وأعضاء وزير الدولة للمستعمرات أن مستشاري هيئة الخزنة البريطانية « ٠٠٠ سوف يستخلصون من الجدول أنه من الضروري مراجعته بعد استلام معلومات أكثر بالنسبة للبنود الواردة به ، وأنه من مجموع الانفاق ٢٥٩٤٤٩ ربيلا مبلغ ١٨٧٥١٣ ربيلا أو نحو ٧٢٪ من المجموع الكلي يقع على كاهل حكومة الهند ، والباقي وهو ٧١٩٣٦ ربيلا أو نحو ٢٨٪ من المجموع الكلي يقع على كاهل الحكومة البريطانية ٠٠ ويمتد وزير الدولة للمستعمرات أن الانفاق المأم في الجدول C يجب أن يقسم بين حكومتي الهند وبريطانيا بنسبة ٧ : ٣ وليس ٢ : ١ كما تريد حكومة الهند » .

واستفسر وزير الدولة للمستعمرات عن وجهات نظر مستشاري الخزنة بالنسبة لهذه المسائل مع الأخذ في الاعتبار أن هذا الترتيب سوف يستمر لفترة ثلاثة أعوام اعتبارا من أول أبريل سنة ١٩٢٨ . وأنه يمكن فقط أحداث تعديلات في نهاية هذه الفترة . كما طلب وزير الدولة للمستعمرات أيضا موافقة مستشاري هيئة الخزنة البريطانية على أن حكومة الهند هي السلطة الوحيدة التي يقع على كاهلها الانفاق في الجدول C أثناء الفترة التي يغطيها هذا الترتيب مع التخفيضات الآتية :

١ - لا يدخل تعديل على مخصصات ورواتب المقيم ومعاونيه دون موافقة مسبقة من وزير الدولة للمستعمرات .

٢ - لا تريد حكومة الهند في الانفاق من أكثر من ٢٠٪ من كل مجموع الانفاق في الجدول C دون الرجوع المسبق الى وزير الدولة للمستعمرات .

وأخيرا طلب وزير الدولة للمستعمرات وجهات نظر مستشاري هيئة الخزنة البريطانية بالنسبة لاعتمادات الانفاق في عام ١٩٢٧/١٩٢٨ واعتماد هذا الانفاق في السنوات الثلاثة التالية اعتبارا من أول أبريل سنة ١٩٢٨ .

وقد وافقت هيئة الخزانة البريطانية على مقترحات وزير الدولة للمستعمرات السابق بشأنها ، وعلى التقسيم المقترح للاتفاق بين الحكومتين الهندية والبريطانية طبقا للجدول A B C. وان كانت قد أوضحت انه بالنسبة للاقتراح الخاص بتقسيم الاتفاق في الجدول C بين حكومتي الهند وبريطانيا بنسبة ٧ : ٣ بدلا من النسبة الحقيقية وهي ٧٢٪ الى ٢٨٪ ، فانه أسهل من ناحية العمل المالي جعل النسبة ٨ : ٣ أو ٣ : ١ - كما أوضحت هيئة الخزانة البريطانية أنه من خبرتها المالية « فانه يبدو من غير الممكن ممارسة الامور المالية بطريقة حديثة ، وأنه من المقبول اضافة ١٠٪ الى المجموع النهائي لعام ١٩٢٩ (٤٧) - وقد أبلغت وزارة المستعمرات ووزارة الهند بقوى وجهات نظر هيئة الخزانة البريطانية ، وبصفة خاصة بالنسبة المثوية المقترحة للزيادة ، وكذلك اضافة ١٠٪ لمواجهة الطوارئ في الاتفاق » (٤٨) .

الا أن حكومة الهند أثارت بعض المشكلات المالية التفصيلية ، « فإرسال ضباط من الخدمة الهندية للخدمة في عدن يثير بعض التبعات أمام الاتفاق المالي وذلك بالنسبة للملاوات وحقوق السفر ، وأن التقسيم الحالي لنفقات السفر الفعلية سيكون أمرا بالغ الصعوبة » - وذلك بالنسبة للتقسيمات المختلفة للاسهام بين حكومتي الهند وبريطانيا ، بينما المبدأ السائد هو ربط اعتمادات الاتفاق بين حكومة الهند ووزارة الخارجية ، وأنه في هذه الحالة فانه يجب تخصيص « بدل خاص » لنفقات السفر ، كما أوضحت وزارة الهند أن علاوة شهرية ثابتة من خمسين رويالا قد خصصت حديثا من حكومة الهند لتغطية مسئوليات الموظفين في الخدمة الهندية (٤٩) .

أما حكومة بومباي فقد انتصرت وجهات نظرها بالنسبة لعملييات الاتفاق في عدن في :

(أ) مسألة دفع ٢٦٤٠٠ ريال سنويا لسلطان المبدلي .

(ب) حدود الخدمات السياسية الواردة في الجدول C .

(ج) المنة التي تدفعها وزارة المستعمرات لرعاية العمال الهنود .

وبالنسبة للنقطة الأولى ، فإن وجهة نظر حكومة بومباي تلخصت في أن مبلغ ٢٦٤٠٠ ريال الذي يدفع سنويا لسلطان لمحج كتمويض من تنازله

عن حقوق المأم والمليح في الشيخ عثمان طبعا لاتفاق ١٨٨٢ ، وانه على الرغم من أن هذا المبلغ « يقدم حتى الآن في الميزانية في الجدول ٤ الخاص بالمعاشات المحلية والسياسية ، فان الاتفاق يستهدف فائدة الادارة المدنية ، وانه من رأي المقيم والقائد العام في عدن أن البند كله يجب أن يكون من مسئولية الخزنة المدنية » .

أما بالنسبة للنقطة (ب) فتجدد مراجعة الجدول × (المرفق) وأن الحكومة بالهند أبلغت بالجزء الذي تشارك به في مرتب مساعد المقيم في يريم وهو ١/٤ سياسي و ١/٤ مدني . وقبل مناقشة مسألة المسئولية كما جاءت في الجدول ٤ والذي أمده المحاسب العام لحكومة بومباي مع الجدولين A و B ( وكلاهما يسجل المصروفات في عام ١٩٢٧/١٩٢٨ وهما أصدا على نفس الخطوط كالجدول C و B و A الصادرة من وزارة المستعمرات وهما من ملاحق البحث ) ، وقد تعرض تقدير المحاسب العام لحكومة بومباي لبعض التفصيلات التي جاءت في التقرير A الذي يسجل بيانات الانفاق كله الواقع على مالية الهند ، فالمحاسب العام قد ضمن الجدول مبلغ ١٢٢٠٠ ريال هي مبرة من متعة للمعاهد الطبية وبعض بدلات السفر وأراض أخرى . وبالمثل فان الأرقام المسجلة في جدول للمحاسب العام والواقع كله على

مسئولية الحكومة البريطانية لا يحتاج الى تعليق سوى أن مبلغ ١٥٢٤٠٧ ريالا للمعابر تضم ١٥٠٠٠٠ ريالا دفعت لسلطان لبحج بتعليمات من المحاسب العام لوزارة الهند ، كما أن مبلغ ١٨٤٧٩٦ ريال الموضح في الجدول C من تقرير المحاسب العام يتضمن :

(١) ١٤٦٢٠ ريالا للمشاركة السياسية في تاجر السفينة .  
Messrs Cowasji Dinshaw Brother's Ship

(ب) ١٢٨٦٩٤ ريالا للمشاركة السياسية في الاتفاق على محطة السفن Cornwallis من أبريل الى أكتوبر ، وهذا الانفاق لم يأت في تقديرات عام ١٩٢٨/١٩٢٧ .

أما بالنسبة للنقطة الرئيسية بخصوص المسئولية تجاه العمال الهنود المتقاعدين فيوضح المحاسب العام لحكومة بومباي أن الأرقام الواردة في العمود ٦ من التقرير C للمحاسب العام للهند توضح المسئولية الكاملة لحكومة الهند بالنسبة لهذه المسألة في عام ١٩٢٧/١٩٢٨ . وحكومة الوطن غير مستعدة للموافقة على نسبة ٢ : ١ بخصوص تقسيم الانفاق ، ووزارة المستعمرات اقترحت ٧ : ٣ والخزنة العامة تفضل ٨ : ٣ أو ٩ : ٣

والتقرير ٧ (المرفق) يوضح أن قسبة الانفاق هي تقريبا ١٥٣ : ٦٤  
أو نحو ٥ : ٢ وهذه النسبة هي على أساس عام واحد هو ١٩٢٧/١٩٢٨ ،  
وحكومة بومباي لا ترى أساسا أفضل للتقسيم يمكن التوصل اليه « (٥٠) » .

أما المقيم في عدن فقد ألح في وجوب تكفل حكومة الهند بدفع ١٥٠.٠٠٠  
ريال كانت قد دفعت لسلطان لحج وقد وافق وزير الدولة للهند على تحمل  
عبء مشاهرة سلطان لحج نيابة عن المالية الهندية « (٥١) » .

وعلى أية حال فإن وزارة المستعمرات لم توافق على دفع ١٤٣٣١٤  
ريالا قيمة ايجار القوارب ووافقت على دفع ١٥٠.٠٠٠ ريال لسلطان  
لحج .

وقد اشتكت وزارة المستعمرات من تأخر وصول الحسابات السنوية ،  
وأن « هناك سوء تقدير ناجم من استلام التقارير قبل بضعة أيام من حلول  
اليوم المحدد لافلاق حسابات الوزارة ، وأنه من المرغوب فيه ارسال تقرير  
مفصل عن الانفاق في عدن في نهاية كل ثلاثة أشهر حتى يمكن التوصل الى  
التقدير السليم للميزانية المطلوبة » (٥٢) .

وفي النهاية ، وبعد اتصالات ومراسلات عديدة بين وزارة المستعمرات  
وهيئة الخزانة البريطانية ووزارة الهند وحكومة الهند ، وافق وزير الدولة  
للهند على أن بدلات السفر والهيات والهدايا للسلطين تؤدي للمقيم على أن  
تشارك فيها مناصفة الحكومتان الهندية والبريطانية ، وأن تتحمل كل  
حكومة مسؤوليتها في الانفاق على الضباط التابعين لها (٥٣) . كما طلبت  
وزارة الدولة للمستعمرات من هيئة الخزانة البريطانية الموافقة على  
الجدول « ج » (٥٤) الخاص بالانفاق المشترك للحكومتين الهندية والبريطانية  
في عدن ، وقد وافقت هيئة الخزانة على هذا الطلب (٥٥) .

### الترتيبات القضائية :

إن السلطة القضائية التي مارستها الحكومة البريطانية في محمية  
عدن هي عن طريق الحاكم العام للهند . وهذه السلطة لم تتخذ شكلا  
محددا ، فحكومة الهند لم ترغب في اقام نفسها بأي شكل من الأشكال ، ولم

ترد تحمل مسئوليات التدخل في شئون رؤساء القبائل لايقاف ممارستهم معاقبة رجالهم الذين يقتربون الجرائم . ورغم ذلك فإن حكومة الهند رأت أنه من المستحسن أن يقوم ضباط سياسيون في محمية عدن بدور السلطة القضائية ، وذلك لمنع اجراءاتهم سلطة حكومة الهند . وقد اوضحت الخبرة مزايها الضباط السياسيين العسكريين الذين يتمتعون بسلطات يستطيعون استخدامها ببعض العذر (٥٦) .

اما شروط الممارسة القضائية ، فقد جاءت في دليل اصدره الحاكم العام للهند في أول فبراير سنة ١٩٠٧ (٥٧) والمقطع الأول من الجزء الثاني من هذا الدليل ينص على « أن مساعد المقيم في عدن بالموافقة الكتابية من المقيم السياسي في نفس الوقت يمارس كل السلطات المخولة للمستشارين الاقليميين وقضاة المحاكم كما جاءت في دليل الاجرام لسنة ١٨٩٨ ، وكذلك سلطات نواب المستشارين أو قضاة المحاكم طبقا لقانون جرائم القتل على الحدود لسنة ١٩٠١ » وهكذا فإن المقيم السياسي ومساعديه في عدن قد تم تعيينهم قضاة في محمية عدن .

١  
الا ان الدليل اوضح أيضا أنه في حالة ما اذا كان المتهم أو المتهمين ليسوا رعايا بريطانيين ، فإن المحكمة تعتبر أنه كافيا لأسباب سياسية أن تتلک في ممارسة السلطة المشار إليها أو تغول المحكمة الحق في ذلك ، بل ان حكومة الهند اوصت المقيم ومساعد القضاءي برفض ممارسة تلك السلطات في حالة ما اذا كان كلا من الخصمين ليسا رعية بريطانية ، الا اذا كان الأمر لا يمكن حسمه بالتقاليد المحلية أو القبلية (٥٨) ، ووضح أن البند الوحيد في المعاهدات مع قبائل المحمية بالنسبة لممارسة السلطة القضائية في المحمية جاء في المادة الثالثة من المعاهدة مع قبيلة العبدلي في عام ١٨٤٩ (٥٩) والتي توضح أنه تقدم للمحاكمة في عدن الحالات التي تختص بالرعايا البريطانيين (٦٠) .

وطبقا لقرار الحكومة البريطانية الخاص بتحويل عدن من قاعدة بحرية الى قاعدة جوية ، استفسر وزير الدولة للهند من المقيم عن الوضع الجديد من امكانية القيام مهمة السلطة القضائية على حائق عسكريين المحمية بصفتهم المساعد الثاني للمقيم ، ويكون أيضا قاضي المحمية ، وهذا بطبيعة الحال اعتمادا على ما جاء في التشريعات البريطانية لماكفرسون وطبقا للمقطع الأول من القانون الذي ينص على أن المساعد الثاني للمقيم « يستطيع

بالموافقة الكتابية للمقيم أن يمارس سلطات المستشارين الاقليميين وقضاة المحاكم ، (٦١) .

وقد وافق المقيم على وجهات نظر وزير الدولة للهند ، الا أنه اقترح رفع المسألة الى حكومة بومباي التي يتبع لها هذا المقيم (٦٢) .

ولكن ما هو الوضع القانوني في المحميات الواقعة في جنوب اليمن في ذلك الوقت ؟ . يمكن القول بصفة عامة أن التاج البريطاني كان يتمسك بالسلطة القضائية على الرهايا البريطانيين ، وفي بعض الحالات على الأجانب بمقتضى معاهدة أو امتياز أو أية وسائل قانونية أخرى . ويمكن الإشارة الى ما جاء في قانون السلطة القضائية على الأجانب الصادر في عام ١٨٩٠ ( المادتان ٥٣ ، ٥٤ ، ٣٧٠-٤٤ ) من أن « السلطة القضائية على الأجانب لا تمارس بواسطة التاج حتى في المحميات البريطانية دون موافقة الأجنبي وحكومته . وهذا المبدأ مبني على نظرية أن السلطة القضائية هي مفوضة من حكومة المنطقة التي تمارس فيها » . وفي مؤتمر برلين ١٨٨٤/٨٥ لم تذهب - بريطانيا - لوجهات النظر العامة للدول الأوروبية الاخرى بالنسبة لسلطة قضائية غير محدودة على الرهايا الأجانب . الا أنه بالموافقة على القانون العام لمؤتمر بروكسل سنة ١٨٩٠ بالنسبة للمحميات الافريقية ، فإن انجلترا وافقت على مد السلطة القضائية على الأجانب بالنسبة لافريقيا على الأقل » .

ومن الواضح أنه طبقا للمادة الثالثة من المعاهدة التي عقدت مع قبيلة المبدلي ، فإنه تقدم للمحاكم في عدن قضايا المحمية المتهم فيها رهايا بريطانيون ، وأهم المواد في القوانين الخاص بالسلطة القضائية على الأجانب هي :

١ - السلطة في ارسال الأشخاص المتهمين بالاهتمام على الممتلكات البريطانية الى المحاكم .

٢ - شروط خاصة بالنسبة لمكان العقاب للمتهمين الذين تثبت ادانتهم .

٣ - حدود السلطة القضائية للمحاكم البريطانية ، وهناك قرار صدر في عام ١٩٠٢ يسمى القانون الهندي وأهم مواده المقطع الثاني الذي ينص على أن « حدود هذا القانون هي الأراضي التابعة للهند وخارج الهند البريطانية والأراضي الاخرى التي يحددها صاحب الجلالة كأراض تمتد عليها السلطة القضائية لجلالته من طريق الحاكم العام للهند » .



أما المقطع الثالث فينص على أن « التعليمات قد صدرت الى الحاكم العام كي يمارس السلطة القضائية التي يملكها صاحب الجلالة ، وأن يفوض لمن شام هذه السلطة القضائية » .

وينص المقطع الرابع على أن « الحاكم العام صدرت اليه التعليمات لاعداد قواعد وأوامر خاصة بالآتي :

١ - ملاحظة التمسك بالقانون والاجراءات .

٢ - تحديد الأشخاص الذين يمارسون السلطة القضائية .

٣ - تحديد المحاكم في الهند البريطانية والتي تمارس السلطة القضائية .

٤ - تنظيم طريقة دفع الرسوم .

أما القوانين التي كانت سائدة في محمية عدن فهي :

١ - الدليل الهندي الجنائي الصادر في عام ١٨٦٠ .

٢ - الدليل الهندي للاجراءات الجنائية الصادر في عام ١٨٩٨ .

٣ - قانون جرائم واغارات الحدود الصادر في عام ١٩٠١ .

٤ - قانون أسلحة ( التهريب البحري ) الصادر في عام ١٩١٠ .

٥ - أوامر معينة في قانون الجمارك البحرية .

وبالنسبة لتحويل عدن الى قاعدة جوية ، فإن المقيم السياسي أوردى بأنه لا يرى داعيا لتغيير الأوضاع القضائية . ويمكن للمقيم السياسي والمساعد الأول للمقيم أن يمارسا سلطات المستشارين القضائيين داخل المحمية ، « والمقيم السياسي نفسه وكل مساعديه هم قضاة ، وهذا يعني أنهم يستطيعون ممارسة سلطات مستشاري الطبقة الاولى بالنسبة لأوامر القبض على المتهمين » . كما كان من رأي المقيم أن الأوربيين المتهمين بصفة فردية أو جماعية مع آخرين بجريمة عقوبتها الاعدام ، فإنه يجب تحويلهم الى المحكمة العليا ببومباي . كما أنه طبقا للقسم ١٨٨ من دليل الاجرامات الجنائية فإنه « عندما يقدم هندي رعية بريطانية بجريمة في أي مكان خارج

أو داخل حدود الهند البريطانية ، فإنه يحاكم بخصوص هذه الجريمة كما أنه اقترحها في أي مكان داخل الهند البريطانية » -

وأنتهى المقيم آزاده باقتراح أن سكرتير المحمية بوصفه المساعد الثاني للمقيم يمكن تعيينه قاضيا للمحمية . وقد وافقت كل الأطراف على هذه المقترحات (٦٣) .

---

### الترتيبات الخاصة بالمخابرات :

---

بمناسبة تحويل عدن الى قاعدة جوية ، تم تعيين الملازم الطيار ريكاردز Rickards ضابط المخابرات ممثلا لمخابرات القوات الجوية في ( المكتب ) ، وهو لذلك مطلع على كل تقارير المخابرات ويبلغ المقيم السياسي مباشرة بكل المناطق التي تطلب قيادة القوات الجوية في عدن معلومات خاصة عنها .

ومن رأي المقيم أن ( المكتب ) « يعمل بكفاءة عالية ، الا أنه اذا أرادت القوات الجوية أن تبدأ في أي وقت تنظيما للمخابرات خاصة بها فانها تستطيع ذلك » (٦٤) .

ولكن هل كان هناك داع لذلك ؟ .. ان تنظيم المخابرات المحلي هو تحت ادارة المساعد الأول للمقيم والمسئول أمام المقيم عن كفاءة هذا التنظيم . والسبب في هذا هو أن السلطات السياسية في عدن تملك أهم عوامل نجاح عمل المخابرات .. هيئة ملائمة وتحويل ملائم وممثلين سريعين من وزارة المستعمرات والحكومة الهندية » . والمساعد الأول للمقيم هو على اتصال مستمر مع شيوخ المحمية ، وهؤلاء الشيوخ مسئولون عن تقديم المعلومات له . كما أن المساعد الأول للمقيم هو على اتصال باليمن . أما قيادة القوات الجوية فليس لديها في الوقت الحاضر لا تحويل للمخابرات ولا عملاء محليين مع حاجتها الماسة الى الحصول على مخابرات منتظمة ودقيقة » .

وعلى أية حال ، فقد اتجهت الآراء الى عدم ضرورة تشكيل هيئة مخابرات محلية منفصلة خاصة بالقوات الجوية « لأن المنطقة المعنية هي

قبلية وقواتها التقليدية التي قد تكون معادية لنا لا تتطلب ادارة خاصة توظف أنواعا مختلفة من العملاء ، وقد يكون هذا مطلوبا بالضرورة اذا ما تعاملنا مع أعداد متحضرين ، وأنه لمن المستحيل أيضا في هذه المناطق وضع خط حدي بين المخابرات الحربية والسياسية ، فالاتجاه العام لقبيلة معينة ، وعدد المدافع اللازمة في الميدان ، وعلاقاتنا بالزبيديين ( اليمينيين ) هي كلها أمور خاضعة للأهمية السياسية والحربية أيضا » .

وإن انشاء مكتب منفصل لمخابرات القوات الجوية له أيضا مشكلاته ، فهناك الانفاق المضاف لهيئة المكتب الجديد ، مع الايقام على المخابرات السياسية ، وهكذا تقوم هناك ادارتان تملان في منطقة واحدة ، مما يؤدي الى التداخل في الأعمال المختلفة ، وكذلك الى منافسة غير صحيحة بين المثليين السياسيين والمسكريين ، الذين بدلا من أن يركزوا أعمالهم في الحصول على المعلومات ، فإنهم سوف يضيعون جزءا كبيرا من أوقاتهم في الدس لبعضهم البعض . وبالنسبة لليمن ، فإن تخصيص ممثل موثوق به في أي مركز هو نوع من الترف ، وتخصيص اثنين أحدهما سياسي والآخر عسكري سوف يزيد من صعوبات العمل .

وكان من رأي المقيم السياسي في عدن أنه يمكن أن يقوم المساعد الأول للمقيم بالإشراف على المخابرات العسكرية والسياسية ، وأن رئاسة القوات الجوية يمكن أن تكون ممثلة في ( المكتب ) ببعض الضباط الذين ينحصر عملهم في معاونته المساعد الأول للمقيم في النواحي العسكرية .

كما أوضح المقيم أن نظام ( المكتب ) قد أثبت نجاحه ، « وأنه أثناء المعاداة الحديثة مع الامام ، فإن المكتب أرسل نسخا من تقارير المخابرات الى قيادة القوات الجوية ، وأنا أتصور أن نظاما على الخطوط السابقة يمكن أن يحقق أفضل النتائج » . وقد وافقت الأجهزة المختلفة على هذه الآراء ، إلا أنها أضافت أنه من حق قيادة القوات الجوية في وقت لاحق أن تنظم هيئة مخابرات خاصة بها (٦٥) .

وعلى أية حال ، فقد استقرت الجهات المعنية على السير على أسس التغيير السابق بيانها تطبيقا لقرار الوزرا البريطاني بتحويل عدن من قاعدة بحرية الى قاعدة جوية ، إلا أنه مع عام ١٩٣٧ تحول عدن الى التسمية المباهرة لوزارة المستعمرات (٦٦) وتبدأ بذلك تغييرات أخرى في كل المجالات .

1. Gillian King - Imperial outpost Aden. Its place in British Strategic policy. Issued under the auspices of the Royal Institute of International Affairs. Oxford University press - London - New York - Toronto. 1964 p. 46

2. Richard Sanger - The Arabian Peninsula. New York, Cornell University press. 1954 p. 204

3. Playfair R. L. - A History of Arabia Felix or Yemen, from the commencement of the christian era to the present time, including an account of the British settlement of Aden. Bombay Education Society's press, 1859 p. 164

4. India Office Library (I.O.L.) - India Board - Indian Papers F. 23 Correspondence Relating to Aden (1836-1839) No. 16. Minute by The Governor of Bombay. Sept. 23, 1837.

٥ - أمين الريحاني - ملوك العرب او رحلة في البلاد العربية ج١ - بيروت - المطبعة العلمية ١٩٢٥ ص ٢٨١

6. Harold Ingrams - The Yemen. Imams, Rulers and Revolution. London, Camelot Press 1963. p. 58

٧ - أمين الريحاني - المصدر السابق ص ٢٨٧

8. Harold Ingrams - op. cit. p. 53

9. Harold Jacob - Kings of Arabia. London, Mills and Boon. 1923. p. 252

10. I. O. L. Political and Secret Department (L/P and S/18) B. 158. Notes by sir W. Lee and sir Hugh Barnes on Government of India's letter No. 119, dated August 9, 1906 (vol. No. 1455/06) Sept. 9, 1906.

11. Gillian King - op. cit. p. 46

12. I. O. L. Political and secret. Department Middle East No. 22 Confidential. Papers Relating To The New Arrangements for the Government of Aden, and Relations with the Aden Protectorate. Part 3 Correspondence (March, 1927 - Feb 1930) C. 69390/29 (No. 3) Bombay, Aden, 23th December, 1929 G.S. Symes Resident and Commander in Chief, Aden.

١٣ - أمين الريحاني - المصدر السابق ص ٢٤٧

١٤ - لفظان محمد الشامي - الاستعمار البريطاني ومركزنا العربية في جنوب اليمن  
( عدن والامارات ) القاهرة - دار النور ١٩٦٢ ص ٦٩ .

١٥ - المصدر السابق ص ٨٢ .

16. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 op. cit. No. 27.

17. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 op. cit.

C. 59264/28 (No. 3) No. 28 Draft announcement for communication to the press. (Received in Colonial Office 12<sup>th</sup> January 1928).

18. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 op. cit.

C. 59264/28 (No. 17) No. 29 Colonial Office to Air Ministry.  
Walter D. Ellis, Downing Street, 21<sup>st</sup> January, 1928.

19. I. O. L. P. and S. D. Middle No. 22 op. cit.

C. 59282/28 (No. 9) No. 30 Colonial Office to Air Ministry.  
J. E. Shuckburgh, Downing Street 12<sup>th</sup> March, 1928 .

20. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 op. cit.

C. 59282/28 (No. 13) No. 31 Air Ministry to Colonial Office.  
London W. C. 2 13<sup>th</sup> March, 1928.

21. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 op. cit. No. 30.

22. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 op. cit.

C. 59282/28 (No. 19) No. 33 Air Ministry to Colonial Office.  
London W. C. 2, 22<sup>nd</sup> March, 1928.

23. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 op. cit.

C. 59282/28 (No. 16) No. 34 Colonial Office to Air Ministry.  
Downing Street, 24<sup>th</sup> March, 1928.

24. I. O. L. P. and Secret Department Middle East No. 22  
op. cit. C. 59282/28 (No. 20) No. 35 Colonial Office to Air  
Ministry. Downing Street, 16<sup>th</sup> April, 1928.

25. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 op. cit.

C. 59259/28 (No. 133) No. 36 Air Ministry to Colonial Office.  
Air Ministry, Kingsway, W. C. 2 12<sup>st</sup> December, 1928.

26. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 op. cit.

C. 59259/28 No 133 Enclosure in No. 36 B. E. Holloway The  
Under - Secretary of State. India Office, London S. W. I. 20<sup>th</sup>  
December, 1928.

27. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 op. cit.

C. 48041/27 (No. 47) No. 24 India Office to Colonial Office.  
India Office London S. W. I. 3<sup>rd</sup> November. 1927.

28. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 op. cit.  
C. 48041/27 (No. 48) No. 25 Colonial Office to India Office, 15th November, 1927.

29. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 op. cit.  
C. 48041/27 (No. 17) No. 21 The Secretary of State to the Resident L. S. Amery. Downing Street, 17th March, 1927.

30. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 op. cit.  
C. 48041/27 (Nos. 31, 32) No. 22 Colonial Office to (1) India Office (2) War Office. Downing Street, 6th May, 1927.

31. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 op. cit.  
C. 48041/27 (Nos. 41 and 42) No. 23 Colonial Office to (1) India Office (2) War Office 25th July, 1927.

32. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 op. cit.  
C. 48041/27 (Nos. 31 and 32) No. op. cit.

33. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 op. cit.  
C. 48041/27 (No. 53) No. 26 India Office to Colonial Office. 17th November, 1927.

34. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 op. cit.  
C. 59264/28 (No. 24) No. 37 India Office to Colonial Office 23rd January, 1928.

35. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 op. cit.  
C. 59270/28 (Nos. 7 and 8) No. 38 Colonial Office to ( India Office ) ( Treasury ) 3 rd February, 1928.

36. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 op. cit.  
C. 59270/28 (No. 16) No. 39 India Office to Colonial Office, 10th February, 1928.

37. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 op. cit.  
C. 59270/28 (No. 66) 40 Treasury to Colonial Office. 7th March, 1928.

38. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 op. cit.  
C. 59270/28 (No. 68) No. 41 India Office to Colonial Office 7 th April, 1928.

39. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 op. cit.  
C. 59270/28 (No. 71) No. 42 Colonial Office to India Office, 28th April, 1928.

40. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 op. cit.  
C. 59270/28 (No. 115) No. 45 The Secretary Of State to The Resident, 31st August, 1928.

41. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 op. cit.  
C. 59270/28 (No. 28) No. 47 The Secretary of State to the Resident, 14th December, 1928.

42. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 op. cit.  
C. 59270/28 (No. 115) No. 46 op. cit.

43. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 op. cit.  
C. 59274/28 (No. 13) No. 48 Colonial Office to Treasury, 27th June 1928.

44. C. U. Aitchison - A Collection of Treaties, Engagements and Sanads Relating to India and Neighbouring Countries. Calcutta. Office of the Superintendent of Government Printing, India 1892 vol. XI p. 94

45. Ibid p. 139

46. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 op. cit.  
C. 59274/28 (No. 13) No. 48 op. cit.

47. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 op. cit.  
C. 59274/28 (No. 22) No. 49 Treasury to Colonial Office. Treasury Chambers, 26th July, 1928.

48. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 op. cit.  
C. 59274/28 (No. 23) No. 50 Colonial Office to India Office, 9th August, 1928.

49. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 op. cit.  
C. 59274/28 (No. 38) No. 51 India Office to Colonial Office, 23rd November, 1928.

50. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 op. cit.  
C. 59274/28 (No. 34) Enclosure in No. 52 Conf. J. R. Martin Chief Secretary to the Government of Bombay to The Secretary - India Office, London. Bombay Castle, 10th November 1928.

51. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 op. cit.  
C. 59274/28 (No. 34) Enclosure in No. Conf. G. S. Symes Resident and Commander in Chief - Aden To The Chief Secretary to Government, Political Department, Bombay. Aden 8 th Sept., 1928.

52. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 op. cit.  
C. 59274/28 (No. 34) Enclosure in No. 52 Conf. Chief Secretary to The Government of Bombay to The foreign Secretary to the Government of India, Foreign and Political Dep. Bombay Castle, 10th November, 1928.

53. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 op. cit.  
C. 69274/29 (No. 48) No. 57 India Office to Colonial Office. 11th  
Sept., 1929.

54. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 C. 69274/29  
(No. 50) No. 58 Colonial Office to Treasury. 9th October, 1929.

55. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 C. 69274/29  
(No. 56) No. 59 Treasury to Colonial Office, 26th November,  
1929.

56. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 op. cit.  
C. 59288/28 (No. 6) No. 60 The Secretary of State - Colonial  
Office to The Acting Resident, Aden 29th September, 1928.

57. Nacpherson : British

انظر

Enactments. Volume IV. No. 368

F. B. Pages 400 - 402.

58. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 op. cit.  
C. 59288/28 (No. 6) No. 60 op. cit.

59. Hunter - op. cit. p. 160

60. C. U. Aitchison - op. cit. p. 131

61. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 op. cit.  
C. 59288/28 (No. 6) No. 60 op. cit.

62. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 op. cit.  
C. 59288/28 (No. 8) No. 61 The Resident to The Secretary of  
State. Aden, 6th November, 1928.

63. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 op. cit.  
C. 59288/28 (No. 8) Enclosure in No. 61 Note by J. T. Lawer-  
ence. Judicial Assistant Resident - Aden 4th November, 1928.

64. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 op. cit.  
C. 59330/28 (No. 1) No. 62 The Acting Political Resident to  
The Secretary of State. Aden 12st June, 1928.

65. I. O. L. P. and S. D. Middle East No. 22 op. cit.  
C. 59330/28 (No. 1) Enclosure in No. 62 Memorandum regarding  
Local Intelligence. T. C. W. Fowle Acting Political Resident,  
Aden to The Air Staff Officer. Headquarters British Forces,  
Aden. Residency Office, Aden, 31st May, 1928.

66. Gillian King - op. cit. p. 46



## Enclosure in No. 48.

## STATEMENT A.

## Wholly Civil.

Item	Rs.	Rs.
2. First Assistant Resident ... ..	24,000	38,800
4. Third Assistant Resident ... ..	10,800	
5. Judicial Assistant ... ..	24,000	
6. Registrar of the Court ... ..	5,400	
9. Chairman, Port Trust and Aden Settlement ... ..	3900	
10. Deputy Educational Inspector ... ..	5,568	
Head Master ... ..	4,800	
Lady Doctor ... ..	4,320	
13. Administration of Justice Establishment ... ..	14,163	
Educational Department ... ..	23,170	
Trade Registration Establishment ... ..	10,563	
Civil Hospital Establishment ... ..	10,563	
Military Telephone Establishment ... ..	7,430	
19. Local allowance ... ..	890	
23. Hospital charges ... ..	21,740	
24. Grant-aid to School ... ..	25,378	
	<hr/>	
	196,502	
Less contribution from Aden Settlement and Port Trust ...	10,000	
	<hr/>	
	186,502	
Add Head 44 — Political Pension (Abdali Sultan) ... ..	26,400	
	<hr/>	
	211,902	
	<hr/>	

## STATEMENT "B"

## Wholly Political

Item	Rs.	Rs.
3. Second Assistant Resident ... ..	13,333	
20. Entertainment Charges ... ..	78,000	
22. Secret Service ... ..	2,500	
	<hr/>	
	90,833	78,500
Add Head 47 — Durbar Presents ... ..	70,098	Less 26,400
44 — Political Pensions and stipends ... ..	53,100	
	<hr/>	
	213,998	53,100
	<hr/>	
Non-effective charges	Amount not yet ascertainable.	

STATEMENT "C"  
Divisible Expenditure.

Item	Ra.	Civil. Rs.	Political Rs.	
1. Pay of Resident Reservist	24,000 25,682	18,000 20,932	18,000 4,750	$\frac{1}{2}$ Civil and $\frac{1}{2}$ Political. Divided in proportion to totals of Assistant Residents.
7. A.D.C. to Resident	8,700	4,350	4,350	$\frac{1}{2}$ Civil and $\frac{1}{2}$ Political.
8. Assistant Resident, Farim	3,800	1,800	1,800	
10. Civil Surgeon and fees	24,000	19,200	4,800	$\frac{4}{5}$ ths Civil, $\frac{1}{5}$ th Political.
Leave Salary	1,558	1,268	287	Divided in proportion to totals of Assistant Residents.
11. Pay of Superintendent, Office Establishment	7,300	5,400	1,800	$\frac{1}{2}$ Civil, $\frac{1}{2}$ Political.
12. Pay of Clerks, Residency Office : Arabic and Confidential Branches	35,472	22,505	10,566	Represents pay of Ara- bic and Confidential Branches.
13A. Treasury Office	15,250	12,682	278	$\frac{1}{3}$ th Political.
Leave Salary	18,496	16,184	2,312	Roughly $\frac{8}{9}$ ths Civil, $\frac{1}{9}$ th Political.
14. Fixed conveyance allowance to Officer	3,000	2,450	500	Divided in proportion to totals of Assistant Residents.
15. Travelling allowance to Political Officers and Sumptuary allowance to Resident	11,000	7,080	3,920	Sumptuary allowance of Rs. 8,000 divided $\frac{1}{2}$ Civil and $\frac{1}{2}$ Political. Remainder in propor- tion to totals of Asst- stant Residents.
16. Travelling allowance to Residency and Treasury Establishment	8,940	5,894	3,046	Depends on final alloca- tion of 12.
17. Passage concession to Residency and Treasury Establishment	8,000	6,000	2,000	Iditto.
III. House rent to Superintendent and Confidential Clerk	2,800	2,970	680	
21. Contract Contingencies	49,044	37,197	11,847	
	259,449	187,513	71,936	
	Civil = approx. 72 per cent.			
	Political = " 28 " "			

Total amount of Divisible Expenditure approx. £ 19,500  
For every 1 per cent. approx. £ 200 is involved.

# STATEMENT "X"

## Divisible Expenditure

Item	Civil. Political			
	Rs.	Rs.	Rs.	
8. Assistant Resident, Perim	3,800	2,700	900	3/4 the Civil and 1/4th Political
11. Pay of Superintendent, Residency Office	7,800	6,880	1,920	3/4 the Civil and 1/4th Political
12. (a) Pay of Confidential Branch	5,100	1,275	3,825	1/4th Civil and 3/4th Political
(b) Pay of Arabic Branch	6,826	—	6,826	Wholly Political
(c) Residency Office	23,724	23,726	—	
13. Pay of Treasury Establishment	13,947	13,948	396	1/38th Political, 34, 36 the Civil
13. (a) Leave Salary	18,496	18,184	2,312	Roughly 7/8th Civil and 1/8th Political
15. Travelling Allowance to Residency and Treasury Establishment	3,840	3,804	2,946	This is divided in the proportion of 2 Civil to 1 Political
17. Passage concession Residency and Treasury Establishment	5,000	3,333	1,667	2/3rds Civil and 1/3rd Political
18. House rent to Superintendent and Confidential Clerk	†3,800	3,105	†495	†3/4th of the rent of Confidential Clerk and 1/4th of the Superintendent
Contract Contingencies	48,644	37,197	11,447	No charge

(\*) Please see paragraph 4 of Resident's letter dated the 9th July, 1927.

STATEMENT "Y"

Showing the ratio in which the divisible expenditure in 1927 - 28 to be shared

Item.	Total expenditure.				Civil		Political		Non-effective		Passage Contribution	
	(1)	(2)	(3)	(4)	(5)	(6)	(7)	(8)	(9)	(10)	(11)	(12)
			Ru.	Ru.	Ru.	Ru.	Ru.	Ru.	Ru.	Ru.	Ru.	Ru.
1. Pay of Resident ... ..	...	...	21,748	15,971	15,971	—	—	—	—	—	300	—
Reservist ... ..	...	...	20,644	16,534	4,100	—	—	—	—	—	—	—
2. Aide-de Camp to Resident ... ..	...	...	9,408	4,704	4,704	1,881	1,001	—	—	—	200	—
3. Assistant Resident, Perin ... ..	...	...	3,226	2,444	882	1,008	25	—	—	—	400	—
4. Civil Surgeon and Fees ... ..	...	...	21,085	16,851	4,234	6,740	1,885	—	—	—	—	—
5. Pay of Superintendent Office Establishment ... ..	...	...	5,020	3,705	1,315	637	200	—	—	—	—	—
6. Residency Office ... ..	...	...	22,226	22,226	—	—	—	—	—	—	—	—
Arabic Branch ... ..	...	...	7,789	—	7,789	—	1,171	—	—	—	—	—
Confidential Branch ... ..	...	...	3,213	800	2,413	133	514	—	—	—	—	—
7. Treasury Office ... ..	...	...	13,988	12,017	1,971	1,972	58	—	—	—	—	—
Leave Salary ... ..	...	...	7,134	6,534	600	—	—	—	—	—	—	—
8. Travelling allowance and Subsistence to Resident ... ..	...	...	6,562	3,232	3,330	—	—	—	—	—	—	—
9. Travelling allowance to Residency and Treasury Establishment ... ..	...	...	485	323	162	—	—	—	—	—	—	—
10. Passage Concessions to Residency and Treasury Establishment ... ..	...	...	3,382	2,381	1,001	—	—	—	—	—	—	—
11. House Rent to Superintendent and Confidential Clerk ... ..	...	...	900	405	495	—	—	—	—	—	—	—
12. Contingencies ... ..	...	...	40,082	30,737	9,345	—	—	—	—	—	—	—
Total ... ..	...	...	1,97,000	1,39,734	57,266	22,415	6,771	—	—	—	1,050	—

Expenditure debitable to Civil Ru. 1,39,734 (Totals of Columns 4, 6 and 8)

Expenditure debitable to Political Ru. 64,477 (Totals of Columns 5, 7 and 9) which brings the ratio 133 : 64 or roughly 5 : 2.

# أهمية تخرج جدة في النصف الأول من القرن العاشر الهجري (١٦٦٠م)

منذ أن اهتم المسلمون بإنشاء ثغر جدة في عصر الخليفة الثالث عثمان بن عفان (١) وهو يكتسب مع مرور الزمن أهمية دينية واقتصادية واستراتيجية الى أن أصبح من أهم الثغور في الجزيرة العربية والبحر الأحمر ، وقد حظى بهذه المكانة لأنه ميناء أم القرى مكة المكرمة ، ومفتاحها الى البحر والعالم ، فاليه يصل حجيج بيت الله الحرام الذين يركبون البحر ، ومنه تزود العجايز وقلب الجزيرة العربية بالمؤن والبضائع من شتى بقاع العالم ، وخذت جدة أهمية تجارية على مر الأيام فأصبحت مركزا من مراكز تجارة العالم في المصور الوسطى تلتقي فيها السفن الآتية من الهند وشرق أفريقيا بالسفن القادمة من مصر ، فكانت أغلب السفن تفرغ حمولتها في جدة وتعود مسرعة الى الهند قبل فوات موسم الرياح ، ثم تقوم سفن أخرى بحمل هذه البضائع الى السويس حيث تجد طريقها عبر مصر الى أوروبا .

وقد عرف الحكام المسلمون عبر العصور الاسلامية لميناء جدة هذه  
الاهمية الدينية والاقتصادية فاهتموا بعمارته وتحصينه .

وفي العصر المملوكي تطلع سلاطين المماليك في مصر الى الاهتمام  
بحماية الحرمين الشريفين وتأمين سبل الحج والعناية بشتر جدة لأهميته ،  
فتدخلوا لتوطيد حكمهم في الحجاز ، ففي سنة ٦٦٧هـ حج السلطان الظاهر  
بيبرس وعين نائبا له بمكة يرجع اليه أشرف مكة في المهمات « ويكون الحل  
والمقد على يديه (٢) » وهو شمس الدين مروان ، ومن تلك السنة استمرت  
هذه الولاية بمكة الى آخر دولة قانصوه الفوري ، وكان يطلق على نائب  
السلطان المملوكي بمكة اسم « باش مكة » أو « باشا الترك » (٣) .

أما جدة فقد عين المماليك بها حاكما عاما كان يسمى « نائب جدة »  
ويقيم في مقر يطلق عليه « دار النيابة » أو « فرضة السلطان » (٤) يطل  
على ميناء جدة مباشرة لكي يشرف منه على الحركة التجارية العالمية .

وثمة نص ذكره المؤرخ قطب الدين النهر والي في كتابه « الاعلام بأعلام  
بيت الله الحرام » فيه اشارة الى هاتين الامارتين بمكة وجدة ، وذلك عندما  
تحدث عن أمر السلطان قايتباي في سنة ٨٨٤هـ بفصل البيت الشريف من  
داخله ومن خارجه وغسل المطاف وذلك لرؤيا رأها فقال : « لحضر شريف  
مكة وقاضي القضاة برهان الدين بن ظهيرة وباشا الترك الراكز بمكة  
الأمير قايتباي اليوسفي والأمير سنقر الجمالي والدوادار الكبير الأمير جاني  
بك نائب جدة الممورة .. وغيرهم .. وغسلوا الكعبة الشريفة من  
داخلها .. ومن خارجها .. وسائر المطاف » (٥) .

وفي مطلع القرن الماشر الهجري ( السادس عشر الميلادي ) ظهرت  
أهمية جدة في الدفاع عن الحرمين الشريفين والبحر الأحمر في وجه الأطماع  
البرتغالية فعمل سلطان مصر يومئذ الأشرف قانصوه الفوري « ٩٠٦-٩٢٢هـ »  
على تقويتها وبناء الاستحكامات اللازمة للدفاع عنها .

ذلك أن البرتغاليين نجحوا في عامي ٩٧/١٤٩٨م في الالتفاف حول  
افريقيا مرورا برأس الرجاء الصالح (٦) وتمكنوا بذلك من الالتفاف حول  
العالم الاسلامي تهدوهم رغبة انتقامية امتزجت فيها الدوافع الاقتصادية  
بالموامل الدينية التي كانت تدفعها روح صليبية جارفة جعلت المسيحيين  
البرتغاليين أكثر تحمسا وشراسة في مطاردة المسلمين والانتقام منهم في عقر

دارهم ، وازدادت هذه الرغبة تأججا وضراوة وغنفا عندما نجحوا في الوصول الى الهند (٧) سنة ١٤٩٨ م .

وشجعت البابوية في روما هذا المخطط الصليبي لغزو الاسلام في مقر داره ، وتورط بعض البابوات فوصفوا الاسلام في مراسيمهم بأنه طاهون ، وباركت البابوية عملية الانخراط في الحملات البرتغالية ، فكان البابا يمد المشتركين في تلك الحملات بالتجاة من النار يوم الحساب ، وكانت سفنهم تخرج نائفة أشرعها وعليها الصليبان مرسومة يرافقها دعاء المسيحية المتعصبون لنشرها (٩) .

وبعد أن ثبتت أقدام البرتغاليين في الهند بدأوا يقومون بأشنع أعمال القرصنة في المحيط الهندي ومدخلي البحر الأحمر والخليج العربي ويناوئون التجارة الاسلامية التي كانت في يد الحكومة المصرية ، فعملوا على مهاجمة السفن الاسلامية واغرقها أو الاستيلاء عليها .

وكان يراود البرتغاليين أمل يزجون تحقيقه في أسرع وقت وهو الاتصال بملك الحبشة المسيحي للتحالف معه لرسم مخطط لضرب القسوى الاسلامية في البحر الأحمر والاستيلاء على ( جدة ) مركز المقاومة الاسلامية والولوج منها الى مكة لضرب العالم الاسلامي في أغلى مقدساته .

ومن ثم تسلل البرتغاليون في مياه البحر الأحمر سنة ١٥٠٥ ، وفي سنة ١٥٠٧ م استولوا على جزيرة سوقطرة (١٠) للسيطرة على مدخل البحر الأحمر .

وفي غضون ذلك تنبه المماليك في مصر لخطورة الغزو البرتغالي الذي استهدف حرمانهم من التجارة العالمية وبدأ يهددهم في مقدساتهم وأماكنهم ، وتركزت خططهم تجاه هذا الغزو في تقوية حكمهم في إقاليم البحر الأحمر وتحصين سواحلهم وعلى الأخص ثغر جدة لأهميته في حماية الأراضي المقدسة الاسلامية ، فأعد الأشرف قانصوه الغوري حملة بحرية بقيادة الأمير حسين الكردي في سنة ٩١١ هـ (١٥٠٥ م) مهمتها تحصين جدة أولا لتكون على استعداد لصد أي عدوان مفاجيء تتمرض له ثم تقوية ثغور اليمن والتوجه الى الهند بعد تأمين خطوط العودة الى مصر .

ويذكر ابن اياس أن جنود حملة حسين الكردي كانوا في مجموعهم من جنود الطبقة الخامسة أي من المساكين التي جندوها الغوري في أيامه (١١)

وكانوا يتكونون من المغاربة الذين يرأسهم أميرهم على المسلسلاتي ، باش  
المغاربة ، ومعهم ، بعض أولاد الناس وبعض ممالك سلطانية والغالب فيهم  
مغاربة وعبيد سود رماة وتراكمة وغير ذلك « (١٢) ومعهم فريق من البنائين  
والنجارين وكثير من العمال لأقامة التحصينات اللازمة كما سنرى فيما يلي .

وعلى الرغم من أن السبب الرئيسي في اعداد هذه الحملة هو الغزو  
البرتغالي كما ينص على ذلك ابن اياس وغيره من المؤرخين ، الا أن صاحب  
كتاب « السلاح والعدة في تاريخ جدة » (١٣) يضيف سببا آخر لهذه الحملة  
وهو : عمليات السلب والنهب التي قام بها عربان بني ابراهيم (١٤) لحجاج  
بيت الله الحرام ونهبهم لمكة وجدة ولم يكن حينئذ على جدة سور وعلى الرغم  
من قرب صاحب كتاب السلاح والعدة من تلك الفترة التاريخية الا أنه يغفل  
عن الأسباب الرئيسية التي دفعت الغوري الى ارسال هذه الحملة ويجعل  
سببها الرئيسي هو أعمال السلب والنهب والتخريب التي قام بها عربان  
بني ابراهيم ومن شايهم .

وعلى الرغم من عدم احاطة صاحب « السلاح والعدة » بالظروف  
والملايسات السياسية والمسكرية التي احاطت بحملة حسين الكردي الا أنه  
يمتثل أهم مصدر وصف لنا عملية تحصين جدة وبناء سورها على يد المصريين  
في عهد قانصوه الغوري كما وصف السور وصفا دقيقا لا نجده في مصدر  
سواء .

ونظرا لأهمية هذا الوصف ولأن هذا السور الذي بناه المصريون ومعهم  
بعض الحجازيين كان من أهم العوامل التي دفعت عن جدة عادية البرتغاليين  
أكثر من مرة فستناول هذا الوصف بشيء من التفصيل فيما يلي :

يذكر الشيخ عبد القادر بن فرج أنه بمجرد وصول حسين الكردي  
وجماسته الى جدة شرع في عمارة السور التي تمت في تسعة أشهر ( تمت في  
ذي الحجة من سنة ٩١٢ هـ ) بما في ذلك الأبراج العالية ودار النيابة (١٥)  
في جدة وجامع الميناء ومصل العيد .

ومما هو جدير بالذكر أن الشريف بركات شريف مكة ساعد في عملية  
بناء السور وملحقاته وساعد في نزع ملكية بعض البيوت التي كانت قريبة  
من السور منها بيت الصابوني وكان في جهة السور من ناحية اليمن ، وبيت  
الدهمي في جهة الشام ، وصار محل البيوت أثار تدل عليها ، كما حضر



الشريف بركات بنفسه عملية البناء ، وكان في بعض الأيام يقف على العمارة راكبا فرسه « ليعضد لحضوره جميع من في البلد ويمينون بالحمل للمونة الكبير منهم والصنفي والفني والفقر والمأمور والأمير » (١٦) .

وبذلك يتضح لنا أن عملية تحصين جدة شارك فيها مع المصريين الشريف بركات وأهل جدة على كل المستويات ، ولعل هذا هو السبب في براعة العمارة ومرعتها في مدة وجيزة كما يشير الى ذلك عبد القادر ابن فرج .

وكان ارتفاع السور من الأساس حتى أهلاه ( ١٢ ذراعا ) وطول محيطه من ناحية مكة واليمن والشام ٣٠٠٠ ذراع وعرض جداره أربعة أذرع ، أما الأبراج فكانت ستة أبراج ومحيط كل برج منها ستة عشر ذراعا وارتفاعه من على وجه الأرض خمسة عشر ذراعا ، منها برج شامي تجاه الشمال وآخر يمانى تجاه الجنوب وبرجان قبليان تجاه مكة ملاصقان لبابين يسمى أحدهما باب الفتوح وهو الأيمن والآخر يسمى باب النصر وهو الأيسر ، أما البرجان البحريان فقد نزل بهما القواصون في البحر اثنا عشر ذراعا (١٧) .

كما كان من تمام هذا العمل حفر خندق محيط بالمدينة من جميع نواحيها ، وبعد اتمام البناء وحفر الخندق زود المالك المدينة بكثير من المدافع والعتاد العربي ، وكان جملة ما صرف على عمارة السور وملحقاته ( الأبراج ودار النيابة وجامعها ومصلى العيد وحفر الخندق ) مائة ألف دينار طوري (١٨) .

وتتضح لنا من عملية بناء سور جدة الحقائق التالية :

أولا : أن الشريف بركات ومعه جم غفيرة من أهل جدة على كل المستويات « الكبير والصنفي والفني منهم والفقر والأمير والمأمور » شاركوا مع المصريين في عملية بناء سور جدة في همة ونشاط .

ثانيا : أن المصريين هم أول من وضع حجر الأساس (١٩) في الاهتمام بشرف جدة وتقويته في عصر قانصوه الغوري بعد أن أصبح مستهدفا من البرتغاليين .

ثالثا : أن بناء السور كان قويا بأبراجه العالية وخندقه المحيط به

وتسليحه الامر الذي جعل من جدة صخرة تحطمت عليها آمال البرتغاليين في نهاية العصر المملوكي وبداية العصر العثماني .

وبعد أن أنجزت الحملة المصرية عملية تحصين جدة توجهت الى الهند وأحرزت انتصارا جزئيا أمام الاسطول البرتغالي في مياه « ديو » في خريف عام ١٥٠٨ م ، ( ٩١٤ هـ ) بالتعاون مع المسلمين الهندوس الا أن البرتغاليين ساروا في تجميع قوتهم البحرية لمواجهة التحالف المصري الهندي وأحرزوا نصرا حاسما في ٣ من فبراير ١٥٠٩ م وهي المعركة المعروفة في التاريخ بمعركة ( ديو البحرية ) ، تلك المعركة التي أنهت عهدا من السيطرة المصرية على طريق التجارة البحري الى الهند .

وقد تضاعفت بعد معركة ديو البحرية الأهمية التجارية للبحر الأحمر الى حد بعيد ، تلك الأهمية التي ظل يتمتع بها طوال العصور الوسطى ، وانتقل مركز الثقل منه الى طريق رأس الرجاء الصالح وساحلي أفريقيا الشرقي والغربي ذلك الطريق الذي غدا يزخر بخطوط ملاحية لأول مرة في التاريخ بين أوروبا وأفريقيا الشرقية والهند وغيرها من بلدان الشرق الأقصى حتى فتح قناة السويس للملاحة الدولية سنة ١٨٦٩ م ، وعسودة النشاط التجاري الى البحر الأحمر وموانئه من جديد .

وبعد هذه الهزيمة التي مني بها المصريون في الهند نقل البرتغاليون معركتهم البحرية الى البحر الأحمر وهددوا اليمن والحجاز ومصر فتوغلوا في البحر بقيادة ( البوكيرك ) وخربوا ميناء عدن في المحرم من سنة ٩١٩ هـ ( ١٥١٣ م ) وفي أواخر صفر من نفس العام استولوا على جزيرة « كمران » ( ٢٠ ) ثم خربوها وتركوها يتجهين شمالا قاصدين جدة ، وكانت خطة البوكيرك تركز على التقدم نحو ميناء مصوع التابع للحبشة ليتمكن من الاستيلاء على جزر تملك المواجهة لجدة ثم يعد منها لمهاجمة جدة ، ويمهد منها أيضا لاقامة علاقات تحالف ضد المسلمين مع امبراطور الحبشة للقضاء على قوة مصر في البحر الأحمر ومهاجمة الأماكن المقدسة الاسلامية .

ولقد حاول البوكيرك مواصلة مشروعه الكبير وهو مهاجمة جدة فاتجه لذلك شمالا ولكنه جوبه بريغ صرصر حاتية أجبرته على الرجوع قبل أن يصل الى جدة ، فعاد يباشر القرصنة والتخريب في موانئ البحر الأحمر فأحرق السفن الراسية في ميناء زيلع وعاد الى عدن فحضرها بالدفاع نحو أسبوعين ( ٢١ ) .

وكانت القوات المصرية قد عادت أدرجها الى مصر بعد أن ترك حسين الكردي بعضها في جدة وذهب الى ميناء السويس لبناء قوة بحرية يستطيع بها مجابهة الاسطول البرتغالي المتفوق ، واتجه السلطان الغوري الى الشمانيين يطلب مساعدتهم في شراء ما يحتاجه من أخشاب وأدوات لصناعة السفن فأمر السلطان بايزيد الثاني ( والد سليم فاتح مصر ) بارسال ثلاثين مدفعا وثلاثين ألف سهم وأربعين قنطارا من البارود ، وغير ذلك من عتاد الحرب هدية الى مصر دون مقابل كما أرسل نحو ألفين من البحارة الشمانيين للمساعدة في اعداد الاسطول في ميناء السويس والمشاركة في الحملة البحرية المنتظرة على الهند برئاسة سلمان الرئيس الذي أطلق عليه ابن ايهاس « سلمان الرومي » والذي أصبح قبطانا للاسطول المملوكي بعد اعداده .

وبينما كان المصريون يمدون لبناء قوة بحرية في السويس وصلتهم الأخبار بأن البرتغاليين غادروا الهند بقيادة البوكريك بحملة في فبراير سنة ١٥١٥م ، وتوجهوا الى البحر الأحمر وكان هدفهم من هذه الحملة هو تخريب جدة ومكة ، فأرسل الغوري على الفور قوة بقيادة الأمير حسين الكردي نائب جدة (والذي كان يباشر عملية اعداد الاسطول الكبير بالسويس) (٢٢) ، لما كاد حسين الكردي يصل الى جدة حتى قام بتقوية أسوارها ودفاعاتها مرة أخرى ، وجمع بعض الأموال من أهالي جدة لمعاونته في مهمته واضطر الى مصادرة أموال بعض تجار جدة ، كما ألزم الناس للعمل في تحصيناته لجدة ، وعلى الرغم من هذه الظروف الحربية الاستثنائية التي تبيح للقائد جمع الأموال من المواطنين وتجنيدهم في الممل للدفاع عن أوطانهم الا أنه لم يسلم من انتقاد بعض المؤرخين المعاصرين له وسخطهم عليه (٢٣) .

وبينما كانت الحملة البرتغالية في طريقها الى البحر الأحمر لتحقيق غرضها وصلها خبر بقيام ثورة في جزيرة ( هرمز ) التي سيطر البرتغاليون عليها في مدخل الخليج العربي ، فأتجه البوكريك اليها ، وما أن سيطر على الأوضاع فيها حتى اشتد به المرض وعاد الى مركزه في الهند حيث توفي بعد وصوله مباشرة ، ونجت ( جدة ) و ( مكة ) من التخريب المنتظر مرة أخرى .

وبعد أن أتمت القوات المصرية استعدادها البحري في السويس وجدة خرجت من القواطم المصرية وقامت بعملية تحصينات في موانئ البحر الأحمر وخاصة في الثغور اليمنية التي كانت في حاجة الى تحصينات على غرار التحصينات التي أقيمت في جدة من قبل وذلك لافلاق البحر الأحمر أمام

البرتغاليين وتأمين خط الرجعة للقوات المصرية ، ولكن مما يؤسف له أن حسين الكردي اشتبك بقواته مع أمراء اليمن عندما رفضوا إقامة هذه التحصينات وقام المصريون بهجامة السواحل اليمنية بالقوة ، وتطور الصراع حتى انتهى بقتل السلطان « عامر بن عبد الوهاب » سلطان صنعاء واحتل المصريون صنعاء ، واضطرت القوات المصرية في بادئ الامر لخوض الحرب مع اليمنيين للدفاع عن أنفسهم أثناء إقامة التحصينات ، ولكن هذه المارك تطورت تطورا خطيرا أبعد الحملة عن هدفها الأصلي ، وبذلك يصبح أن يقال عن هذه الحملة بأنها غرقت في اليمن ومشاكله قبل الوصول الى مياه الهند .

وفي غضون ذلك تنبه العثمانيون لضعف الماليك ( الذين وقع على كاهلهم الدفاع عن البحر الأحمر ضد البرتغاليين في الجنوب ومحاربة فرسان القديس (٢٤) يوحنا في البحر المتوسط في الشمال ) فبدأ العثمانيون يتدخلون في المنطقة للم ف الفراغ العسكري الذي أصبح واضحا بعد أن فشل الماليك أمام الزحف البرتغالي أكثر من مرة ، وأصبح الطريق مفتوحا أمام البرتغاليين لتحقيق هدفهم نحو الأراضي المقدسة الاسلامية ، فبدأ العثمانيون يتدخلون وكان تدخلهم سلميا على نحو ما رأينا بحجة مساعدة الماليك في حربه ضد البرتغاليين ، وتأكد لهم عن قرب ضعف القوة المملوكية فأعدوا أنفسهم للم هذا الفراغ .

وفي صفحات ابن اياس اشارات كثيرة الى الآثار السيئة التي نجمت عن استيلاء البرتغاليين على التجارة الشرقية وأعمالهم التخريبية ضد السفن والثغور الاسلامية فيقول ابن اياس في حوادث المحرم من سنة ٩٢٠هـ مانصه : « وكان في تلك الأيام ديوان المفرد وديوان الدولة وديوان الخاص في خاية الانسحاب والتعطيل ، فان بندر الاسكندرية خراب ولم تدخل اليه القطائع ( البضائع ) في السنة الغالية ، وبندر جدة خراب بسبب تمعيب الفرنج ( البرتغاليين ) على التجار في بحر الهند فلم تدخل المراكب بالبضائع الى بندر جدة نحو من ست سنوات وكذلك جهة دمياط » (٢٥) .

بذلك انهارت امكانيات مصر الاقتصادية وألقت هذه الحالة الاقتصادية السيئة بظلالها على الأوضاع العسكرية المصرية ، فضعفت قوة الماليك العسكرية وتدهورت قدرات مصر الدفاعية ، الأمر الذي أغرى البرتغاليين والعمانيين بالوثوب على أملاكها ، وقام سباق رهيب بين البرتغاليين من الجنوب والعثمانيين من الشمال للم هذا الفراغ ، وحاولت كل من الدولتين أن ترث الدولة المملوكية المتهاكمة .

وبينما كان البرتغاليون يعملون المرة تلو المرة على التوغل في البحر الأحمر حتى هاجموا جدة في عام ١٥١٧م كان العثمانيون قد نجحوا في خلال عام ١٥١٦م وأوائل عام ١٥١٧م (٩٢٢ - ٩١٣هـ) في الاستيلاء على أملاك الدولة المملوكية في الشام ومصر ، ولم يتمكن الغوري من الانتصار في لقائه الأول مع العثمانيين في موقعة ( مرج دابق ١٥١٦م ) لأنه كان مشغولا بالدفاع عن البحر الأحمر ضد الزحف البرتغالي ، وكانت قواته المتباغضة موزعة في كثير من ثغوره وخاصة في ثغور اليمن والحجاز ، كما كان يقاوم ضربات فرسان القديس يوحنا المتكررة في البحر المتوسط .

وعندما دخل السلطان سليم القاهرة في المحرم من سنة ٩٢٣هـ وتغلب على مقاومة طومان باي آخر سلاطين المماليك وشنقه على باب زويلة بالقاهرة في ٢١ من ربيع الأول ٩٢٣هـ ( ١٣ من أبريل ١٥١٧م ) ( ٢٦ ) أسدل الستار على فترة من أهم فترات التاريخ الاسلامي كانت مليئة بالجهاد والنضال كتب للمماليك فيها النصر على الصليبيين والمغول ، ولكنهم أخفقوا في رد عادية البرتغاليين والعمانيين .

### انضمام الحجاز الى العثمانيين :

لم تكن الدولة العثمانية منعزلة تمام الانعزال من الحجاز ، فان حاجاتها كانوا يأتون كل عام في موسم الحج الى الحرمين الشريفين ، وكان سلاطين آل عثمان يرسلون الهدايا الى الحرمين كل عام ، وكانوا حريصين كل الحرص على ابلاغ شريف مكة بانتصاراتهم في اوربا ، وعندما فتح السلطان محمد الفاتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣م أرسل الى شريف مكة رسالة بهذه المناسبة يبشره فيها ويطلب منه الدعام كما أرسل اليه بعض الهدايا من غنائم الفتح ( ٢٧ ) ، وفي عام ٨٨٦هـ ، أدى السلطان بايزيد الثاني ( ولد سليم فاتح مصر ) فريضة الحج وتوثقت عرى الوددة بينه وبين شريف مكة .

وكان العثمانيون يطمحون الى مد نفوذهم الى الحرمين الشريفين وتتوق نفوسهم الى أن ينعموا بلقب حماة الحرمين الشريفين ، ذلك اللقب الذي اعتر به حكام مصر من المماليك وغيرهم ، وذلك لاهلام مكانتهم في العالم الاسلامي ، وقد عبر السلطان سليم عن هذا الأمل عقب انتصاره في معركة مرج دابق

على الماليك سنة ٩٢٢هـ ودخوله حلب . فقد حضر صلاة الجمعة في مسجد حلب وخطب الخطيب باسمه وأغدى عليه لقب « خادم الحرمين الشريفين » وعندما سمع سليم هذا اللقب من خطيب المسجد طرب له ، وأظهر الفرح والسرور بتلقبه بهذا اللقب وخلع على الخطيب خلعاً وأحسن إليه إحساناً زائداً (٢٨) .

وعندما أتم السلطان سليم فتح مصر أظهر حسن نواياه تجاه جماعة من الحجازيين كانوا بمصر إبان فتحها ، منهم من مكة الخطيب محيي الدين العراقي الذي أنعم عليه بالانعام الجزيل ، واستقبل قاضي قضاء مكة صلاح الدين محمد بن ظهيرة وكان من المعتقلين في مصر (٢٩) فأكرمه وأعظمه وخلع عليه وأحسن إليه .

ولما أراد سليم أن يجهز جيشاً إلى الحجاز اتصل قاضي قضاء مكة صلاح الدين بن ظهيرة برجال السلطان سليم وأقنعهم بعدم إرسال هذا الجيش وأن الرأي عنده « إرسال مكتوب إلى ( شريف مكة ) ولا تبدو منه مخالفة أبداً » ولا يحتاج الأمر إلى تجهيز جيش ، فأخذ السلطان مسليماً برأيه ، وكتب صلاح الدين رسالة من طرفه إلى الشريف يعرفه فيها بما وقع . يطلب منه إرسال ابنه محمد أبو نسي إلى السلطان سليم (٣٠) .

ونظر الشريف مكة إلى الظروف والملابسات الحربية والاقتصادية التي كان يعيشها الحجاز إبان الزحف العثماني بعين الخوف من المجهول ، فمن ناحية كان الحجاز يمر بظروف حربية صعبة حيث تعرضت موانئه وهلى لأخص ( جدة ) لكثير من هجمات البرتغاليين الشرسة التي سبق أن أشرنا إليها ، وهدد البرتغاليون بمهاجمة الأراضي المقدسة الإسلامية والمبث مقدسات المسلمين ، ولم تكن لدى الشريف مكة القوات والعتاد التي يستطيع بها صد المعتدين البرتغاليين .

ومن ناحية أخرى فقد كان الحجاز يعتمد من الناحية الاقتصادية على المخصصات الثابتة التي كانت تأتيه من مصر نظراً لندرة الزراعة به وقلة موارده ، فإن دولة الماليك ومن سبقها من الدول الإسلامية التي ضمت الحجاز إليها قد عملت كل منها على رصد المخصصات وحبس الأوقاف بالديار المصرية على سكان الحرمين الشريفين ، فكان الحجاز بذلك يتلقى من مصر سنوياً كل ما يحتاجه من خلال إلى جانب مرتبات الأشراف والعاملين على خدمة الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، والتي كانت ترسل سنوياً صعبة أمين الحج المصري .

هذه الظروف الحربية والاقتصادية التي كان يعيشها الحجاز ابان الزحف العثماني هي التي أملت على شريف مكة الشريف بركات قبول السيادة العثمانية ، ورد على رسالة ابن ظهيرة بارسال وفد برياسة ابنه أبو نعي لتقديم الولاء والاستعداد بدخول الحجاز تحت السيادة العثمانية ، وذلك لكي يضمن استمرار تدفق التموين من مصر ، ويضمن وجود قوة اسلامية كبرى تقف امام الزحف البرتغالي على الاراضي المقدسة الاسلامية .

واستقبل السلطان سليم وفد الشريف بركات في القاهرة في ١٦ من جمادى الثانية ٩٢٣هـ ( ٦ من يوليو ١٥١٧م ) استقبالا حافلا وقدم أبو نعي الى سليم بعض الهدايا ، وبعض الآثار النبوية الشريفة التي كانت موجودة في مكة والمدينة ثم سلمه مفتاح الحرمين ، وهكذا تم اقرار شريف مكة بقبول السيادة العثمانية ، ومنحه سليم تفويضا بحكم « مكة المشرفة المنورة المطهرة ونواحيها وضواحيها وتوابعها ولواحقها المعطرات ولكل موضع كان الجنباب الكريم حاكما وضابطا فيه بمراسيم السلاطين القديمة » ( ٢١ ) ثم أمره بقتل حسين الكردي نائب جدة من طرف المماليك .

ومقب عودة وفد الشريف الى مكة قرىء التفويض على الأهالي وأمر الشريف بالتبض على حسين الكردي فأخذ مقيدا الى جدة وقتلوه غرقا في ميناء جدة في تلك المياه التي سبق له أن دافع عنها ضد الغزو البرتغالي ، وهكذا شامت الأقدار لهذا المجاهد أن يختفي في البحر الذي شهد فضاله وكفاحه عن شواطئه منذ عام ٩١١هـ ( ١٥٠٥م ) حتى مقتله سنة ٩٢٣هـ .

وبذلك دخل الحجاز تحت السيادة العثمانية دغسولا سلميا وكان سلطان شريف مكة يمتد الى جميع بلاد الحجاز ، ومن مهامه الرئيسية العمل على تأمين قوافل الحج الواردة الى الحرمين الشريفين من جميع بقاع العالم الاسلامي ، وكان يعتمد في ذلك على صلاته بالقبائل الضاربة في الحجاز والقرية من طرق قوافل الحج ، كما يعتمد على حصبته ونفسوده الديني الواسع ، وكان شريف مكة يتمتع في التشريفات العثمانية بأسمى مقام في صف « الصدر الأعظم » في الآستانة و « الخديوي » في مصر ( ٢٢ ) .

أما ثغر جدة فان السلطان سليم ولى عليه نائبا جديدا بعد مقتل نائبه المملوكي ، وهذا النائب الجديد هو التاجر قاسم الشرواني الذي كان من تجار مكة وصافر قبل الفتح العثماني الى مصر وصادف وجوده دخول السلطان

سليم مصر ، فاتصل قاسم بالسلطان سليم وتقرب اليه بالخدمة فعينه نائبا لجدة ، فوصل اليها وبأشر مهام منصبه في تلك السنة (٣٣) .

وجعل العثمانيون اماره جدة تابعة لهم مباشرة يعينون لها نائبا من طرفهم بعيدا عن نفوذ شريف مكة ، وذلك بسبب وضعها الحربي وأهميتها الاقتصادية والاستراتيجية ، وأبطل العثمانيون منصب باشا مكة ، وتركوا لشريف مكة السلطة على الحجاز ، وجعلوا له استقلالاً عن نائب جدة الا في الحالات الضرورية التي يلزم عليه أن يتعاون معه على استتباب الأمن في ربوع الحجاز لتأمين سير قوافل الحج الى الحرمين الشريفين .

وقررت السلطات العثمانية لشريف مكة أن يأخذ نصف محصول ميناء جدة كل عام ، ومن ثم فقد تسبب هذا الأمر في إثارة كثير من المشاحنات بين نائب جدة وشريف مكة ولم تهدأ هذه الحوادث بينهما طوال العصر العثماني ، كما تسببت ثنائية الحكم هذه في خلق جو من الاضطراب والفتن والفوضى لا في جدة ومكة فحسب بل في الحجاز كله (٣٤) .

وهكذا حظيت الدولة العثمانية بشرف حماية الحرمين الشريفين ، وأضاف سلاطين آل عثمان الى ألقابهم لقب « خادم الحرمين الشريفين » وظل هذا اللقب من الامور التي يحافظ عليها سلاطين العثمانيين ، وحافظوا من أجله على بقاء الحرمين الشريفين في حوزتهم ، كما ورثت الدولة العثمانية أيضا نفوذ المالك في البحر الأحمر بعد الاستيلاء على مصر وضم الحجاز ، وقابلت في الوقت نفسه مشاكل البحر الأحمر التي كانت بين البرتغاليين والمالكي حول السيادة عليه والسيطرة على التجارة الشرقية ، وبرزت أمام العثمانيين بمجرد ظهورهم في المنطقة قضية الدفاع عن البحر الأحمر وأصبحت إحدى القضايا الملحة التي تحتاج الى عمل حربي حاسم منهم .

وقد أثبتت حوادث الاعتمادات البرتغالية على ثغور البحر الأحمر بصرمتها وتلاحقها صدق ذلك ، فقبل أن يصل نائب جدة الجديد « قاسم الفرواني » . . . لمباشرة مهام منصبه كان البرتغاليون قد أعدوا هجوما على جدة في عام ١٥١٧م ، فقد أرسلوا حملة بقيادة نائب الملك في الهند « لوبو سوريث » الذي تولى بعد البوكيرك وكانت هذه الحملة تتكون من أربعين سفينة ومن ألفين من الجنود المسلحين ، وهدف هذه الحملة هو الهجوم على جدة وتدميرها والقضاء على الاسطول المملوكي في البحر الأحمر ، وإقامة اتصال مباشر مع الحبشة .



وتنظرا لأن هدف هذه الحملة هو جدة فانها لم تتعرض لمدن وخاصة أن أميرها ( مرجان ) قد أمد الحملة البرتغالية بالمؤن اللازمة لها وبعض المرشدين من بحارة اليمن لارشادها داخل البحر الأحمر للوصول الى جدة بعيدا عن مخاطر الشعب المرجانية ، وعلى الرغم من ذلك فقد فشل البرتغاليون أمام جدة بسبب مناعة سورها وقوة استحكاماتها التي أقامها المالك من قبل ، كما فوجئوا بتختر السلطة فواجهوا العثمانيين لأول مرة فكان عليهم أن يمودوا أدراجهم كي يعيدوا حساباتهم قبل مجابهة العثمانيين ، وكان الرئيس سلمان العثماني يعد مقتل والي جدة حسين الكردي قد سيطر على الأمور في الشتر ريثما تصله الأوامر العثمانية ووقف أمام الهجوم البرتغالي على جدة ، وعندما انسحب البرتغاليون وأصل مطاردة السفن المرتدة عن جدة الى جزيرة كمران ، وتمكنت سفنه من الاستيلاء على سفينة برتغالية وأسر بحارتها وأرسلهم الى استانبول . ووصلت القوات البرتغالية المرتدة الى عدن حيث حصلت على الامدادات اللازمة من أميرها مرجان وعادوا قافلين الى مركزهم في هرمز (٣٥) .

وكانت هذه الحملة التي هدت جدة والحرمين الشريفين كفيلا يجعل العثمانيين يفكرون بطريقة جدية في حماية البحر الأحمر والأراضي المقدسة الاسلامية من هجمات البرتغاليين المتكررة والتي أخذت تتركز بصورة ملحّة على ميناء جدة الاسلامي ولكنهم بعد قليل من وصول نائب جدة الجديد قاموا بسحب الرئيس سلمان العثماني من جدة ، فعاد الى القاهرة في شبّان سنة ٩٢٣هـ ، ومعه بعض الأمرى من البرتغاليين (٣٦) وكان تعيين التاجر قاسم الثرواني في منصب في تلك الفترة الحرجة من تاريخ المدينة معناه الاسترخاء العسكري في جدة وفي البحر الأحمر الى حين ، وعلى كل فهذا من الأمور التي تحتاج الى إيضاح والقام الضوء على هذه الفترة وخاصة أن حالة الاسترخاء هذه ظلت حتى سنة ٩٤٥هـ (١٥٣٨م) .

ولما كان المالك قد فشلوا في السيطرة على عدن لجعلها المركز الرئيسي للدفاع عن البحر الأحمر ، لذلك ألقت الظروف بثقلها على جدة لتكون مركزا للدفاع عن البحر الأحمر في بداية العصر العثماني ، وأصبح لزاما على العثمانيين إعادة تحصينه وتدعيم دفاعاته التي أقامها حسين الكردي من قبل بما يتلاءم مع الوضع العسكري الجديد .

يبد أن خطوات العثمانيين ظلت بطيئة في هذا المجال حيث لم يبدأوا

المعمل الجدي الا في عام ٩٤٥هـ وكان ذلك على ما يبدو بسبب انشغالهم بكثير من المشاريع العربية في أوروبا وآسيا ، فقد كانوا يعملون على مد نفوذهم في كثير من المناطق الأوروبية منتهزين الحرب الإيطالية التي شغلت أوروبا في تلك الأثناء (١٥١٥ - ١٥٥٩م) كما كانوا يعملون من ناحية أخرى على مد نفوذهم في العراق وفارس لتوحيد العالم الاسلامي .

وفي عام ١٥٢٠م (٩٢٦هـ) تولى السلطان سليم وتولى بعده ابنه سليمان القانوني الذي جذبه أحداث أوروبا وفارس حتى سنة ١٥٣٨م لكن ظلت مشاريع تأمين مدخل البحر الأحمر وتدعيم دفاعاته وأهمها جادة من أهم الأمور التي يجب أن يعمل على إنجازها العثمانيون .

وعلى الرغم من أن سياسة الحكومة المركزية في استانبول كانت تعني الاسترخاء العسكري في جبهة البحر الأحمر الا أن والي مصر خاير بك تولى ارسال المعدات العسكرية والقوات اللازمة لتعزيز حامية جدة ، وذلك عندما كانت تصل الأخبار الى مصر بتحركات عسكرية للسفن البرتغالية في البحر الأحمر قريبا من ميناء جدة .

ففي شهر جمادى الآخرة سنة ٩٢٤هـ أخذ خاير بك في تجهيز قوة عسكرية على وجه السرعة الى جدة ، وذلك عندما وصلته الأخبار من الحجاز على يد رسول من شريف مكة بأن سفن البرتغاليين تمثت بالبحر الأحمر قريبا من ميناء جدة وتقوم بقطع الطريق على المسافرين مما يتسبب في الاضرار بوضع جدة الاقتصادي ، وذكر الشريف بركات في رسالته الى خاير بك أنه يخشى على ثغر جدة من أن تدهمه السفن البرتغالية على حين غفلة فبادر خاير بك بالنزول الى ميدان الرميطة بجانب قلعة القاهرة وقام باستعراض بعض القوات العسكرية ثم عين منها فرقة للمصر على وجه السرعة لنجدة جدة ، وكانت هذه الفرقة تتكون من نحو ٢٥٠ جنديا من « المماليك الجراكسة وأولاد الناس والمغاربة وغيرهم » وكان من بينهم مجموعة من البحارة المغاربة (٣٧) .

وفي العام التالي ( رمضان ٩٢٥هـ ) وصلت الأخبار الى القاهرة بأن البحرية البرتغالية قامت بتحركات جديدة حول جدة ، فأمر خاير بك بإرسال قوة عسكرية أخرى الى جدة مكونة من ٣٠٠ جندي من المماليك والأتراك وحين نائباً جديداً لجدة عندما وصلته الأخبار بأن قاسم القرواني نائب جدة السابق جمع كثيراً من الأموال المتحصلة من الميناء واستولى على كثير من الأسلحة وهرب بها بحراً الى ميناء ( هرمز ) .

وكان نائب جدة الجديد هو ( حسين الكفيا أغات الكمولية ) أو حسين الرومي كما تسميه بعض المراجع ، وقد أمره خاير بك بأن يتوجه على رأس القوة العسكرية الجديدة صعبة قافلة الحج المصرية ، كما أصدر خاير بك إليه أمرا بأن يضم اليه ولاية السواحل اليمنية الى جانب ولاية جدة •

ويبدو أن نائب جدة الهارب قاسم الشرواني لم يتمكن من الهرب فقد قبضت عليه القوات العسكرية وأرسلته الى القاهرة حيث سجنه خاير بك حتى ترى فيه سلطات استانبول رأيا ، فأرسل السلطان سليم باستدعائه الى استانبول في رجب سنة ٩٢٦ (٣٨) •

ولم تكن تنتهي فترة وجيزة من ارسال نائب جدة حسين الرومي حتى شب خلاف بينه وبين شريف مكة الشريف بركات أدى الى نشوب معركة حربية بين القوات العثمانية المرابطة بجدة بقيادة حسين الرومي وبين الشريف بركات وقواته تسببت في وقوع كثير من القتلى من جنود الشريف بركات كما خرج نائب جدة جريحا من المعركة (٣٩) •

وتعتبر تولية حسين الرومي (٤٠) نائبا على جدة بداية لمرحلة جديدة في سياسة العثمانيين في البحر الأحمر ، وذلك لأنهم جعلوا سلطته تمتد الى اليمن الى جانب نيابته لجدة ، ومعنى هذا بداية العمل الجدي في مدخل البحر الأحمر وعلى السواحل اليمنية ، وترتب على هذا أن زحف حسين الرومي من جدة الى اليمن ولكن لم يسلم له المماليك بسهولة وعارضه اسكندر الجركسي ، وفي غضون ذلك وصل حسين الرومي في اليمن خبر وفاة السلطان سليم فرجع الى قاعدته جدة من غير قتال حتى يتضح المؤلف في عهد السلطان الجديد (٤١) •

وفي غضون ذلك ظهر سلمان الرئيس في سماء جدة من جديد فقد فر من مصر بعد عصيان واليها أحمد باشا واتصل بحسين الرومي في جدة وحسن اليه الذهاب الى اليمن من جديد ولما توجه الى اليمن وأحرز حسين الرومي معه بعض الانتصارات والتف اليمنيون حول حسين الرومي (٤٢) خاف سلمان على نفسه وعاد الى مصر مرة أخرى وأغرى واليها ابراهيم باشا بارسال عساكر معه ليدفع بها البرتغاليين كما ادهى فجهزه بنحو أربعة آلاف مقاتل توجه بهم الى الحجاز أولا •

ومما هو جدير بالذكر أن قوات سلمان هذه كانت مصدر شقاء لأهل

جدة ومكة لأنهم كانوا في مجموعهم من الصنائع والأساكفة وقطاع الطرق والجهال وغيرهم من أراذل الناس ، فلما وصل سلمان الى جدة سنة ٩٣٢هـ بهذه القوات حاثوا فيها فسادا وصاروا يتعرضون للعرب وينهبون الأسواق فانقطعت المسيرة من مكة فحصل فيها قحط شديد وغلام عظيم بحيث صار تاريخا عند أهل جدة ومكة فكانوا يقولون : « سنة سلمان » (٤٣) وامتدت يد سلمان الى محصول جدة فأخذه كله واستولى عليه لنفسه وكان في هذه السنة (٩٣٢هـ) تسعون ألف دينار ذهباً ، ووافقه على ذلك نائب جدة الجديد وهو علي بك جاويز وكان هذا المحصول نصفه للسلطان ونصفه لشريف مكة .

وفي غضون ذلك أضحت جدة المركز الرئيسي لمحاولات العثمانيين في فرض نفوذهم الفعلي في اليمن لتأمين مدخل البحر الأحمر .

وفي سنة ٩٣١هـ (١٥٢٥م) عين العثمانيون سليمان باشا الخادم (٤٤) والياً على مصر ، فأمره السلطان سليمان سنة ٩٣٧هـ ببناء ثمانين سفينة في السويس من مختلف الأنواع والأحجام وزوده بالأخشاب والمواد اللازمة لبناء السفن من استانبول ، وفي ١٥ من المحرم ٩٤٥هـ قام بحملته الشهيرة الى اليمن وقد تمكنت هذه الحملة من السيطرة الكاملة على موانئ اليمن من جيزان شمالاً حتى عدن جنوباً ، أما جهات اليمن الداخلية فقد ظلت تحت حكم الزيديين برعاية الامام شرف الدين .

بيد أن سليمان الخادم فشل في حملته على الهند ولم يستطع أن يجابه القوات البرتغالية هناك ، وبعد فشله في الهند عاد منها وتلجأ في طريق عودته الى استانبول خوفاً من عواقب الامور المرتقبة ومحاولة منه لتعطية فشله لدى سلطات الباب المالي فبقى في الحجاز أكثر من شهرين ( من ذو القعدة ٩٤٥هـ حتى المحرم سنة ٩٤٦هـ ) ثم قضى نحو خمسة أشهر أخرى في مصر ، عمل خلالها على نشر الدعاية الكاذبة حول انتصاره المزعوم على البرتغاليين .

وقد بقيت جدة في هذه الفترة وما بعدها مهملة بدون نائب حتى سنة ٩٤٩هـ .

وبعد فشل حملة سليمان باشا الخادم على الهند لم يفكر العثمانيون في سياسة هجومية ضد البرتغاليين وظلوا ينجحون سياسة دفاعية قوامها السيطرة على البحر الأحمر وإخلاقه ، كما ترتب على هذه الهزيمة أيضاً أن قام البرتغاليون بشن هجوم كبير في سنة ٩٤٨هـ على البحر الأحمر هدفه

تحطيم الاسطول العثماني في ميناء السويس وكانت هذه الحملة بقيادة نائب الملك في الهند وبلغ عدد سفنها أكثر من ثمانين سفينة ، وقام البرتغاليون بمهاجمة ميناء سواكن وجزر دملك وخريوها وأسروا بعض سكانها ، كما هاجموا أيضا بعض السفن الشراعية الصغيرة في القصير والطور غير أنهم لم يجرؤوا على مهاجمة الاسطول العثماني في السويس ولاذوا بالفرار (٤٥) عائدین الى الموانئ والبحرية التي أضحت قاعدة لهم .

وقد تعرض ميناء جدة لعملية تخريب أثناء مرور الحملة البرتغالية في طريقها الى السويس ، وتنبه شريف مكة أبو نمي للخطر المحدق بجدة في غيبة نائبها فترك مكة في موسم الحج وتوجه الى جدة في جيش كبير جمعه من أهل مكة والقبائل المجاورة لها وأمر المناذي بالنداء في مكة وضواحيها : « من صحبنا فله أجر الجهاد وعلينا السلاح والنفقة » (٤٦) .

واجتهد الشريف أبو نمي في تلك الفترة العرجة بجمع المؤن لقواته من جميع الأطراف فكانوا يحضرون أنواع الطعام الى جدة بأغلى ثمن وذلك لأن جدة مواردها كانت تأتي من البحر فلما حاصرها الاسطول البرتغالي اعتمد الشريف في تزويد قواته بها على المناطق الداخلية الفقيرة ، وعزت الأقوات بها وغلا ثمنها و « فرغت الحبوب » فاقبلوا على نهر الابل فكانوا ينحرون لكل مائة نفس بدنة فاستمر ذلك مدة « وتحسس الشريف لعملية الاستمرار في تزويد قواته حتى قال : « اني نويت أن أنحر ما أملكه ويملكه أولادي وأحفادي فإذا نفسدت الابل نحرث الخيل ثم كل حيوان يجوز أكله (٤٧) » .

ورفض الشريف أن يغادر جدة في هذه الظروف لمقاومة أرام قوافل الحج على المادة ، وكلف ابنه أحمد أن يقابل أرام الحج ويطيس الخلع الواردة اليه ويبيع بالناس على عادة أجداده ثيابة من والده ، وبعد اتمام مناسك الحج توجه اليه أرام الحج بجدة لالباسه الخلع فوجده شاكيا السلاح لابساً درعه على هيئة المقاتل وأمر الشريف بأن تضرب المدفعية تحية لقدم أرام الحج عليه ، وكان من نتيجة هذا الموقف الجاد لشريف مكة في الاهتمام بالدفاع عن جدة أن أمر له السلطان سليمان بنصف « مرسوم جدة » أي محصول ميناها وذلك بعد أن تمدى عليه نواب جدة في بعض السنين ، وأنعم عليه بكثير من المنح والهدايا .

وترتب على هذا الهجوم البرتغالي الشامل للبحر الأحمر أن فكر

العثمانيون جددا في اخلاقه في وجه البرتغاليين وقطع الاتصال بين البرتغاليين والأبحاش ذلك الاتصال الذي أفادت منه البحرية البرتغالية حيث ضمنت مرالمى أمنة في البحر وضمنت تزويدا لسفنها وجنودها ، ولعبت الوشيجة الدينية بين الأبحاش والبرتغاليين دورا هاما في توطيد العلاقات الودية بين الطرفين حتى صارت تحالفا يضر بأوضاع البحر الأحمر الأمنية بالنسبة للمسلمين .

ونشطت السفن المثمانية في حصار السواحل الحبشية وأخذت تطوف في دوريات منتظمة في البحر الأحمر حتى جعلت عملية الاتصال بين الأبحاش والبرتغاليين نوعا من المغامرة ، كما بدأ المثمانيون يدعمون قواعدهم البحرية في اليمن (٤٨) .

وهكذا يمكن القول بأنه إذا كانت حملة ( لويو سسوريز ) على جدة عام ٩٢٣هـ (١٥١٧م) هي التي وجهت أنظار المثمانين الى الخطر البرتغالي بمد فتحهم لمصر مباشرة ، فإن حملة سنة ٩٤٨هـ (١٥٤١م) البرتغالية هي التي دفعت المثمانين الى التفكير في اخلاق البحر الأحمر أمام البحرية الأوروبية بصفتها عامة والبحرية البرتغالية بصفة خاصة وقد نجح المثمانيون في هذا المجال الى حد كبير .

وعندما تمكن المثمانيون من اخلاق البحر الأحمر أصبحوا يحافظون على تدعيم وجودهم العسكري في عدن من آن لآخر فقد أصبحت عدن مركزا لخط الدفاع الأول عن الحرمين الشريفين بينما أضحت جدة في هذه الفترة مركزا لخط الدفاع الثاني عن الحرمين ، وقد اتضح هذا من رسالة وجهها السلطان سليم الثاني (٩٧٤ - ٩٨٢هـ) الى قائده سنان باشا الذي وجهه لاعادة فتح اليمن في سنة ١٥٦٩م (٩٧٧هـ) وقد جاء في هذه الرسالة : « ان استردادنا لمملكة اليمن وان كان ذلك مما يطمئن علينا لأنها ميراث أبينا المرحوم المقدس ، لكن جل قصدنا من ذلك انما هو حفظ ثغر عدن صونا للحرمين الشريفين على الكفار الملاحين (٤٩) » .

---

#### إضافة جدة الى ولاية الحبش :

---

واصل المثمانيون تدعيم وجودهم العسكري على الشاطئ الإفريقي المقابل لسواحل اليمن ، واستمروا في هذا الصدد حتى هاجموا الحبشة في

عقر دارها بعد نجاح عملية الحصار البحري عليها وذلك لكي يكملوا جهودهم البحرية بجهود حربية داخل الحبشة نفسها لمطاردة البرتغاليين هناك .

وكان نفوذ العثمانيين منذ البداية لا يتعدى حدود نياية سواكن وزيلع اللذين ورثهما العثمانيون عن المالكي بعد استيلائهم على مصر ، وكان ( أزدمر باشا ) أول من لمس أهمية السواحل الحبشية بالنسبة للسيطرة على البحر الأحمر وذلك بفضل الفترة التي قضاها واليا على اليمن من سنة ٩٥٦هـ حتى عزل سنة ٩٦٢هـ ( ١٥٤٩ - ١٥٥٥م ) فقدم مشروعا عقب عزله من ولاية اليمن الى السلطان سليمان القانوني يقضي بإرسال حملة لتدعيم النفوذ العثماني على ساحل الحبشة وتوسيع مداء فارسيل السلطان الى مصر لتجهيز جيش بها لهذا الغرض .

وتم اعداد جيش في مصر قوامه ثلاثة آلاف جندي زحف به أزدمر باشا الى الحبشة عن طريق صعيد مصر ، ونجح أزدمر في السيطرة على بعض جهات التوبة ، واستولى على بعض الأقاليم الساحلية حول « سواكن » وأتم بذلك تكوين ما سمي : « ولاية الحبش » وأصبح أزدمر باشا أول وال لهذه الولاية حتى تولى بها سنة ٩٦٧هـ ( ١٥٥٩م ) وكانت من قبله يتوجه اليها الأمناء من مصر ، وقد خلف أزدمر في ولاية الحبش هذه ابنه عثمان ( ٥٠ ) وكانت هذه الولاية تضم المناطق الساحلية حول سواكن ومصوع .

وقد ربط العثمانيون بين ولاية الحبش وثر جدة الاسلامي في ادارة واحدة فأضافوا ثغر جدة الى ولاية الحبش ( ٥١ ) وقد أرادت الدولة العثمانية بهذا الاجراء الاداري تدعيم متاهمة الدوريات البحرية في البحر الأحمر بين الشاطئ العربي والشاطئ الافريقي لاحكام السيطرة على مياه هذا البحر .

ولما اصبح طريق البحر آمنا على النحو السالف شدت الأقوات المجهزة الى مكة والمدينة ترد عن طريق البحر ، فيذكر مؤرخ قافلة الحج المصرية في هذه الفترة وهو عبد القادر بن محمد الجزيري أن الاحمال المصاحبة لقافلة الحج المصرية كانت تبخر سنة ٩٦٠هـ من ميناء السويس الى مينائي جدة وينبع ، ولعل من المفيد أن نذكر أن هذه الاحمال كانت في سنة ٩٥١هـ نحو ٢٠٣٩٥ حملا وفي سنة ٩٥٢هـ كانت ٢٠٣٧٥ حملا ، ولعل من المفيد أيضا أن نذكر أنواعها فيما يلي :

نوعه	عدد
من الدقيق المحزوم	٣٥٠ حملا
من البقسمات المنشف ( وزن كل حمل ٦٥٠ رطلا صافيا )	١٨٠ حملا
من الأرز المحزوم ( كل حمل أردبان وربيع أردب )	٢٠ حملا
من الكشك ( كل حمل أربعة أرداب )	٥ أحمال
من البرغل ( كل حمل أربعة أرداب )	٥ أحمال
من الباسلا ( كل حمل كضريبة الأرز في المقدار )	٥ أحمال
من الجبن الحالوم ( عبارة عن ٦٠ قنطارا في ألقاص مفلقة )	١٠ أحمال
من العسل ( عبارة عن ٦٠ قنطارا في مزاول مفلقة )	١٢ حملا
من القنف كقرب السقائين	٥٠٠ حمل
( زنتها أربعة قناطير برسم الكعبة شمعتان وبرسم الحجرة الشريفة شمعتان )	٤ شمعات
من السلب الليف يحتاج اليه في مكة	١ حملا واحدا
من الزيت السكندري معبأة في زلمتين	٦ قناطير
من الشعير المغربي	١٥٠ أردبا
من القول الصحيح المغربي	٣٩٠٠ أردبا

وكانت هذه الأقوات تقسم أيام المالك بين جدة وينبع لكل بندر منهما النصف بالسوية ، ولما كان احتياج مكة أكثر من احتياج المدينة وزعت إبان العصر العثماني الثلث لينبع والثلثين لجدة وهذا هو الذي كان ممولا به سنة ٩٦٠هـ .

وكانت هذه الأقوات تفرغ في ثغر جدة وتوضع في مخازن ( حواصل وشون ) كانت موجودة في الميناء لوضع هذه الأقوات وغيرها من البضائع لأمرام



الحج والتجارة بفير أجرة ولكن شريف مكة في العصر العثماني وضع يده على هذه المخازن والشؤون وبناها بيتا له يسكنه زمن الموسم الهندي كما يقول الجزائري ، وفي سنة ٩٦٠هـ احتاج أمير الحج الى موضع بالميناء توضع فيه هذه الأعمال ريثما تنقل بدورها الى مكة ، فوضعها في فضاء كبير ( حوش ) خاص بجماعة من الأشراف على مقربة من الميناء بفير أجرة ، وبمضي الزمن تظلم هؤلاء حتى عين لهم أمير الحج أجرة في مقابل ذلك .

وكان على شريف مكة بعد ذلك أن ينقل منها الى مكة حمولة ألف جمل من غير أجرة وماعدا ذلك اما أن ينقله أمير الحج على جماله اذا حضر أو يجهز له شريف مكة جمالا بالأجرة تنقله الى مكة ، وأما أمير ينبع فلم يسر عليه سوى احضار الجمال فقط وأما أجرتها فعلى أمير الحج لكل جمل نصفان من الفضة (٥٢) .

### الغلاصة :

نستطيع من هذه الدراسة السريعة أن نبين أهمية هذه المرحلة من تاريخ جدة فيما يلي :

١ - في مطلع القرن العاشر الهجري أصبحت جدة عرضا مستهدفا للاستعمار البرتغالي بعد أن ضعفت القوى الإسلامية في المنطقة وظهرت أهميتها في الدفاع عن مكة حتى أصبحت رباطا للمجاهدين وألقى علماء المسلمين بأنها أهم رباط في الاسلام فقالوا : « ينبغي لمن دخل هذا الثغر المبارك أن ينوي الرباط والجهاد والذب عن بيت الله العتيق ويصحب معه شيئا لدفع أهل الكفر والعناد » وقالوا بأن ثغر جدة أفضل الثغور لاضافته الى بيت الله الحرام الذي من دخله كان آمنا من كل محذور ، وأن فضل مرابطيه على سائر المرابطين كفضل مكة على سائر البلدان في سائر الأزمان والدهور ، ويفخر الله للناظر منه مد بصره مما يلي البلد ، ورووا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : « يأتي على الناس زمان يكون أفضل الرباط رباط جدة » (٥٣) .

٢- أن الممالك على أيام السلطان قانصوه الغوري هم أول من رسم سياسة حربية دفاعية لثغر جدة الاسلامي بما يتناسب مع أهمية مكة في قلوب المسلمين في جميع بقاع العالم الاسلامي ، فحصنوها بكل وسيلة وبثروا

سورها العظيم وحفروا حوله خندقا كبيرا وزودوها بالأسلحة والمرابطين للدفاع منها في أية لحظة طارئة ، فجمعوا منها بذلك مركزا لخط الدفاع الثاني بعد عدن للدفاع عن الحرمين الشريفين ضد الهجمات البرتغالية ، كما جعلوا منها مركزا دفاعيا متقدما للدفاع عن الأراضي المصرية .

٣ - عندما ورث العثمانيون أملاك المماليك في المنطقة سنة ٩٢٣هـ ساروا على مدى الخطط المملوكية في الدفاع عن البحر الأحمر والاهتمام بشفر جدة بيد أنهم أبطأوا في أعمالهم الحربية حتى عام ١٥٣٨ (٩٤٥هـ) ففي تلك السنة تمت لهم السيطرة على سواحل اليمن وأرسلوا حملة الى الهند بقيادة سليمان الخادم لم يتمكن من حمل شيء أمام النفوذ البرتغالي الذي تمكن من تجارة الهند والسيطرة على البحار الشرقية .

٤ - بعد عام ٩٤٥هـ (١٥٣٨م) كانت سياسة العثمانيين دفاعية في البحر الأحمر ولم يفكروا في اجتيازه الى الهند لمنافسة النشاط التجاري البرتغالي أو غيره من نشاطات الدول الاستعمارية الغربية الاخرى التي بدأت تظهر في مياه البحار الشرقية .

٥ - بيد أنهم استطاعوا ( بعد سيطرتهم على عدن وغيرها من موانئ البحر الأحمر ) اخلاق البحر الأحمر أمام السفن الاستعمارية وجعلوه بحيرة اسلامية مغلقة بحجة أنه يطل على الأماكن المقدسة الاسلامية ، فكان على مثل هذه السفن أن تفرغ حمولتها في موانئ اليمن الجنوبية وتقوم السفن الاسلامية بحمل هذه التجارة الى داخل البحر الأحمر ، وجعلوا من السواحل اليمنية قاعدة لخلق البحر الأحمر فقط ولم تمد نقطة انطلاق لحملات كبيرة الى الهند أو الى البحار الشرقية ، وتجنب البرتغاليون إثارة الدولة العثمانية منذ ظهر نفوذها في البحر الأحمر فأصبح نشاطهم فيه محددا خوفا من أن توجه الدولة العثمانية نشاطها العربي الى الهند ، وخاصة أن البرتغاليين كانوا يدركون مدى قوة الدولة العثمانية في ذلك الحين ، وذلك باستثناء بعض حملاتهم مثل حملة سنة ٩٤٩هـ التي كانت ردا على حملة العثمانيين بقيادة سليمان باشا الخادم سنة ٩٤٥هـ .

٦ - عندما تم للعثمانيين السيطرة على سواحل الحبشة في البحر الأحمر وأنشأوا منها ولاية كانت تسمى بولاية الحبش قاعدتها سواكن

(٩٦٢ - ٩٦٧ هـ) ربطوا بين هذه الولاية وثغر جدة الاسلامي في ادارة واحدة فاضافوا ثغر جدة الى ولاية الحبش فكانما كانت مهمة هذه الولاية هي متابعة الدوريات البحرية في البحر الاحمر بين الشاطيء العربي والشاطيء الافريقي لاحكام السيطرة على مياه هذا البحر .

دكتور

مصطفى محمد محمد رمضان

دكتور

فائق بكر الصواف

استاذ التاريخ الحديث المساعد

ورئيس قسم التاريخ بكلية

الشريعة والدراسات الاسلامية

جامعة الملك عبد العزيز - مكة المكرمة

استاذ التاريخ الحديث المساعد

بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية

جامعة الملك عبد العزيز - مكة المكرمة



## المصادر

- ١ - ينحسب بعض المؤرخين الى ان جدة كانت قبل ذلك نقرا معتمدا على مراكزه ابن جبير في رحلته من انه رأى اثر سور معلق بها ، ومأذركه ابن فهد في كتابه : « اتعاف الوردى باخبار ام القرى » من ان بجدة اثر رسوم قديمة تدل على قدم اختطاطها وانها كانت مدينة كثيرة زمن سيطرة الفرس وان سلمان الفارسي رضي الله عنه وأهله سكنوا فيها لأنهم كانوا قوما تجارا وهم الذين بنوا سورها الاول وكان ماء البحر ينور حولها وهي يومئذ شبه جزيرة وسط لجة البحر .
- انظر : عبد القادر احمد بن فرج ، « السلاح والعملة في تاريخ جدة » مطبوع بمكتبة الحرم المكي رقم ٢٨ تاريخ دهلوي ص ٨ .
- وانظر ايضا : احمد الخراوي ، الجواهر المنة في تاريخ جدة ، مطبوع بمكتبة الحرم المكي رقم ٢٧ تاريخ دهلوي ، ص ٧ - ٨ .
- ٢ - انظر : عبد القادر بن محمد بن عبد القادر الجزيري ، دور القوائد المنظمة في اخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، طبعة المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٨٤ هـ ، ص ٧٨٣ .
- ٣ - يطل منصوب « ياش مكة » منذ الفتح الثماني ، وصارت بعض اختصاصاته يقوم بها نائب جدة كما سيأتي بيان ذلك .
- ٤ - انظر : عبد القادر بن فرج ، السلاح والعملة ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢١ .
- ٥ - انظر : قطب الدين النهروالي ، الاعلام بالعلم بيت الله الحرام ، على هامش كتاب : خلاصة الكلام في بيان امراء البلد الحرام ، طبعة المطبعة الخيرية بالقاهرة سنة ١٣٠٥ هـ ص ١٥٣ .

٦ - رأس الرجاء الصالح كان اسمه قبل هذه التسمية « رأس المواصف » وذلك لكثرة ما به من مواصف ، ولكن ملك البرتغال أطلق عليه « رأس الرجاء الصالح » وذلك بعد أن نجح البرتغاليون في اجتيازه ، لأنه فتح باب الرجاء والأمل أمامهم في الوصول إلى الهند .

انظر : يعين بن الحسين ، غاية الأمان في أخبار القطر اليمني ، القسم الثاني ص ٦٣٠ هامش ٤ .

٧ - نجح البرتغاليون بقيادة فاسكودا جاما في الوصول إلى الهند سنة ١٤٩٨م ، بفضل رئيس البحر الملاح أحمد بن ماجد الذي أرشدتهم إلى الطريق الصحيح ، وابن ماجد له مؤلفات قيمة في الملاحة بعضها في المكتبة الأهلية في باريس وبعضها في مكتبة ليننجراد ، وغيرهما ، وقد نشر بعض هذه المؤلفات وعلق عليها المستشرق الفرنسي جبريل فران والمستشرق الروسي « تيودور شوموفسكي » وأبدوا جميعا ما ذكره قطب الدين النهرواني في كتابه « البرق اليمني » من أن فاسكودا جاما لم يتمكن من الوصول إلى الهند إلا بفضل أحمد بن ماجد الملاح الذي صاحبه في الوصول إلى الهند مرشدا لهم .

انظر : قطب الدين النهرواني ، البرق اليمني في الفتح العثماني ، طبعة دار اليمامة بالرياض ص ١٨ - ١٩ ويعين بن الحسين ، غاية الأمان في أخبار القطر اليمني ، القسم الثاني ص ٦٣٠ - ٦٣١ هامش ٥ ، و « أنور عبد الحليم » الفوائد في أصول علم البحار والقواعد « لأحمد بن ماجد ، بحث نشر في مجلة تراث الإنسانية ، المجلد الخامس عدد ٤ ص ٧٧٤ ، وكذلك لنفس المؤلف كتاب : ابن ماجد الملاح من سلسلة اعلام العرب ، رقم ٦٣ .

١٨ - انظر : « عبد العزيز الشناوي ، أوروبا في مطلع المصور الحديث ، الطبعة الأولى ، القاهرة سنة ١٩٦٩ ، الجزء الأول ص ٩٤ .

٩ - مير عمانويل ملك البرتغال ( ١٤٩٥ - ١٥٢١م ) من أغراض الحملة الأولى في خطبة طويلة جاء فيها : « أن الغرض من اكتشاف الطريق البحري إلى الهند هو نشر المسيحية والحصول على ثروات الشرق » .

انظر : « السيد مصطفى سالم الفتح العثماني الأول لليون ، الطبعة الثانية ، من منشورات معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة سنة ١٩٧٤ ص ٤٦ - ٤٧ .

١٠ - جزيرة سولطرة أو ( سقطرة ) تقع بالقرب من الساحل الجنوبي للجزيرة العربية إلى الشرق من عدن ، وهي جزيرة جبلية ومرتفعة قليلة السكان تنتشر حولها الشعب المرجانية ولكن لها أهمية استراتيجية لأن يريد التحكم في مضل البحر الأحمر .

١١ - انظر : ابن إياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ( ١٩٦٠ - ١٩٦٣ ) الجزء الخامس ص ٢٠٣ .

١٢ - المصدر السابق ، ج ٤ ص ٨٤ - ٨٥ .

١٣ - مؤلف كتاب السلاح والعدنة في تاريخ جدة ، هو الشيخ عبد القادر بن أحمد ابن فرج الشافعي من أهل جدة وخطيب مسجدها ، ولد بها ونشأ وكانت وفاته في سنة ١٠٩٠هـ وعاصى بداية الفتح العثماني .

انظر : مجلة المثل المجلد السابع ص ٤٤٤ والاعلام للزركلي ج ٤ ص ١٦٢ ،  
وخلاصة الآثار للمحبي ج ٧ ص ٤٣٥ .

١٤ - بنو ابراهيم أشهر القبائل التي كانت تسكن يومئذ بين ينبع ومكة ، وكانت  
السلطات المصرية توكل اليهم حراسة قافلة الحج المصرية في بعض مراحل الطريق وفيما بين  
سنة ٩٠٧ - وسنة ٩١١هـ قام اعراب بني ابراهيم يكثر من أعمال السلب والنهب للحجاج  
بيت الله الحرام متضامنين مع امي يتبع يحيى بن سبع واشتد امرهم في سنة ٩١١هـ فامر  
الغوري بإيقاف عملية الحج في هذه السنة .

١٥ - كان يطلق على دار النيابة التي هي مقر نائب جفة « فرقة السلطان » .  
١٦ - انظر : عبد القادر بن فرج ، السلاح والسنة ، مصدر سبق ذكره ،  
ص ٢٠ - ٢٢ .

١٧ - نص الشيخ عبد القادر بن فرج على ان هذا الدراع هو ذراع العمل وأضاف  
انه أي ذراع العمل هذا ذراع ونصف بذراع التجار ، وبالرجوع الى علي مبارك في خطه  
وهو اهم مصدر ترمض لتقدير الأطوال تبين لنا ان ذراع النجار التي اشار اليها بن فرج  
تبلغ ٧٧ر٥ سم فتكون ذراع العمل التي قدر بها ابن فرج أبعاد سور جفة هي :  
٧٧ر٥ سم × ١ر٥ = ١١٦ر٢٥ سنتيمتر .

١٨ - انظر عبد القادر بن فرج ، السلاح والسنة ، ص ٢٢ .  
١٩ - انظر : احمد بن زيني دحلان ، خلاصة الكلام في بيان امراء البلد الحرام ،  
القاهرة سنة ١٣٠٥هـ ص ٥١ .  
٢٠ - « كمران » جزيرة بالبحر الأحمر تجاه زبيد باليمن وهي حصن ثل ملك تهامة  
اليمن ( يالوت - معجم البلدان ) كما انها محطة بحرية هامة بين عدن وجدة .  
٢١ - انظر : د- السيد مصطفى سالم ، الفتوح العثمانية الاولى لليمن ،  
ص ٧١ - ٧٤ .

٢٢ - انظر : ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٤ ص ٣٠٧ - ٣٠٨ .  
٢٣ - انظر : قطب الدين الشهرزالي ، الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ،  
ص ١٦٥ - ١٦٧ .

٢٤ - كان فرسان القديس يوحنا يسيطرون على بعض الجزر في شرقي البحر المتوسط  
ويتمركزون في جزيرة رودس وكانوا يشنون الهجمات المتوالية على الموانئ الاسلامية وخاصة  
المصرية ، وقاموا يكثر من أعمال القرصنة البحرية في مواجهة السفن الاسلامية ، وكانوا  
يعملون هذه الأعمال العدوانية من قبيل الجهاد الديني وظلوا في جزيرة رودس حتى اجلاهم  
السلطان سليمان القانوني عنها سنة ١٥٧٢م الى قرب البحر المتوسط وتمركزوا في جزيرة  
مالطا الى ان قضى على نفوذهم بونابرت وهو في طريقه الى مصر سنة ١٧٩٨م .

انظر : الهجمات المتكررة لهؤلاء القرصنة على نفود مصر في كتاب ابن اياس ،  
بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ج ٤ ص ١٤٥ ، ١٤٥ ، ١٩٦ ، ٢٢٠ .  
٢٥ - انظر : ابن اياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ج ٤ ص ٣٥٩ .  
٢٦ - محمد فريد ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، طبعة يولاق ، القاهرة ،  
ص ٧٥ - ٧٦ .

- ٧ - انظر ساطع المصري ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ٣٦ - ٢٧ .  
 ٢٨ - انظر : قطب الدين النهروالي ، الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ،  
 ص ١٨٧ - ١٨٨ .

٢٩ - كان السلطان الغوري قد طلب من القاضي قضاة مكة ابن ظهيرة عشرة آلاف دينار  
 فبعجز القاضي عن سدادها ظام الغوري بالقبض عليه وحمله الى مصر واعتقله بها ،  
 ومقب هزيمة الغوري في مولعة مرج دابق أخرجه طومان باي من السجن وظل في مصر حتى  
 قابل السلطان سليم .

- انظر : أحمد بن زيني دحلان ، خلاصة الكلام في بيان امراء البلد الحرام ، ص ٥٠ .  
 ٣٠ - المصدر السابق نفس المكان .  
 ٣١ - انظر : نص الرسالة التي أرسلها السلطان سليم للشراف ، وقد ترجمها  
 الى العربية الدكتور أحمد فؤاد متولي ونشرها في أحدث كتاب نشر عن « الفتاح العثماني  
 للشمس ومصر » بالقاهرة سنة ١٩٧٦م ، ويمتاز هذا الكتاب بكتبه من الوثائق التي ترجمها  
 المؤلف من التركية الى العربية وقد استقاها من الأرشيف التركي وغيره من المصادر التركية  
 ( انظر الوثيقة رقم ٣٠ في ملحق الوثائق لنفس الكتاب ) .

- ٣٢ - انظر : ساطع المصري ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ٢٤١ .  
 ٣٣ - انظر : قطب الدين النهروالي ، الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ١٩١ ،  
 وانظر ايضا ، أحمد بن زيني دحلان ، خلاصة الكلام في بيان امراء البلد الحرام ص ٥١ .  
 ٣٤ - انظر : علي سبيل المثال ماحدث من حروب بين شريف مكة ووالي جدة في  
 سنة ١٠٧٩هـ وسنة ١١٨٤هـ ومايتمها في كتاب : خلاصة الكلام لأحمد بن زيني دحلان .  
 ٣٥ - انظر : د- السيد مصطفى سالم ، الفتاح العثماني الاول لليمن ،  
 ص ١٠٢ - ١٠٣ .

- ٣٦ - انظر : ابن اياس ، بذائع الزهور ، حوادث شعيان ٩٧٣هـ ج ٥ ص ٢٠٣ .  
 ٣٧ - انظر : ابن اياس ، بذائع الزهور ، ج ٥ ، ص ٢٦٢ .  
 ٣٨ - المصدر السابق ، ج ٥ ص ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٦ ، ٣٤٢ .  
 ٣٩ - المصدر السابق ، ج ٥ ص ٣٣٠ .  
 ٤٠ - كان حسين الرومي هذا من الامراء الذين وردوا مع السلطان سليم الى مصر  
 وكانت له وجهة على خاير بك والي مصر فلوله ثيابة جدة وأضال اليه اليمن .

- ٤١ - انظر : قطب الدين النهروالي ، البرق اليمني ، ص ٣٤ .  
 ٤٢ - لم تطل الامور بحسين الرومي في اليمن فلم يزل ان توفي بعد مرض طويل  
 في سنة ٩٣٢هـ ودفن باليمن ( انظر المصدر السابق ، ص ٤٧ ) .  
 ٤٣ - المصدر السابق ص ٤٧ - ٤٤ .

٤٤ - كان سليمان القادر أحد معاليك السلطان سليم الاول ومن القريبين اليه  
 وظل واليا على مصر حتى شاورها الى العراق للاشتراك في فتح بغداد سنة ١٥٣٤م ثم  
 بدأت ولاية الثانية لمصر سنة ٩٤٣هـ واستمر حتى خرج منها على رأس حملة بحرية لفتح  
 اليمن سنة ٩٤٥هـ ( ١٥٣٨م ) .

- ٤٥ - انظر : د- السيد مصطفى سالم ، الفتاح العثماني الاول لليمن ،  
 ص ٣٩٨ - ٣٩٩ .

- ٤٦ - انظر : احمد بن زيني دحلان ، خلاصة الكلام في بيان امراء البلد الحرام ، ص ٥٢ -
- ٤٧ - المصدر السابق - نفس المكان -
- ٤٨ - انظر : د - السيد مصطفى سالم ، الفتوح العثمانية الاول لليمن ، ص ٤٠٠ -
- ٤٩ - انظر : قطب الدين النهروالي ، البرق اليماني في الفتوح العثمانية ، ص ٢٢٣ -
- ٥٠ - انظر : قطب الدين النهروالي ، البرق اليمساني في الفتوح العثمانية ، ص ١١٩ - ١٢٠ -
- ٥١ - انظر : صاطع الحصري ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ٢٣٠ - ٢٣١ -
- ٥٢ - انظر : عبد القادر بن محمد الوزيري ، درد القوائد المنظمة في اخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٠١ - ٤١٦ -
- ٥٣ - انظر : عبد القادر بن فرج ، السلاح والعدة في تاريخ جدة ، ص ٢ ، ص ٢٨ -

# إطالة على الصراع السياسي البريطاني الإيطالي في البحر الأحمر خلال فترة الحرب العالمية الأولى

بقلم : عصام ضياء الدين السيد  
الباحث بالدراسة

حقا للبحر الأحمر موقع فريد ، إذ أنه حلقة الاتصال بين البحار الشرقية والبحار الغربية ، وهو يقع عند التقاء قارات العالم القديم الثلاث ، وقد ظل هذا البحر على مدى العصور عاملا فعالا لربط البلاد المحيطة به بعضها ببعض ، فقد كان طريقا للملاحة بينها ، ووسيلة تسهل التبادل التجاري ، وحينما تقدمت الملاحة وبدأت المواصلات مع الهند والصين وبقية بلاد الشرق الأقصى ازدادت أهمية هذا البحر فأصبح الممر التجاري لتموين العالم الأوروبي بكل مايلزمه من المنتجات (١) .



فلا غرابة أنه بمجرد أن أصبحت الهند تاج الامبراطورية البريطانية صار الدفاع عنها يشغل بال واضحى الاستراتيجية في لندن . فمن أجل الدفاع عن الهند وجدت بريطانيا أنه لزاما عليها تواجد نقاط استراتيجية حيوية عبر كل طرق المواصلات . فاهتمت لذلك ببسط النفوذ على الطريق الممتد من بورسعيد على ساحل البحر الأبيض مرورا بكنساء السويس الى البحر الأحمر (٢) .

وكان من الطبعي ازام ذلك أن تكالبت الدول الاستعمارية في محاولة بسط النفوذ على البحر الأحمر . فتارة يشتد الصراع بين بريطانيا وفرنسا خصوصا في أعقاب الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨م فأقدست بريطانيا لذلك على احتلال جزيرة بریم عام ١٧٩٩م لمنع أي اتصال من جانب الفرنسيين بالمحيط الهندي عن طريق البحر الأحمر . وتارة ينشب الصراع بين بريطانيا ومصر في عهد محمد علي حينما هالها تقدم قوات هذا الأخير في الجزيرة العربية والسودان ومساهمته في تجارة الهند فعمدت الى ابعاد أي ظل للمنافسة المصرية في مداخل البحر الأحمر ، ومن ثم اتجهت الى احتلال عدن عام ١٨٣٩ لتأكيد نفوذها بنوع خاص في هذا البحر . وتارة يتبدلع الصراع بين بريطانيا والدولة العثمانية خصوصا في سبعينات القرن التاسع عشر منذ بداية التدخل العثماني في جنوب اليمن . وان كان ذلك الصراع هو أقل الصراعات خطورة على بريطانيا في البحر الأحمر حيث كان العثمانيون يقومون لبريطانيا بحماية طرقهم الى الهند والشرق الأقصى . واطمأنت بريطانيا لذلك الا أنها من الواضح كانت مصممة على ألا تقوم دولة أوربية أخرى بما كانت تؤديه الدولة العثمانية لها .

وبقى الأمر على هذا النحو حتى انقلبت الموازين بتحالف الدولة العثمانية مع الألمان في الحرب العالمية الاولى فحيادها انهار تبمما لذلك . فباندلاع الحرب في عام ١٩١٤م تفجرت مشكلة رئيسية لبريطانيا في الشرق الأوسط لأنه بمجرد اعلان الترك الحرب باتت الطرق البريطانية مهددة في النقاط التي لا تعد ولا تحصى من سيناء الى الخليج العربي . فلكي تكسب بريطانيا الحرب في الشرق الأوسط توصلت لحد من التفاهم مع العرب لسببين ، أولهما أن صداقة العرب سوف تصاعدها على ضمان تأمين طرق الامبراطورية حتى لو كانت الحكومة العثمانية في عداوم معها . أما السبب الثاني فان العرب يسيطرون على الأماكن المقدسة الاسلامية في مكة المكرمة والمدينة المنورة وأنهم بتحالفهم معها تستطيع بريطانيا ضمان الحج سنويا

بالنسبة لرمايها من المسلمين ومن ثم يتيح لها مجابهة دهوة الخلافة العثمانية للجهاد أو الحرب المقدسة - فيقصدان الترك للحجاز سيمعني أنهم ليس بوسمهم تهديد مصر وقتنا السويس أو الطريق البحري الى الهند (٣) .

حقا كانت هناك مدرستان على طرفي نقيض تكشف الفكر الاستعماري لبريطانيا ازام الجزيرة العربية احدهما مكتب الهند الذي ينظر الى الجزيرة العربية كإقليم خاص به ، فدلهي وليست لندن تدير الأمور السياسية لعدن والأراضي الداخلية والخليج وتدافع عن الطريق الاستراتيجي للشرق . بينما على النقيض المدرسة الانجلومصرية التي تدير العمليات من القاهرة وتميل بالمرءة ناحية الشريف حسين بن علي في الحجاز ، وكان هدفها تحويل البحر الأحمر الى بحيرة مصرية تحت النفوذ البريطاني وفي نفس الوقت مد الهيمنة المصرية البريطانية تجاه الشمال عبر المشرق - فعلى هذا النحو تكون الأماكن المقدسة للمسلمين مكة المكرمة ، المدينة المنورة ، والقدس الشريف تحت النفوذ البريطاني (٤) .

بالتأكيد ان الموظفين الرسميين البريطانيين في مصر قد شاركوا وجهة نظر نظرائهم في مكتب الهند حول الاهتمام بمواصلات الإمبراطورية ، ولكنهم وضعوا أولوية أكثر للمرور البحري الى المحيط الهندي عن الطريق البري الى الخليج (٥) .

ففي ٩ فبراير ١٩١٥ وافقت الحكومة البريطانية على اقتراح مكتب القاهرة بتقسيم البحر الأحمر الى قسمين : القسم الشمالي تحت القيادة البريطانية السياسية في القاهرة . والقسم الجنوبي تحت الادارة السياسية للمقيم السياسي في عدن الذي يعمل بناء على تعليمات حكومة الهند (٦) وكان تقسيم الادمرالية قد حدد الدورية الشمالية من جعدة الى السويس أما الدورية الجنوبية فكانت من عدن الى جدة ، لهذا كانت هذه الأخيرة بمثابة حلقة الاتصال بالنسبة للدوريتين (٧) . وذلك على عكس ما اراده المقيم السياسي في عدن في البداية حينما أرسل الى الضابط الأعلى للبحرية يقول بأنه يعتبر جدة في الدورية الجنوبية الواقعة تحت قيادته . الا أن المندوب السامي في القاهرة جعلها حلقة اتصال فلم يعترض على امتداد الدورية الجنوبية الى جدة طالما أن ذلك يعد ضروريا لأمر التجارة مع الهند . ولكنه في نفس الوقت حذر من تخطي العلاقات مع شريف مكة الذي يتعامل مع القاهرة مباشرة لأسباب وصفها بأنها قوية وأنه لذلك يعتبر أن العلاقات السياسية مع الحجاز وموانيه يجب أن تبقى تحت قيادته في القاهرة (٨) .

هذا في الوقت الذي قرر فيه وزير بريطانيا لشئون الهند مد سلطة المقيم السياسي في عدن الى عسير بالاضافة الى بقية اليمن واسفل الساحل الى عدن . وحرصا منه على ضمان تماسك السياسة بين الفريقين فانه طلب أن تكون المعلومات المتبادلة بين المندوب السامي في القاهرة والمقيم السياسي في عدن طليقة حول الاجراءات المتخذة في مجالات سيطرتهم (٩) مما يدل على اهتمام الحكومة البريطانية بالمسئل الجنوبي للبحر الأحمر فاكد الوزير البريطاني على أنه باستثناء امان السفن الحربية البريطانية فانه يرجع الاعتبار السياسية على أي اعتبارات محلية أخرى في القسم الجنوبي في الوقت الراهن وأنه لا يتخذ أي قرار من طريق سفن الحرب البريطانية باستثناء اتفاق رأي الضباط السياسيين المصاحبين لها وكذلك ممن سوف يتلقون التعليمات من المقيم السياسي في عدن وجدة (١٠) .

على أية حال لقد تكشفت لبريطانيا أطماع ايطاليا في البحر الأحمر تدريجيا فاحذت الأولى ترقب الخطوات الايطالية التي استهدفت التسلل الى جنوبي وغربي الجزيرة العربية وساحل البحر الأحمر . فلم يغب عن باله بريطانيا الحرب التركية الايطالية عام ١٩١٢ حينما قصف الايطاليون ساحل اليمن متخذين من مصوع قاعدة بحرية لهم فأتى هذا القصف على الرهايا البريطانيين الذين كانت تتركز في أيديهم نسبة كبيرة من تجارة اليمن الأحمر تأثيرا خطيرا . أكثر من ذلك أن الايطاليين ظاهروا الادريسي بالمال والعتاد فأتى ذلك على اليمن أكثر من قصفهم لساحله فتتمكن الادريسي من الاستيلاء على جزر فرسان وأصبح في موقف التهديد المباشر للأتراك في داخل اليمن (١١) .

وبدأت ايطاليا تغطو خطوات سياسية متأنية لتسبر غور السياسة البريطانية حينما بدأت الحرب الكبرى الأولى فنلاحظ اعلان ايطاليا انضمامها الى جوهر الاعلان الذي أعلنته كل من فرنسا وبريطانيا وروسيا بمقتضى المادة ١٢ من معاهدة لندن الصادرة في ٢٦ ابريل ١٩١٥ التي تقول بأن الجزيرة العربية وكل الأماكن المقدسة فيها سوف تترك تحت سلطة قوة اسلامية مستقلة . بينما ترجمت المادة العاشرة من اتفاق سايكس بيكو الصادر في ١٦ مايو ١٩١٦ سياسة بريطانية في تضيق الخناق على ايطاليا في الجزيرة العربية والبحر الأحمر فتقول هذه المادة ان حكومتي بريطانيا وفرنسا وافقتا على أنهما لن يحرزا لأنفسهما ، ولن يصادقا على قوة ثالثة ، كي تكتسب ممتلكات اقليمية في شبه الجزيرة العربية . وأنهما لن يقبلا لقوة ثالثة أن

تؤسس قاعدة بحرية سواء على الساحل الشرقي أو في جزر البحر الأحمر .  
ثم يدمى الاتفاق بعد ذلك أن هذا لا يتعارض مع تسوية حدود عدن نظرا  
لضرورتها بالنظر للعدوان التركي الراهن .

وفي يناير ١٩١٦ طلب السفير الإيطالي تزويده بصورة من الأوامر  
البريطانية التي أعلنت ضم جزر  
لممتلكات حضرة صاحب الجلالة البريطانية فرجعت حكومة هذه الأخيرة بأن  
من المحتمل أن الحكومة الإيطالية تخطط لقرار مماثل بشأن بعض الجزر في  
البحر الأحمر . فانتهج سير A. Nicolson ( لورد Carnock  
فيما بعد ) الفرصة في محادثة مع السفير الإيطالي ليتقصى بطريقة غير  
رسمية ، فيما إذا كانت حكومته تمتزم اتخاذ أي قرار له نفس الطبيعة والمج  
له بأن مثل ذلك الاحتمال يعني أن القضية لا يمكن أن تبقى غير هامة لأنها  
تعتبر قضية واحدة تهم الحكومة البريطانية والرأي العام في بريطانيا . غير  
أن السفير الإيطالي تنصل من معرفته شيئا عن هذه المسألة . فصدرت الأوامر  
الى السفير البريطاني في روما بعد ذلك أن ينتهج أول بادرة لينقل تسليمها  
بطريقة غير رسمية الى وزير المستعمرات الإيطالية يشير فيه الى أن اقدام  
الحكومة الإيطالية على اتخاذ مثل ذلك القرار سوف ينجم عنه استياء كبير في  
بريطانيا .

الا أنه في ديسمبر عام ١٩١٦ اعتقد الإيطاليون أن بوسعهم توجيه  
ضربة مؤلفة غير متوقعة في البحر الأحمر في جزر فراسان على نحو خاص .  
ولكي تفوت بريطانيا عليهم الفرصة قررت ارسال سفينة ترفع علما بريطانيا  
على جزر فراسان ، مع أن هذه الخطوة جاءت متأخرة قليلا لأن الحكومة  
البريطانية كانت قد اتخذت قرارا من قبل في يونيو ١٩١٥ لتنفيذ ذلك  
فاضطرتها الظروف مع إيطاليا الى تنفيذ هذا القرار في ١٩ ديسمبر ١٩١٦  
حيث قامت بالفعل برفع العلم البريطاني بالنيابة عن الادريسي وصاحب  
ذلك في نفس الوقت انزال قوة حراسة صغيرة في الجزيرة ( ١٢ ) .

والجدير بالذكر أن السلطات البريطانية لما اتخذت في البداية ذلك  
القرار اتفق على أن القوات المطلوبة في حالة الشروع في احتلال هذه الجزر  
سوف تسحب من تلك القوات الموجودة في مصر ( ١٣ ) .

على أية حال لم يدم الوضع الذي فرضته بريطانيا على فراسان طويلا

فلقد وقعت الاولى معاهدة مكملة مع الادريسي في ٢٢ يناير ١٩١٧ اعترفت فيها له بأن جزر فراسان قد تم الاستيلاء عليها من الترك وانها أصبحت جزءا لا يتجزأ من ممتلكات الادريسي الذي ضمنت له استقلاله . ثم تمهدت أيضا بحماية هذه الجزر وساحل الادريسي من أي عمل عدواني بدون التدخل في شؤنه أو استقلاله . أما الادريسي فلقد تعهد من جانبه بعدم التخلي أو رهن أو تسليم هذه الجزر ولا الأماكن الواقعة على ساحله بما في ذلك المصالح المتعلقة بها لأية دولة أجنبية ، كما وافق على استدعاء الحكومة البريطانية لمساعدته إذا ما تعرضت هذه الأماكن أو المصالح فيها للهجوم أو التهديد من الخارج . وأخيرا تعهد الادريسي بالاحتفاظ بقوة عسكرية في الجزر كرمز لاستقلاله وللحفاظ على استلاكه للأرض وبمقتضى ذلك أصبح يحق له رفع علمه على الجزر وبطية إقاليمه . وتبعا لذلك أنزل المسلم البريطاني وسحبت قوة الحراسة التي أرسلت من قبل . وبالجمله ارباك ايطاليا تماما ، فحضر عضو السفارة الايطالية يتسامل في ٢٩ يناير ١٩١٧ عما إذا كان العلم البريطاني قد أنزل حقيقة من جزر فراسان نظرا لورود تقرير الى حكومته يفيد ذلك وأن الأخبار التي لديه مشوشة لعدم ما . فأحيط عضو السفارة علما بأنه في يونيو ١٩١٥ صدرت الأوامر برفع العلم على هذه الجزر ولكن بسبب بعض سوء الفهم لم ينفذ القرار الا حديثا فرفع العلم البريطاني وأنزلت قوة حراسة صغيرة وأن ذلك تم بالتنسيق مع الادريسي . ثم تمهدت حكومة حضرة صاحب الجلالة البريطانية بسيادة سلطته على الجزر ، وتبعا لذلك فقد تم تسليم الجزر اليه وأنزل المسلم البريطاني وسحبت القوة . وحرصت بريطانيا على عدم الانفصاح لاطاليا بتفاصيل المعاهدة . ففي الحق لم تكن بريطانيا تنظر الى جزر فراسان على أنها مجرد نقطة لحماية اتصالاتها مع الشرق فحسب وإنما حرصت على أن يكون هذا التبرير مبهما حتى لا تكشف عن المزايا الواضحة التي أرادت جنيها باستغلال الزيت والمصادر الأخرى في الجزر (١٤) .

كان من الطبيعي ألا يقتصر اهتمام بريطانيا على جزر فراسان فتجد أن المقيم السياسي في عدن يولي أهمية أيضا لجزر كماران في البحر الأحمر التي تبعد نحو ١٥ ميلا جنوبي اللحية وبضعة أميال شمالي المدينة فهي تتمتع بمواقع استراتيجية خطيرة بالنسبة لمداخل البحر الأحمر وسواحل الجزيرة العربية بل والساحل الشرقي الأفريقي . فطلب المقيم السياسي في عدن التصديق على احتلال هذه الجزر لاتخاذها قاعدة حيوية للاحتفاظ بمراقبة الموانئ التركية المجاورة لهذه الجزر (١٥) كما أنه يرى من ناحية أخرى

أنها يمكن أن توقف العبور الذي يحدث خلل من الجزيرة العربية الى الساحل الافريقي (١٦) - وذلك بعد أن ثبت لديه أن حوالات كبيرة من المال والبرقيات والبريد قد وصلت الى مركز قيادة اليمن عبر جدة وأنها نقلت عن طريق مراكب صغيرة في منتصف فبراير ١٩١٥ . وأنه لذلك أصبح من الضروري إيقاف مثل هذه الطريقة من الاتصالات ، واقتراح ارسال قوة من ٢٠٠ في الحال على الباخرة « امبراطورة روسيا » في صحبة الباخرة « ميتو » والباخرة « امبراطورة آسيا » لاحتلال جزر كماران ، التي يمكن استخدامها بعد ذلك كقاعدة لعمليات بحرية مستقبلا (١٧) .

وشاطر القائد العام للبحرية في بورسعيد المقيم السياسي في عدن رأيه حيث قال أنه اذا أمن التفكير في عمليات فيما جاور جزر كماران فان هذه الجزيرة سوف تكون مفيدة للغاية كقاعدة بحرية لمراكب صغيرة ودهاوي مسلحة وأنه يمكن حراستها بغمسين شخصا (١٨) .

غير أن نائب الملك في الادارة الخارجية والسياسية بالهند رأى أنه من غير المرغوب فيه في الوقت الراهن اتخاذ أية عمليات عسكرية ضد جزر كماران للأسباب التالية :

أولا : على الأرجح فان العرب المحليين لن يدعموا لاحتلال الجزر .

ثانيا : ان ذلك ربما يلقي الرعب في قلب الادريسي ويثير كراهية أجباه .

ثالثا : ثمة احتمال لاساءة فهم القرار على أنه موجه مباغرة ضد الأماكن المقدسة وتدخل في حركة الحج .

رابعا : ثمة اعتراضات في ارسال جزء من الاسطول من عدن خصوصا لمثل هذا البعد . وأنه طبقا لهذه الاعتبارات أحيط المقيم السياسي في عدن علما بعدم التصديق على اقتراحه (١٩) .

ولكن لم يهدأ للمقيم السياسي في عدن بال مؤكدا على وجود تحركات في تركيا ضد محمية عدن ، وأن مائتي رجل فقط بوسمهم احتلال الجزر واستبقائهم فيها ثم قال انه على قناعة بأن الاحتلال من غير المحتمل تفسيره على أنه تهديد لحركة الحج (٢٠) فرد سكرتير حكومة الهند في الادارة الخارجية والسياسية بعدم التسليم بهذه المقترحات مرة أخرى للأسباب التالية :

**أولاً :** انه يرى أن التحركات التركية ضد محمية عدن فائرة وتفتقد العزم ، وكذلك بسبب أنه من غير المرغوب فيه أكثر القيام بأي عمليات عسكرية ثانوية يمكن أن تحت العرب على الانضمام للترك بهمة .

**ثانياً :** من المحتمل اساءة تفسير قرارهم ضد كماران في الهندس على أنه تدخل من بريطانيا لحركة الحج بوصفه عملاً موجهاً مباشرة للأماكن المقدسة .

**ثالثاً :** ثمة اعتراضات لارسال جزم من القوات من عدن خصوصاً مثل هذه المسافة ومن رايه أن بورسودان افضل من كماران لكونها اقرب وغير مثيرة للاعتراض اذا اقيمت فيها قاعدة بحرية فانها تصبح ضرورية لمراقبة جدة (٢١) .

مهما يكن من أمر الاعتراضات فلقد حسم الوزير البريطاني لشئون الهند في لندن الأمر برمته في يرقية الى نائب الملك في الادارة الخارجية والسياسية حيث أوضح أنه يميل أكثر لمعظم آراء المقيم السياسي في عدن وان كان تحفظ على مسألة ترك قوة حراسة صغيرة في الجزيرة ، فأعلن موافقة حكومة حضرة صاحب الجلالة البريطانية على احتلال جزر كماران من حيث المبدأ وأنه يترك له فرصة اختيار اللحظة المناسبة (٢٢) .

لقد كانت السلطات البريطانية في البحر الأحمر وعدن يقطعة للغاية ومتحفزة للوثوب على أية جزر استراتيجية في ذلك البحر ، وفي نفس الوقت فانها أخذت ترقب طموحات إيطاليا التي أصبحت تتركز أساساً في اليمن . حقيقة كانت اليمن تفتقد الوحدة شأنها في ذلك شأن الجزيرة العربية آنذاك قبل أن يوحد معظم أجزائها الملك عبد العزيز آل سعود ويلم ماكان مبشراً منها مما كان نهياً لأطماع الدول الاستعمارية .

على العموم أخذت بريطانيا تدارس الظروف السياسية والتوقعات المحتملة في المنطقة لاسيما وأن طرد الترك من الجزيرة العربية بات أمراً وارداً وبالتالي خشيت من احتمال وقوع الجزيرة تحت سيادة غير هربية نتيجة لهذا الفراغ . ثم ان الادريسي يطالب بمد ممتلكاته حتى مغا ، بينما امام صنعاء سيطالب ببقية الجزء الأكبر فأصبح لذلك الصراع السياسي بين الادريسي والامام محتلاً . الا أنه لم يغيب عن بال بريطانيا تأثير العرب الايطالية - التركية التي جعلت إيطاليا أكثر الدول المسيحية غير محبوبة في

العالم الاسلامي . كما أن هذا الشعور غير الودي تزيده الأساليب الإيطالية في إدارة المستعمرات سوءا . كما أن أمام صنعاء لديه سبب خاص لمقتله الحصار الإيطالي لساحله ومساعدته الأديسي بالأسلحة والأموال خلال الحرب . فإذا الأديسي بمقتضى صلته السابقة يرحب بالإيطاليين فمن المؤكد أن الامام سيمارضهم . وهذا سوف يعني أعمالا عدوانية على حدود الوجود البريطاني في المنطقة ينتهي في أحسن الأحوال إلى سلام محفوف بالمخاطر ذلك أن الإيطاليين سيكونون بمنأى عن الانهك لكونهم يباشرون عمليات حاسمة في التلال الأمر الذي قد يجبر بريطانيا لاحتمال وقوع أعمال عدوانية على حدود محميتهما . أما الاحتمال الآخر إذا ما قبل الامام التسلسل الإيطالي فمن المتوقع أن الثمن الذي سيطلبه هو التأييد أو على الأقل الصمت حول مطالبه التي لا تتعارض مع إيطاليا في محمية عدن وفي حضرموت . فخشيت بريطانيا من أنه في حدوث مثل هذا الاحتمال أن يكون من الصعوبة بمكان الوقوف في وجه مكائد الامام والاكتفاء بمرشدة روما . وبالتالي فإن مركز بريطانيا في عدن سوف يكون في وضع مختلف تماما . فإن استراتيجيتها العسكرية كانت تقوم هناك على الاستفادة لحد كبير بمتانة حصن عدن في مواجهة القبائل فإن بوسمها السيطرة عليها بقوة صغيرة للغاية والتحكم في المحمية بوسائل الهبة والون المالي . أما إذا حدث ومال أمام صنعاء ناحية إيطاليا فإنه سيلقى على الحكومة البريطانية تبما لذلك أهباء جديدة لأنه لن يجدي الاحتفاظ بقوات ضئيلة في الحصن وممارسة تسلط واهن على القبائل إنما سيتطلب السيطرة على المحمية بالقوة .

فمن خلال كل هذه الظلال السياسية والتوقعات رأت بريطانيا أن ظهور إيطاليا في اليمن سوف ينجح منه في خربي وجنوبي الجزيرة العربية خليان لن يكون محصورا في هذا البلد بل انها خشيت أن تقاسي بدورها منه أكثر لأن معنى تركها إيطاليا على هذا النحو فإن الاستيلاء سيمم أيضا الشريف حسين والعرب . لأنها بذلك نقضت عهدا بانضمام دولة عربية مستقلة ، ومن المحتمل أن ينسحب هذا الاستيلاء على العالم الاسلامي بما في ذلك الهند لأنهم سيمتبرون بريطانيا تغدح العرب بعد أن خدعت الترك بتعيينها العدود بينها وبينهم في اتفاقية ١٩١٤ . فكان لا بد عليها أن تقوي مركز الشريف في الحجاز بدرجة كافية مع وضع الدول المسيحية على مسافة كافية لأن أخشى ما تغشاه إذا احتلت إيطاليا اليمن ربما يجعلها سيده على الحجاز . الأمر الذي يؤثر على سمعتها كدولة صديقة للاسلام ، وكذلك على مركزها في عدن (٢٣) .



على أية حال في محاولة من بريطانيا لفرملة الأطماع الإيطالية تم تبادل مذكرات بين الجانبين في ١٨ أغسطس ١٩١٧ المعروفة باتفاق S.T. Jean de Maurienne تمهدت إيطاليا فيه لبريطانيا بشروط ماثلة للمادة العاشرة من اتفاق سايكس بيكو الذي أشرنا إليه من قبل مع فرنسا . إلا أنه نظرا لأن الاتفاق ارتبط بمصادقة روسيا ، وهي لم توافق عليه ، فإنه أصبح باطلا تلقائيا ، وبالفعل ربما ينظر إليه على أنه وئد في حينه . ولذلك في ٢ ديسمبر ١٩١٨ قام السفير الإيطالي بتسليم مذكرة حول تطلعات إيطاليا لتسوية ممتلكاتها الاستعمارية في إفريقيا لتقديمها الى مؤتمر السلام المقرر عقده في باريس بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى . جاء في هذه المذكرة أن إيطاليا اعتبرت نفسها واحدة من القوى المسلمة التي تشكل حدا على البحر الأحمر وأنه لا يمكن أن تظل فيه مبالية لمسألة توازن القوى في البحر الأحمر وللظروف السياسية في الجزيرة العربية التي تواجه اريتريا . لذلك فإنها تطلب :

أولا : ألا تحتل أية قوة الجزيرة العربية مؤكدة على وجوب جمل التجارة والتخلف التجاري حرا طليقا .

ثانيا : بقاء الأماكن المقدسة للسلام في أيدي المسلمين .

ثالثا : يجب أن تحتل إيطاليا جزر فراسان حتى ساحل عسبر .

لقد تحققت بذلك مخاوف بريطانيا وكان لابد أن تواجه بعزم هذه المطالب خصوصا بعد أن تقدمت إيطاليا بمذكرتها هذه لدى انعقاد مؤتمر السلام . ففي ٢١ يناير ١٩١٩ رد الوفد البريطاني على هذه المذكرة بأنه ليس هناك مسألة مكاسب لإيطاليا في جزر فراسان نظرا للاعتبارات الآتية :

١ - أن مثل هذه الخطوة ستكون مضادة لكل من مصالح بريطانيا السياسية والاستراتيجية .

٢ - وجود الزيت في الجزيرة .

٣ - أن الجزر كانت تحت الوصاية وأنه اعترف باستقلال الادريسي .

الا ان ايطاليا لم تتوقف عن رفع مذكرتها مرة اخرى عند اجتماع اللجنة الاستعمارية المتعقدة في وزارة المستعمرات الفرنسية في ١٥ مايو ١٩١٩ وذلك للنظر في تنفيذ المادة ١٣ من معاهدة لندن ٢٦ ابريل ١٩١٥ التي تناولت تمويزات ايطاليا في افريقيا • فابدى مستر دي مارتينو

ملاحظة بأن المطلب الايطالي يشمل أيضا جزر فراسان في البحر الأحمر مشيرا الى أنه منذ سنوات عديدة سابقة أملت ألمانيا في الحصول على منزلة ضمن المجموعة ( الأوروبية ) ولكن الفكرة استبعدت تبعا للاعتراضات التي تقدمت بها حكومتا بريطانيا وايطاليا في وقت واحد • وبعد هزيمة ألمانيا شعرت ايطاليا بأنها مؤهلة بحق المطالبة من جديد من هذه المجموعة • غير أن اللورد ملتر أعلن أن اللجنة غير مؤهلة لمناقشة الموضوع وأنه يجب عدم إثارة هذه المسألة من جديد خصوصا بعد ما أعلنه في محضر مؤتمر السلام عن أطماع ايطاليا • • لقد لاحظنا عليهم بأن لديهم طموحا غير محدد بأن يكون لهم ضلع في الجزيرة العربية المبعثرة • انني أود أن أخبرهم الآن بروح ودية ولكن بطريقة واضحة بأننا لا يمكن أن نسمح لهم بالتدخل في هذا الجزء وأنه بينما نحن ليس لدينا مطامع اقليمية في الجزيرة العربية فأننا عزمنا على الاحتفاظ بعلاقات خارجية لهذا الاقليم تحت إدارتنا الكلية • وانني اعتقد بأننا مؤهلين للقول لهم بأنه في أثناء المناقشة الراهنة حول التمويزات المادلة فإنكم أثرتم مسألة الجزيرة العربية واننا اعترضنا في الحال وأنكم استسلمتم الموضوع • ولكننا ننتظر منكم التأكيد بأنكم تخلعتم نهائيا عنه وأنكم تعترفون بالأسباب التي تضطرننا لابعاد الجزيرة العربية عن أي نفوذ سياسي أوروبي باستثنائنا نحن • اعتقادي بأن إشارة الايطاليين للجزيرة العربية إنما هو مجرد اختبار فقط وأنهم بالتأكيد لن يأخذوا المسألة الى أبعد من ذلك • وأنهم إذا فهموا بوضوح أننا لن نتسامح في التدخل في الجزيرة العربية وأنهم لو حاولوا ذلك فإنهم سوف يخسرون شعورنا الودي نحو سميهم الاقليمي وأعدائهم في الجزء الشرقي من شمال افريقيا وعلى الأخص الحبشة ( ٢٤ ) •

لقد كان ذلك تحذيرا واضحا من بريطانيا الى ايطاليا بعدم التدخل في الجزيرة العربية ولا البحر الأحمر بطبيعة الحال مع إعطاء الضوم الأخير لها في الحبشة •

وبالتعل آثرت ايطاليا المافية وظلت فترة لا تثير مسألة اطماعها في البحر الأحمر اللهم الا في عام ١٩٢٦ حين أبرمت مع حكومة الامام يحيى

معاودة في هذه السنة فكانت مقدمة لمحاولة الوثوب مرة أخرى على البحر الأحمر بتستريحهم من وراء الامام الذي أعد صحيفة بمطلب عام لا يستند على أي أساس قوي بمطالبته بكل الاقليم الجنوبي للجزيرة بما في ذلك محمية عدن • وبدأ أنه على وشك الهجوم على جزر فراسان • هذا في الوقت الذي بذل فيه للايطاليين وعدا بحقوق امتيازية على الجزر الأمر الذي يساوي عمليا احتلالا ايطاليا لها • وتلك أحداث أخرى اختلفت ظروفها والمسرح السياسي لها بهيمنة الملك عبد العزيز على الجزر مما نرجو أن نتناوله في دراسة أخرى بمشيئة الله •



١ - جاد طه : سياسة بريطانيا في جنوب اليمن ص ٢١٩

2. Clayton Gilbert : An Arabian Diary pp. 3-4.

3. Ibid : pp. 7 - 9

4. Ibid : pp. 13 - 14

5. Ibid : p. 14

6. F. O. 371/2478 : From His Majesty's secretary of state for India, London to His Excellency 9 feb 1915.

7. F. O. 371/2478 : From the political Resident, Aden to the Secretary to the Government of India Delhi, 24 Feb 1915.

8. F. O. 371/2478 : From the British High Commiissioner, Cairo to the Secretary to the Gorenment of India 28 Feb 1915.

9. F. O. 371/2478 : From His Majerty's Secretary of state for India, London to His Excellency the Viceroy, Delhi 9 Feb 1915.

10. F. O. 371/2478 Ibid. 9 feb 1915.

١١ - جاد طه : سياسة بريطانيا في جنوب اليمن ص ٢٢٥ - ٢٢٦

12. F. O. 371/11448 : E 4679/2860/91 Memorandum from Mr. Field. 11 July 1926.

13. F. O. 371/2478 : From His Excellency, The Viceroy to His Majesty's Secretary of state for India 16 Feb 1915.

14. F. O. 371/114478 : E 4679/2860/19 Memorandum from Mr. Field. 17 July 1926.

15. F.O. 371/2478 : Tel P.A. 36 from the political resident Aden. to His Majesty's secretary of state for India 7 Mars 1915.

16. F.O. 371/2478 : Tel. No. 33 from the political Resident Aden to the secretary to the Government of India.

17. F. O. 371/2478 : from the political Resident Aden to the secretary to the Government of India. 17 Feb 1915.

18. F.O. 371/2478 : from His Excellency the Naval Commander - in - chief, port said to the secretary to the Government of India .. 21 Feb 1915.

19. F.O. 371/2478 : from His Excellence the Viceroy (Foreign and political Department to His Majesty's secretary of state for India 3 Mars 1915.

20. F. O. 371/2478 From His Majesty's secretary of state for India, London to His Excellency the Viceroy.

12. F.O. 371/2478 : Tel. D.S. 206 from the secretary to the Government of India to the political Resident, Aden 11 Mar 1915.

22. F. O. 371/2478 : from His Majesty's secretary of state for India, London to His Excellency the Viceroy 10 Mar 1915.

23. India Office- : Memorndum about British Interests in Arabia B 247. 20 January 1917.

24. F.O. 371/11448 Memorandum from Mr. Field 17 July 1926.

## تدارك

أعتذر الى القارئ عن تفاوت بعض الأرقام في الصفحات  
لأسباب فنية من جهاز التحرير \*

رئيس التحرير

في هذا المكان ان نشي الى بعض السحاب التي تضيء بها  
النفس الاجم ذات الفتحة بالبحر الذي تتأمله

من هذه السحاب ان البحر الاحمر بحر طين في سموت يصلح

عربي في التوسيط ان يربط يصل في اقصاء الى الاميل ويضيق

شكنا واضح في مداعله جندا في خليعت طويلين مضمين ومها خليج

البحر خليج القضاة في اياتي ولكن يتحارب جليلا في ان

بالبحر المخلط البحر في السحاب في السحاب الاخضر هذا البحر

عن البحر القسوة القسوة في هذه المناطق

والبحر في البحر في هذه السحاب في السحاب - هذا البحر

وهو لا - بحر جوايه وعلى مدى التاريخ (1)

## أمن البحر الاحمر

ومن هذه المصالح انهم من مستطويح ، ولكن بشكل يكاد يكون  
رأساً من الشمال والجنوب ، من مناطق الشمال المعتدل الى الجنوب  
المداري والاقواس

وهو حلقة طويلة وهامة في سلسلة الطريق البحري الهام بين  
المناطق المعتدل والباردة والسيارة وشمال الغربي من ناحية وبين

المناطق المدارية والاشواط في جنوب وشرق الشرق من الناحية

الاجري (7) الامر الذي جعل من مصلحة الجانبين ان يقوم بحلها  
تبادل مفيد للمتعاملين ، يزيد حجم التجارة العابرة على هذا الطريق ،

وتساهم في الطريق القلبي والوسيط - ان المناطق المتلاصقة للتجارة

في جزير البحر الاحمر

بعض الملاحظات

الجيولوجية

لديكم وازاهم حصة

للمرأة والفتاة والفتاة

وإذا أخذنا في الاعتبار أن انشاء قناة السويس قد جعل من هذا الطريق طريقا مستمرا لا تتخلله أية حلقة أرضية تفرض التفرغ وإعادة الشحن ، هذا فضلا عن أن النقل البحري هو - وبشكل واضح - أرخص أنواع النقل .. فإن هذا الطريق البحري ، المستمر الأقصر من الطرق المنافسة هو .. الطريق المتفوق - وبشكل بارز - في نقل التجارة الضخمة المثار إليها فيما سبق .. ومن ثم يكون البحر الأحمر - وهو حلقة طويلة على هذا الطريق - ذا أهمية كبيرة لهذه التجارة العابرة الضخمة .

وزاد من هذه الأهمية أن الطريق يربط ما بين البلاد المتقدمة عموما من ناحية والبلاد المتخلفة عموما والتي استمرتها بلاد المجموعة الأولى - من ناحية أخرى .. الأمر الذي جعله طريقا هاما لخدمة التجارة بين هاتين المجموعتين من البلاد ، وهي تجارة تقوم على اختلاف مراحل التطور ، وعلى أساس من الاستغلال الاستعماري غير المتكافئ .. وهي على أي الأحوال ذات أهمية خاصة بالنسبة للبلاد المتبادلة لها على جانبي البحر الأحمر .

وفي هذا المجال فقد ازدادت أهمية طريق السويس الاقتصادية والاستراتيجية وبشكل بارز .. ومن ثم ازدادت أهمية البحر الأحمر كمعبر للتجارة ، مع تزايد أهمية البترول ، وبروز أهمية الخليج العربي كمنتج ضخمة ومصدر أول في المسالم له ومع أهميته الحيوية لأوروبا الغربية وأمريكا .. على الجانب الآخر من الطريق .

ومن هذه السمات أيضا أن البلاد العربية تكاد تغطي كل شواطئ البحر الأحمر ، إلا أن الوجود الإسرائيلي الصغير على خليج العقبة وأهمية البحر الأحمر كمعبر لتجارة إسرائيل مع المناطق إلى جنوبه وشرقه ، يجعل البحر الأحمر مجالا من مجالات الصراع بين إسرائيل والبلاد العربية . وإذا كانت محاولات الوصول إلى تسوية الدائرة منذ مدة إلى الآن قد تخفف إذا انتهت إلى تسوية - من الصراع بين إسرائيل وبعض البلاد العربية فإن من المحتمل أن الصراع بين إسرائيل وبعض البلاد العربية الأخرى سوف يستمر وسوف يستمر لأمد غير قصير .. وسوف يعكس ذلك نفسه بالضرورة في البحر الأحمر .

ويمكننا أن نضيف إلى هذه الصورة بعض الظواهر الهامة في عالمنا الراهن .. وهي ظواهر لها انعكاساتها على موضوع هذه الندوة ، أي على البحر الأحمر .. وعلى الصراع فيه .. وعلى مشاكل أمنه .



ومن هذه الظواهر ، ظاهرة تزايد أهمية الوطن العربي والشرق الأوسط ككل .. بمنافذه المتعددة .. المتنوعة .. وفي اتجاهات شتى ، يبتزله .. الأضخم انتاجا .. واحتياطيا .. وتصديرا .. وأرصدة .. وقوة مالية لها آثارها في العالم .. متقدمة ومتخلفة ، بقدرته الفرائية الضخمة ، بتلاصقه مع جنوبي الاتحاد السوفيتي .. أحد المصلاقيين ، بوجوده .. كحلقة وصل متوسطة في قلب الثلاث القاري بكل ما له من أهميات خطيرة ، وعلى المداخل من الشمال والشرق للقارة الافريقية ..

وهذا ينقلنا إلى الظاهرة الثانية التي تهمننا وهي تزايد أهمية القارة الافريقية في المرحلة الراهنة .. بثرواتها الضخمة .. والمتنوعة .. والمتزايدة بما يكتشف من جديد فيها ، اليوم تلو اليوم ، بسوقها الكبير والمتزايد سواء لمخارج الاستهلاك ، أو الانتاج والنمو .. أو كمجال للاستثمار .. كبير ومتزايد بأهميتها الاستراتيجية .. كمصدر لكثير من المواد ذات الأهمية الاستراتيجية ..

وكمعق لأوربا الغربية والشرق الأوسط .. يقرب انبعاث فيه ( عند دكاك ) من نصف الكرة الغربي ، كما لا تقرب أية نقطة أخرى في العالم القديم .. ويعتمد طرف فيه ( في نهايتها الجنوبية ) عن الكتلة الشرقية كما لا يعتمد أية نقطة أخرى في الثلاث القاري .. وكشاشيم تمر حواله الطرق البحرية الهامة .. طريق السويس وطريق رأس الرجاء الصالح .. الخ ..

ويقود ماسبق إلى الحديث عن ظاهرة ثالثة في عالمنا الراهن .. وهي ظاهرة تزايد الصراع الدولي في ، وبين وعلى هذه المناطق ، وفي وبين وعلى بلاد العالم الثالث عموما ويظهر ذلك بشكل أبرز في نصف الكرة الشرقي ..

ذلك أن ما تحقق من توازن الرعب النووي أو توازن الردع النووي أدى - فيما أدى إليه - إلى درجة أكبر من التركيز - في الصراع بين الكتلتين الغربية والشرقية وبالأساس بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين الاتحاد السوفيتي - على بلاد العالم الثالث ، التي تعاني الآن من درجة متزايدة من الاستقطاب ..

وتتفاعل هذه الدرجة المتزايدة من الاستقطاب مع درجة متزايدة من

الصراع الاجتماعي في بلاد العالم الثالث ، بين القوى التي تشهد التغيير  
لمصلحة الطبقات الأفقر التي تشكل الغالبية الساحقة في هذه البلاد ، بين  
القوى التي تحاول مقاومة التغيير أو تعطيله .

وتتداخل مستويات الصراع أو دوائره المحلية والاقليمية والعالمية ،  
وتتساند فيه الجوانب ذات المصالح المشتركة أو المتقاربة ، في مواجهة  
الجوانب المضادة التي تتساند هي الاخرى ويدعم بعضها بعضا .

وتتزايد حدة هذا الصراع .. وتبرز ضروته .. وتستعمل فيه  
كل الوسائل المتاحة . وتزداد هذه الحدة بشكل واضح في المناطق ذات  
الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية والسياسية .. ومن هذه المناطق ..  
الوطن العربي والشرق الأوسط على وجه العموم .. وكذلك  
القارة الافريقية ، وان كنا نخص بالذكر منها - وخاصة هنا - أي فيما  
يتصل بموضوع الندوة - منطقة القرن الافريقي :

من كل ما سبق يمكننا أن نقرر ، أن للمنافذ المختلفة ، وخاصة  
البحرية منها - في عالم اليوم الذي يهوج بالصراع دورا كبيرا .. وأهمية  
متزايدة . وأن للبحر الأحمر أهميته الخاصة بين هذه المنافذ .. وخاصة  
مع أهمية المناطق المحيطة به ..

وقد كثر الحديث في الماضي القريب ، وخاصة في الفترة الأخيرة من  
البحر الأحمر ، وعن أمنه ، واهتمت بذلك الحكومات ، وتحركت الهيئات  
المختلفة للبحث والنقاش في الموضوع ويكفي أن نشير الى اللقاءات الحكومية  
المتعددة ثنائية ومتعددة الأطراف ، في العامين الماضيين بخاصة ، والى  
البيانات الصادرة من هذه اللقاءات والتصريحات الى هذه الندوة التي فكر  
فيها من مدة ، وانتهت الى الشكل الذي تتخذه اليوم ، والى المشروع البحثي  
المشترك الذي يقوم به مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية التابع  
لمؤسسة الأهرام ، بالتعاون مع مجموعات بحث من إيطاليا وألمانيا  
والغربية (٣) .

وفي منطقتنا .. يتحدث البعض من تحويل البحر الأحمر الى «بحيرة»  
عربية ، وعن السيطرة على «مداخله» أو «مخارجه» ، واغلاق العرب له على  
من يريدون ، أو دون من يريدون ، وعن أبعاد البحر الأحمر عن « نفوذ  
القوى الكبرى » ، وعن الصراع الدولي .. الخ

وفي مناقشة هذه الأهداف .. تبدأ بإبراز بعض النقاط المتصلة بالصراع الدولي الواسع الذي يعتبر مايجري في البحر الأحمر جزءا منه . لا ينقسم عنه .. بل أن بينهما علاقة عضوية .

وبإدعاء ذي بدم ، فإن مجرد السيطرة على الشواطئ ، أو على نقاط ذات أهمية استراتيجية عليها ، أو على جزر ذات موقع هام في مرحلة معينة .. كل ذلك ، رغم أهميته ، فإنه لا يضمن وحده - السيطرة البحرية في منطقة ما ..

ذلك أن العنصر الأهم في السيطرة البحرية ، هو القوة البحرية ذاتها .. هذه القوة - إذا حققت تفوقا على غيرها - هي التي كانت تحقق السيادة في البحر .. وتمنح غيرها أو تمنعه .. وهي التي كانت تثبت مراكزها في النقاط ذات الأهمية الاستراتيجية .. وتمنع غيرها من ذلك .. وكانت حتى تخرجه أحيانا منها أن حارس هذه « البوابات » والنقط الاستراتيجية على الممر هو الأساس . أن « البوابات » والنقط الاستراتيجية لا تحقق في ذاتها .. سيطرة أو سيادة أنها تساعد وتدمم .. ولكن المبرة أساسا بالقوة التي تحقق السيادة والسيطرة .

ويكفي في إبراز ذلك ، أن نشير إلى تفوق البرتغاليين ، بعد مصر الكشوف البحرية . لقد فشل البنادقة والمصريون في مواجهتهم ، ووقف مدعم ، وتفوقهم في التجارة بين الشرق والغرب .. وأكثر من ذلك فإن الأسطول البرتغالي دخل إلى البحر الأحمر وحتى خليج السويس ..

وأن نشير إلى تفوق الانجليز ، وسيطرتهم ، فيما بعد ، على ناصيته البحار ، ولعدة ثلاثة قرون تقريبا ، وفرضهم للسلام البريطاني ، كسادة للبحر في هذه الفترة . ويكفي أن نشير هنا إلى فشل نابليون في مصر والشرق .. وفشله بالنهاية في المواجهة الشاملة ، إلى أهمية استمرار السيادة البريطانية على البحار فيما تلا ذلك من صراعات . لقد أثبتت معيار الدولتين التاليتين فعاليتها لقد كان التفوق في القوة البحرية هو الذي يحقق التفوق في البحر ، بل ويدهمه بسيطرة هذه القوة البحرية المتفوقة ، على النقاط ذات الأهمية الاستراتيجية ، وحرمان الغير منها .

ويمكن أن نشير أيضا إلى إيطاليا ، وإلى أحلامها الكبيرة بتحويل البحر المتوسط إلى « بحيرة إيطالية » ورفعها لشعار " Mare Nostrum "

لقد كانت النتيجة ، ليس فقط أن هذا الشعار لم يتحقق ، وإنما أيضا أن خطوط اتصال الدولة الأم والامبراطورية قد تقطعت لقد كان التفوق في القوة البحرية عاملا هاما .. بل وحاسما وانتهى العِلم .. وانتهت الامبراطورية .

وبعد الحرب العالمية الثانية .. كان التفوق البحري الأمريكي صارخا .. وفي كل مكان .. وفرض ماسماه البمب آنذاك « السلام الأمريكي » ولكن هذه الفترة لم تطل كثيرا ، إذ كان الملاق الآخر في العالم يزداد بروزه . وبدأ هذا الملاق الثاني يمد زراة البحري ، الى كل مكان في العالم ، بالتدريج وبسرعة .. ونحن نميش اليوم — مرحلة الملاقين البحرين — كما هما ملاقان في كل مجال آخر .. الفارق بينهما وبين غيرهما كبير .. حتى أنه ليشار الى الآخرين .. أي كانوا .. على أنهم الدول الأقل ( The Lesser Powers )

إن الدولتين الملاقين .. هي دول عالمية بحق Global Powers وهي دول ذات مصالح عالمية ، تسندما قدرة على استعمال مالدبيها من أدوات متوفرة للقوة في أي مكان في العالم ، وفي أكثر من مكان ، في وقت واحد . وهنا يمكن أن نرى أهمية وجود الدولة الملاق البحري ، الذي تسنده قواتها البحرية .. وقواتها على وجه المصوم .

ونحن نميش في ظل التوازن النووي .. مرحلة الانفراج ( Detente ) وهي مرحلة الصراع المحكوم . ذلك أن الدولتين بينهما تناقض لا مجال للتوفيق فيه ، ومن ثم فلا مندوحة من استمرار الصراع بينهما .. ولكن يتحفظ أساسي ، هو ألا يؤدي الصراع الى حرب ، تتحول الى حرب نووية بينهما .. ومن هنا ، فانهما تديران الصراع بكل الوسائل المتاحة .. في اطار يقف بحركته عند احتمال أن تؤدي هذه الحركة الى صراع نووي . وفي موضوعنا هنا ، نجد أن الدولتين الملاقين اللتين تتمايشان في عالم اليوم مع صراع وتنافس .. تعملان في بحار مفتوحة بالكامل لهما .. ان أحدا غيرهما لا يستطيع إغلاقها وأن أيهما لا يتصور أن يفكر في حرمان الآخر من استعمالها .. الأمر الذي يعني حرمانه من تحقيق مصالح حيوية ، ومن ثم يؤدي الى مواجهة نووية لا يحتملها الطرفان .

ان لأمريكا مصالحها الحيوية في البحر الأحمر كمعبر للتجارة العالمية  
عموما ، ومعبر للبترول ، وحلقة هامة في انسياب قواتها البحرية على  
المستوى العالمي ، وتواجدها ، حيث تستدعي الأحداث ، داخل هذا البحر ،  
أو في مكان آخر ٠٠ عن طريقه لتسند الأصدقاء وتردع الأعداء لتستعرض  
المضلات ، وتظهر الوجود ، وعلى أي الأحوال لتوازن الوجود السوفيتي  
بوجود أمريكي ٠٠

وأن للاتحاد السوفيتي هو الآخر مصالحه الحيوية في البحر الأحمر  
كمعبر للتجارة العالمية وجزء هام من طريق حيوي يربط بين أجزاء الاتحاد  
السوفيتي ، وحلقة هامة في انسياب قواته البحرية على المستوى العالمي ،  
وتواجدها حيث تستدعي الأحداث ، داخل هذا البحر أو في أي مكان آخر ٠٠  
عن طريقه ، لتسند الأصدقاء وتردع الأعداء ، لتستعرض المضلات ، وتظهر  
الوجود ، وعلى أي الأحوال لتوازن الوجود الأمريكي - والوجود الغربي  
عموما - بوجود سوفيتي ٠

ان جزءا من عالمية مصالح الدولتين العملاقتين وقوتهما ، هو تواجدهما  
في كل مكان على ظهر البسيطة ٠٠ ومن ثم ، لا يمكن أن ينخلق منهما أي  
بحر هام ، مهما كان صغيرا ، أو ضيقا ، ولا يتصور أحد أن تسمعا بذلك ٠  
ومهما امتنعت القواعد والتسهيلات فسوف تملآن على التواجد ، مهما  
كلفهما الأمر ٠٠ وقد يكون ذلك صعبا ٠٠ ولكنه ليس مستحيلا بأي حال  
من الأحوال ٠٠

أن التموين في البحر حقيقة قائمة ٠٠ وأبعاد كبيرة ٠٠ ويموض عدم  
توفر التسهيلات الأرضية الكافية أن التقدم في بناء السفن ، والتطور في  
استعمال الوقود لا يحتاج الى وجود قواعد متعددة ٠٠ متقاربة ٠٠ كما كان  
الأمر يقتضي في الماضي ٠٠ حتى الماضي القريب ٠ ثم أن التقدم في  
الطيران الاستراتيجي ، والامكانيات الضخمة في نقل القوات المحمولة جوا ٠٠  
تشكل عند اللزوم ، سندا هاما للقوات البحرية ، في قيامها بمهامها في  
أماكن كثيرة في العالم ٠

وينبغي علينا أن نذكر بنقطة هامة ٠٠ وهي أنه في هذا العالم ،  
الذي يزداد فيه التركيز في الصراع على بلاد العالم الثالث ، وتتداخل فيه  
دوائر الصراع ، فإن من غير الصحيح ، أن يتصور البعض ، أنه بحرمانه

جانبا عملاقا من استعمال تسهيلات كان يستعملها سابقا ، يمكنه أن يحرم هذا الجانب ، من الوجود في منطقة ما ، والتأثير فيها بقاعلية .. ذلك أن الدولة العملاق الى جانب أنها لن تسمح بذلك ، مهما كلفها الأمر (٥) . فانها عادة ما تكسب تسهيلات في أماكن أخرى ، حين تفقد التسهيلات في بعض الأماكن . ويكفي أن نشير على سبيل المثال الى أن السوفييت ، في الوقت الذي خسروا فيه بعض التسهيلات في البحر الأحمر وما وراءه ، في مصر والسودان والصومال فإن التسهيلات التي يتمتعون بها قد زادت في اليمن الجنوبية وأثيوبيا وفي أماكن عدة في المحيط الهندي .

ولو تصورنا من الناحية الافتراضية البعثة ، أن القوى المحلية وقفت جميعها معا - وهذا في الظروف السائدة في المرحلة التي نعيشها ، افتراض غير واقعي - وأن هذه القوى أرادت أن تحول بحرا ما الى « بحيرة » فيما بينهما ، وأن تبعد عنه الدول العملاقة ، والصراعات الدولية فيما بينها .. فإن ذلك أمنيّات لا يمكن أن تتحقق .. أن التواجد في البحر الأحمر ، كحلقة في سلسلة طرق الملاحة العالمية ترتبط بها وراعاها من المنافذ البحرية .. بل أن التواجد في البحر الأحمر ذاته ، كواحد من بحار العالم ، وباهميته الاستراتيجية الكبيرة .. كل ذلك مسائل أساسية .. ولا يمكن إبعاد القوى العالمية عن هذا البحر .. مهما كانت المحاولات .. فضلا عن الأحلام والأمانى .

بل ان الصراع والتنافس بين الدولتين العملاقين .. لا يفرض فقط أن يتواجد العملاقان في البحر الأحمر .. وإنما يعطى للآخرين .. درجة أكبر من حرية الحركة فيه .. ولا يمنع أحدا من استعمال هذا البحر ذي الصلة الدولية .. وذي الأهمية الاستراتيجية .

ان الدول الأقل ( The Lesser powers ) الكبيرة .. فغسلا من الأعراف الدولية .. وحرية ذراع البحار .. تتمتع بدرجة أكبر من حرية الحركة من ذي قبل .. وهي عادة ما تنتمي الى كتلة .. في الصراع .. في مواجهة الأخرى ، ومن مصلحة أصدقائها .. أن تتواجد فتضيف نشاطا .. وتضيف قوة .. وتضيف مساندة .. ومن المهم أن نضيف هنا .. أنه في عالم التدخل غير المباشر ، الذي نعيشه في هذه المرحلة .. في عالم التدخل ( Intervention By Proxy ) فإننا كثيرا ما نجد لهذه الدول نصيبا هاما عند توزيع الأدوار ( Role Distribution ) وفي لعب هذه الأدوار .

أن وجود هذه القوى في البحار .. ضروري لها .. وضروري لغيرها .

ان الدول الصغيرة هي الاخرى .. فضلا عن الاعراف الدولية ..  
وحرية ذراع البحار .. تتمتع بدرجة أكبر من حرية الحركة من ذي قبل ..  
وبعضها - على الأقل - يلعب دورا بالوكالة في المنطقة التي يقوم فيها ..  
وهو بذلك .. اذا كان لا يربح طرفا ما في صراع المصالحة والكتل فانه  
يقدم شيئا .. وقد يكون شيئا كثيرا .. على المستوى الاقليمي .. للطرف  
الملاق الآخر بمساندته اتجاهها سياسيا أو جماعة معينة ، أو بمعاربته  
اتجاهها سياسيا أو جماعة معينة وحرية حركة هذه القوى في البحار ..  
ليست فقط مسألة حيوية لمصالحها هي .. وانما هي كذلك مسألة ضرورية  
لحركة الكبار .. وتفاعلمهم في الاطار الدولي الراهن .

وفي عصر تداخل مستويات أو دوائر الصراع .. الذي نعيشه في  
حالتنا - مع طقس التمايش المتنافس السائد .. فان الدول الأصغر ..  
في الاقليم .. فضلا عن الاعراف الدولية .. وحرية ذراع البحار ..  
تتمتع - في ظل أصدقاتها الأكبر - بدرجة أكبر من حرية الحركة .. لم  
تكن تعلم بها من قبل .

ان الضنط والمنع .. والعزمان - في ظروف الاستقطاب الدولي  
بما يتسم به من صراع محكوم .. تمايش .. وتنافس في وقت مما - مسألة  
غير واقعية ولا يمكن أن يتصور .. الا اذا اتفق عليه المعلقان ..  
أو سكت منه المعلقان مما ، وفي وقت واحد .. وهذا شيء ، لا يسهل  
تصوره ، في ظل الصراع الدولي القائم اليوم .

وهذا ينقلنا الى مايرحمه البعض .. وما يمتناه البعض الآخر ..  
من أن ينجح العرب اذا اجتمعت كلمتهم - في أن يخلقوا البحر الأحمر على  
اسرائيل . ويهتنا هنا - أن نتناول الأمر بشيء من الموضوعية ..

( ١ ) فحتى لو تصورنا أن تتحد كلمة كل الدول المطلة على البحر  
الأحمر - فيما عدا اسرائيل - على منع هذه الدولة من استعمال البحر  
الأحمر .. فان هذا لا يضمن تحقيق الهدف لأن هناك - بالمصلحة والضرورة  
والواقع - دولا خارجية ، يمس هذا التصرف مصالحها ومكانتها ..  
ولا تستطيع أن تسكت عليه .. وهي قادرة على شل حركة من يحاولون هذا  
المنع - وليس من مصلحة الجانب الآخر .. في الصراع الدولي المحكوم

الذي نعيشه .. أن يساعد على هذا المنع . بما يحمله من معان .. وما قد يؤدي إليه تصرفه من مضاعفات .

(ب) هذا فضلا عن افتراض أن تتحد كلمة كل الدول المطلة على البحر الأحمر .. في ظروف الاستقطاب التي يمر بها بلاد العالم الثالث .. افتراض غير واقعي .

(ج) بل إن افتراض أن تتحد كلمة كل الدول العربية المطلة على البحر الأحمر .. في ظروف الاستقطاب والصراع الاجتماعي التي تمر بها بلاد العالم الثالث .. افتراض غير واقعي .

(د) ولقد أثبتت تجربة الحرب الأخيرة مع إسرائيل ، بعد أيام من بدئها ، أن محاولة اغلاق البحر الأحمر على إسرائيل ، لا يمكن أن تستمر .. لأن الكتلة الغربية .. والولايات المتحدة بالأساس .. لا يمكن أن تسمح بهذا .

(هـ) هذا فضلا عن أن لإسرائيل مخرجا آخر على البحار ، من طريق البحر المتوسط .. ورغم أن هذا المنفذ - وكان هو منفذ إسرائيل الأساسي إلى أفريقيا الشرقية وإلى جنوبي وشرقي آسيا .. رغم أنه منفذ أطول كثيرا مما لو استعمل البحر الأحمر كمنفذ إلى هذه المناطق . فإن إسرائيل ، قبل عام ١٩٥٦ ، لم تركع على ركبتها في صراعها ، ولم تشل حركتها مع المناطق المذكورة .. ولقد أظهرت الأحداث فيما بعد ، أن اغلاق البحر الأحمر على إسرائيل مسألة لا يمكنها .. ولا يمكن لأصدقائها الكبار أن يسلّموا بها ويستكثروا عليها .

(و) وبعد كل هذا .. فالكلام في هذا الموضوع هذه الأيام .. بعد ، ومع محاولات الوصول إلى تسوية نهائية مع إسرائيل .. وهي تسوية تضمن بنصوص واضحة - حرية حركة إسرائيل .. وحرية الحركة منها وإليها .. يصبح غير ذي موضوع .

ويمكن أن تنتهي من كل ما سبق ، إلى أن السيطرة المطلقة على البحر الأحمر - في الظروف الدولية السائدة - بواسطة قوة من خارجة ، أو قوة أو عدة قوى داخل هذا البحر .. أمر غير وارد .. وترتبط بهذه الحقيقة الحقيقة التالية ..



وهي أن إبعاد أية قوة عن البحر الأحمر ، أو منع أية قوة ، داخلية أو خارجية ، من أن تذرع هذا البحر وتستعمله ، وتصر منه إلى ما ورامه ٠٠ هذا الإبعاد ٠٠ أمر غير وارد ٠ ومن ثم فإن إبعاد البحر الأحمر عن وجود القوى الكبرى ٠٠ أمر غير وارد ٠٠ ذلك يبرز اليوم ، كما لم يبرز في أي وقت مضى ٠٠ في ظروف الاستقطاب السائد في الظروف الراهنة ٠٠ ومع ظروف التداخل الشديد بين مستويات أو دوائر الصراع ٠٠ محلية كانت أو إقليمية ٠٠ أو عالمية ٠٠

إن تشابك المصالح وتداخلها بين الجوانب المتقاربة ، على المستويات الثلاثة ٠٠ من ناحية وتعارضها مع المصالح المتشاككة والمترابطة بين الجوانب المتقاربة ، على المستويات الثلاثة ٠٠ في الطرف الآخر للصراع ٠٠ من ناحية أخرى ٠

هذا مع إمكانية العمل المشترك ٠٠ وفاعليته الأكبر ٠٠ يجمّل من مصلحة الأطراف المتصارعة ، تواجد الأصدقاء ٠٠ على المستوى الإقليمي ٠٠ وعلى المستوى الدولي الأشمل ٠٠ هذا التواجد مسألة بالقطع مفيدة ٠ ومن ثم فهي مسألة تهم هذه الأطراف لدعم المساندة في المواجهة ٠

بل أن وجود القوى الصديقة لدولة ما أو عدد من الدول في بحر ما ، سواء أكانت هذه الدول الصديقة من داخله أو من خارجه ، فضلاً عن أن أحدا لا يستطيع أن يتمتع ببسالة ، فانه مفيد لهذه الدولة أو هذه الدول ، من حيث أنه يوازن وجود الآخرين ٠٠ من غير الأصدقاء ، ومن حيث أن هذا الوجود ، في ذاته ، يشكل رادعاً لمن قد تحدّثه نفسه من غير الأصدقاء بالتحرك المضاد ٠

وفي ضوء كل ما سبق فإن التحدّث عن تحويل البحر الأحمر إلى بحر « محايد » أو « بحر سلام » كما يدعو البعض ٠٠ لن يتجاوز مجرد الكلام ، ولا يمكن أن يتحقّق في ظروف عالم اليوم ٠ ويكفي أن نشير هنا إلى ما حدث بالنسبة لتحويل المحيط الهندي إلى « بحر سلام » ، وإزالة القواعد العسكرية الموجودة في أجزائه المختلفة ، وذلك ، رغم قرارات الأمم المتحدة ، ورغم بيانات مجموعة دول عدم الانحياز ٠٠ إلخ إن أقصى ما قيل قريباً من هذه « الحيدة » على لسان دولة كبرى ٠٠ هو أن يتحقّق ذلك على أساس المساواة ٠

ومن ثم ٠٠ فما كان وجود طرف قائماً ومستمرّاً فإن الطرف الآخر

ميسعى للتواجد والاستمرار ولن تتوقف هذه العملية لقرار يتخذ هنا -  
أو رغبة تبدى هناك .. بل أن بعض الأطراف المحلية والاقليمية - قد  
ترى تواجدا ما مفيدا اليها ، بمكس تواجد ما في الجانب الآخر من الصراع -  
فيفض الطرف عن التواجد الأول ، وتحمل بشدة على التواجد الثاني ،  
وينقلب أنها حين تتحدث عن إبعاد « القوى الكبرى » والنفوذ الأجنبي ،  
إنما تقصد التواجد الثاني دون التواجد الأول .

يبقى بعد ذلك موضوع هام وهو العمل على تطوير التعاون بين البلاد  
المطلّة على البحر الأحمر ، وهو همزة وصل تجمع فيما بينهما . سواء  
أكان ذلك بين كل بلاد البحر الأحمر أو بين البلاد العربية المطلّة عليه .

ولا يمكن أن يكون عاقل ضد محاولات تطوير هذا التعاون والتنسيق  
بين هذه البلاد سواء فيما بين نشاطاتها كدول ، أو في عملها المشترك على  
استغلال ثروات البحر الأحمر ذاته .. والعمل في هذا المجال بأقصى الطاقة  
والى أقصى مدى ممكن أمر مطلوب (٦) ..

وتدخل في هذا المجال قضية حيوية ، هي قضية الأمن في كل بلاد  
البحر الأحمر ، قضية الأمن الجماعي لبلاده العربية ، أو لبلاده جميعا .  
ولا شك أن العمل المشترك في هذا المجال أمر مطلوب .. وكما ذكرنا  
سابقا ، لأقصى مدى ممكن ..

وتدخل في هذا المجال أيضا قضية حيوية أخرى ، هي قضية تأمين  
حركة البترول عبر البحر الأحمر الى الشمال والغرب . والى جانب ما أشرنا  
اليه ، متصلا بهذا الموضوع ، في مكان سابق من هذا البحث ، فنكتفي هنا  
بأن نقرر أن هذه مسألة حيوية بالنسبة للكل ، بما في ذلك الدول الكبرى  
والمملكة ، الأمر الذي يجعلها تهتم باستمرار انسياب البترول بحرية ،  
في جميع منافذه . هذا فضلا عن وجود طريق بديل ، للطريق الذي يمثل  
البحر الأحمر حلقة هامة فيه ، وهو طريق رأس الرجاء الصالح .

ونختتم حديثنا بأن البحر الأحمر سيبقى ولأمد غير قصير - بحرا  
مفتوحا للجميع . وأن البحر الأحمر سيبقى - ولأمد غير قصير - مجالا  
للتعاون ، ومجالا للصراع ، بين دولة عربية أو غير عربية .. مع تدخل  
بين ذلك وبين الصراعات المالية في المنطقة وعليها .

ولا يمكن أن يبدأ الوضع فيه ، بما يوسع دوائر التعاون ويعمقها ، إلا إذا استقرت الأمور على أساس سليم من رضى الشعوب ، في أجزائه المختلفة ، وفيما بين هذه الأجزاء ، وفيما بين هذه القوى القاطنة في الصراع الدولي على وجه العموم .

## الهوامش

- ١ - وهذا يتضمن الاتجار بين أجزائه المختلفة في منتجاتها المختلفة .
- ٢ - وفيما يتصل بالمناطق المحتلة إلى الجنوب والجنوب الشرقي فإن اختلاف الفصول بين الشمال والجنوب يؤذي أيضا إلى قيام تبادل تجاري بين المناطق التي تقع على جانبي البحر الأحمر .
- ٣ - إذا نظرنا إلى البحر الأحمر كجزء من امتداد للمحيط الهندي فإننا نلاحظ الاهتمام المتزايد بالمحيط الهندي وكثرة الدراسات والبحوث والمقالات التي تناولت هذا المحيط . وخاصة في السنوات العشر الماضية . ولذا فإن هذا الاهتمام بالمحيط الهندي يتزايد باطراد .
- ٤ - لو كان ما نعيش فيه مرحلة وفاق (entente) بين الدولتين العملاقين كما يتصور البعض لاختلف الوضع عما هو عليه ، بشكل جذري ، ولانطلقت إحدى الدولتين - في توفيق وتنسيق - في السيطرة وتقسيم العالم إلى مناطق نفوذ ، بدرجته لا يمكن أن تحدث في الظروف التي نعيشها .
- ٥ - يكفي أن نشير ، على سبيل المثال ، إلى تحركات القوات البحرية الأمريكية من الفلبين والقوات السوفيتية من فلاديفوستوك ، إلى المحيط الهندي في الأيام الأخيرة ، وإلى وجود سفن تموين مع هذه القوات .
- ٦ - على أننا لا بد وأن نحتفظ - مرة أخرى - بذكرين ، بأن في الظروف الراهنة ، عناصر تعمل الرضا ، وتضع الحدود والقيود ، على انطلاق هذا التعاون والتنسيق ... وأن ما يتسم به الوضع الراهن ، من تركيز على بلاد العالم الثالث ، وخاصة المناطق ذات الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية فيها ، ومن كتمان ، ومن تداخل بين مستويات الصراع المتعددة ، لا بد أن ينعكس على هذه المنطقة ، ويترك أثره فيها .

بسم الله الرحمن الرحيم

نادي القصيم الأدبي - بريدة

ت : ٠٤٨٢ - ص٠ ب : (٨٧٢)

### مسابقة دراسة شخصيات اسلامية

يسر نادي القصيم الأدبي بريدة • أن يطرح للأدباء  
مسابقته الثانية المتعلقة بدراسة تحليلية شاملة لبعض  
الشخصيات الاسلامية ذات العلاقة • وهو بهذا يرجو أن تكون  
فتحا جديدا للكشف عن معالم نهضتنا ..

#### موضوع المسابقة :

المسابقة تنحصر في تقديم دراسة واقعية عن الشخصيات التالية :  
أولا : فضيلة الشيخ المرحوم/ محمد بن ابراهيم  
آل الشيخ •

ثانيا : فضيلة الشيخ المرحوم/ عبد الرحمن بن ناصر  
السعدي

ثالثا : فضيلة الشيخ المرحوم/ عبد الرحمن بن محمد  
الدوسري •



## الشروط :

اولا : أن يكون المتسابق سعودي الجنسية •

ثانيا : أن تكون الدراسة جديدة ولم يسبق طبعها  
أو الاشتراك بها في مسابقات أخرى •

ثالثا : يقوم المتسابق بدراسة شخصية واحدة أو أكثر  
دراسة مستوعبة مفصلة ، وموثقة بالمراجع • ويحسن  
تزويدها . بالوثائق المخطوطة ان أمكن على أن يستوفي الدارس  
( الترجمة ) من ولادة ، ونشأة ، وتعلم ، وتعليم ، وجهود  
علمية ، ومؤلفات ، ومآثر مع استقصاء آثاره المطبوع منها  
والمخطوط •

رابعا : تكون الدراسة ذات متيج محدود بحيث لا تقل عن  
أربعين صفحة « حجم ألفسكاب » على أن يزود البحث بالفهارس  
التفصيلية •

خامسا : أن يكتب البحث يخط واضح ويفضل طبعه على  
الآلة الكاتبة من أصل وصورتين ومزود بغلاف موضحا عليه  
اسم المشترك • وعمره • وعمله وعنوانه •

سادسا : تقدم البحوث الى النادي بالبريد على العنوان  
التالي : -

بريدة - نادي القصيم الأدبي - ص ٠ ب : ( ٨٧٢ ) رئيس  
النادي الأدبي •

سابعا : المسابقة مفتوحة للجنسين •

موعد تنفيذ المسابقة وتقديم الانتاج :

من الآن وحتى يوم ١٤٠١/٤/١ هـ •



### لجنة فحص البحوث :

سيقوم النادي بتشكيل لجنة للدراسة البحوث وتقويمها  
على أن تضم نغمة من الأساتذة والعلماء المتخصصين ومن ذوي  
الشخصيات المدروسة •

### موعد فحص البحوث :

في المدة من ١٤٠١/٤/١٥ هـ وحتى ١٤٠١/٤/٣٠ هـ •

### الجوائز والحوافز :

أولاً : يستحق الفائز جائزة نقدية مقدارها ألفا ريال  
( ٢٠٠٠ ) هذا ويحصل على الجوائز النقدية الفائزون الثلاثة  
الأول •

ثانياً : سيقوم النادي بطبع البحوث الفائزة في كتاب  
مستقل لتعم الفائدة وسيتم تسويقه بمعرفة النادي •

هذا وستعلن النتيجة وأسماء الفائزين بواسطة الصحف  
المعلية بعد فحص وتقويم البحوث مباشرة • وتبلغ النتائج  
والجوائز لأصحابها على العناوين التي تصلنا منهم ، كما يمكن  
تسليم البحوث التي لم تقز لأصحابها •

وإيماننا من النادي بالدور الاسلامي الهام الذي قام به  
اولئك الافذاذ من علمائنا الأجلاء لنهيب بشبابنا أن يكونوا على  
مستوى تطلع النادي اليهم ، والنادي وهو يبادر الى مثل هذه  
الجوانب الهامة من حياتنا الفكرية يهيم بالدرجة الأولى أن  
يضع علماءنا وقادة الفكر في بلادنا في المكان المناسب لهم ، كما  
يريد أن يذكر المتشاعلين بلون من ألوان العطاء ويشعرهم  
بأهمية أناس كاد الموت أن ينسينا أمجادهم وأفضالهم •

هذا وسيعقب هذه المسابقة مسابقات أخرى تتناول  
شخصيات علمية وسياسية وقيادية لها علينا حق الإشادة  
والوفاء •

وفق الله الجميع الى صالح الأعمال وخالفها •

رئيس النادي الأدبي بالقصيم  
حسن الفهد الهويمل





# ملخص الأبحاث بالإنجليزية





movement, which in his opinion has no basic elements of lasting friendship to Great Britain.

may.

Colonel Jacob considers that the eventuality of the fall of Constantinople will not greatly impress the minds of the Arabs in the Yemen, even the public surrender of the Ottoman army to the British at some selected spot in view of the chieftains of the region would not have any real effect. The Arabs have a great contempt for diplomatic victories no matter how ceremonious, and nothing short of fighting will make them believe that we are capable of enforcing our authority in the future. He therefore considers that military and strategic considerations permitting we should if possible retake Laha by force of arms before a general peace is concluded.

With regard to our future policy Colonel Jacob is of opinion that a final decision should be come to defining precisely what our relations with the various chiefs in the hinterland, and with the Imam Yahya are to be when the Turks eventually departs, as Imam Yahya will undoubtedly claim sovereignty of all land evasqued by the Turks. He considers that the best policy will be to stand strictly by our treaty of 23 April 1916 and that this will be the full character of Clause 4, even though this may indicate against the theory of an absolutely independent Arabia.

PUBLIC RECORD OFFICE									
1	2	3	4	5	6	7	8	9	10
371 2486									
CONFIDENTIAL PHOTOGRAPHIC REPRODUCED FROM THE PUBLIC RECORD OFFICE, LONDON									

Arabia.

occupation of Kameran.

Lastly Colonel Jacob pointed out the good effect of our occupation of Kameran in that the Moslem pilgrims were defended from molestation and outrage of their women.

personal observations  
Aden.

As far as concerns our policy in the Aden Protectorate, I am personally of opinion that it would be a great mistake to get involved in any operations beyond Shaykh Othman during the present war. A modest force is ample to hold the ground essential for us at Aden and Shaykh Othman, but it is impossible for anyone to foretell what may be required if we once again extend our military obligations into the Protectorate itself.

This need not prevent our arming Shaykh Idris in arms and munitions but not in actual men.

I believe in event of Constantinople falling our future policy towards Imam Yahya will be a question of importance. I should imagine that his prospects as anything more than a local Caliph will be small, and that he will never recognise the suzerainty of the Sherif no matter what title the latter assumes.

One point which greatly impresses itself upon my mind is the want of co-ordination in our Arabian policy, owing to Aden being politically and militarily under Bombay in the first place and the government of India in the second instead of directly

under

PUBLIC RECORD OFFICE	
1	2
3	4
5	6
7	8
9	10
Reference No.	
O 371 2486	
COPYRIGHT PHOTOGRAPH—NOT TO BE REPRODUCED PHOTOGRAPHICALLY WITHOUT PERMISSION OF THE PUBLIC RECORD OFFICE, LONDON	

under Egypt. All the moral and intellectual ties between the Arabs and ourselves lie in Cairo rather than in India.

The Shaykh Idris is connected with the Semusi, the Imam Yahya is on terms of fluctuating friendship or hostility with the Sherif of Mecca, the pan-Arab movement is influenced by the Al Ashar University at Cairo.

The intercourse between the Arabs of Arabia and the African coasts of the Red Sea is another and important bond of union. I should therefore imagine that it would tend to facilitate the development of a sound Anglo-Arabian policy if Aden were transferred temporarily to the General Officer Commanding in Egypt.

I am well aware of the departmental difficulties which lie in the way, but at the present moment the necessity of co-ordination is of great importance especially in view of the fact that our enemy is working against Aden and Egypt from one centre of political and military influence.

It is to be anticipated that the next few months must see a profound change in the political composition of the near East, and it would appear to be advantageous that the centres of our political and military control should during this period of transition <sup>coincide</sup> <sup>centres of</sup> ~~approach~~ with the native influences which are coming into play. Even though two departments may pursue a policy agreed upon mutually it cannot be so easy to achieve

1	2	3	4	5	6	7	8	9	10
PUBLIC RECORD OFFICE									
Reference No.									
F.O. 371 2486									
COPYRIGHT PHOTOGRAPH—NOT TO BE REPRODUCED PHOTOGRAPHICALLY WITHOUT PERMISSION OF THE PUBLIC RECORD OFFICE, LONDON									

with Idris.

With regard to Shaykh Idris, Colonel Jacob is unshaken in his confidence in him, and considers that this is our strongest point d'appui in this region.

Caliphate.

With regard to the Caliphate it is important to note that Colonel Jacob does not concur in the general view, that a transfer of the Caliphate from the Ottoman dynasty to that of the Sherifian family would prove the most satisfactory solution.

He considers that the transfer would result in a general turmoil in Arabia, which might end in a religious revival such as produced the Wahabi movement, resulting in the Caliphate falling finally into the hands of those who could imbue it with a renewed vitality. The proximity of Arabia to India, and the difficulty of exercising any influence or control over the sacred territory which might prove the focus of unrest and intrigue adds to the danger.

Colonel Jacob is therefore of opinion that a moribund Caliphate in an atrophied Turkey, even under Russian influence, would have fewer possibilities of danger than a Caliphate situated in Arabia under the vital spirit of Idris survives.

Colonel Jacob considered the views of Shaykh Rashid Rida as expressed in his fatwas of 14 as a kind of the pen-ultimate



way, the issue of which to him is uncertain, he has no inclination to avail himself either of our protection or interest. Our action at Shaykh Said has made him suspicious of our policy, and he represents our temporary occupation of the place as a violation of his rights. The Imam is probably influenced by a double ambition, his immediate object is to obtain control of Yemen, Asyr, Hadramaut, and the area contained in the Aden <sup>Persian Gulf</sup> hinterland. He hopes in these regions to be undisputed temporal and spiritual chief, and to be regarded as Caliph by its inhabitants. He is at this moment intsiguing with the chiefs of Hadramaut and endeavouring to obtain a promise of support from them.

However Colonel Jacob thinks that notwithstanding this, should a propitious turn of events make it possible, the Imam would not hesitate to endeavour to get himself recognised as Caliph throughout the Moslem world. He has hitherto accorded but a cold reception to the adherents of the pan-Arabian theory, but this perhaps is owing to his dislike of the idea of recognising the overlordship of the Sherif of Mecca which that theory presupposes - if the Imam saw an opportunity of diverting pan-Islamism from the Muslim orbit into his own he might change his views.

With regard

PUBLIC RECORD OFFICE									
1	2	3	4	5	6	7	8	9	10
RECORDED 371 2486 BE REPRODUCED PHOTOGRAPHICALLY WITHOUT PERMISSION OF THE PUBLIC RECORD OFFICE, LONDON									



ing feeling among natives in Aden.

I had a long interview with Colonel Jacob to whom I showed the draft report of the committee. Colonel Jacob made several important observations on the general situation obtaining in Southern Arabia.

The attitude of the Imam Yahya he stated was decidedly anti British in sentiment for the following reason, when in 1906-7 he appealed to His Majesty's Government for some moral support against Turkish tyranny, he received no encouragement. Although he had obtained considerable success in the field and had an adequate force at his disposal, now that he is virtual ruler of Upper Yemen and that Great Britain is involved in a

1 2 3 4 5 6  
 7 8 9 10 11 12  
 13 14 15 16 17 18  
 19 20 21 22 23 24  
 25 26 27 28 29 30  
 31 32 33 34 35 36  
 37 38 39 40 41 42  
 43 44 45 46 47 48  
 49 50 51 52 53 54  
 55 56 57 58 59 60  
 61 62 63 64 65 66  
 67 68 69 70 71 72  
 73 74 75 76 77 78  
 79 80 81 82 83 84  
 85 86 87 88 89 90  
 91 92 93 94 95 96  
 97 98 99 100 101 102  
 103 104 105 106 107 108  
 109 110 111 112 113 114  
 115 116 117 118 119 120  
 121 122 123 124 125 126  
 127 128 129 130 131 132  
 133 134 135 136 137 138  
 139 140 141 142 143 144  
 145 146 147 148 149 150  
 151 152 153 154 155 156  
 157 158 159 160 161 162  
 163 164 165 166 167 168  
 169 170 171 172 173 174  
 175 176 177 178 179 180  
 181 182 183 184 185 186  
 187 188 189 190 191 192  
 193 194 195 196 197 198  
 199 200 201 202 203 204  
 205 206 207 208 209 210  
 211 212 213 214 215 216  
 217 218 219 220 221 222  
 223 224 225 226 227 228  
 229 230 231 232 233 234  
 235 236 237 238 239 240  
 241 242 243 244 245 246  
 247 248 249 250 251 252  
 253 254 255 256 257 258  
 259 260 261 262 263 264  
 265 266 267 268 269 270  
 271 272 273 274 275 276  
 277 278 279 280 281 282  
 283 284 285 286 287 288  
 289 290 291 292 293 294  
 295 296 297 298 299 300  
 301 302 303 304 305 306  
 307 308 309 310 311 312  
 313 314 315 316 317 318  
 319 320 321 322 323 324  
 325 326 327 328 329 330  
 331 332 333 334 335 336  
 337 338 339 340 341 342  
 343 344 345 346 347 348  
 349 350 351 352 353 354  
 355 356 357 358 359 360  
 361 362 363 364 365 366  
 367 368 369 370 371 372  
 373 374 375 376 377 378  
 379 380 381 382 383 384  
 385 386 387 388 389 390  
 391 392 393 394 395 396  
 397 398 399 400 401 402  
 403 404 405 406 407 408  
 409 410 411 412 413 414  
 415 416 417 418 419 420  
 421 422 423 424 425 426  
 427 428 429 430 431 432  
 433 434 435 436 437 438  
 439 440 441 442 443 444  
 445 446 447 448 449 450  
 451 452 453 454 455 456  
 457 458 459 460 461 462  
 463 464 465 466 467 468  
 469 470 471 472 473 474  
 475 476 477 478 479 480  
 481 482 483 484 485 486  
 487 488 489 490 491 492  
 493 494 495 496 497 498  
 499 500 501 502 503 504  
 505 506 507 508 509 510  
 511 512 513 514 515 516  
 517 518 519 520 521 522  
 523 524 525 526 527 528  
 529 530 531 532 533 534  
 535 536 537 538 539 540  
 541 542 543 544 545 546  
 547 548 549 550 551 552  
 553 554 555 556 557 558  
 559 560 561 562 563 564  
 565 566 567 568 569 570  
 571 572 573 574 575 576  
 577 578 579 580 581 582  
 583 584 585 586 587 588  
 589 590 591 592 593 594  
 595 596 597 598 599 600  
 601 602 603 604 605 606  
 607 608 609 610 611 612  
 613 614 615 616 617 618  
 619 620 621 622 623 624  
 625 626 627 628 629 630  
 631 632 633 634 635 636  
 637 638 639 640 641 642  
 643 644 645 646 647 648  
 649 650 651 652 653 654  
 655 656 657 658 659 660  
 661 662 663 664 665 666  
 667 668 669 670 671 672  
 673 674 675 676 677 678  
 679 680 681 682 683 684  
 685 686 687 688 689 690  
 691 692 693 694 695 696  
 697 698 699 700 701 702  
 703 704 705 706 707 708  
 709 710 711 712 713 714  
 715 716 717 718 719 720  
 721 722 723 724 725 726  
 727 728 729 730 731 732  
 733 734 735 736 737 738  
 739 740 741 742 743 744  
 745 746 747 748 749 750  
 751 752 753 754 755 756  
 757 758 759 760 761 762  
 763 764 765 766 767 768  
 769 770 771 772 773 774  
 775 776 777 778 779 780  
 781 782 783 784 785 786  
 787 788 789 790 791 792  
 793 794 795 796 797 798  
 799 800 801 802 803 804  
 805 806 807 808 809 810  
 811 812 813 814 815 816  
 817 818 819 820 821 822  
 823 824 825 826 827 828  
 829 830 831 832 833 834  
 835 836 837 838 839 840  
 841 842 843 844 845 846  
 847 848 849 850 851 852  
 853 854 855 856 857 858  
 859 860 861 862 863 864  
 865 866 867 868 869 870  
 871 872 873 874 875 876  
 877 878 879 880 881 882  
 883 884 885 886 887 888  
 889 890 891 892 893 894  
 895 896 897 898 899 900

state of anarchy which would extend as far North as Mosul if not Diarbekir. He said he could not imagine the Imperial Ottoman ~~regime~~ regime surviving the fall of Constantinople owing to the disaffection of the Arabs. He further said in answer to a question that it was unthinkable that the Arabs should be able to rule Iraq without European assistance particularly in the domain of finance. Speaking as a native of Baghdad he was pessimistic as to the future, because he feared that as the Ottoman Empire collapsed, anarchy would supervene before a settled government could be established from within or imposed from without.

This no doubt is a real danger and if possible should be ~~forestalled~~ forestalled, I gathered from him that some organisation allied to the pan-Arab movement, is at work among the Arab officers in the Ottoman army, but that it was incoherent in plan and undecided in policy.

I suggest that in view of possible future developments discrimination should be shown in the treatment of prisoners.

I venture to suggest that, if it is not already done, ~~that~~ Christians, Syrians, Baghdadis, and Kurds should be separated from those who are of pure Turkish stock, and those who are natives of regions which may some day come under the influence of Great Britain might be accorded the fully favourable treatment, and kept away from the influence of the Turks who

PUBLIC RECORD OFFICE	
1	2
3	4
5	6
7	8
9	10
Reference -	
E 371 2486	
COMPONENT PHOTOGRAPH - NOT TO BE REMOVED FROM THE ALBANY WITHOUT PERMISSION OF THE PUBLIC RECORD OFFICE, LONDON	

apprehensive of being handed back to the Ottoman authorities, and complained of the menaces they were subjected to by the Turkish and Albanian prisoners of war.

The two others from Hahius were (as indeed are all the Moslems of that region) intensely fanatical, one of them said "we had done six years in the Yemen and our discharges were made out, but thank God the war came before we left". It is obvious that they had nothing to gain by talking in this way, and this remark should be remembered when considering optimistic statements concerning the attitude of Moslem Syrian Arabs.

Saif Bey, a major in the Turkish army, captured at Lohaj just before our retirement, is a Baghdadli of the Jebeli house, a powerful family of Turkish origin, comprising about 400 members in Baghdad, and owning considerable estates. In the course of conversation he said that if Constantinople fell, the people of Baghdad would probably declare themselves independent, ~~and elect a Sultan who would probably be a member of the Basmali house. He suggested however that the Kurds might appoint the Reza Khan as ruler of Iraq and leave matters at that.~~ He considered that this would be but a prelude to a

State



all that was known was that a British force had had to retreat, that the Arabs were disaffected, the Turkish troops were within a short distance of Aden, and that reinforcements had been despatched hurriedly from Egypt.

It was impossible for any person who had not been to Aden to realise that the affair was far less serious than could be imagined. I would venture to suggest that in a case of this kind where the main facts cannot be concealed, ~~that~~ <sup>the</sup> a detailed account giving <sup>the</sup> actual state of affairs would be the best way of frustrating the enemy's object, which is obviously intended to produce moral effect on the surrounding population.

High Prisoners at Aden.

I visited the Turkish prisoners and deserters at the prison in the crater, and specially interviewed four Syrian privates and Rauf Bey the battalion commander captured at Lahaj. The talk of the Syrians was interesting and instructive. Two who were deserters ~~who~~ from the neighbourhood of Jerusalem, they complained of the brutal treatment accorded to them by the Turkish officers, and described the bulk of the Southern Syrians

as only anxious to escape from captivity. They were pitifully

apprehensive

PUBLIC RECORD OFFICE									
1	2	3	4	5	6	7	8	9	10
Address -									
O 371 2486									
COPYRIGHT PHOTOGRAPH - NOT TO BE REPRODUCED PHOTOGRAPHICALLY WITHOUT PERMISSION OF THE PUBLIC RECORD OFFICE, LONDON									

SECRET.

MEMO

July 23rd 1918.

No 16.

114293

JUL 17 9:15

Sir,

I have the honour to inform you that I arrived at Aden on July 21st, the day on which Shaykh Othman was re-occupied and the Turks and disaffected Arabs driven back in the direction of Isahaj.

Military situation.

With regard to the military situation, there is I think little to be said. Sir George Younghusband kindly showed me his memorandum giving his appreciation of the position of affairs, and the inevitable conclusions with regard to an advance on Isahaj. With reference to the military aspect of the situation the only point to which I would venture to draw attention is the bad effect of semi-secrecy as regards the turn of events in the hinterland, on Egypt, and the Red Sea littoral.

The rumours spread after the first news were made public, were of the darkest kind, and all who I met (natives and British) imagined that Aden itself was seriously threatened;

all

At General Headquarters G.O.

Director of Military Operations.

THE ADJUTANT, GENERAL G.O.

PUBLIC RECORD OFFICE									
1	2	3	4	5	6	7	8	9	10
Copyright Photoduplication - NOT TO BE REPRODUCED PHOTOGRAPHICALLY WITHOUT PERMISSION OF THE PUBLIC RECORD OFFICE, LONDON									
0371 2486									

طابع وإعلانات الشيف

المواصفات ٢٠١٩/٩٠









(The Holy Koran, Chapter of the Spoils, Verse 60)

If a small force is represented by troops of horses, then the required force in the Red Sea must be in the form of a mighty fleet.

Before writing this foreword. I had heard about the opening ceremony of King Abdul Aziz naval base at Jubail. I hope that our fleet be an integral part of other Arab fleets with which it cooperates under a solidarity banner of the Arab Nation.

May I remind you how Saladin the Ayyubide established a fleet in the Red Sea after he had been informed that crusader prince Arnaut entitled "Arnat" in our history had threatened to invade the Two Sacred Shrines. Saladin prepared the ships and vowed to kill Arnaut with his own bare hands. Allah answered his prayers and Arnaut fell in captivity, killed by the Kurd, Kirkuki, Damascene, Egyptian Saladin. As a matter of fact this moslem leader was an excellent example of the Islamic and Arab Nations.

This imminent danger in the Red Sea spurred our activity to obtain some essays and researches read in a seminar held in Egypt. We published this volume as a special issue on the Red Sea. And as we are pressed for time because the next issue date is approaching, thus we promise our readers of more elaborate researches on the same subject in the near future. May Allah grant us success.

The Editor

Translated by Sabry Ibrahim

(1988)

## FOREWORD

---

My concern here is not to add more researches to those already written in this issue. The researches in this volume furnish the reader with a plain idea on the position and importance of the Red Sea. The many events that took place in the area of the Red Sea have increased that importance in spite of the fact that all throughout history the case was true. The truth of this statment is elucidated in the researches of this issue. I shall write down a new definition of history, a definition that achieves equilibrium between sentiment and reason.

The Red Sea was originally a terrain of land when the Arabian Peninsula and Eastern Africa were once a connected terra firma before the geological split had occurred. The Red Sea was an Arabian gulf before the opening of the Suez Canal. After its digging the Red Sea was rendered as an Arabian strait, where its eastern and western coasts save the Abyssinian littoral are owned by the Arabs. When the Red Sea was an Arabian gulf, there were no regional boundaries defined by miles and the whole area was sheer Arabian. Therefore the Suez Canal has made the Red Sea an international trade passage.

The Red Sea became the most dangerous area of conflict in the Middie East, when some of its coastal countries had extended certain facilities to foreign powers to take refuge in their ports. Thus they brought this danger to themselves and to their neighbours by bringing the foreign powers fleets to their territories.

The Arabs have to get acquainted with this danger and prepare themselves to repel it "Therefore prepare against them, what force ye are able and troops of, horses, whereby ye may strike a terror into the enemy of god, and your enemy, and into other infidels besides them, whom ye know not, but god knoweth them."

# A D D A R A H

## Notice :

- All Correspondence should be directed to the Editor in- Chief  
P. O. Box 2945 — Riyadh
- Articles are arranged technically, regardless of the writers' prestige.
- This English section contains summaries of some of the essays written in Arabic.

## — Price :

- a) **In Saudi Arabia :**  
2 Riyals a copy.  
15 Riyals per annum.
- b) **In Arab Countries :**  
The equivalent of 50 S. piastres a copy.  
The equivalent of 15 riyals per annum.
- c) **Non Arab Countries**  
\$1 a copy.  
\$6 per annum.



# **ADDARAH**

**QUARTERLY JOURNAL**

**by**

**King Abdul Aziz Research Centre  
Concerned with**

**the Intellectual and Historical Heritage  
of the Kingdom and the Islamic World.**

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

***EDITOR IN CHIEF*  
MOHAMMAD HUSSEIN ZEIDAN**

**EDITORIAL BOARD  
ABDULLAH BIN KHAMIS  
Dr. MANSOUR AL-HAZIMY  
ABDULLAH BIN IDRIS  
ABDULLAH AL-MAJID**

**RABI AWWAL 1401  
JANUARY 1981**

**SIXTH YEAR  
NO. : 2**

**P.O.B. 2945  
Tel. : 4038646**

**RIYADH  
KINGDOM OF SAUDI ARABIA**



# ADDARAH



QUARTERLY JOURNAL by KING ABDUL AZIZ RESEARCH CENTRE  
VOLUME 2 (6) 1401 A.H./1981 A.D.

## IN THIS ISSUE

— British Policy  
in Arabia  
and The Red Sea









General Organization of the  
Alexandria Library (GOAL)  
*Bibliotheca Alexandrina*





Universitäts- und  
Landesbibliothek Bonn



0530579